مجموعة
رسائل الإمام الشهيد
حسن البنا

مجموعة

رسائل الإمام الشهيد

حسن البنا


دار القلم
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه الطبعة

● لقد مضى ربع قرن على استشهاد الإمام المجاهد حسن البنا رحمه الله.. ورسائله وكتبه وآثاره ما تزال منار هداية ساطعة تستنير بها أجيال من المثقفين المؤمنين متعاقبة وتتزود منها بثقافة إسلامية صافية رفيعة مشبعة بالروحانية المشرقة الصادقة الفعالة.

● منذ ربع قرن ورسائل الإمام الشهيد تصدر في طبعات مختلفة عن دور النشر والطباعة بأشكال ومستويات مختلفة جلها دون الوسط المعتاد في طباعة الكتب والسبب تارة ضغط تكاليفها تيسيراً على القراء وتارة للمزاحمة وكسب مزيد من الربح المادي الرخيص.. وتكاثرت الطبعات وكلها ولله الحمد ينفد.. وبعضها كُتِبَ لمناسبات أو ظروف مضى وقتها ولم يعد فائدة من تكرارها..

● ولذلك رأى ورثة الإمام الشهيد رحمه الله أن الوقت قد حان لإعادة النظر في هذا الأمر وتنظيم شأن هذه الآثار وإضافة ما تركه الإمام الشهيد مما لم تساعد الظروف على نشره قبل الآن ومما يحسن إضافته الى بعض ما سبق نشره لوحدة الموضوع أو إفراده عندما يستقل بموضوعه.

● ولهذا قام وكيل الورثة القانوني بجمع المطبوع من هذه الآثار وحصرها في جهة واحدة تتولى توزيعها وإعادة طباعتها بإخراج جديد جميل موحد بشكل يحفظ حق الورثة الشرعي فيها ويحفظ لهذه الآثار مكانتها .

● ولم يكن قصد ورثة الإمام الشهيد من هذا الأمر الكسب المادي وإنما تنظيم أمر هذه الآثار ووضع حد للعبث والاتجار بها

● ولقد عهد وكيل ورثة الإمام الشهيد الى دار القرآن الكريم بأمر توزيع هذه المطبوعات بحيث تكون وحدها المعتمدة من أصحاب الحق الشرعيين لتوزيع ما سبق طبعه .

● وهذه الطبعة التي كلفنا باعادة طباعتها تصويراً عن الطبعة الأخيرة دون تغيير ولا تبديل هي طبعة مؤقتة اقتضتها حاجة القراء الآنية بعد نفاد تلك الطبعة وريثما يتم تجديد طباعة مجموعة آثار الإمام الشهيد بثوبها الجديد القشيب . .

والله تعالى ولي التوفيق.

دار القرآن الكريم

رسالة التعاليم

للامام الشهيد حسن البنا

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله والصلاة والسلام على إمام المتقين وقائد المجاهدين سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه ومن تبع هداهم الى يوم الدين .

أما بعد :

فهذه رسالتي الى الاخوان المجاهدين من الاخوان المسلمين الذين آمنوا بسمو دعوتهم وقدسية فكرتهم وعزموا صادقين على أن يعيشوا بها أو يموتوا في سبيلها ، إلى هؤلاء الاخوان فقط أوجه هذه الكلمات الموجزة وهي ليست دروساً تحفظ لكنها تعليمات تنفذ ، فإلى العمل أيها الأخوة الصادقون ، وسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ، وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقون .

أما غير هؤلاء فلهم دروس ومحاضرات وكتب ومقالات ومظاهر وإداريات ولكل وجهة هو موليها ، فاستبقوا الخيرات وكلا وعد الله الحسنى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

حسن البنا

أيها الاخوان الصادقون

أركان بيعتنا عشرة فاحفظوها :

« الفهم ، والاخلاص ، والعمل ، والجهاد ، والتضحية ، والطاعة ، والثبات ، والتجرد ، والأخوة ، والثقة » .

أيها الأخ الصادق :

انما اريد بالفهم :

أن توقن بأن فكرتنا « اسلامية صميمة » وأن تفهم الاسلام كما نفهمه في حدود هذه الأصول العشرين الموجزة كل الإيجاز :

١ — الاسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعاً فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة ، وهو خلق وقوة أو رحمة وعدالة ، وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء ، وهو مادة وثروة أو كسب وغنى ، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة ، كما هو عقيدة صادقة وعبادة .

٢ — والقرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم في تعرف أحكام الاسلام ، ويفهم القرآن طبقاً لقواعد اللغة العربية

من غير تكلف ولا تعسف ويرجع في فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات .

٣ – وللإيمان الصادق والعبادة الصحيحة والمجاهدة نور وحلاوة يقذفها الله في قلب من يشاء من عباده ولكن الإلهام والخواطر ، والكشف والرؤى ليست من أدلة الأحكام الشرعية ولا تعتبر إلا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه .

٤ – والتمائم والرقى والودع والرمل والمعرفة والكهانة وادعاء معرفة الغيب وكل ما كان من هذا الباب منكر تجب محاربته « إلا ما كان آية من قرآن أو رقية مأثورة » .

٥ – ورأي الإمام ونائبه فيما لا نص فيه وفيما يحتمل وجوهاً عدة وفي المصالح المرسلة معمول به ما لم يصطدم بقاعدة شرعية ، وقد يتغير بحسب الظروف والعرف والعادات ـ والأصل في العبادات التعبد دون الالتفات إلى المعاني وفي العاديات الالتفات الى الأسرار والحكم والمقاصد .

٦ – وكل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم وكل ما جاء عن السلف رضوان الله عليهم موافقاً للكتاب والسنة قبلناه وإلا فكتاب الله وسنة رسوله أولى بالاتباع ولكننا لا نعرض للاشخاص – فيما اختلف فيه – بطعن أو تجريح ونكلهم إلى نياتهم ، وقد أفضوا إلى ما قدموا .

٧ – ولكل مسلم يبلغ درجة النظر في أدلة الأحكام الفرعية أن يتبع إماماً من أئمة الدين ، ويحسن به مع هذا الاتباع أن

يجتهد ما استطاع في تعرف أدلة وأن يتقبل كل ارشاد مصحوب بالدليل متى صح عنده من أرشده وكفايته وأن يستكمل نقصه العلمي ان كان من أهل العلم حتى يبلغ درجة النظر .

٨ — والخلاف الفقهي في الفروع لا يكون سبباً للتفرق في الدين ولا يؤدي إلى خصومة ولا بغضاء ولكل مجتهد أجرة ، ولا مانع من التحقيق العلمي النزيه في مسائل الخلاف في ظل الحب في الله والتعاون على الوصول إلى الحقيقة من غير أن يجر ذلك إلى المراء المذموم والتعصب .

٩ — وكل مسألة لا ينبني عليها عمل فالخوض فيها من التكلف الذي نهينا عنه شرعاً ومن ذلك كثرة التفريعات للأحكام التي لم تقع ، والخوض في معاني الآيات القرآنية الكريمة التي لم يصل اليها العلم بعد ، والكلام في المفاضلة بين الأصحاب رضوان الله عليهم وما شجر بينهم من خلاف ولكل منهم فضل صحبته وجزاء نيته وفي التأول مندوحة .

١٠ — معرفة الله تبارك وتعالى وتوحيده وتنزيهه أسمى عقائد الاسلام وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة وما يليق بذلك من التشابه نؤمن بها كما جاءت من غير تأويل ولا تعطيل ولا نتعرض لما جاء فيها من خلاف بين العلماء ويسعنا ما وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه « والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا » .

١١ — وكل بدعة في دين الله لا أصل لها : استحسنها الناس بأهوائهم — سواء بالزيادة فيه أو بالنقص منه — ضلالة

تجب محاربتها والقضاء عليها بأفضل الوسائل التي لا تؤدي الى ما هو شر منها .

١٢ – والبدعة الاضافية والتركية والالتزام في العبادات المطلقة خلاف فقهي لكل فيه رأيه ولا بأس بتمحيص الحقيقة بالدليل والبرهان .

١٣ – ومحبة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم قربة الى الله تبارك وتعالى والأولياء هم المذكورون في قوله تعالى : « الذين آمنوا وكانوا يتقون » والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية مع اعتقاد أنهم رضوان الله عليهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً في حياتهم أو بعد مماتهم فضلاً عن أن يهبوا شيئاً من ذلك لغيرهم .

١٤ – وزيارة القبور أياً كانت سنــــة مشروعة بالكيفية المأثورة ولكن الاستعانــة بالمقبورين أياً كانوا ونداءهم لذلك وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد والنذر لهم وتشييد القبور وسترها وإضاءتها والتمسح بها والحلف بغير الله وما يلحق بذلك من المبتدعات كبائر تجب محاربتها و نتأول لهذه الأعمال سداً للذريعة .

١٥ – والدعاء إذا قرن بالتوسل الى الله بأحد من خلقه خلاف فرعي في كيفية الدعاء وليس من مسائل العقيدة .

١٦ – والعرف الخاطىء لا يغير حقائق الألفاظ الشرعية بل يجب التأكد من حدود المعاني المقصود بها والوقوف عندها كما يجب الاحتراز من الخداع اللفظي في كل نواحي الدنيا و

فالعبرة بالمسميات لا بالأسماء .

١٧ – والعقيدة أساس العمل وعمـــل القلب أهم من عمل الجارحة وتحصيل الكمال في كليهما مطلوب شرعا وان أختلفت مرتبتا الطلب .

١٨ – والاسلام يحرز العقـل ويحث على النظر في الكون ويرفع قدر العلم والعلماء ويرحب بالصالح النافـــع من كل شيء والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها .

١٩– وقد يتناول كل من النظر الشرعي والنظر العقلي ما لا يدخل في دائرة الآخر ولكنهما لن يختلفا في القطعي فلن تصطدم حقيقة علمية صحيحة بقاعدة شرعية ثابتة ويؤول الظني منهما ليتفق مع القطعي ، فإن كانا ظنيين فالنظر الشرعي أولى بالاتباع حتى يثبت العقلي أو ينهار .

٢٠ – لا تكفر مسلماً أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاهما وأدى الفرائض – برأي أو معصية – إلا ان أقر بكلمة الكفر ، أو أنكر معلوماً من الدين بالضرورة أو كذّب صريح القرآن أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال ، أو عمل عملاً لا يحتمل تأويلاً غير الكفر .

وإذا علم الأخ المسلم « دينه » في هذه الأصول فقد عرف معنى هتافه دائماً « القرآن دستورنا والرسول قدوتنا » .

واريد بالاخلاص

أن يقصد الاخ المسلم بقوله وعمله وجهاده كله وجـــه الله

والتماء مرضاته وحسن مثوبته من غير نظر إلى مغنم أو مظهر أو جاه أو لقب أو تقدم أو تأخر وبذلك تكون جندي «فكرة وعقيدة» لا جندي غرض ومنفعة : «قــل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمـــين لا شريك له وبذلك أمرت» وبذلك يفهم الاخ المسلم معنى هتافــه الدائم : «الله غايتنا» «والله أكبر ولله الحمد» .

واريد بالعمل

ثمرة العلم والاخلاص «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون» ومراتب العمل المطلوبة من الاخ الصادق :

١ ــ اصلاح نفسه حتى يكون : قوي الجسم ، متين الخلق ، مثقف الفكر ، قادراً على الكسب ، سليم العقيـــدة ، صحيح العبادة ، مجاهداً لنفسه ، حريصاً على وقته ، منظماً في شؤونه ، نافعاً لغيره . وذلك واجب كل أخ على حدته .

٢ ــ وتكوين بيت مسلم ، بأن يحمل أهله على احترام فكرته والمحافظة على آداب الاسلام في كل مظاهر الحياة المنزلية وحسن اختيار الزوجة ، وتوقيفها على حقها وواجبها ، وحسن تربية الاولاد والخدم وتنشئتهم على مبادىء الاسلام . وذلك واجب كل أخ على حدته كذلك .

٣ ــ وإرشاد المجتمع ، بنشر دعوة الخير فيـــه ، محاربة الرذائل والمنكرات ، وتشجيع الفضائـل والأمر وف

والمبادرة الى فعل الخير ، وكسب الرأي العام الى جانب الفكرة الاسلامية وصبغ مظاهر الحياة العامة بها دائماً . وذلك واجب كل أخ على حدته ، وواجب الجماعة كهيئة عاملة .

٤ – وتحرير الوطن بتخليصه من كل سلطان أجنبي – غير اسلامي – سياسي أو اقتصادي او روحي .

٥ – واصلاح الحكومة حتى تكون اسلامية بحق وبذلك تؤدي مهمتها كخادم للأمة وأجير عندها وعامل على مصلحتها والحكومة اسلامية ما كان اعضاؤها مسلمين مؤدين لفرائض الاسلام غير متجاهرين بعصيان وكانت منفذة لاحكام الاسلام وتعاليمه ..

ولا بأس بأن تستعين بغير المسلمين عند الضرورة في غير مناصب الولاية العامة ولا عبرة بالشكل الذي تتخذه ولا بالنوع ما دام موافقاً للقواعد العامة في نظام الحكم الاسلامي .

ومن صفاتها الشعور بالتبعة والشفقة على الرعية ، والعدالة بين الناس والعفة عن المال العام والاقتصاد فيه .

ومن واجباتها صيانة الامن وانفاذ القانون . ونشر التعليم ، واعداد القوة . وحفظ الصحة ، ورعاية المنافع العامة ، وتنمية الثروة وحراسة المال ، وتقوية الاخلاق ، ونشر الدعوة ومن حقها – متى أدت واجبها – الولاء والطاعة والمساعدة بالنفس والاموال .

فإذا قصرت ، فالنصح والارشاد ، ثم الخلع والابعاد ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

٦ – وإعادة الكيان الدولي للأمــة الاسلامية ، بتحرير أوطانها وإحياء مجدها وتقريب ثقافاتها وجمع كلمتها حتى يؤدي ذلك كله الى اعادة الخلافة المفقودة والوحدة المنشودة .

٧ – وأستاذية العالم بنشر دعوة الاسلام في ربوعــه حتى لا تكون فتنةويكون الدين كله لله ، ويأبىالله إلا أن يتم نوره .

وهذه المراتب الأربعة الاخيرة تجب على الجماعة متحدة وعلى كل أخ باعتباره عضواً في الجماعة وما أثقلها تبعات وما أعظمها مهمات يراها الناس خيالاً ويراها الأخ المسلم حقيقة ، ولن نيأس أبداً ، ولنا في الله أعظم الأمل « والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

واريد بالجهاد

الفريضة الماضية الى يوم القيامة والمقصود بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مات ولم يغز ولم ينو الغزو مات ميتة جاهلية » وأول مراتبه إنكار القلب وأعلاها القتال في سبيل الله وبين ذلك جهاد اللسان والقلم واليد وكلمة الحق عند السلطان الجائر ولا تحيا الدعوة إلا بالجهاد وبقدر سمو الدعوة وسعة أفقها تكون عظمة الجهاد في سبيلها وضخامــة الثمن الذي يطلب لتأييدهــا وجزالة الثواب للعاملين ، وجاهدوا في الله حق جهــاده .

وبذلك تعرف معنى هتافك الدائم « الجهاد سبيلنا » .

وارید بالتضحیة

بذل النفس والمال والوقت والحياة وكل شيء في سبيل الغاية وليس في الدنيا جهاد تضحية معه ولا تضيع في سبيل فكرتنا تضحية وإنما هو الاجر الجزيل والثواب الجميل ومن قعد عن التضحية معنا فهو آثم « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم » (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم) الآية (ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب) الآية (فإن تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسنا) وبذلك تعرف معنى هتافك الدائم « والموت في سبيل الله أسمى أمانينا » .

وارید بالطاعة

« امتثال الامر وانفاذه تواً في العسر واليسر والمنشط والمكره » وذلك ان مراحل هذه الدعوة ثلاث :

التعريف – بنشر الفكرة العامة بين الناس ونظام الدعوة في هذا الطور نظام الجمعيات الادارية ومهمتها العمل للخير العام ووسيلتها الوعظ والارشاد تارة وإقامة المنشآت النافعة تارة أخرى الى غير ذلك من الوسائل العملية وكل شعب الاخوان القائمة الآن تمثل هذا الطور من حياة الدعوة وينظمها (القانون الاساسي) وتشرحها رسائل الاخوان وجريدتهم والدعوة في هذا الطور (عامة) .

ويتصل بالجماعة فيه كل من أراد من الناس متى رغب المساهمة

في أعمالها ووعد بالمحافظة على مبادئها . وليست الطاعة التامة لازمة في هذا الطور بقدر ما يلزم فيه احترام النظم والمبادىء العامة للجماعة .

التكوين – باستخلاص العناصر الصالحة لحمل اعباء الجهاد وضم بعضها الى بعض ونظام الدعوة – في هذا الطور – صوفي بحت من الناحية الروحية ، وعسكري بحت من الناحية العملية ، وشعارها هاتين الناحيتين دائماً (أمر وطاعة) من غير تردد ولا مراجعة ولا شك ولا حرج ، وتمثل الكتائب الاخوانية هذا الطور من حياة الدعوة وتنظمها رسالة المنهج سابقاً وهذه الرسالة الآن .

والدعوة فيه « خاصة » لا يتصل بها إلا من استعد استعداداً حقيقياً لتحمل أعباء جهاد طويل المدى كثير التبعات وأول بوادر هذا الاستعداد « كمال الطاعة » .

التنفيذ - والدعوة في هذا الطور جهاد لا هوادة معه ، وعمل متواصل في سبيل الوصول الى الغاية ، وامتحان وابتلاء لا يصبر عليهما إلا الصادقون ولا يكفل النجاح في هذا الطور إلا « كمال الطاعة كذلك » وعلى هذا بايع الصف الاول من الاخوان المسلمين في يوم ٥ ربيع الاول سنة ١٣٥٩ هـ .

وأنت بانضمامك الى هذه الكتيبة وتقبلك لهذه الرسالة وتعهدك بهذه البيعة تكون في الدور الثاني وبالقرب من الدور الثالث فقدر التبعة التي التزمتها وأعد نفسك للوفاء بها .

واريد بالثبات

أن يظل الأخ عاملاً مجاهداً في سبيل غايته مهما بعدت المدة وتطاولت السنوات والأعوام حتى يلقى الله على ذلك وقد فاز بإحدى الحسنتين فاما الغاية واما الشهادة في النهاية « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » والوقت عندنا جزء من العلاج والطريق طويلة المدي بعيدة المراحل كثيرة العقبات ولكنها وحدها التي تؤدي إلى المقصود مع عظيم الأجر وجميل المثوبة .

وذلك ان كل وسيلة من وسائلنا (الستة) تحتاج إلى حسن الاعداد وتحين الفرص ودقة الانفاذ وكل ذلك مرهون بوقتـــه « ويقولون متى هو قل عسى ان قريبا » .

واريد بالتجرد

أن تتخلص لفكرتك من ما سواها من المباديء والأشخاص لأنها أسمى الفكر وأجمعها وأعلاها (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة) « قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم انا براء منكم وممـا تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العـداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده » والناس عند الأخ الصادق واحـد من ستة أصناف مسلم مجاهد ، أو مسلم قاعـــد ، أو مسلم آثم ، أو ذمي ، أو معاهـد ، أو محايد ، أو محارب . ولكل حكمه في ميزان

الاسلام ، وفي حدود هذه الأقسام توزن الاشخاص والهيئات ويكون الولاء أو العداء .

واريد بالاخوة

أن ترتبط القلوب والارواح برباط العقيدة ، والعقيدة أوثق الروابط وأغلاها والاخوة أخوة الايمان والتفرق أخو الكفر ، وأول القوة قوة الوحدة ولا وحدة بغير حب وأقل الحب سلامة الصدر . وأعلاه مرتبة الايثار « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » والاخ الصادق يرى اخوانه أولى بنفسه من نفسه لأنه ان لم يكن بهم فلن يكون بغيرهم وهم ان يكونوا به كانوا بغيره ، وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية ، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » وهكذا يجب ان نكون .

واريد بالثقة

اطمئنان الجندي الى القائد في كفاءته ، واخلاصه ، اطمئنانا عميقا ينتج الحب والتقدير والاحترام والطاعة « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما » والقائد جزء من الدعوة ولا دعوة بغير قيادة وعلى قدر الثقة المتبادلة بين القائد والجنود تكون قوة نظام الجماعة واحكام خططها ونجاحها في الوصول الى غايتها وتغلبها على ما يعترضها من عقبات وصعاب (فأولى

لهم طاعة ، وقول معروف) وللقيادة في دعوة الاخوان حق الوالد بالرابطة القلبية ، والاستاذ بالافادة العلميـــة ، والشيخ بالتربية الروحية ، والقائد بحكم السياسة العامة للدعوة ودعوتنا تجمع هذه المعاني جميعاً ، والثقة بالقيادة هي كل شيء في نجاح الدعوات . ولهذا يجب ان يسأل الاخ الصادق نفسه هذه الاسئلة ليتعرف مدى ثقته بقيادته :

١ – هل تعرف الى قائده من قبل ودرس ظروف حياته ؟

٢ – هل اطمئن الى كفايته واخلاصه ؟

٣ – هل هو مستعد لاعتبار الاوامر التي تصدر اليـه من القيادة (في غير معصية طبعاً) قاطعة لا مجال فيها للجدل ولا للتردد ولا للانتقاص ولا للتحوير ؟ مع ابداء النصيحة والتنبيه أو الصواب ؟

٤ – هل هو مستعد لأن يفرض في نفسه الخطأ وفي القيادة الصواب اذا تعارض ما أمر به مع ما تعلم في المسائل الاجتهادية التي لم يرد فيها نص شرعي ؟

٥ – هل هو مستعد لوضع ظروفـــه الحيوية تحت تصرف الدعوة ؟ وهل تملك القيادة في نظره حق الترجيح بين مصلحته الخاصة ومصلحة الدعوة العامة .

وبالاجابة على هذه الامثلة وأشباهها يستطيع الاخ أن يطمئن على مدى صلته بالقائد ، وثقته به ، والقلوب بيـد الله يصرفها كيف يشاء (لو أنفقت ما في الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم) .

ايها الأخ الصادق

إن إيمانك بهذه البيعة يوجب عليك أداء هذه الواجبات حتى تكون لبنة قوية في البناء .

١ ـ أن يكون لك « ورد » يومي من كتاب الله لا يقل عن جزء واجتهد ألا تختم في أكثر من شهر ولا في أقل من ثلاثة أيام .

٢ ـ أن تحسن تلاوة القرآن والاستماع اليه والتدبر في معانيه وأن تدرس السيرة المطهرة وتاريخ السلف بقدر ما يتسع له وقتك وأقل ما يكفي في ذلك كتاب (حماة الاسلام) وأن تكثر من القراءة في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن تحفظ أربعين حديثاً على الأقل ولتكن الأربعين النووية وأن تدرس رسالة في أصول العقائد ورسالة في فروع الفقه .

٣ ـ أن تبادر بالكشف الصحي العام ، وأن تأخذ في علاج ما يكون فيك من أمراض وتهتم بأسباب القوة والوقاية الجسمانية وتبتعد عن اسباب الضعف الصحي .

٤ ـ ان تبتعد عن الاسراف في قهوة البن والشاي ونحوها من المشروبات المنبهة فلا تشربها إلا لضرورة وأن تمتنع بتاتاً عن التدخين .

٥ ـ أن تعنى بالنظافة في كل شيء في المسكن والملبس والمطعم والبدن ومحل العمل فقد بني الدين على النظافة .

٦ ـ ان تكون صادق الكلمة فلا تكذب أبداً .

٧ – ان تكون وفياً بالعهد والكلمة والوعد فلا تخلف مهما كانت الظروف .

٨ – أن تكون شجاعاً عظيم الاحتمال ، وأفضل الشجاعة الصراحة في الحق وكتمان السر ، والاعتراف بالخطأ والانصاف من النفس وملكها عند الغضب .

٩ – ان تكون وقوراً تؤثر الجد دائماً ولا يمنعك الوقار من المزاح الصادق والضحك في تبسم .

١٠ – أن تكون شديد الحياء دقيق الشعور عظيم التأثر بالحسن والقبح تسر للاول وتتألم للثاني ، وأن تكون متواضعاً في غير ذلة ولا خنوع ولا ملق وأن تطلب أقل من مرتبتك لتصل اليها .

١١ – أن تكون عادلاً صحيح الحكم في جميـــع الأحوال لا ينسيك الغضب الحسنات ولا تغضي عين الرضا عن السيئات ولا تحملك الخصومة على نسيان الجميل وتقول الحق ولو كان على نفسك أو على أقرب الناس اليك وان كان مراً .

١٢ – أن تكون عظيم النشاط مدرباً على الخدمات العامة تشعر بالسعادة والسرور إذا استطعت أن تقدم خدمة لغيرك من الناس فتعود المريض وتساعد المحتاج وتحمـل الضعيف وتواسي المنكوب ولو بالكلمة الطيبة وتبادر دائماً إلى الخيرات .

١٣ – أن تكون رحيم القلب كريماً سمحـــاً تعفو وتصفح وتلين وتحلم وترفق بالانسـان والحيوان ، جميل المعاملة حسن السلوك مع الناس جميعاً محافظاً على الآداب الاسلامية الاجتماعية

فترحم الصغير وتوقر الكبير وتفسح في المجلس ولا تتجسس ولا تغتاب ولا تصخب وتستأذن في الدخول والانصراف الخ .

١٤ - أن تجيد القراءة والكتابة وأن تكثر من المطالعة في رسائل الاخوان وجرائدهم ومجلاتهم ونحوها ، وأن تكوّن لنفسك مكتبة خاصة مهما كانت صغيرة ، وأن تتبحر في علمك وفنك ان كنت من أهل الاختصاص ، وان تلم بالشئون الاسلامية العامة إلماماً يمكنك من تصورها والحكم عليها حكماً يتفق مع مقتضيات الفكرة .

١٥ - ان تزاول عملاً اقتصادياً مهما كنت غنياً وأن تقدم على العمل الحر مهما كان ضئيلاً ، وأن تزج بنفسك فيه مهما كانت مواهبك العلمية .

١٦ - ألا تحرص على الوظيفة الحكومية ، وأن تعتبرها أضيق أبواب الرزق ولا ترفضها إذا أتيحت لك ، ولا تتخل عنها إلا ان تعارضت تعارضاً تاماً مع واجبات الدعوة .

١٧ - ان تحرص كل الحرص على أداء مهنتك من حيث الاجادة والاتقان وعدم الغش وضبط الموعد .

١٨ - ان تكون حسن التقاضي لحقك وأن تؤدي حقوق الناس كاملة غير منقوصة بدون طلب ولا تماطل أبداً .

١٩ - ان تبتعد عن الميسر بكل أنواعه مهما كان المقصد من ورائها وتتجنب وسائل الكسب الحرام مهما كان وراءها من ربح عاجل .

٢٠ – أن تبتعد عن الربا في جميع المعاملات وأن تطهر منه تماماً .

٢١ – ان تخدم الثروة الاسلامية العامة بتشجيع المصنوعات والمنشآت الاقتصادية الاسلامية وأن تحرص على القرش فلا يقع في يد غير اسلامية مهما كانت الأحوال ولا تلبس ولا تأكل إلا من صنع وطنك الاسلامي .

٢٢ – أن تشترك في الدعوة بجزء من مالك وأن تؤدي الزكاة الواجبة فيه وأن تجعل منه حقاً معلوماً للسائل والمحروم مهما كان دخلك ضئيلا .

٢٣ – ان تدخر للطوارىء جزءاً من دخلك مهما قل والا تتورط في الكماليات أبداً .

٢٤ – أن تعمل ما استطعت على احياء العادات الاسلامية واماتة العادات الأعجمية في كل مظاهر الحياة ومن ذلك التحية واللغة والتاريخ والزي والأثاث ومواعيد العمل والراحة ، والطعام والشراب والقدوم ، والانصراف ، والحزن والسرور .. الخ . وان تتحرى السنة المطهرة في كل ذلك .

٢٥ – أن تقاطع المحاكم الأهلية وكل قضاء غير اسلامي والأندية والصحف والجماعات والمدارس والهيئات التي تناهض فكرتك الاسلامية مقاطعة تامة .

٢٦ – ان تديم مراقبة الله تبارك وتعالى وتذكر الآخرة وتستعد لها وتقطع مراحل السلوك إلى رضوان الله بهمة وعزيمة وتتقرب إليه سبحانه بنوافل العبادة ومن ذلك صلاة الليل

وصيام ثلاثة أيام من كل شهر على الأقل والاكثار من الذكر القلبي واللساني وتحري الدعاء المذكور على كل الاحوال .

٢٧ – أن تحسن الطهارة وأن تظل على وضوء في غالب الأحيان .

٢٨ – أن تحسن الصلاة وتواظب على ادائها في أوقاتها وتحرص على الجماعة والمسجد ما أمكن ذلك .

٢٩ – أن تصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا وتعمل على ذلك ان تكن مستطيعاً الآن ذلك .

٣٠ – أن تستصحب دائماً نية الجهاد وحب الشهادة وأن تستعد لذلك ما وسعك الاستعداد .

٣١ – أن تجدد التوبة والاستغفار دائماً وأن تتحرز من صغائر الآثام فضلاً عن كبارها . وأن تجعل لنفسك ساعة قبل النوم تحاسبها فيها على ما عملت من خير أو شر ، وأن تحرص على الوقت فهو الحياة فلا تصرف جزءاً منه في غير فائدة وأن تتورع عن الشبهات حتى لا تقع في الحرام .

٣٢ – أن تجاهد نفسك جهاداً عنيفاً حتى يسلس قيادها لك وأن تغض طرفك وتضبط عاطفتك وتقاوم نوازع الغريزة في نفسك وتسمو بها دائماً الى الحلال الطيب وتحول بينها وبين الحرام من ذلك أيا كان .

٣٣ – أن تتجنب الخمر والمسكر والمفتر وكل ما هو من هذا القبيل كل الاجتناب .

٣٤ – أن تبتعد عن اقران السوء وأصدقاء الفساد وأماكن المعصية والاثم .

٣٥ – ان تحارب اماكن اللهو فضلاً عن أن تقربها وأن تبتعد عن مظاهر الترف والرخاوة جميعاً .

٣٦ – أن تعرف أعضاء كتيبتك فرداً فرداً معرفة تامة وتعرفهم نفسك معرفة تامة كذلك وتؤدي حقوق أخوتهم كاملة من الحب والتقدير والمساعدة والايثار وان تحضر اجتماعاتهم فلا تتخلف عنها الا بعذر قاهر وتؤثرهم بمعاملتك دائماً .

٣٧ – أن تتخلى عن صلتك بأية هيئة أو جماعة لا يكون الاتصال بها في مصلحة فكرتك وبخاصة اذا امرت بذلك .

٣٨ – أن تعمل على نشر دعوتك في كل مكان وأن تحيط القيادة علماً بكل ظروفك ولا تقدم على عمل يؤثر فيها تأثيراً جوهرياً الا باذن وأن تكون دائم الاتصال الروحي والعملي بها وأن تعتبر نفسك دائماً جنديا في الثكنة تنتظر الأمر .

أيها الأخ الصادق :

هذ مجمل لدعوتك وبيان موجز لفكرتك وتستطيع أن تجمع هذه المبادىء في خمس كلمات :

الله غايتنا . والرسول قدوتنا . والقرآن شرعتنا . والجهاد سبيلنا . والشهادة أمنيتنا .

وأن تجمع مظاهرها في خمس كلمات أخرى :

البساطة . والتلاوة . والصلاة . والجندية . والخلق . فخذ نفسك بشدة بهذه التعاليم ، والا ففي صفوف القاعدين متسع للكسالى والعابثين .

واعتقد أنك ان عملت بها وجعلتها أمل حياتك وغاية غاياتك كان جزاؤك العزة في الدنيا والخير والرضوان في الآخرة وأنت منا ونحن منك وان انصرفت عنها وقعدت عن العمل لها فلا صلة بيننا وبينك وان تصدرت فينا المجالس وحملت أفخم الألقاب وظهرت بيننا باكبر المظاهر وسيحاسبك الله على قعودك أشد الحساب . فاختر لنفسك ونسأل الله لنا ولك الهداية والتوفيق .

« يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم » .

١ – تؤمنون بالله ورسوله .

٢ – وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون .

١ – يغفر لكم ذنوبكم .

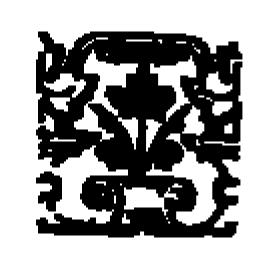
٢ – ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم .

٣ – وأخرى تحبونها نصر من الله .

٤ – وفتح قريب . وبشر المؤمنين .

يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ومن والاه

الأسرة

يحرص الاسلام على تكوين أسر من أهله يوجههم الى المثل العليا ويقوي رابطهم . ويرفع أخوتهم من مستوى الكلام والنظريات الى مستوى الافعال والعمليات فاحرص يا أخي أن تكون لبنة صالحة في هذا البناء (الاسلام) ، وأركان هذا الرباط ثلاثة فاحفظها واهتم بتحقيقها حتى لا يكون هذا تكليفاً لا روح فيه .

١ - **التعارف** : هو أول هذه الأركان ، فتعارفوا وتحابوا بروح الله واستشعروا معنى الأخوة الصحيحة الكاملة فيما بينكم ، واجتهدوا أن لا يعكر صفو علاقتكم شيء ، وتمثلوا الآيات الكريمة دائماً والاحاديث الشريفة ، اجعلوها نصب أعينكم وتذاكروا قول الله تعالى : « انما المؤمنون أخوة » وقوله تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » - المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه » « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد » .

ولقد ظلت هذه الأوامر الربانية والتوجيهات المحمدية بعد الصدر الاول كلاماً على السنة المسلمين ، وخيالا في نفوسهم حتى جئتم معشر الاخوان المتعارفين تحاولوا تطبيقها في مجتمعكم ، وتريدون تأليف الامة المتآخية بروح الله ، واخوة الاسلام من جديد فهنيئاً لكم ان كنتم صادقين، وأرجو أن تكونوا كذلك، والله ولي توفيقكم .

٢ – **والتفاهم** : وهو الركن الثاني من أركان هذا النظام فاستقيموا على منهج الحق وافعلوا ما أمركم الله به واتركوا ما نهاكم عنه . وحاسبوا أنفسكم حساباً دقيقاً على الطاعة والمعصية . ثم بعد ذلك لينصح كل منكم أخاه . متى رأى فيه عيباً . وليقبل الاخ نصح أخيه بسرور وفرح ، وليشكر له ذلك. وليحذر الناصح أن يتغير قلبه « على أخيه المنصوح » بمقدار شعرة ، وليحذر أن يشعره بانتقاصه ، أو بتفضيل نفسه عليه ، ولكنه يتستر عليه شهراً كاملاً ، ولا يخبر بما لاحظه أحداً الا رئيس الاسرة وحده اذا عجز عن الاصلاح ثم لا يزال بعد ذلك على حبه لأخيه وتقديره إياه ، ومودته له حتى يقضي الله أمراً كان مفعولا ، وليحذر المنصوح من العناد والتصلب وتغير القلب على أخيه الناصح قيد شعرة ، فان مرتبة الحب في الله هي أعلى المراتب ، والنصيحة ركن الدين : « الدين النصيحة » وتأملوا رحمكم الله في هذا الحديث وقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيهما : والله يعصمكم من بعض ، ويعزكم بطاعته ، ويصرف عنا وعنكم كيد الشيطان .

٣ – **التكافل** : هو الركن الثالث . فتكافلوا ، وليحمل بعضكم عبء بعض، وذلك صريح الايمان ولب الاخوة فليتعهد بعضكم بعضاً بالسؤال والبر ، وليبادر الى مساعدته ما وجد الى ذلك سبيلاً ، وتصوروا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لئن يمشي أحدكم في حاجة أخيه خير له من أن يعتكف في مسجدي هذا شهراً) – (من أدخل السرور على أهل بيت من المسلمين لم ير الله له جزاء دون الجنة) والله يؤلف بين قلوبكم بروحه انه نعم المولى ونعم النصير .

أيها الاخوان : في الواجبات التي بين أيديكم ان وعيتموها والاعمال التي بين أيديكم ان اتبعتموها ما يكفل تحقيق هذه الاركان ، فراجعوا دائماً واجبات الأخ التعاوني، وليحاسب كل منكم نفسه على انفاذها ، ثم ليحرص كل أخ على الاجتماعات المحددة مهما كانت أعذاره ، ثم ليبادر كل منكم الى تسديد ما عليه لصندوق اسرته حتى لا يتخلف عن الواجبات متخلف فاذا أديتم هذه الواجبات الفردية . والاجتماعية . والمالية . فان أركان هذا النظام ستتحقق ولا شك . واذا قصرتم فيها فسيتضاءل حتى يموت وفي موته اكبر خسارة لهذه الدعوة . وهي اليوم أمل الاسلام والمسلمين ويسأل كثير منكم عما يشغلون به وقت اجتماعهم الاسبوعي كاسرة وذلك أمر سهل ميسور وما اكثر الواجبات . واقل الاوقات . فليكن ما تشغل الاسرة به اجتماعاتها .

١ – يعرض كل أخ مشاكله . ويشاركه اخوانه في دراسة

حلولها في جو من صدق الاخوة واخلاص التوجه الى الله وفي ذلك توطيد للثقة . وتوثيق للرابطة (المؤمن مرآة أخيـه) . حتى يتحقق فينا شيء من مأثور قوله عليه الصلاة والسلام «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم . كمثل الجسد الواحد . اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. »

٢ ـ مذاكرة حول شؤون الاسلام . وتلاوة الرسائـل . والتوجيهات الواردة من القيادة العامة للاسر ولا محل في الاسرة للجدل . او الحدة . او رفع الصوت . فذلك حرام في فقـه الاسرة ولكنه بيان واستيضاح في حدود الادب الكامل والتقدير المتبادل من الجميع . فاذا اغلق شيء . او اريد اقتراح شيء او استيضاحه. احتفظ به النقيب حتى يرجـع الى القيادة : فقد عـاب الله أقوامـاً فقال : « واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف اذاعوا به » ثم أرشدهم الى ما يجب أن يكون فقال : « ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمـه الذين يستنبطونه منهم » .

٣ ـ مدارسة نافعة في كتاب من الكتب القيمة . وليحرص الاخوان بعد هذا على تحقيق معنى الاخوة في المجاملات الطارئة التي لا تحصرها الكتب ولا تحيط بها التوجيهات واشار اليها الصادق الامين صلى الله عليه وسلم (عيادة المريض . ومواساة المحتاج . ولو بالكلمة الطيبة . وتفقد الغائب وتعهد المنقطع) كلها تزيد رابطة الاخاء . وتضاعف في النفوس الشعور بالحب والصـلة .

ولزيادة الترابط بين الاخوان عليهم أن يحرصوا على :

١ – القيام برحلات ثقافية لزيارة الآثار والمصانع وغير ذلك.

٢ – القيام برحلات قمرية رياضية .

٣ – القيام برحلات نهرية للتجذيف .

٤ – القيام برحلات جبلية أو صحراوية أو حقلية .

٥ – القيام برحلات متنوعة بالدراجة .

٦ – صيام يوم في الأسبوع او كل اسبوعين .

٧ – صلاة الفجر جماعة مرة كل اسبوع على الاقل في المسجد .

٨ – الحرص على مبيت الاخوان مع بعضهم مرة كل أسبوع أو اسبوعين .



« وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ »

للإمام الشهيد حسن البنا

مجموعة البنا «٣»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المجاهدين وإمـام المتقين وقائد الغر المحجلين ، وعلى آله وصحبه ومن جاهد في سبيل شريعته إلى يوم الدين .

الجهاد فريضة على كل مسلم

فرض الله الجهاد على كل مسلم فريضة لازمة حازمة لا مناص منها ولا مفر معها ، ورغب فيه أعظم الترغيب ، وأجزل ثواب المجاهدين والشهداء ، فلم يلحقهم في مثوبتهم إلا من عمل بمثـل عملهم ومن اقتدى بهم في جهادهم ، ومنحهـم من الامتيازات الروحية والعملية في الدنيا والآخرة ما لم يمنحها سواهم ، وجعل دماءهم الطاهرة الزكية عربون النصر في الدنيا وعنوان الفوز والفلاح في العقبى ، وتوعد المخلفين القاعدين بأفظـع العقوبات ، ورماهم بأبشع النعوت والصفات ووبخهـم على الجبن والقعود ، ونعى عليهم الضعف والتخلف ، وأعد لهم في الدنيـا خزياً لا لا يرفع إلا إن جاهدوا ، وفي الآخرة عذاباً لا يفلتون منه ولو كان لهم مثل أحد ذهباً واعتبر القعود والفرار كبيرة من أعظم الكبائر وإحدى السبع الموبقات المهلكات .

ولست تجد نظاماً قديماً أو حديثاً دينياً أو مدنيـاً عني بشأن الجهاد والجندية واستنفار الأمة وحشدها كلها صفاً واحداً

للدفاع بكل قواهـا عن الحق كما تجد ذلك في دين الإسلام وتعاليمه ، وآيات القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم فياضة بكل هـذه المعاني السامية ، داعيـة بأفصح عبارة وأوضح أسلوب إلى الجهاد والقتال والجندية وتقوية وسائل الدفاع والكفاح بكل أنواعها من برية وبحرية وغيرها على كل الأحوال والملابسات .

وسنورد لك طرفاً من ذلك على سبيل التمثيل لا على سبيل الاستقراء والحصر ، وسوف لا نتناول شيئاً من الآيات والأحاديث بشرح أو تعليق طويل . فسترى في جزالة ألفاظها ونصاعة بيانها ووضوح معانيهـا وقوة الروحانية فيها مـا يغنيك عن ذلك كله .

فمن القرآن الكريم قوله تعالى :

بعض آيات الجهاد في كتاب الله

١ - « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » . سورة البقرة الآية ٢١٦ .

ومعنى كتب : فرض . كما قال تعالى : « كتب عليكم الصيام » في نفس السورة وبنفس العبارة والتركيب .

٢ - « يا أيهـا الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزاً لو كانوا عندنا مـا

ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهـــم والله يحيي ويميت والله بمـا تعملون بصير ، ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون » . آل عمران الآيات من ١٥٦ — ١٥٨ .

ومعنى ضربوا في الأرض : خرجوا فيها مجاهدين ، وغزاً : غزاة محاربين .

وانظر إلى مقارنة المغفرة والرحمة للقتل أو الموت في سبيل الله في الآية الأولى وإلى خلو الآية الثانية من ذلك لخلوها من معنى الجهـاد ، وفي الآية إشارة إلى أن الجبن من أخـلاق الكافرين لا المؤمنين ، فانظر كيف انعكست الآية .

٣ — « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضـله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون » الآيات آل عمران ١٦٩ — ١٧٥ فارجع إلى تمامها في المصحف .

٤ — « فليقاتـل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيـا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً » سورة النساء الآيات ابتداء من ٧١ — ٧٨ .

فارجع إليهـــا في المصحف الكريم لترى كيف يحض الله المسلمين على الحذر وممارســـة القتال في جيوش أو عصابات أو فرادى كما يقتضيه الحال، وكيف يوبخ القاعدين والجبناء والمخلفين والنفعيين وكيف يستثير الهمم لحماية الضعفاء وتخليص المظلومين وكيف يقرن القتال بالصلاة والصوم ويبين أنه مثلها من أركان

الإسلام ، وكيف يفند شبهات المترددين ويشجع الخائفين أكبر تشجيع على خوض المعامع ومقابلة الموت بصدر رحب وجنان جريء ، مبيناً لهم أن الموت سيدركهم لا محالة وأنهم إن ماتوا مجاهدين فسيعوضون عن الحياة أعظم العوض ولا يظلمون فتيلاً من نفقة أو تضحية .

٥ — سورة الأنفعال كلها حث على القتال وحض على الثبات فيه وبيان لكثير من أحكامه ولهذا اتخذها المسلمون الأولون رضوان الله عليهم نشيداً حربياً يتلونه إذا اشتد الكرب وحمى الوطيس وحسبك منها قول الله تبارك وتعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » إلى قوله تعالى : « يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون » .

٦ — سورة التوبة وكلها كذلك حث على القتال وبيان لأحكامه وحسبك منها قول الله تبارك وتعالى في قتال المشركين الناكثين : « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم » .

وقوله تبارك وتعالى في قتال أهل الكتاب :

« قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » . ثم إعلان

النفير العام في آيات داوية صارخة ختامها قوله تعالى : « انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » ثم تنديد صارخ بموقف القاعدين الجبناء الأنذال وحرمان لهم من شرف الجهاد أبد الآبدين في قوله تعالى :

« فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون ، فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون ، فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين » الآيات .

ثم إشادة بموقف المجاهدين وعلى رأسهم سيدهم الكريم صلى الله عليه وسلم وبيان أن هذه هي مهمته المطهرة وسنة أصحابه الغر الميامين في قوله تعالى : « لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون ، أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم » .

ثم بيعة بعد ذلك جامعة مانعة لا تدع عذراً لمعتذر في قوله تعالى : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا

ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » .

٧ – سورة القتال – وتصور كيف أن سورة بأكملها تسمى (سورة القتال) في كتاب الله الحكيم – وأن أساس الروح العسكرية كما يقولون أمران : الطاعة والنظام. وقد جمع الله هذا الأساس في آيتين من كتابه ، فأما الطاعة ففي هذه السورة في قوله تعالى :

« ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت فأولى لهم طاعة وقول معروف فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم » . وأما النظام ففي سورة الصف في قوله تعالى : « إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص » .

٨ – سورة الفتح وهي أيضاً كلها في غزوة من غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي الإشادة بموقف رائع من مواقف الجهاد العزيز تحت ظل الشجرة المباركة حيث أعطيت بيعة الثبات والموت ، فأثمرت السكينة والفتح فذلك قوله تعالى :

« لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً » .

هذه يا أخي بعض المواضع التي ورد فيها ذكر الجهاد وبيان فضله وحث المؤمنين عليه وتبشير أهله بالثواب الجزيل والجزاء الجميل ، وكتاب الله مملوء بمثلها فتصفحه وتدبر ما جاء فيه من

هذا الباب تر العجب العجيب وتدهش لغفلة المسلمين عن اغتنام هذا الثواب .

وإليك بعض الأحاديث النبوية الشريفة في ذلك :

نماذج من الأحاديث النبوية في الجهاد

١ – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: « والذي نفسي بيده لولا أن رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله ، والذي نفسي بيده لوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل » رواه البخاري ومسلم .

السرية : القطعة من الجيش لا يكون فيها القائد العام .

٢ – عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم من يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة اللون لون الدم والريح ريح المسك » .

الكلم : الجرح . ويكلم : يجرح .

٣ – وعن أنس رضي الله عنه قال : « غاب عمي أنس ابن النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله : غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال : اللهم إني

أعتذر إليك مما صنع هؤلاء (يعني أصحابه) وأبرأُ إليك مما صنع هؤلاء (يعني المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال : يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحُد قال سعد : فما استطعت يا رسول الله ما صنع . قال أنس : فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة بالرمح أو رمية بسهم ، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون ، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه ، قال أنس كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه . . » إلى آخر الآية رواه البخاري .

من دون أحد : أي من جهة جبل أحد .

٤ – وعن أم حارثة بنت سراقة أنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : « يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة – وكان قبل يوم بدر أصابه سهم غرب – فإن كان في الجنة صبرت وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء . قال : يا أم حارثة إنها جنان في الجنة وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى » أخرجه البخاري .

السهم الغرب : الذي لا يُعرف راميه .

اجتهدت عليه في البكاء : بكيت بكاء شديداً .

فانظر يا أخي كيف كانت الجنة تنسيهم الهموم والمصائب وتحملهم على الصبر عند المكاره .

٥ – وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «اعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»

أخرجه الشيخان[١] وأبو داود .

٦ – وعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من جهز غازياً في سبيل الله تعالى فقد غزا ومن خلف غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا » رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي .

أي : له أجره .

٧ – وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده ، فإن شبعه وريه وروثه في ميزانه يوم القيامة » رواه البخاري .

ومثل الفرس كل عدة في سبيل الله .

٨ – وعن أبي هريرة رضي الله عنه قيل يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله ؟ قال : لا تستطيعونه فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً كل ذلك يقول : لا تستطيعونه ثم قال : « مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد » الستة[٢] إلا أبو داود .

٩ – وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس إن من خير الناس رجلاً عمل في سبيل الله على ظهر فرسه

---

١) البخاري ومسلم وهما أوثق كتابين في الحديث .

٢) كتب الحديث الستة هي : البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه والترمذي وأبو داود .

أو ظهر بعيره أو على قدمه حتى يأتيه الموت وإن من شر الناس رجــــلاً يقرأ كتاب الله تعالى لا يرعوي بشيء منه » رواه النسائي .

لا يرعوي : أي لا ينكف ولا يتعظ ولا ينزجر .

١٠ – وعن ابن عباس رضي الله عنــه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « عينـــان لا تمسها النار : عين بكت من خشية الله وعــين باتت تحرس في سبيل الله تعالى » الترمذي .

١١ – وعن أبي عميرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لأن أقتل في سبيل الله أحب الي من أن يكون لي أهل المدر والوبر » أخرجه النسائي .

أهل المدر والوبر : أي أهل الحواضر والبوادي .

١٢ – وعن راشد بن سعد رضي الله عنه عن رجــــل من الصحابة أن رجلاً قال : يارسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد ؟. فقال : « كفاه ببارقـــة السيوف على رأسه فتنة » أخرجه النسائي .

وهذه من امتيازات الشهيد في الموقعة وكم له من امتيازات كهذه ستأتي بعد فاستمع .

١٣ – وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة » الترمذي والنسائي والدارمي وقال الترمذي حسن غريب .

وهذا امتياز آخر للشهيد .

١٤ – وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عجب ربنا تبارك وتعالى من رجل غزا في سبيل الله فانهزم أصحابه فعلم ما عليه فرجع حتى أريق دمه ، فيقول الله للملائكة انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقا مما عندي حتى أريق دمه أشهدكم أني قد غفرت له » .

شفقاً : خوفاً . وأريق دمه : سال دمه .

١٥ – وعن عبد الخير بن ثابت بن قيس بن شماس عن أبيه عن جده قال : جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لها أم خلاد وهي متنقبة تسأل عن ابن لها قتل في سبيل الله تعالى فقال لها بعض أصحابه : جئت تسألين عن ابنك وأنت متنقبة . فقالت : إن أرزأ ابني فلن أرزأ حياتي . فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : « إن ابنك له أجر شهيدين » قالت ولم ؟ قال : « لأنه قتله أهل الكتاب » أخرجها أبو داود .

أرزأ ابني : أفقده وأصاب فيه .

وفي هذا الحديث إشارة إلى وجوب قتال أهل الكتاب وأن الله يضاعف أجر من قاتلهم ، فليس الجهاد للمشركين فقط ولكنه لكل من لم يسلم .

١٦ – وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من سأل الله تعالى الشهادة بصدق

بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه » أخرجه الخمسة[١] إلا البخاري .

١٧ – وعن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أنفق نفقة في سبيل الله تعالى كتبت له بسبعمائة ضعف » رواه الترمذي وحسنه ، والنسائي .

١٨ – وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : مر رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعب فيه عيينة من ماء عذبة فأعجبته فقال لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشعب فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاماً، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة، اغزوا في سبيل الله ، من قاتل في سبيل الله فوق ناقة وجبت له الجنة » رواه الترمذي .

عيينة : عين صغيرة تفيض بالماء .

١٩ – وعن المقدام بن معد يكرب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « للشهيد عند الله ست خصال : يغفر له في أول دفعة ، ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين من أقربائه » رواه الترمذي

١) مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه .

وابن ماجه .

٢٠ — وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لقي الله بغير أثر من جهاد لقي الله وفيه ثلمة » رواه الترمذي وابن ماجه .

٢١ — وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من طلب الشهادة صادقاً أعطيها ولو لم تصبه » رواه مسلم .

٢٢ — وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من رابط ليلة في سبيل الله سبحانه وتعالى كانت كألف ليلة صيامها وقيامها » رواه ابن ماجه .

٢٣ — وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « غزوة في البحر مثل عشر غزوات في البر والذي يسدر في البحر كالمتشحط في دمه في سبيل الله سبحانه » رواه ابن ماجه .

يسدر : يميل ويهتز وترتج به السفينة . وفيه الإشارة بغزو البحر ولفت نظر الأمة إلى وجوب العناية بحفظ سواحلها وتقوية أسطولها ويقاس عليه الجو فيضاعف الله للغزاة في الجو في سبيله أضعافاً مضاعفة .

٢٤ — وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه يقول : لما قتل عبد الله بن عمرو بن حزام يوم أحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا جابر ألا أخبرك ما قال الله عز وجل لأبيك ؟ قلت : بلى قال : ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب .

أباك كفاحاً فقال يا عبدي تمن علي أعطك . قال يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية . قال : إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون قال يا رب فأبلغ من ورائي . فأنزل الله عز وجل هذه الآية : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً .. الآية كلها » رواه ابن ماجه .

٢٥ – وعن أنس عن أبيه رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لأن أشيع مجاهداً في سبيل الله فأكففه على رحله غدوة أو روحة أحب إلي من الدنيا وما فيها » رواه ابن ماجه .

فأكففه على رحله : فأساعده عليه . غدوة بالغدو وهو الصباح . روحة : في الرواح وهو المساء .

٢٦ – وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وفد الله ثلاثة : الغازي والحاج والمعتمر » رواه مسلم.

٢٧ – وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته » رواه أبو الدرداء .

٢٨ – عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا تبايعتم بالنسيئة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم » رواه أحمد وأبو داود وصححه الحاكم .

٢٩ – وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر

وجاء المشركون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض . قال عمير بن الحمام : بخ بخ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما يحملك على قولك بخ بخ » قال : لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها قال : « فإنك من أهلها » قال : فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي إنها لحياة طويلة فرمى ما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل » رواه مسلم .

٣٠ – عن أبي عمران قال : كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفاً عظيماً من الروم فخرج إليهم من المسلمين مثلهم وأكثر وعلى أهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل بينهم فصاح الناس وقالوا سبحان الله يلقي بيده إلى التهلكة . فقام أبو أيوب الأنصاري فقال : أيها الناس أنتم تتأولون هذه الآية هذا التأويل وإنما نزلت فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه قال بعضنا لبعض سراً دون رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أموالنا قد ضاعت وإن الله تعالى أعز الإسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا في أموالنا وأصلحنا ما ضاع منها . فأنزل الله تعالى على نبيه ما يرد علينا ما قلناه « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، وكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو ، فما زال أبو أيوب شاخصاً في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم » رواه الترمذي :

ولاحظ يا أخي أن أبا أيوب حين يقول هذا كان في سن كبيرة قد جاوزت الشباب والكهولة ومع هذا فقلبه وروحه وإيمانه مثال للفتوة القوية بتأييد الله وعزة الإسلام .

٣١ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق» رواه مسلم وأبو داود ونظائره كثيرة.

والأحاديث الكريمة في ذلك وأمثاله وفي غزو البحر وتفضيله على غزو البر بمرات وفي غزو أهل الكتاب .

كذلك وفي تفصيل أحكام القتال ، أكثر من أن يحيط به مجلد كبير ، وندلك على كتاب « العبرة فيما ورد عن الله ورسوله في الغزو والجهاد والهجرة » للسيد حسن صديق خان وهو خاص بذلك البحث » ، وكتاب (مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام) وما جاء في كتب الحديث كلها في باب الجهاد ترى الكثير الطيب .

حكم الجهاد عند فقهاء الأمة

مرت بك الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة في فضل الجهاد وأحب أن أنقل إليك طرفاً مما قاله فقهاء المذاهب حتى المتأخرين منهم في أحكام الجهاد ووجوب الاستعداد لتعلم إلى أي حد ضيعت الأمة الإسلامية أحكام دينها في قضية الجهاد

بإجماع آراء المسلمين في كل عصر من أعصارهم فاسمع :

١ – قال صاحب مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر مقرراً أحكام الجهاد في مذهب الأحناف : « الجهاد في اللغة بذل ما في الوسع من القول والفعل » وفي الشريعة قتل الكفار ونحوه من ضربهم ونهب أموالهم وهدم معابدهم وكسر أصنامهم والمراد الاجتهاد في تقوية الدين بنحو قتال الحربيين والذميين (إذا نقضوا) والمرتدين الذين هم أخبث الكفار للنقض بعد الإقرار والباغين – بدأ منا فرض كفاية يعني يفرض علينا أن نبدأهم بالقتال بعد بلوغ الدعوة وإن لم يقاتلونا فيجب على الإمام أن يبعث سرية إلى دار الحرب كل سنة مرة أو مرتين وعلى الرعية إعانته وإذا قام به بعض سقط عن الباقين فإذا لم تقع الكفاية بذلك البعض وجب على الأقرب فالأقرب فإن لم تقع الكفاية إلا بجميع الناس فحينئذ صار فرض عين كالصلاة أما الفريضة فلقوله تعالى (فاقتلوا المشركين) ولقوله عليه الصلاة والسلام « الجهاد ماض إلى يوم القيامة » وإن تركه الكل أثموا .. إلى أن قال : فإن غلب العدو على بلد من بلاد الإسلام أو ناحية من نواحيها ففرض عين فتخرج المرأة والعبد بلا إذن الزوج والمولى وكذا يخرج الولد من غير إذن والديه والغريم بغير إذن دائنه .

وفي كتاب البحر : « امرأة مسلمة سبيت بالشرق وجب على أهل المغرب تخليصها ما لم تدخل حصونهم وحرزهم » اهـ .

٢ – وقال صاحب بلغة السالك لأقرب المسالك في مذهب

الإمام مالك « الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله تعالى كل سنة فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقي ويتعين (أي يصير فرض عين كالصلاة والصوم) بتعيين الإمام وبهجوم العدو على محلة قوم فيتعين عليهم وعلى من بقربهم إن عجزوا ويتعين على المرأة والرقيق مع هذه الحالة ولو منعهم الولي والزوج والسيد ورب الدين إن كان مديناً ويتعين أيضاً بالنذر ، وللوالدين المنع منه في فرض الكفاية فقط وفك الأسير من الحربيين إن لم يكن له مال يفك منه فرض كفاية وإن أتى على جميع أموال المسلمين » اهـ .

٣ — وفي متن المنهاج للإمام النووي — الشافعي — كان الجهاد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض كفاية وقيل عين وأما بعده فللكفار حالان :

أحدهما — يكونون ببلادهم ففرض كفاية إذا فعله من فيهم الكفاية من المسلمين سقط الحرج عن الباقين .

والثاني — يدخلون بلدة لنا فيلزم أهلها الدفع بالممكن وإن أمكن تأهب لقتال وجب الممكن حتى على فقير وولد ومدين وعبد بلا إذن .

٤ — وفي المغني لابن قدامة الحنبلي قال : مسألة والجهاد فرض على الكفاية إذا قام به قوم سقط عن الباقين ويتعين في ثلاثة مواضع :

١ — إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان حرم من حضر

الانصراف ويتعين عليه المقام .

٢ – إذا نزل الكفار ببلدة تعين على أهله قتالهم ودفعهم .

٣ – إذا استنفر الامام قوماً لزمهم النفير معه .

وأقل ما يفعل مرة كل عام .

قال أبو عبدالله (يعني الإمام احمد بن حنبل) لا أعلم شيئاً من العمل بعد الفرائض أفضل من الجهاد ، وغزوة البحر افضل من غزوة البر . قال أنس بن مالك رضي الله عنه : « نام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ وهو يضحك قالت أم حرام فقلت ما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : « ناس من أمتي عرضوا على غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة » متفق عليه ، ومن تمام الحديث أن أم حرام سألت النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله لها لتكون من هؤلاء فدعى لها فعمرت حتى ركبت البحر في أسطول المسلمين الذي فتح جزيرة قبرص وماتت بها ودفنت فيها وهناك مسجد ومشهد ينسب إليها رحمها الله ورضي عنها .

٥ – وقال في المحلى لابن حزم الظاهري – مسألة – والجهاد فرض على المسلمين فإذا قام به من يدفع العدو ويغزوهم في عقر دارهم ويحمي ثغور المسلمين سقط فرضه عن الباقين وإلا فلا قال الله تعالى : « إنفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم » ولا يجوز إلا بإذن الأبوين إلا أن ينزل العدو بقوم من المسلمين ففرض على كل من يمكنه إعانتهم أن يقصدهم مغيثاً لهم أذن الأبوان أم لم يأذنا إلا أن يضيعا أو احدهما بعده فلا يحل له ترك

من يضيع منهما .

٦ – وقـال الشوكاني في السيل الجرار : « الأدلة الواردة في فرضية الجهاد كتاباً وسنة اكثر من أن تكتب ها هنا ولكن لا يجب ذلك إلا على الكفاية فإذا قام به البعض سقط عن الباقـين وقبل أن يقوم به البعض هو فرض عين على كل مكلف وهكذا يجب على من استنفره الإمام أن ينفر ويتعين ذلك عليه .

فها أنت ذا ترى من ذلك كله كيف أجمع أهل العلم مجتهدين ومقلدين سلفيين وخلفيين على ان الجهاد فرض كفاية على الأمـة الاسلامية لنشر الدعوة ، وفرض عين لدفع هجوم الكفار عليها والمسلمون الآن كما تعلم مستذلون لغيرهم محكومون بالكفار ، قد ديست أرضهم وانتهكت حرماتهم ، وتحكم في شؤونهم خصامهم وتعطلت شعائر دينهم في ديارهم ، فضـلاً عن عجزهم عن نشر دعوتهم ، فوجب وجوباً عينياً لا مناص منه أن يتجهز كل مسلم وأن ينطوي على نية الجهاد وإعداد العدة له حتى تحين الفرصـة ويقضي الله أمراً كان مفعولا .

ولعل من تمام هذا البحث أن أذكر لـك أن المسلمين في أي عصر من عصورهم قبل هذا العصر المظلم الذي ماتت فيه نخوتهم لم يتركوا الجهاد ولم يفرطوا فيـه حتى علماؤهم والمتصوفة منهم والمحترفون وغيرهم فكانوا جميعاً على أهبة الاستعداد، كان عبدالله ابن المبارك الفقيه الزاهد متطوعاً في أكثر أوقاته بالجهـاد وكان عبدالواحد بن زيد الصوفي الزاهد كذلك ، وكان شقيق البلخي شيخ الصوفية في وقته يحمل نفسه وتلامذته على الجهاد .

وكان البدر العيني شارح البخاري الفقيه المحدث يغزو سنة ويدرس العلم سنة ويحج سنة ، وكان القاضي أســـد بن الفرات المالكي أميراً للبحر في وقته ، وكان الإمام الشافعي يرمي عشرة ولا يخطىء .

كذلك كان السلف رضوان الله عليهم ، فأين نحن من هــذا التاريخ ؟

لماذا يقاتل المسلم ؟

أتى على الناس حين من الدهر وهم يغمزون الاسلام بفرضية الجهاد وإباحة القتال حتى تحققت الآية الكريمة : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » فهاهم الآن يعترفون بأن الاستعداد هو اضمن طريق للسلام. فرض الله الجهاد على المسلمين لا أداة للعدوان ولا وسيلة للمطامع الشخصية ولكن حماية للدعوة وضماناً للسلم وأداء للرسالة الكبرى التي حمل عبئها المسلمون ، رسالة هداية الناس الى الحق والعدل ، وإن الاسلام كما فرض القتال شاد بالسلام فقال تبارك وتعالى: « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » .

كان المسلم يخرج للقتال وفي نفسه أمر واحد أن يجاهــــد لتكون كلمة الله هي العليا ، وقد فرض دينه عليه أن لا يخلط بهذا المقصد غاية أخرى ، فحب الجاه عليـــه حرام ، وحب الظهور عليه حرام، وحب المال عليه حرام ، والغلول من الغنيمة

عليه حرام ، وقصد الغلب بغير الحق عليه حرام ، والحلال أمر واحد أن يقدم دمه وروحه فداء لعقيدته وهداية للناس .

عن الحارث بن مسلم بن الحارث عن أبيه قال: « بعثنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فلما بلغنا المغار استحثثت فرسي فسبقت أصحابي فتلقاني اهل الحي بالرنين فقلت لهم قولوا لا إله إلا الله تحرزوا ، فقالوها ، فلامني أصحابي وقالوا حرمتنا الغنيمة ، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروه بالذي صنعت ، فدعاني فحسن لي ما صنعت ثم قال لي : ألا إن الله تعالى قد كتب لـــك بكل إنسان كذا وكذا من الأجر . وقال : أما إني سأكتب لك بالوصاية بعدي ففعل وختم عليــه ودفعه إلي » أخرجه أبو داود .

وعن شداد بن الهادي رضي الله عنه : أن رجلاً من الاعراب جاء فآمن بالنبي صلى الله عليه وسلم ثم قال أهاجر معك فأوصى به النبي صلى الله عليه وبعض أصحابه فكانت غزاة غنم فيها النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً فقسم وقسم له . فقال : ما هذا ؟ فقال قسمته لك . فقال : ما على هذا اتبعتك ولكني اتبعتك على أن أرمي إلى ههنا – وأشار بيده إلى حلقه – بسهم فأموت فأدخل الجنة . قال : إن تصدق الله يصدقك . فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو فأتى به النبي محمولاً قد أصــابه سهم حيث أشار . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أهو هو ؟ قالوا : نعم . قــال صدق الله فصدقه . ثم كفن في جبة النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدمه فصلى عليه فكان مما ظهر من صلاته : « اللهم هذا عبدك

خرج مهاجراً في سبيلك فقتل شهيداً وأنا شهيد على ذلك » . أخرجه النسائي .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه « أن رجلاً قال: يا رسول الله رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضاً من الدنيا فقال: لا أجر له . فأعادها عليه ثلاثاً كل ذلك يقول : لا أجر له » أخرجه أبو داود .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله ؟

قال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» أخرجه الخمسة .

وأنت إذا قرأت وقائع الصحابة رضوان الله عليهم ومسالكهم في البلاد التي فتحوها رأيت مبلغ عزوفهم عن المطامع والأهواء وانصرافهم لغايتهم الأساسية الأصلية وهي إرشاد الخلق الى الحق حتى تكون كلمة الله هي العليا ، ورأيت مبلغ الخطأ في إتهامهم رضوان الله عليهم بأنهم إنما كانوا يريدون الغلب على الشعوب والاستبداد بالأمم والحصول على الأرزاق .

الرحمة في الجهاد الاسلامي

لما كانت الغاية في الجهاد الاسلامي أنبل الغايات كانت وسيلته كذلك أفضل الوسائل فقد حرّم الله العدوان ، فقال تعالى :

« ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » وأمر بالعدل حتى مع الأعداء والخصوم فقال تعالى : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى » وأرشد المسلمين إلى منتهى الرحمة .

فهم حينما يقاتلون لا يعتدون ولا يفجرون ولا يمثلون ولا يسرقون ولا ينتهبون الأموال ولا ينتهكون الحرمات ولا يتقدمون بالأذى فهم في حربهم خير محاربين كما أنهم في سلمهم أفضل مسالمين .

عن بريدة رضي الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر الأمير على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله تعالى ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال : اغزوا باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً » رواه مسلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه » أخرجه الشيخان .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعف الناس قتلة أهل الإيمان » أخرجه أبو داود .

وعن عبد الله بن يزيد الأنصاري رضي الله عنه قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النهب والمثلة » أخرجه البخاري .

كما ورد النهي عن قتل النساء والصبيان والشيوخ والإجهاز على الجرحى وإهاجة الرهبان والمنعزلين ومن لا يقاتل من الآمنين، فأين هذه الرحمة من غارات المتمدينين الخانقة وفظائعهم الشنيعة؟ وأين قانونهم الدولي من هذا العدل الرباني الشامل ؟

اللهم فقه المسلمين في دينهم وأنقذ العالم من هذه الظلمات بأنوار الإسلام .

ما يلحق بالجهاد

شاع بين كثير من المسلمين أن قتال العدو هو الجهاد الأصغر وأن هناك جهاداً أكبر هو جهاد النفس وكثير منهم يستدل لذلك بما يروى : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قالوا وما الجهاد الأكبر ؟ قال جهاد القلب أو جهاد النفس ».

وبعضهم يحاول بهذا أن يصرف الناس عن أهمية القتال والاستعداد له ونية الجهاد والأخذ في سبيله فأما هذا الأثر فليس بحديث على الصحيح ، قال أمير المؤمنين في الحديث الحافظ ابن حجر في تسديد القوس (هو مشهور على الألسنة وهو من كلام إبراهيم بن عبلة) .

وقال العراقي في تخريج أحاديث الاحياء : رواه البيهقي بسند ضعيف عن جابر ورواه الخطيب في تاريخه عن جابر ، على أنه لو صح فليس يعطي أبداً الانصراف عن الجهاد والاستعداد لإنقاذ بلاد المسلمين ورد عادية أهل الكفر عنها ، وإنما يكون

معناه وجوب مجاهدة النفس حتى تخلص لله في كل عملها . فليعلم.

وهناك أمور تلحق بالجهاد منهـــا : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد جـاء في الحديث : « إن من أعظم الجهـاد كلمة حق عند سلطان جائر .

ولكن شيئاً منها لا يوجب لصاحبه الشهادة الكبرى وثواب المجاهدين إلا أن يقتل أو يقتل في سبيل الله .



خاتمة

أيها الإخوان : إن الأمة التي تحسن صناعة الموت وتعرف كيف تموت الموتة الشريفة يهب لها الله الحياة العزيزة في الدنيا والنعيم الخالد في الآخرة ، وما الوهم الذي أذلنا إلا حب الدنيا وكراهية الموت ، فأعدوا أنفسكم لعمل عظيم واحرصوا على الموت توهب لكم الحياة .

واعلموا أن الموت لا بد منه وأنه لا يكون إلا مرة واحدة ، فإن جعلتموها في سبيل الله كان ذلك ربح الدنيا وثواب الآخرة ، وما يصيبكم إلا ما كتب الله لكم وتدبروا جيداً قول الله تبارك وتعالى : « ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله ، يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك ، يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا ، قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور ».

فاعملوا للموتة الكريمة تظفروا بالسعادة الكاملة . رزقنا الله وإياكم كرامة الاستشهاد في سبيله .

حسن البنا

٣

دعوتنا في طور جديد

للإمام الشهيد حسن البنا

بسم الله الرحمن الرحيم

كان من الواجب قبل أن نتطرق في دراستنا إلى مختلف نواحي الفكرة الإسلامية ، وقبل أن نتولى الرد على ما يحوم حولها من شبهات ، وقبل أن نعرض على بساط النقد غيرها من الأفكار ، أقول كان من الواجب أن نلم إلمامة سريعة بأهداف فكرتنا وخصائصها ووسائلها ، حتى تكون جولاتنا المقبلة على أساس من فهم سابق لفكرتنا ..

ربانية عالمية

أخص خصائص دعوتنا ربانية عالمية :

(أ) أما أنها ربانية فلأن الأساس الذي تدور عليه أهدافنا جميعاً أن يتعرف الناس إلى ربهم ، وأن يستمدوا من فيض هذه الصلة روحانية كريمة تسمو بأنفسهم عن جمود المادة الصماء وجحودها إلى طهر الإنسانية الفاضلة وجمالها ، ونحن الإخوان المسلمين نهتف من كل قلوبنا : « الله غايتنا » فأول أهداف هذه الدعوة أن يتذكر الناس من جديد هذه الصلة التي تربطهم بالله تبارك وتعالى والتي نسوها فأنساهم الله أنفسهم « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون » وهذا في الحقيقة هو المفتاح الأول لمغاليق المشكلات الإنسانية التي أوصدها الجمود والمادية في وجوه البشر جميعاً فلم يستطيعوا إلى حلها سبيلا ، وبغير هذا المفتاح فلا إصلاح .

(ب) وأما أنها عالمية فلأنها موجهة إلى الناس كافة لأن الناس في حكمها إخوة : أصلهم واحد ، وأبوهم واحد ، ونسبهم واحد لا يتفاضلون إلا بالتقوى وبما يقدم أحدهم للمجموع من خير سابغ وفضل شامل « يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً». فنحن لا نؤمن بالعنصرية

الجنسية ولا نشجع عصبية الأجناس والألوان ولكنا ندعو إلى الإخوة العادلة الرحيمة بين بني الإنسان .

قرأت لأحد زعماء الغرب أنه يقسم الجنس البشري إلى مبتكرين ومحافظين ومخربين، وهو يعتبر قومه مبتكرين ويعتبر قوماً آخرين من الغربيين محافظين ويعتبرنا نحن الشرقيين وما إلينا عدا هذين مخربين ومدمرين . هذا التقسيم ظالم جائر فضلاً عن أنه غير صحيح بأصله ، فالجنس البشري كله مرده إلى دم واحد وطينة واحدة وإن اختلفت البيئات والأوساط والمدارك والثقافات وإذا هذب الإنسان استطاع أن يرتقي من رتبته إلى أعلى منها بدرجة ما يصل إليه من تهذيب . وليس هناك جنس من بني آدم لا يمكن إصلاحه في حدود ظروفه وبيئته الخاصة به، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن هذا الشرق الذي وضع في صف المخربين والمدمرين هو مبعث المدنيات ومشرق الحضارات ومهبط الرسالات وهو مفيض ذلك كله على الغرب ، لا ينكر هذا إلا جاحد مكابر ، ومثل هذه المزاعم الباطلة إنما هي نزوات من غرور الإنسان وطيش الوجدان لا يمكن أن تستقر على أساسها نهضات أو تقوم على قاعدتها مدنيات ، وما دام في الناس من يشعر بمثل هذا الشعور لأخيه الإنسان فلا أمن ولا سلام ولا اطمئنان حتى يعود الناس إلى علم الأخوة فيرفعونه خفاقاً ، ويستظلون بظله الوارف الأمين ، ولن يجدوا طريقاً معبدة الى ذلك كطريق الاسلام الذي يقول كتابه : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل

لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . ويقول نبيه صلى الله عليه وسلم : « ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من مات على عصبية » رواه أحمد من حديث جرير بن مطعم رضي الله عنه .

ولهذا كانت دعوة الاخوان المسلمين ربانية إنسانية .

بين العقلية الغيبية والعقلية العلمية

ولقد تذبذب العقل البشري منـــذ وجد الانسان على ظهر الأرض إلى يومه هذا – وأغلب الظن أنـه سيظل كذلك حتى تتداركه هداية من الله – بين أطوار ثلاثـة وإن شئت قلت بين ألوان ثلاثة من ألوان التفكير والتصوير : طور الخرافة والبساطة والتسليم المطلق للغيب المجهول له والقوى الخفية البعيدة عنه ، فهو ينسب إليها كل شيء ويفسر بها كل شيء . ولا يرى لنفسه معها عملاً ولا فكراً ، وكثيراً ما استبد هذا الطور بالانسان في أدوار حياته الأولى يوم عاش على هذه الأرض يجهلها وتجهله ، ولعـل أقواماً من بني الانسان لا يزالون يعيشون على هذا النحو الى الآن .

وطور الجمود والمادية والتنكر لهذا الغيب المجهول والخروج على هذه القوى البعيدة عن حس الانسان والتمرد على كل مايتصل إليها بسبب ، ومحاولة تفسير مظاهر الكون جميعاً محاولة مادية صرفة وفق قوانين تجريبية اهتدى إليها الانسان بطول تجاربـه

ودوام بحثه وتفكيره وكثيراً ما طغى هذا التفكير على العقل الانساني في هذه العصور الحديثة التي وصل فيها الانسان الى الكشف عن كثير من مجهولات الطبيعة ، وعرف فيها الكثير من خواص الكائنات فظن أنه واصل لا محالة بهذا الاسلوب إلى معرفة ما هناك وإن كان الذي يعرفه بالنسبة إلى ما يجهله كالذرة من الرمال في الفلاة الواسعة الفسيحة .

وفي هذا الدور أنكر الانسان المادي الألوهية وما يتصل بها والنبوات وما يمت اليها والآخرة والجزاء والعالم الرّوحي بكلّ ما فيه ، ولم ير شيئاً إلا هذا العالم الأدنى المحدود يفسر ظواهره بحسب قوانينه المادية الصرفة .

كلا هذين اللونين من ألوان التفكير خطأ صريح وغلو فاحش وجهالة من الانسان بما يحيط بالانسان ، ولقد جاء الاسلام الحنيف يفصل القضية فصلاً حقاً ، فيقرر حق العالم الروحي ويوضح صلة الانسان بالله رب الكائنات جميعاً وبالحياة الآخرة بعد هذه الحياة الدنيا ، ويجعل الايمان بالله أساس صلاح النفس التي هي من عالم الروح فعلاً والتي لا سبيل إلى صلاحها الا بهذا الايمان ويصف ذلك العالم الغيبي المجهول وصفاً يقربه الى الأذهان ولا يتنافى مع بدهيات العقول وهو مع هذا يقرر فضل هذا العالم المادي وما فيه من خير للناس لو عمروه بالحق وانتفعوا به في حدود الخير ويدعو إلى النظر السليم في ملكوت السموات والأرض ويعتبر هذا النظر أقرب الطرق الى معرفة الله العلي الكبير . هذا الموقف من الاسلام الحنيف الزم العقل البشري

لونا من ألوان التفكير . هو أكملها وأتمها وأكثرها انطباقاً على
واقع الحياة ومنطق الكون ، وأعظمها نفعاً لبني الانسان :
ذلك هو الجمع بين الايمان بالغيب والانتفاع بالعقل . فنحن
نعيش في عالمين فعلاً لا في عالم واحد، ونحن عاجزون عن تفسير
كثير من ظواهر الكون فعلاً ، عاجزون عن إدراك كل الحقائق
الأولية التي تحيط بنا ، ونحن في إدراكها ننتقل من مجهول إلى
مجهول حتى ينتهي بنا العجز الى الاقرار بعظمة الله ، ونحن
نشعر من أعماق قلوبنا بعاطفة الايمان قوية مشبوبة ، لأن الايمان
من فطرة نفوسنا وهو لها ضرورة من ضرورات حياتها كالغذاء
والهواء والماء للأجسام سواء بسواء ، ونحن بعد ذلك نلمس أن
هذا المجتمع الانساني لن يصلحه إلا اعتقاد روحي يبعث في
النفوس مراقبة الله والتعزي بمعرفته ، ومن هنا كان لزاماً على
الناس ان يعودوا الى الايمان بالله وبالنبوات وبالروح وبالحياة
الآخرة ، وبالجزاء فيها على الأعمال ، « فمن يعمل مثقال ذرة
خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » . كل هذا في الوقت
الذي يجب عليهم فيه أن يطلقوا لعقولهم العنان لتعلم وتعرف
وتخترع وتكتشف وتسخر هذه المادة الصماء وتنتفع بما في الوجود
من خيرات وميزات : « وقل رب زدني علماً » وإلى هذا اللون
من التفكير الذي يجمع بين العقليتين الغيبية والعلمية ندعو الناس.
لقد عاش الغرب أخريات أيامه مادي النزعة لا يشعر بغير المادة
ولا يعترف بغير المادة ولا يحس بوجود غيرها حتى ماتت في
نفوس أبنائه عواطف الرحمة الانسانية، وخبت أنواع الروحانية

الربانية ، وهيمن الغرب على الدنيا بأسرها بعلومه ومعارفه ومباهجه وزخارفه وكشوفه ومخترعاته وجنوده وأمواله ، وصبغ الفكر البشري في كل مكان بصبغته هذه . والآن والدنيا كلها تكتوي بهذه النيران تنبثق الدعوة من جانب جديد لتهيب بالناس في الشرق والغرب معاً ان يمزجوا المادة بالروح ، وان يؤمنوا بالغيب والشهادة ، وأن يتعرفوا من جديد الى الله : « ففروا الى الله إني لكم منه نذير مبين » .

مكان القومية والعروبة والشرقية والعالمية

من هذه الدعوة

وكما ان دعوتنا هذه ربانية تدعو الى هجر المادية ومقاومتها والوقوف في وجه طغيانها والحد من سلطانها والفرار الى الله والايمان به والاعتماد عليه وحسن مراقبته في كل عمل ، فهي كذلك انسانية تدعو الى الاخوة بين بني الانسان وترمي الى اسعادهم جميعاً لأنها اسلامية ، والاسلام للناس كافة ليس لجنس دون جنس ولا لأمة دون اخرى « تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً » « قل يأيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً » .

ومن هذا العموم في بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ومـــدى رسالته استمدت دعوتنا العموم في هدفها ومرماهـا فهي دعوة توجه الناس جميعاً وتؤاخي بينهم جميعاً وتسعى لخيرهم جميعاً ولا تعترف بفوارق الأجناس والألوان ولا تتغير بتغـــير الشعوب والأوطان .

وتتردد في أفواه الدعاة والناس ألفاظ كثيرة يعنون بها آراء ومذاهب فأين مكان هذه الألفاظ في دعوتنا ؟ إن لكل لفظ من هذه الألفاظ ولكل رأي من هذه الآراء مكاناً في دعوتنا لا لأننا نعمل لإرضاء الجميع ونجامل في الفكرة وعلى حسابها ولكن لأن طبيعة دعوتنا هكذا عموم وشمول .

أ — فالمصرية أو القومية لها في دعوتنـــا مكانها ومنزلتها وحقها من الكفاح والنضال .

إننا مصريون بهذه البقعة الكريمة في الأرض التي نبتنا فيها ونشأنا عليها ومصر بلد مؤمن تلقى الاسلام تلقياً كريماً وذاد عنه ورد عنه العدوان في كثير من أدوار التاريخ وأخلص في اعتناقه وطوى عليه أعطف المشاعر وأنبل العواطف وهو لا يصلح إلا بالاسلام ولا يداوى إلا بعقاقيره ولا يطب له إلا بعلاجه . وقد انتهت إليــه بحكم الظروف الكثيرة حضانة الفكرة الاسلامية والقيام عليها فكيف لا نعمل لمصر ولخير مصر؟ وكيف لا ندفع عن مصر بكل ما نستطيع وكيف يقال إن الإيمان بالمصرية لا يتفق مع ما يجب أن يدعو إليه رجل ينـادي بالاسلام ويهتف بالاسلام ! إننا نعتز بأننا مخلصون لهذا الوطن الحبيب عاملون له

مجاهدون في سبيل خيره وسنظل كذلك ما حيينا معتقدين أن هذه هي الحلقة الأولى في سلسلة النهضة المنشودة، وأنها جزء من الوطن العربي العام، وأننا حين نعمل لمصر نعمل للعروبة والشرق والاسلام .

وليس يضيرنا في هذا كله أن نعنى بتاريخ مصر القديم وبما ترك قدماء المصريين من آثار الحضارة والعمران وبما سبقوا إليه الناس من المعارف والعلوم والفنون . فنحن نرحب بمصر القديمة كتاريخ فيه مجد وفيه عزة وفيه علم ومعرفة . ونحارب هذه النظرية بكل قوانا كمنهاج عملي يراد صبغ مصر به ودعوتها إليه بعد أن هداها الله بتعاليم الاسلام وشرح له صدرها وأنار به بصيرتها وزادها به شرفاً ومجداً فوق مجدها ، وخلصها بذلك مما لاحق هذا التاريخ من اوضار الوثنية وأدران الشرك وعادات الجاهلية .

(ب) والعروبة « او الجامعة العربية » لها في دعوتنا كذلك مكانها البارز وحظها الوافر ، فالعرب هم أمة الاسلام الأولى وشعبه المتخير ويحق ما قاله صلى الله عليه وسلم : « إذا ذل العرب ذل الاسلام » ولن ينهض الاسلام بغير اجتماع كلمة الشعوب العربية ونهضتها وإن كل شبر أرض في وطن عربي نعتبره من صميم أرضنا ومن لباب وطننا .

فهذه الحدود الجغرافية والتقسيمات السياسية لا تمزق في أنفسنا أبداً معنى الوحدة العربية الاسلامية التي جمعت القلوب على أمل واحد وهدف واحد وجعلت من مكان هذه الأقطار جميعاً أمة

واحدة مهما حاول المحاولون وافترى الشعوبيون .

ومن أروع المعاني في هذا السبيل ما حدد به الرسول صلى الله عليه وسلم معنى العروبة إذ فسرها بأنها اللسان والاسلام .

فقد روى الحافظ بن عساكر بسنده عن مالك قول النبي صلى الله عليه وسلم : « يأيها الناس إن الرب واحد ، والأب واحد ، وإن الدين واحد ، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، وإنما هي اللسان فمن تكلم بالعربية فهو عربي » .

وبذلك نعلم أن هذه الشعوب الممتدة من خليج فارس إلى طنجة ومراكش على المحيط الأطلسي كلها عربية تجمعها العقيدة ويوحد بينها اللسان ، وتؤلفها بعد ذلك هذه الوضعية المتناسقة في رقعة من الأرض واحدة متصلة متشابهة لا يحول بين أجزائها حائل ، ولا يفرق بين حدودها فارق ، ونحن نعتقد أننا حين نعمل للعروبة نعمل للاسلام ولخير العالم كله .

(جـ) والشرقية لها في دعوتنا مكانها وإن كان المعنى الذي يجمع بين المشاعر فيها معنى وقتياً طارئاً إنما ولده وأوجده اعتزاز الغرب بحضارته وتغاليه بمدنيته وانعزاله عن هذه الأمم التي سماها الأمم الشرقية وتقسيمه العالم إلى شرقي وغربي ، وندائه بهذا التقسيم حتى في قول أحد شعرائه المأثور : الشرق شرق والغرب غرب ولا يمكن أن يجتمعا . هذا المعنى الطارىء هو الذي جعل الشرقيين يعتبرون أنفسهم صفاً يقابل الصف الغربي ، أما حين يعود الغرب الى الإنصاف ويدع سبيل الاعتداء والاجحاف فتزول هذه العصبية الطارئة وتحل محلها

الفكرة الناشئة ، فكرة التعاون بين الشعوب على ما فيه خيرها وارتقاؤها .

(د) **أما العالمية** أو الانسانية فهي هدفنا الأسمى وغايتنا العظمى وختام الحلقات في سلسلة الاصلاح والدنيا صائرة الى ذلك لا محالة فهذا التجمع في الأمم ، والتكتل في الأجناس والشعوب ، وتداخل الضعفاء بعضهم في بعض ليكتسبوا بهذا التداخل قوة ، وانضمام المفترقين ليجدوا في هذا الانضمام أنس الوحدة ، كل ذلك يمهد لسيادة الفكرة العالمية وحلولها محل الفكرة الشعوبية القومية التي آمن بها الناس من قبل ، وكان لا بد أن يؤمنوا هذا الايمان لتتجمع الخلايا الأصلية ، ثم كان لا بد أن ينزعجوا عنها لتتألف المجموعات الكبيرة ، ولتتحقق بهذا التآلف الوحدة الأخيرة وهي خطوات إن أبطأ بها الزمن فلا بد أن تكون ، وحسبنا أن نتخذ منها هدفاً ، وأن نضعها نصب أعيننا مثلاً ، وأن نقيم في هذا البناء الإنساني لبنته وليس علينا أن يتم البناء فلكل أجل كتاب .

وإذا كان في الدنيا الآن دعوات كثيرة ونظم كثيرة يقوم معظمها على أساس العصبية القومية التي تستهوي قلوب الشعوب وتحرك عواطف الأمم ، فإن هذه الدروس القاسية التي يتلقاها العالم من آثار هذه القوة الطاغية كفيلة بأن يفيء الناس الى الرشد ويعودوا الى التعاون والاخاء .

ولقد رسم الاسلام للدنيا هذه السبيل فوحد العقيدة أولاً ، ثم وحد النظم والأعمال بعد ذلك . وظهر هذا المعنى الساحر النبيل في كل فروعه العملية .

فرب الناس واحد ، ومصدر التدين واحد ، والأنبياء جميعاً مقدسون معظمون ، والكتب السماوية كلها من عند الله ، والغاية المنشودة اجتماع القلوب : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » .

والقرآن عربي وهو أساس هذا الدين وركن الصلاة أفضل القربات الى الله ، وتلك هي الوسيلة العملية الى وحدة اللسان بعد وحدة الايمان .

وهذه الصلاة وتلك الزكاة ، والحج والصوم ، إنما هي كلها تشريعات اجتماعية يراد بها توثيق لوحدة وجمع الكلمة وإزالة الفوارق وكشف الحجب والموانع بين بني الإنسان .

ومن هنا كانت دعوتنا ذات مراحل نرجو أن تتحقق تباعاً، وأن نقطعها جميعاً وأن نصل بعدها الى الغاية .

« نرجو في مصر دولة مسلمة تحتضن دعوة الاسلام وتجمع كلمة الأمم العربية وتعمل لخيرها وتحمي المسلمين في أكناف الأرض من عدوان كل ذي عدوان وتنشر كلمة الله وتبلغ رسالته حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » .

يقظة الروح — الإيمان والعزة والأمل

وينظر الناس في الدعوات إلى مظاهرها العملية وألوانها الشكلية ويهملون كثيراً النظر إلى الدوافع النفسية والإلهامات الروحية التي هي في الحقيقة مدد الدعوات وغذاؤها وعليها

يتوقف انتصارها ونماؤها. وتلك حقيقة لا يجادل فيها إلا البعيد عن دراسة الدعوات وتعرف أسرارهـا ، إن من وراء المظاهر جميعاً في كل دعوة لروحاً دافعة ، وقوة باطنة تسيرهـا وتهيمن عليها وتدفع إليها ، ومحال أن تنهض أمة بغير هـذه اليقظة الحقيقية في النفوس والأرواح والمشاعر : « إن الله لا يغير مـا بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

ولهذا أستطيع أن أقول إن أول ما نهتم له في دعوتنا ، واهم ما نعول عليه في نمائها وظهورها وانتشارها هذه اليقظة الروحية المرتجلة . فنحن نريد أول ما نريد يقظة الروح ، حياة القلوب ، صحوة حقيقية في الوجدان والمشاعر ، وليس يعنينا أن نتكلم عما نريد بهذه الدعوة من فروع الإصلاح في النواحي العمليـة المختلفة بقدر ما يعنينا أن نركز في النفوس هذه الفكرة .

نحن نريد نفوساً حيـة قوية فتية ، قلوباً جديدة خفاقة ، مشاعر غيورة ملتهبـة مضطربة ، أرواحاً طموحة متطلعة متوثبة تتخيل مثلاً عليا ، وأهدافاً سامية لتسمو نحوها وتتطلع إليها ثم تصل إليها ، ولا بد من أن تحدد هذه الأهداف والمثل ، ولا بد من أن تحصر هذه العواطف والمشاعر ، ولا بد من أن تركز حتى تصبح عقيـدة لا تقبل جدلا ولا تحتمل شكاً ولا ريباً . وبغير هذا التحديد والتركيز سيكون مثل هذه الصحوة مثل الشعاع التائه في البيداء لا ضوء له ولا حرارة فيه ، فما حدود الأهداف وما منتهاها ؟!

إننا نتحرى بدعوتنا نهج الدعوة الأولى ونحاول أن تكون

هذه الدعوة الحديثة صدى حقيقيـــا لتلك الدعوة السابقة التي هتف بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في بطحاء مكة قبل ألف ومئات من السنين ، فما أولانا بالرجوع بأذهاننا وتصوراتنا إلى ذلك العصر المشرق بنور النبوة ، الزاهي بجلال الوحي لنقف بين يدي الأستاذ الأول وهو سيد المربين وفخر المرسلين الهادين لنتلقى عنه دروس الإصلاح من جديـــد ، وندرس خطوات الدعوة من جديد .

أي نور من وهج الشموس الربانيـة أشعله النبي الكريم في قلوب صحابته فأشرقت وأضاءت بعد ظلمة وديجور ؟ وأي ماء من فيض الحياة الروحية أفاضه عليها فاهتزت وربت ونمت فيها الأزاهـير وأورقت بالوجدانيـــات والمشاعر وترعرعت فيها العواطف والضمائر ؟ ! .

إن النبي صلى الله عليه وسلم قذف في قلوب صحابته بهذه المشاعر الثلاثة فأشرقت بها وانطبعت عليها :

(أ) قذف في قلوبهم أن ما جاء به هو الحق وما عداه الباطل وأن رسالته خير الرسالات ، ونهجه أفضل المناهج ، وشريعته أكمل النظم التي تتحقق بها سعادة الناس أجمعين وتلا عليهم من كتاب الله ما يزيد هذا المعنى ثباتا في النفس وتمسكا في القلب : « فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم ، وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » ،« فتوكل على الله إنك على الحق المبين » ، « ثم جعلناك على شريعـــة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون » ، « فلا وربك لا يؤمنون حتى

يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » فآمنوا بهذا واعتقدوه وأصدروا عنه .

(ب) وقذف في قلوبهم أنهم ما داموا أهل الحق وما داموا حملة رسالة النور وغيرهم يتخبط في الظلام . وما دام بين يديهم هدى السماء لإرشاد الأرض فهم إذن يجب أن يكونوا أساتذة الناس وأن يقعدوا من غيرهم مقعد الأستاذ من تلميذه يحنو عليه ويرشده ويقومه ويسدده ويقوده إلى الخير ويهديه سواء السبيل .

وجاء القرآن الكريم يثبت هذا المعنى ويزيده كذلك وضوحا وصاروا يتلقون عن نبيهم من وحي السماء . « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » « وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج » فآمنوا بهذا أيضاً واعتقدوه وأصدروا عنه .

(ج) وقذف في قلوبهم أنهم ما داموا كذلك مؤمنين بهذا الحق معتزين بانتسابهم إليه ، فإن الله معهم يعينهم ويرشدهم وينصرهم ويؤيدهم ويمدهم إذا تخلى عنهم الناس ، ويدفع عنهم إذا أعوزهم النصير ، وهو معهم أينما كانوا وإذا لم ينهض معهم جند الأرض تنزل عليهم المدد من جند السماء وأخذوا يقرءون هذه المعاني واضحة في كتاب الله :

« إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين »

« إن الأرض يرثها عبادي الصالحون» « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقويٌ عزيز » « كتب الله لأغلبن أنا ورسلي » « والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون » « إذ يوحي ربك إلى الملائكـــة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا » « وكان حقاً علينا نصرُ المؤمنين» «ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض» .

قرأوا هذا وفقهوه جيداً فآمنوا به واعتقدوه وأصدروا عنه .

وبهذه المشاعر الثلاثة الإيمـــان بعظمة الرسالة والاعتزاز باعتناقها والأمل في تأييد الله إياها أحياها الراعي الأول صلى الله عليه وسلم في قلوب المؤمنين من صحابتـــه بإذن الله وحدد لهم أهدافهم في هذه الحياة فاندفعوا يحملون رسالتهم محفوظة في صدورهم أو مصاحفهم بادية في أخلاقهم وأعمالهم معتدين بتكريم الله إياهم واثقين بنصره وتأييـــده فدانت لهم الأرض وفرضوا على الدنيا مدنية المبـادىء الفاضلة وحضارة الأخلاق الرحيمة العادلة وبدلوا فيها سيئات المادية الجامدة إلى حسنات الربانية الخالدة ويأبى الله إلا أن يتم نوره .

إلى هذه المشاعر الثلاثة ندعو الناس أولا :

أيها الناس قبل أن نتحدث إليـكم في هذه الدعـــوة عن الصلاة والصوم وعن القضاء والحـكم وعن العـادات والعبادات وعن النظم والمعاملات نتحدث إليـكم عن القلب الحي والروح الحي والنفس الشاعرة والوجدان اليقظ والإيمـان العميق بهذه الأركان الثلاثة : الإيمـــان بعظمة الرسالة والاعتزاز باعتناقها

والأمل في تأييد الله إياها فهل أنتم مؤمنون ؟ .

الفرد المسلم ، البيت المسلم ، الأمة المسلمة

وهـــذا الشعور القوي الذي يجب أن تفيض به النفوس ، وهذه اليقظة الروحية التي ندعو الناس إليها لا بد أن يكون لها أثرها العملي في حياتهم ! ولا بد أن تسبقها ولا شك نهضة عملية تتناول الأفراد والأسر والمجتمعات .

(أ) ستعمل هذه اليقظة عملها في الفرد فإذا به نموذج قائم لما يريده الإسلام في الأفراد . . . إن الإسلام يريد في الفرد وجدانا شاعراً يتذوق الجمال والقبح ، وإدراكاً صحيحاً يتصور الصواب والخطأ وإرادة حازمة لا تضعف ولا تلين أمام الحق وجسما سليما يقوم بأعباء الواجبات الإنسانية حق القيام ويصبح أداة صالحة لتحقيق الإرادة الصالحة وينصر الحق والخير .

وقد وضع الإسلام تكاليفه الشخصية على القواعد التي توصل إلى هذه النتائج كلها ، ففي العبادات الإسلامية أفضل ما يصل القلب بالله ، ويربي الوجدان الشاعر والإحساس الدقيق ، وفي النظر الإسلامي ما يرقى بالعقول والألباب ويدفعها إلى كشف ستائر الكون ومعرفة دقائق الوجود .

وفي الخلق الاسلامي ما يربي الإرادة الحازمـة والعزيمة الماضية الصارمـة ، وفي النظام الإسلامي في الطعام والشراب والمنام وتوابع ذلك من شئون الحيـاة ما لو اتبعه الفرد لحفظ

جسمه من مهلكات لا دواء لها ، ولظل في وقاية من فواتك الأمراض .

ولهذا نوجب على الأخ المسلم أن يتعبد بما أمره الله به ليرقى وجدانه وأن يتعلم ما وسعه العلم ليتسع إدراكه وأن يتخلق بأخلاق الإسلام لتقوى إرادته وأن يلتزم نظام الإسلام في الطعام والشراب والنوم ليحفظ الله عليه بدنه من غوائل الأمراض والسقام والإسلام حين يضع هذه القواعد لا يضعها للرجال ويدع النساء ولكن الصنفين في هذه الناحية الفردية في الإسلام سواء ، فعلى الأخت المسلمة أن تكون كالأخ المسلم في دقة وجدانها وسمو إدراكها ومكانة خلقها وسلامة بدنها .

(ب) وسيكون لهذا الإصلاح الفردي أثره في الأسرة فإنما الأسرة مجموعة أفراد فإذا صلح الرجل وصلحت المرأة ، وهما عماد الأسرة استطاعا أن يكونا بيتا نموذجيا على القواعد التي وضعها الإسلام ، وقد وضع الإسلام قواعد البيت فأحكم وضعها ، فأرشد إلى حسن الاختيار ، وبين أفضل الطرائق للارتباط وحدد الحقوق والواجبات ، وأوجب على الطرفين رعاية ثمرات هذا الزواج حتى تينع وتنضج في غير عبث ولا إهمال ، وعالج ما يعترض هذه الحياة الزوجية من المشكلات أدق علاج . واختط في كل نظراته طريقاً وسطا لا تفريط فيه ولا إفراط .

(ج) وإذا صلحت الأسرة فقد صلحت الأمة وإنما الأمة مجموعة هذه الأسر وإنما الأسرة أمة مصغرة والأمة أسرة مكبرة ، وقد وضع الإسلام للأمة قواعد الحياة الاجتماعية

السعيدة فعقد بين بنيها آصرة الأخوة وجعلها قرينة الإيمان ، ورفع مستوى هذه الصلة إلى المحبة بل إلى الإيثار ، وقضى على كل ما من شأنه أن يمزق هذه الروابط أو يضعف هذه الوشائج ، وحدد الحقوق والواجبات والصلات ، فللأبوة حقها وعليها واجبها وللبنوة مثال ذلك ولذوي القربى حقوقها وعليهم واجباتهم ، وفصل مهمة الحاكم والمحكوم أدق تفصيل ، وبين للمعاملات بين الناس أحكامها بأفصح بيان ، ولم يجعل لأحد على أحد فضلا إلا بالتقوى فلا سيد ولا مسود ولا أمراء ولا عبيد ، ولكن الناس في ذات الله سواسية كأسنان المشط ، إنما يتفاوتون بعمل الصالحات ، وكذلك حدد صلات الأمم بعضها ببعض ، وبين حقوق كل صنف فيها وواجباته ، ولم يدع من ذلك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

وقد عالج الإسلام بعد ذلك مشاكل المجتمعات . فالوقاية مما يؤدي إليها أولا ، واستئصال ما عساه أن يحدث منها ثانياً فلكل مشكلة اجتماعية عنده دواء ، والدواء الأول في كل علاج صلاح النفوس والتضامن الاجتماعي بين بني الانسان .

والإسلام يحيط بكل ذلك لا يسلك سبيل العنت ، ولا يحمل الناس على ما يؤدي إلى الحرج ولكن يريد بالناس اليسر ولا يريد بهم العسر ويضع القواعد الكلية ويدع الفرعيات الجزئيات ويرسم طرائق التطبيق ، ويكل للأزمان والعصور بعد ذلك أن تعمل عملها وهو لذلك شريعة كل زمان ومكان ، وهو لذلك يفرض نشر الدعوة حتى تشمل الناس أجمعين ويتحقق قوله

تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » . وإذا قوي الشعور الذي أشرنا إليه آنفاً ، وأدى إلى نتيجته التي وضعناها الآن فطبق نظام الإسلام على الفرد والبيت والأمة ووصلت الرسالة إلى القلب والآذان ، فقد نجحت فكرتنا واستجيبت دعوتنا ويأبى الله إلا أن يتم نوره .

بين الصبغة الاستقلالية والصبغة التقليدية

نحن نريد الفرد المسلم ، والبيت المسلم ، والشعب المسلم ، ولكنا نريد قبل ذلك أن تسود الفكرة الإسلامية حتى تؤثر في كل هذه الأوضاع وتصبغها بصبغة الاسلام وبدون ذلك لن نصل إلى شيء ، نريد أن نفكر تفكيراً استقلالياً يعتمد على أساس الاسلام الحنيف لا على أساس الفكرة التقليدية التي جعلتنا نتقيد بنظريات الغرب واتجاهاته في كل شيء نريد أن نتميز بمقوماتنا ومشخصات حياتنا كأمة عظيمة مجيدة تجر وراءها أقدم وأفضل ما عرف التاريخ من دلائل ومظاهر الفخار والمجد .

لقد ورثنا هذا الإسلام الحنيف واصطبغنا به صبغة ثابتة قوية تغلغلت في الضمائر والمشاعر ولصقت بحنايا الضلوع وشغاف القلوب واندمجت مصر بكليتها في الإسلام بكليته : عقيدته ولغته وحضارته ودافعت عنه وذادت عن حياضه وردت عنه

عادية المعتدين ، وجاهدت في سبيله ما وسعها الجهاد بمالها ودم أبنائها وأنقذته من براثن التتار وأنياب الصليبيين ، وردت الجميع على أعقابهم خاسرين واستقرت فيها علوم الإسلام ومعارفه ، واحتوت الأزهر أقدم جامعة تقوم على حياطته ورعايته وحراسته وانتهت إليها زعامة شعوبه الادبية والاجتماعية ، وصارت مطمح أنظار الجميع ومعقد آمالهم .

هذا الإسلام ، عقيدته ونظمه ولغته وحضارته ، ميراث عزيز غال على مصر ليس تفريطها فيه بالشيء الهين ولا إبعادها عنه بالأمر المستطاع مهما بذلت في سبيل ذلك الجهود الهدامة المدمرة . ومن هنا بدت مظاهر الاسلام قوية فياضة زاهرة دفاقة في كثير من جوانب الحياة المصرية . فأسماؤها إسلامية ولغتها عربية ، وهذه المساجد العظيمة يذكر فيها اسم الله ويعلو منها نداء الحق صباح مساء ، وهذه مشاعرنا لا تهتز لشيء اهتزازها للإسلام وما يتصل بالإسلام . كل ذلك حق ، ولكن هذه الحضارة الغربية قد غزتنا غزواً قوياً عنيفاً بالعلم والمال ، وبالسياسة والترف . والمتعة واللهو وضروب الحياة الناعمة العابثة المغرية التي لم نكن نعرفها من قبل فأعجبنا بها وركنا إليها ، وأثر هذا الغزو فينا أبلغ الأثر وانحسر ظل الفكرة الإسلامية عن الحياة الاجتماعية المصرية في كثير من شؤونها الهامة ،واندفعنا نغير أوضاعنا الحيوية ونصبغ معظمها بالصبغة الأوروبيــة وحصرنا سلطان الإسلام في حياتنا على القلوب والمحاريب ، وفصلنا عنه شؤون الحياة العملية ، وباعدنا بينه

وبينها مباعدة شديدة وبهذا أصبحنا نحيا حياة ثنائية متذبذبة أو متناقضة .

الإسلام بما فيه من روعة وجلال ، وبسلطانه الساحر العذب الجذاب ، وأصوله الثابتة المدعمة القوية ، وحجته البالغة يجذب إليه القلوب والمشاعر . ويجعلنا نحن المؤمنين به في حنين دائم إليه وهذه الحياة الغربية بما تحتويه من مباهج ومفاتن وبما لها من مظاهر القوة المادية تحاول أن تسيطر وتهيمن على ما بقي لنا من شئوننا الحيوية . هذا وضع مشاهد ملموس يراه ويعلمه كل من يعنيه أمر هذه الأمة ولا بد أن ينتهي هذا التذبذب إلى استقرار ولا بد أن ينغلب أحد الجانبين على الآخر فلكل شيء نهاية ! .
فنحن الإخوان المسلمين نشفق كل الإشفاق من أن تكون هذه النهاية هي التحلل مما بقي من مظاهر الإسلام والانغماس الكلي في الحياة الغربية بكل مظاهرها، ولقد ارتفعت بذلك صيحات وقامت على قواعده دعوات، وسبقتنا إليه شعوب وحكومات، وإن كان ذلك كله قد خفت وطأته الآن أمام ما يقاسي العالم كله من محن وويلات .

نحن نشفق من هذا المصير ، وندعو إلى أن تعود مصر إلى تعاليم الإسلام وقواعده ، تعتمد عليها وتستمد منها وتبنى على أساسها النهضة الجديدة وتركز عليها الأوضاع الاجتماعية في المستقبل إن شاء الله .

وإذا كان الإسلام يدعو إلى أن نأخذ من كل شيء أحسنه ، وينادي بأن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها

ولا مانع في أن تقتبس الأمة الإسلامية الخير من أي مكان فليس هناك ما يمنع من أن ننقل كل ما هو نافع مفيد عن غيرنا ونطبقه على قواعد ديننا ونظام حياتنا وحاجات شعبنا .

أما أثر هذا التذبذب في مظاهر حياتنا العملية فكبير واضح ، ولعله مصدر كثير من المشكلات في التعليم والقضاء ، وفي حياة الأسرة وفي منابع الثقافة العامة وفي غير ذلك من الشؤون العامة هل هناك أمة غير مصر يسير التعليم فيها من أول خطواته على هذين اللونين من ألوان التربية ، فهناك التعليم الديني يتصل بنصف الأمة وينتهي إلى الأزهر ومعاهده وكلياته ، وهناك التعليم المدني يتصل بالنصف الثاني ويتميز كل منهما بخواصه ومميزاته ؟ وهل لذلك من سبب سوى أن السلسلة الأولى هي أثر الاسلام الباقي في نفوس هذه الأمة وأن السلسلة الثانية هي نتاج مجاراة الغرب والأخذ عنه ، فما الذي يمنع من توحيد التعليم في مراحله الأولى على أساس التربية القومية الاسلامية ثم يكون بعد ذلك التخصص ، وهل هناك أمة غير مصر ينقسم فيها القضاء إلى شرعي وغير شرعي كما ينقسم القضاء المصري وهل لذلك من سبب سوى أن القضاء الأول أثر الاسلام في الحياة المصرية والثاني وليد النقل عن الغرب والأخذ عنه ، وما الذي يمنع من أن تتوحد المحكمة على أساس اعتبار الشريعة الاسلامية هي شريعة البلاد ومصدر التقنين ؟

وهذه البيوت المصرية ، ألسنا نلمح فيها أثر هذه الحياة المذبذة المتناقضة ، فكثير من الأسر المصرية لا تزال شديدة

المحافظة على ما ورث من تعاليم الإسلام وآدابه في الوقت الذي انسلخ فيه الكثير عن هذه التعاليم وخرج على هـــذه الآداب وغلبت عليه نزعة التقليد في كل شيء بل جاوز بعضنا ذلك الحد حتى صار غربياً أكثر من الغربيين .

ولا بد من وضع حد لهذا التفاوت الغريب حتى نظفر بالأمة الموحدة ، فبدون الوحدة لا تتحقق نهضة ولا تحيا أمة حيــاة الكمال .

لهــذا يدعو الإخوان المسلمون إلى أن يكون الأساس الذي تعتمد عليه نهضتنا هو توحيد مظاهر الحياة العملية في الأمة على أساس الإسلام وقواعده وبذلك تبني مصر نفسها ، وتقدم للعالم كله أكمل نماذج الحياة الإنسانية الصحيحة .

وسيلتنا العامة ... بين جماعة وفكرة

الكلام عن الوسيلة العامة للاخوان المسلمين يقف بنا أمــام هذه الدعوة كجمعية من الجمعيات التي تقوم بالخدمة العامة ثم بنا كذلك أمامها كدعوة من الدعوات التجديدية لحيــــاة الأمم والشعوب التي ترسم لها منهاجاً جديداً تؤمن به وتسير عليه .

(أ) لا شك أن جماعات الإخوان المسلمين جماعــات تقوم بالخدمة العامة من بناء المساجد وعماراتهــا ، ومن فتح المدارس والمكاتب والإشراف عليها، ومن إنشاء الأندية والفرق وتوجيهها ورعايتها ومن الاحتفال بالذكريات الإسلامية احتفالاً يليق بجلالها

وعظمتها ، ومن الاصلاح بين الناس في القرى والبلدان إصلاحاً يوفر عليهم كثيراً من الجهود والأموال، ومن التوسط بين الأغنياء الغافلين والفقراء المعوزين بتنظيم الاحسان وجمع الصدقات لتوزع في المواسم والأعياد ، لا شك أن الاخوان يقومون بهذا كله ولهم فيه والحمد لله أثر يذكر ، وقد تضاعف نشاطهم في هـــذه النواحي مضاعفة ملموسة في هذا الدور من أدوار الدعوة بطبيعة التفات الناس إليها وإقبالهم عليها ووسيلة الإخوان في هـــذه الميادين التنظيم والتطوع والاستعانة بأهل الرأي والخبرة وتدبير ما تحتاج اليه هذه المشروعات من أموال من المشتركين تارة ومن المتبرعين أخرى الى ما يدفع لمثل هذه المشروعات، ولسنا نقول إن الإخوان قد اكتملت جهودهم في هذه الناحية ولكنا نقول إنهم يسيرون بخطوات واسعة نحو الكمال، والله الموفق والمستعان. هؤلاء هم الإخوان وتلك هي دعوتهم كجماعة من جماعات الخدمة العامة .

(ب) ولكن الاخوان كما علمت ليسوا كذلك فحسب ولكن لب دعوتهم فكرة وعقيدة يقذفون بها في نفوس الناس ليتربى عليها الرأي العام وتؤمن بها القلوب وتجتمع من حولها الأرواح : تلك هي العمل للاسلام والعمل به في كل نواحي الحياة .

أما الوسيلة الى تحقيق ذلك فليست المال ، والتاريخ منـذ عرف الى الآن يحدثنا أن الدعوات لا تقوم أول أمرها بالمال ولا تنهض به بحال ، فهي تحتاج الى مال في بعض مراحـل طريقها ولكن محال أن يكون قوامها ودعامتها ، فرجـال الدعوات

وأنصارها هم دائماً المقلون من هـذا المال وسل التاريخ ينبئك وليست الوسيلة القوة كذلك فالدعوة الحقة إنما تخاطب الأرواح أولا وتناجي القلوب وتطرق مغاليق النفوس ، ومحال أن تثبت بالعصا أو ان تصل اليها على شبا الأسنة والسهام ولكن الوسيلة في تركيز كل دعوة وثباتها معروفة معلومة مقروءة لكل من له إلمام بتاريخ الجماعات ، وخلاصة ذلك جملتان : إيمان وعمل ومحبـة وإخاء ماذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في تركيز دعوته في نفوس الرعيل الأول من أصحابه اكثر من أنه دعاهم الى الإيمان والعمل ثم جمع قلوبهم على الحب والاخاء فاجتمعت قوة العقيدة الى قوة الوحدة وصارت جماعتهم هي الجماعة النموذجية التي لا بد أن تظهر كلمتها وتنتصر دعوتها وإن ناوأهـا أهل الأرض جميعاً ، وماذا فعل الدعاة من قبل ومن بعد أكثر من هـذا . ينادون بالفكرة ويوضحونها ويدعون الناس اليها فيؤمنون بهـا ويعملون لتحقيقها ويجتمعون عليها ويزدادون عـدداً فتزداد الفكرة بهم ظهوراً حتى تبلـغ مداها وتبتلع ما سواها ، وتلك سنة الله ولن نجد لسنة الله تبديلاً .

وليست دعوة الاخوان بدعاً في الدعوات فهي صـدى من الدعوة الأولى يدوي في قلوب هؤلاء المؤمنين ويتردد على ألسنتهم ويحاولون أن يقذفوا به إيماناً في قلوب الأمة المسلمة ليظهر عملاً في تصرفاتها ولتجمع قلوبها عليه فإذا فعلوا ذلـك أيدهم الله ونصرهم وهداهم سواء السبيل .. فإلى الايمان والعمل والى الحب

والإخاء أيهـــا الاخوان والله معكم وتلك هي وسيلتكم . والله غالب على أمره .

أسئـــلة

١ – كيف تجمع بين الإيمان بالغيب والانتفاع بالعقل ؟

٢ – تكلم عن مكان القومية والعروبة والعالمية من دعوتنـا ؟ ثم اشرح معنى : الاسلام دين وجنسية .

٣ – نحن ندعو إلى نهضة تشمل جنبات الحياة جميعاً فما عدتنـا الأولى في الوصول الى ما نبغي ؟.

٤ – تكلم عن آثار النزعة الغربية المادية في وطننا .



الرسائل الثلاث

للإمام الشهيد حسن البنا

١ ـــ دعوتنــــا ...

٢ ـــ إلى أي شيء ندعو الناس

٣ ـــ نحو النور ...

١ ـ دعوتنا

بسم الله الرحمن الرحيم

مصارحة

نحب أن نصارح الناس بغايتنا . وأن نجلي أمامهم منهاجنا ، وأن نوجه إليهم دعوتنا ، في غير لبس ولا غموض أضوأ من الشمس ، وأوضح من فلق الصبح ، وأبين من غرة النهار .

براءة

ونحب مع هذا أن يعلم قومنا - وكل المسلمين قومنا - أن دعوة الاخوان المسلمين دعوة بريئة نزيهة ، قد تسامت في نزاهتها حتى جاوزت المطامع الشخصية ، واحتقرت المنافع المادية ، وخلفت وراءها الأهواء والأغراض ، ومضت قدماً في الطريق التي رسمها الحق تبارك وتعالى للداعين إليه : « قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ » فلسنا نسأل الناس شيئاً ، ولا نقتضيهم مالاً ولا نطالبهم بأجر . ولا نتزيد بهم وجاهة ، ولا نريد منهم جزاء ولا شكوراً ، إن أجرنا في ذلك إلا على الذي فطرنا .

عاطفـــة

ونحب كذلك أن يعلم قومنا أنهم أحب إلينا من أنفسنا ، وأنه حبيب إلى هذه النفوس أن تذهب فداء لعزتهم إن كان فيها الفداء ، وأن تزهق ثمناً لمجدهم وكرامتهم ودينهم وآمالهم إن كان فيها الغناء . وما أوقفنا هذا الموقف منهم إلا هذه العاطفة التي استبدت بقلوبنـــا ، وملكت علينا مشاعرنا ، فأقضت مضاجعنا ، وأسالت مدامعنا . وإنه لعزيز علينا جد عزيز أن نرى ما يحيط بقومنا ثم نستسلم للذل أو نرضى بالهوان أو نستكين لليأس ، فنحن حين نعمل للناس في سبيل الله أكثر ممـــا نعمل لأنفسنا ، فنحن لكم لا لغيركم أيها الأحباب ، ولن نكون عليكم يوماً من الأيام .

لله الفضل والمنة

ولسنا نمتن بشيء ولا نرى لأنفسنا في ذلك فضلاً ، وإنما نعتقد قول الله تبارك وتعالى: « بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين » ولكم نتمنى لو تنفع المنى أن تتفتح هـــذه القلوب على مرأى ومسمع من أمتنا ، فينظر إخواننا هل يرون فيها إلا حب الخير لهم والإشفاق عليهم والتفاني في صالحهم ؟.

وهل يجدون إلا ألماً مضنياً من هذه الحال التي وصلنا إليها؟ ولكن حسبنا أن الله يعلم ذلك كله ، وهو وحـــده الكفيل

بالتأييد الموفق للتسديد ، بيده أزمــة القلوب ومفاتيحها . من يهدِ الله فلا مضلّ له ومن يضلل الله فلا هادي له ، وهو حسبنا ونعم الوكيل . أليس الله بكافٍ عبده ؟.

أصناف أربعة

وكل الذي نريده من الناس أن يكونوا أمامنا واحداً من أربعة :

مؤمن

إما شخص آمن بدعوتنا وصدق بقولنا وأعجب بمبادئنـا ورأى فيها خيراً اطمأنت اليه نفسه وسكن له فؤاده ، فهـذا ندعوه أن يبادر بالانضمام الينا والعمل معنـا حتى يكثر به عدد المجاهدين ويعلو بصوته صوت الداعين ، ولا معنى لإيمان لا يتبعه عمل ، ولا فائدة في عقيدة لا تدفع صاحبها الى تحقيقها والتضحية في سبيلها وكذلك كان السابقون الأولون ممن شرح الله صدورهم لهدايته فاتبعوا أنبياءه وآمنوا برسالاته وجاهدوا فيــه حق جهاده ، ولهؤلاء من الله أجزل الأجر ، وأن يكون لهم مثـل ثواب من اتبعوهم لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً .

متردد

وإما شخص لم يستبن له وجه الحق ، ولم يتعرف في قولنـا

معنى الاخلاص والفائدة فهو متوقف متردد ، فهذا نتركه لتردده ونوصيه بأن يتصل بنا عن كثب ، ويقرأ عنا من بعيد أو من قريب ، ويطالع كتاباتنا ويزور أنديتنا ويتعرف إلى اخواننا ، فسيطمئن بعد ذلك لنا إن شاء الله ، وكذلك كان شأن المترددين من اتباع الرسل من قبل .

نفعي

وأما شخص لا يريد أن يبذل معونته إلا اذا عرف ما يعود عليه من فائدة وما يجره هـذا البذل له من مغنم فنقول له : حنانيك ليس عندنا من جزاء إلا ثواب الله إن أخلصت والجنة إن علم فيك خيراً ، أما نحن فمغمورون جاهاً فقراء مالاً ، شأننا التضحية بما معنا وبذل ما في أيدينا ، ورجاؤنا رضوان الله وهو نعم المولى ونعم النصير ، فإن كشف الله الغشاوة عن قلبه وأزاح كابوس الطمع عن فؤاده فسيعلم أن ما عند الله خير وأبقى ، وسينضم الى كتيبة الله ليجود بما معه من عرض هذه الحياة الدنيا لينال ثواب الله في العقبى وما عندكم ينفد وما عند الله باق ، وإن كانت الأخرى فالله غني عمن لا يرى لله الحق. الأول في نفسه وماله ودنياه وآخرته وموته وحياته وكذلك كان شأن قوم من أشباهه حين أبوا مبايعة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يجعل لهم الأمر من بعده ، فما كان جوابه صلى الله عليه وسلم إلا أن أعلمهم أن الأرض لله يورثها من يشاء من عبـاده ، والعاقبة للمتقين .

متحامل

وإما شخص ساء فينا ظنه وأحاطت بنا شكوكــه وريبه فهو لا يرانا إلا بالمنظار الأسود القاتم، ولا يتحدث عنا إلا بلسان المتحرج المتشكك ، ويأبى إلا أن يلـج في غروره ويسدر في شكوكه ويظل مع أوهامه ، فهذا ندعو الله لنـا وله أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه والباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه ، وأن يلهمنا وإياه الرشد . ندعوه إن قبل الدعاء ونناديه إن أجاب النداء وندعو الله فيه وهو سبحانه أهل الرجاء ؛ ولقد أنزل الله على نبيه الكريم في صنف من الناس « إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء » . وهذا سنظل نحبه ونرجـو فيئه إلينا واقتناعه بدعوتنا وإنما شعارنا معه ما أرشدنا إليه المصطفى صلى الله عليه وسلم من قبل : « اللهـم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون .

نحب أن يكون الناس معنا واحداً من هؤلاء، وقد حان الوقت الذي يجب فيه على المسلم أن يدرك غايته ويحدد وجهته، ويعمل إلى هذه الوجهة حتى يصل إلى الغاية ، أما تلك الغفلة السادرة والخطرات اللاهية والقلوب الساهية والانصياع الأعمى واتباعه كل ناعق فما هو من سبيل المؤمنين في شيء .

فنــــاء

ونحب أن يعلم قومنا إلى جانب هذا أن هذه الدعوة لايصلح

لها إلا من حاطها من كل جوانبها ووهب لها ما تكلفه إياه من نفسه وماله ووقته وصحته : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين » .

فهي دعوة لا تقبل الشركة إذ أن طبيعتها الوحدة فمن استعد لذلك فقد عاش بها وعاشت به ، ومن ضعف عن هذا العبء فسيحرم ثواب المجاهدين ويكون مع المخلفين ويقعد مع القاعدين ، ويستبدل الله لدعوته به قوماً آخرين « أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » .

وضوح

نحن ندعو الناس إلى « مبدأ » .. مبدأ واضح محدود مسلم به منهم جميعاً ، هم جميعا يعرفونه ويؤمنون به ويدينون بأحقيته ويعلمون أن فيه خلاصهم وإسعادهم وراحتهم . . . مبدأ أثبتت التجربة وحكم التاريخ صلاحيته للخلود وأهليته لإصلاح الوجود .

إيماننا

والفرق بيننا وبين قومنا بعد اتفاقنا في الإيمان بهذا المبدأ أنه عندهم إيمان مخدر نائم في نفوسهم لا يريدون أن ينزلوا على حكمه ولا أن يعملوا بمقتضاه ، على حين أنه إيمان ملتهب مشتعل قوي يقظ في نفوس الإخوان المسلمين . ظاهرة نفسية عجيبة نلمسها ويلمسها غيرنا في نفوسنا نحن الشرقيين أن نؤمن بالفكرة إيمانا يخيل للناس حين نتحدث إليهم عنها أنها ستحملنا على نسف الجبال وبذل النفس والمال واحتمال المصاعب ومقارعة الخطوب حتى ننتصر بها أو تنتصر بنا ، حتى إذا هدأت ثائرة الكلام وانفض نظام الجمع نسي كل إيمانه وغفل عن فكرته ، فهو لا يفكر في العمل لها ولا يحدث نفسه بأن يجاهد أضعف الجهاد في سبيلها ، بل إنه قد يبالغ في هذه الغفلة وهذا النسيان حتى يعمل على ضدها وهو يشعر أو لا يشعر ؟ وألست تضحك عجباً حين ترى رجلاً من رجال الفكر والعمل والثقافة في ساعتين اثنتين متجاورتين من ساعات النهار ملحداً مع الملحدين وعابداً مع العابدين ! .

هذا الخور أو النسيان أو الغفلة أو النوم أو قل فيه ما شئت هو الذي جعلنا نحاول أن نوقظ (مبدأنا) وهو هو المبدأ المسلم به من قومنا في نفوس هؤلاء القوم المحبوبين .

دعـــوات

وإذن سأعود إلى أول كلمتي فأقول إن دعوة الإخوان المسلمين دعوة مبدأ، وفي الشرق والغرب اليوم دعوات ومبادىء وفكر ومذاهب وآراء ومنازع كلها تتقسم عقول الناس وتتنازع ألبابهم وكل منها يزينه أهله ويقوم بالدعاية له أبناؤه وأتباعه وعشاقه ومريدوه ، ويدعون له المزايا والمحاسن ويبالغون في هذا الادعاء ما يبرزه للناس جميلا خلابا رائعاً .

دعاة

والدعاة اليـوم غيرهم بالأمس فهم مثقفون مجهزون مدربون اخصائيون (ولا سيما في البلاد الغربية) حيث تختص بكل فكرة كتيبة مدربـــة توضح غامضها وتكشف عن محاسنها وتبتكر لها وسائل النشر وطرائق الدعاية ، وتتلمس لها في نفوس الناس أيسر السبل وأهونها وأقربها إلى الاقتناع والاتباع.

وسائل

ووسائل الدعاية الآن غيرها بالأمس كذلـــك ، فقد كانت دعاية الأمس كلمة تلقى في خطبة أو اجتماع أو كلمة تكتب في رسالة أو خطاب ، أما الآن فنشرات ومجلات وجرائـد ورسالات ومسارح (وخيالات) وحاكٍ ومذياع ، وقد ذلل

ذلك كله سبل الوصول إلى قلوب الناس جميعهم نساء ورجالا في بيوتهم ومتاجرهم ومصانعهم ومزارعهم .

لهذا كان من واجب أهل الدعوة أن يحسنوا تلك الوسائل جميعاً حتى يأتي عملهم بثمرته المطلوبة .

وما لي ولهذا الاستطراد ؟ سأعود مرة ثانية فأقول إن العالم الآن في حال تخمة بالدعوات ما بين سياسية وقومية ووطنية واقتصادية وعسكرية وسلمية ، فأين دعوة الإخوان المسلمين من هذا المزيج المركب كله ؟ .

سيدعوني ذلك إلى أن أتكلم لك في أمرين : أولهما هيكل دعوتنا الإيجابي المجرد ، ثم بعد ذلك موقفها من كل نوع من أنواع هذه الدعوات .

ولا تؤاخذني بهذا الاستطراد في القول فقد أخذت على نفسي أن أكتب كما أتحدث ، وأن أتناول موضوعي بهذا اللون من ألوان الكتابة في غير تكلف ولا عناء ، وإنما أريد أن يفهمني الناس كما أنا ويصل كلامي إلى نفوسهم خالياً من التزويق والتقسيم .

إسلامنا

اسمع يا أخي : دعوتنا دعوة أجمع ما توصف به أنها (إسلامية) ولهذه الكلمة معنى واسع غير ذلك المعنى الضيق الذي يفهمه الناس . فإنا نعتقد أن الاسلام معنى شامل ينتظم

شؤون الحياة جميعاً ، ويفتي في كل شأن منها ويضع له نظاما محكماً دقيقاً ، ولا يقف مكتوفاً أمام المشكلات الحيوية والنظم التي لا بد منها لاصلاح الناس . فهم بعض الناس خطأ أن الاسلام مقصور على ضروب من العبادات أو أوضاع من الروحانية ، وحصروا أنفسهم وأفهامهم في هذه الدوائر الضيقة من دوائر الفهم المحصور .

ولكنا نفهم الاسلام على غير هذا الوجه فهما فسيحا واسعاً ينتظم شؤون الدنيا والآخرة ، ولسنا ندعي هذا ادعاء أو نتوسع فيه من أنفسنا ، وإنما هو ما فهمناه من كتاب الله وسيرة المسلمين الأولين ، فإن شاء القارىء أن يفهم دعوة الاخوان بشيء أوسع من كلمة (الاسلامية) فليمسك بمصحفه وليجرد نفسه من الهوى والغاية ثم يتفهم ما عليه القرآن فسيرى في ذلك دعوة الاخوان .

أجل : دعوتنا (إسلامية) بكل ما تحتمل الكلمة من معان ، فافهم فيها ما شئت بعد ذلك وأنت في فهمك هذا مقيد بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة السلف الصالحين من المسلمين فأما كتاب الله فهو أساس الاسلام ودعامته وأما سنة رسوله فهي مبينة الكتاب وشارحته ، وأما سيرة السلف الصالح فهم رضوان الله عليهم منفذو أوامره والآخذون بتعاليمه وهم المثل العملية والصورة الماثلة لهذه الأوامر والتعاليم .

موقفنا من الدعـــوات

وموقفنا من الدعـــوات المختلفة التي طغت في هذا العصر ففرقت القلوب وبلبلت الأفكار أن نزنها بمـــيزان دعوتنا ، فما وافقها فمرحباً به وما خالفها فنحن براء منه ، ونحن مؤمنـون بأن دعوتنا عامة محيطة لا تغادر جزءاً صالحاً من أية دعوة إلا ألمت به وأشارت إليه .

الوطنية

افتتن الناس بدعوة الوطنيـــة تارة والقومية تارة أخرى وبخاصة في الشرق حيث تشعر الشعوب الشرقية بإساءة الغرب إليها إساءة نالت من عزتها وكرامتها واستقلالها وأخذت من مالها ومن دمها ، وحيث تتألم هذه الشعوب من هذا النير الغربي الذي فرض عليها فرضاً ، فهي تحاول الخلاص منه بكل ما في وسعها من قوة ومنعة وجهاد وجلاد ، فانطلقت ألسن الزعماء وسالت أنهار الصحف وكتب الكاتبون وخطب الخطباء وهتف الهاتفون باسم الوطنية وجلال القومية .

حسن ذلك وجميل ، ولكن غـير الحسن وغير الجميل أنك حين تحاول إفهـــام الشعوب الشرقية وهي مسلمة أن ذلك في الاسلام بأوفى وأزكى وأسمى وأنبل مما هو في أفواه الغربيين وكتابات الأوروبيين أبوا ذلك عليك ولجوا في تقليدهم يعمهون،

وزعموا لك أن الاسلام في ناحية وهذه الفكرة في ناحية أخرى وظن بعضهم أن ذلك مما يفرق وحدة الأمة ويضعف رابطة الشباب .

هذا الوهم الخاطىء كان خطراً على الشعوب الشرقية من كل الوجهات ، وبهذا الوهم أحببت أن أعرض هنا إلى موقف الاخوان المسلمين ودعوتهم من فكرة الوطنية ذلك الموقف الذي ارتضوه لأنفسهم والذي يريدون ويحاولون أن يرضاه الناس معهم .

وطنية الحنين

إن كان دعاة الوطنية يريدون بها حب هذه الأرض وألفتها والحنين إليها والانعطاف نحوها فذلك أمر مركوز في فطر النفوس من جهة ، مأمور به في الاسلام من جهة أخرى ، وإن بلالا الذي ضحى بكل شيء في سبيل عقيدته ودينه هو بلال الذي كان يهتف في دار الهجرة بالحنين إلى مكة في أبيات تسيل رقة وتقطر حلاوة :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحولي إذخر وجليل
وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل

ولقد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف مكة من « أصيل » فجرى دمعه حنيناً إليها وقال : يا أصيل دع القلوب تقر .

وطنية الحرية والعزة

و[illegible] من وجوب [illegible] بكل جهد في تحرير البلد من الغاصبين وتوفير [illegible] مبادىء العزة والحرية في نفوس أبنائه فنحن معهم في ذلك أيضاً ، وقد شدد الاسلام في ذلك أبلغ التشديد فقال تبارك وتعالى : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » ويقول : « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » .

وطنية المجتمع

وإن كانوا يريدون بالوطنية تقوية الرابطة بين أفراد القطر الواحد وإرشادهم إلى طريق استخدام هذه التقوية في مصالحهم فذلك نوافقهم فيه أيضاً ، ويراه الاسلام فريضة لازمة فيقول نبيه صلى الله عليه وسلم : « وكونوا عبـاد الله إخوانا » ويقول القرآن الكريم : « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة مـن دونكم لا يألونكم خبـالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون » .

وطنية الفتح

وإن كانوا يريدون بالوطنية فتح البلاد وسيادة الأرض فقد فرض ذلك الاسلام ووجه الفاتحين إلى أفضل استعمار وأبرك فتح ، فذلك قوله تعـــالى : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة

ويكون الدين لله » .

وطنية الحزبية

وإن كانوا يريدون بالوطنية تقسيم الأمة إلى طوائف تتناحر وتتضاغن وتتراشق بالسباب وتترامى بالتهم ويكيد بعضها لبعض ، وتتشيع لمناهج وضعية أملتها الأهواء وشكلتها الغايات والأغراض وفسرتها الأفهام وفق المصالح الشخصية والعدو يستغل كل ذلك لمصلحته ويزيد وقود هذه النار اشتعالا يفرقهم في الحق ويجمعهم على الباطل ، ويحرم عليهم اتصال بعضهم ببعض وتعاون بعضهم مع بعض ويحل لهم هذه الصلة به والالتفاف حوله فلا يقصدون إلا داره ولا يجتمعون إلا زواره فتلك وطنية زائفة لا خير فيها لدعاتها ولا للناس . فها أنت ذا قد رأيت أننا مع دعاة الوطنية ، بل مع غلاتهم في كل معانيها الصالحة التي تعود بالخير على البلاد والعباد ، وقد رأيت مع هذا أن تلك الدعوى الوطنية الطويلة العريضة لم تخرج عن أنها جزء من تعاليم الاسلام .

حدود وطنيتنا

أما وجه الخلاف بيننا وبينهم فهو أننا نعتبر حدود الوطنية بالعقيدة وهم يعتبرونها بالتخوم الأرضية والحدود الجغرافية ، فكل بقعة فيها مسلم يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وطن عندنا له حرمته وقداسته وحبه والاخلاص له والجهاد في سبيل خيره ، وكل المسلمين في هذه الأقطار الجغرافية أهلنا وإخواننا

نهتم لهم ونشعر بشعورهم ونحس باحساسهم . ودعاة الوطنية فقط ليسوا كذلك ، فـلا يعنيهم الا أمر تلك البقعة المحدودة الضيقة من رقعة الارض ، ويظهر ذلك الفـارق العملي فيما اذا أرادت أمة من الامم ان تقوي نفسها على حساب غيرها فنحن لا نرضى ذلك على حساب أي قطر اسلامي وإنمـا نطلب القوة لنا جميعاً ، ودعاة الوطنيـة المجردة لا يرون بذلك بأساً ومن هنا تتفكك الروابط وتضعف القوى ويضرب العـدو بعضهم ببعض .

غاية وطنيتنا

هذه هي واحدة . والثانية أن الوطنيين فقط جـل ما يقصدون اليه تخليص بلادهم ، فإذا ما عملوا لتقويتها بعـد ذلك في النواحي المادية كما تفعل أوربا الآن ، أمـا نحن فنعتقد أن المسلم في عنقه أمانة عليه أن يبذل نفسه ودمه ومـاله في سبيل أدائها تلك هي هداية البشر بنور الإسلام ورفع علمه خفاقاً على كل ربوع الارض ، لا يبغي بذلك مالا ولا جاهاً ولا سلطاناً على أحد ولا استعباداً لشعب ، وإنما يبغي وجه الله وحده وإسعاد العالم بدينه وإعلاء كلمته ، وذلك مـا حدا بالسلف الصالحين رضوان الله عليهم الى هذه الفتوح القدسية التي أدهشت الدنيـا وأربت على كل ما عرف التاريخ من سرعة وعدل ونبل وفضل .

وحـدة

وأحب ان أنبهك الى سقوط ذلك الزعيم القائل إن الجري

على هذا المبدأ يمزق وحـــدة الأمة التي تتألف من عناصر دينية مختلفة ، فإن الاسلام وهو دين الوحدة والمساواة كفــل هذه الروابط بين الجميع ما داموا متعـاونين على الخير : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين » فمن أين يأتي التفريق إذن ؟ .

أفرأيت بعد هذا كيف أننا متفقون مع أشد الناس غلوا في الوطنية في حب الخير للبلاد والجهاد في سبيل تخليصها وخيرهـا وارتقائها ، ونعمل ونؤيد كل من يسعى في ذلك بإخلاص ؟ بل أحب ان تعلم ان مهمتهم انكانت تنتهي بتحرير الوطن واسترداد مجده فإن ذلك عنـــد الاخوان المسلمين بعض الطريق فقط أو مرحلة منه واحدة ، ويبقى بعد ذلك ان يعملوا لترفـــع راية الوطن الإسلامي على كل بقاع الأرض ، ويخفق لواء « المصحف» في كل مكان .

القومية

والآن سأتحدث اليك عن موقفنا من مبدأ القومية :

قومية المجد

ان كان الذين يعتزون بمبدأ القومية يقصدون به ان الأخلاف يجب ان ينهجوا نهج الأسلاف في مراقي المجـد والعظمة ومدارك النبوغ والهمة وان تكون لهم بهم في ذلك قدوة حسنة، وأن

عظمة الأب مما يعتز بها الابن ويجد لها الحماس والأريحية بدافع الصلة والوراثة ، فهو مقصد حسن جميل نشجعه ونأخذ به ، وهل عدتنا في إيقاظ همة الحاضرين إلا ان نحدوهم بأمجاد الماضين ؟ ولعل الإشارة الى هذا في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام إذا فقهوا » فها أنت ذا ترى ان الاسلام لا يمنع من القومية بهذا المعنى الفاضل النبيل .

قومية الامة

واذا قصد بالقومية ان عشيرة الرجل وأمته اولى الناس بخيرة وبره وأحقهم بإحسانه وجهاده فهو حق كذلك ومن ذا الذي لا يرى اولى الناس بجهوده قومه الذين نشأ فيهم ونما بينهم؟

لعمري لرهط المرء خير بقية   عليه وإن عالوا به كل مركب

قومية التنظيم

واذا قصد بالقومية أننا جميعاً مبتلون مطالبون بالعمل والجهاد فعلى كل جماعة ان تحقق الغاية من جهتها حتى نلتقي إن شاء الله في ساحة النصر فنعم التقسيم هذا ، ومن لنا بمن يحدو الأمم الشرقية كتائب كل في ميدانها حتى نلتقي جميعاً في بحبوحة الحرية والخلاص ؟

كل هذا وأشباهه في معنى القومية جميل معجب لا يأباه الاسلام « وهو مقياسنا » بل ينفسح صدرنا له ونحض عليه .

قومية الجاهلية

أما ان يراد بالقومية إحياء عادات جاهلية درست وإقامة ذكريات بائدة خلت وتعفية حضارة نافعة استقرت والتحلل من عقدة الاسلام ورباطه بدعوى القومية والاعتزاز بالجنس كما فعلت بعض الدول في المغالاة بتحطيم مظاهر الاسلام والعروبة ، حتى الاسماء وحروف الكتابة وألفاظ اللغة ، وإحياء ما اندرس من عادات جاهلية فذلك في القومية معنى ذميم وخيم العاقبة سيىء المغبة ، يؤدي بالشرق الى خسارة فادحة يضيع معها تراثه وتنحط بها منزلته ويفقد أخص مميزاته وأقدس مظاهر شرفه ونبله ، ولا يضر ذلك دين الله شيئاً : « وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » .

قومية العدوان

وإما ان يراد بالقومية الاعتزاز بالجنس الى درجة تؤدي الى انتقاص الأجناس الاخرى والعدوان عليها والتضحية بها في سبيل عزة أمة وبقائها كما تنادي بذلك ألمانيا وايطاليا مثلا ، بل كما تدعي كل أمة تنادي بأنها فوق الجميع فهذا معنى ذميم كذلك ليس من الانسانية في شيء ومعناه ان يتناحر الجنس البشري في سبيل وهم من الاوهام لا حقيقة له ولا خير فيه .

دعامتان

الإخوان المسلمون لا يؤمنون بالقومية بهذه المعاني ولا

بأشباهها ولا يقولون فرعونيةوعربية وفينيقية وسورية ولاشيئاً من هذه الالقاب والاسماء التي يتنابز بها الناس ولكنهم يؤمنون بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الانسان الكامل بل أكمل معلم علم الانسان الخير : « إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى » ما أروع هذا وأجمله وأعدله ، الناس لآدم فهم في ذلك أكفاء والناس يتفاضلون بالاعمال فواجبهم التنافس في الخير ؛ دعامتان قويتان لو بنيت عليهما الانسانية لارتفعت بالبشر الى علياء السموات ؛ الناس لآدم فهم اخوان فعليهم ان يتعاونوا وأن يسالم بعضهم بعضاً ويرحم بعضهم بعضاً ويدل بعضهم بعضاً على الخير — والتفاضل بالاعمال فعليهم ان يجتهدوا كل من ناحيته حتى ترقى الانسانية ، فهل رأيت سمواً بالانسانية أعلى من هذا السمو أو تربية أفضل من هذه التربية ؟.

خواص العروبة

ولسنا مع هذا ننكر خواص الامم ومميزاتها الخلقية ، فنحن نعلم ان لكل شعب مميزاته وقسطه من الفضيلة والخلق ونعلم ان الشعوب في هذا تتفاوت وتتفاضل ، ونعتقد أن العروبة لها من ذلك النصيب الاوفى الاوفر ، ولكن ليس معنى هذا ان تتخذ الشعوب هذه المزايا ذريعة الى العدوان ، بل عليها ان تتخذ ذلك وسيلة الى تحقيق المهمة السابقة التي كلفها كل شعب . تلك هي النهوض بالانسانية ولعلك لست واجداً في التاريخ من أدرك

هذا المعنى من شعوب الارض كما أدركته تلك الكتيبة العربية من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هذا استطراد اقتضاه السير في البحث ، ولا أحب أن اتابعه حتى لا يشط بنا القول ولكن أعود بك الى ما نحن بسبيله .

رباط العقيدة

أما إذ عرفت هذا فاعلم – أيدك الله – ان الاخوان المسلمين يرون الناس بالنسبة اليهم قسمين : قسم اعتقد ما اعتقدوه من دين الله وكتابه وآمن ببعثة رسوله وما جاء به ، وهؤلاء تربطنا بهم أقدس الروابط رابطة العقيدة وهي عندنا أقدس من رابطة الدم ورابطة الارض ، فهؤلاء هم قومنا الاقربون الذين نحن اليهم ونعمل في سبيلهم ونذود عن حماهم ونفتديهم بالنفس والمال في أي أرض كانوا ومن أية سلالة انحدروا ، وقوم ليسوا كذلك ولم نرتبط معهم بعد بهذا الرباط ، فهؤلاء نسالمهم ما سالمونا ونحب لهم الخير ما كفوا عدوانهم عنا ، ونعتقد ان بيننا وبينهم رابطة هي رابطة الدعوة ، علينا ان ندعوهم الى ما نحن عليه لانه خير الانسانية كلها ، وأن نسلك إلى نجاح هذه الدعوة ما حدد لها الدين نفسه من سبل ووسائل ، فمن اعتدى علينا منهم رددنا عدوانه بأفضل ما يرد به عدوان المعتدين . أما اذا أردت ذلك من كتاب الله فاسمع :

١ – « انما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم » .

٢ – « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم

يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم ان تولوهم » .

ولعلي اكون بذلك قد كشفت لك عن هذه الناحية من دعوتنا بما لا يدعها في نفسك ملتبسة أو غامضة ، لعلك بعد ذلك عرفت الى أي قبيل ينتسب الاخوان المسلمون .

أمام الخلافات الدينية

أتحدث اليك الآن عن دعوتنا أمام الخلافات الدينية والآراء المذهبية .

تجمع ولا تفرق

فاعلم – فقهك الله – أولا أن دعوة الاخوان المسلمين دعوة عامة لا تنتسب الى طائفة خاصة ، ولا تنحاز إلى رأي عرف عند الناس بلون خاص ومستلزمات وتوابع خاصة ، وهي تتوجه الى صميم الدين ولبه ، ونود ان تتوحد وجهة الانظار والهمم حتى يكون العمل أجدى والانتاج أعظم واكبر ، فدعوة الاخوان دعوة بيضاء نقية غير ملوثة بلون ، وهي مع الحق أينما كان تحب الاجماع وتكره الشذوذ وان أعظم ما مني به المسلمون الفرقة والخلاف واساس ما انتصروا به الحب والوحدة ، ولن يصلح آخر هذه الامة إلا بما

صلح به أولها ؛ هذه قاعدة أساسية وهدف معلوم لكل أخ مسلم ، وعقيدة راسخة في نفوسنا ؛ نصدر عنها وندعو اليها .

الخلاف ضروري

ونحن مع هذا نعتقد أن الخلاف في فروع الدين أمر لا بد منه ضرورة ، ولا يمكن أن نتحد في هذه الفروع والآراء والمذاهب لأسباب عدة: منها اختلاف العقول في قوة الاستنباط أو ضعفه وإدراك الدلائل والجهل بها والغوص على أعماق المعاني وارتباط الحقائق بعضها ببعض ، والدين آيات وأحاديث ونصوص يفسرها العقل والرأي في حدود اللغة وقوانينها ، والناس في ذلك جد متفاوتين فلا بد من خلاف . ومنها سعة العلم وضيقه . وان هذا بلغه ما لم يبلغ ذاك والآخر شأنه كذلك وقد قال مالك لأبي جعفر إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرقوا في الأمصار وعند كل قوم علم فإذا حملتهم على رأي واحد تكون فتنة . ومنها اختلاف البيئات حتى ان التطبيق ليختلف باختلاف كل بيئة وإنك لترى الإمام الشافعي رضي الله عنه يفتي بالقديم في العراق ويفتي بالجديد في مصر ، وهو في كليهما آخذ بما استبان له وما اتضح عنده لا يعدو أن يتحرى الحق في كليهما ، ومنها اختلاف الاطمئنان القلبي إلى الرواية عند التلقين لها فبينا نجد هذا الراوي ثقة عند هذا الإمام تطمئن إليه

نفسك وتطيب بالأخذ عنه تراه مجروحا عند غيره لما علم عن حاله ، ومنها اختلاف تقدير الدلالات فهذا يعتبر عمل الناس مقدما على خبر الآحاد مثلا وذاك لا يقول معه به وهكذا .

الاجماع على امر فرعي متعذر

كل هذه أسباب جعلتنا نعتقد أن الإجماع على أمر واحد في فروع الدين مطلب مستحيـــل ، بل هو يتنافى مع طبيعة الدين ، وإنما يريد الله لهذا الدين أن يبقى ويخلد ويساير العصور ويماشي الأزمان ، وهو لهذا سهل مرن هين لين لا جمود فيه ولا تشديد .

نعتذر لمخالفتنـــا

نعتقد هذا فنلتمس العذر كل العذر لمن يخالفوننا في بعض الفرعيات ، ونرى أن هذا الخلاف لا يكون أبداً حائلا دون ارتباط القلوب وتبادل الحب والتعاون على الخير ، وأن يشملنا وإياهم معنى الإسلام السابغ بأفضل حدوده وأوسع مشتملاته ؛ ألسنا مسلمـــين وهم كذلك ؟ وألسنا نحب أن ننزل على حكم اطمئنان نفوسنا وهم يحبون ذلك ؟ وألسنا مطالبين بأن نحب لإخواننا ما نحب لأنفسنا ؟ ففيم الخلاف إذن ؟ ولماذا لا يكون رأينا مجالا للنظر عندهم كرأيهم عندنا ؟ ولماذا لا نتفاهم في جو الصفاء والحب إذا كان هناك ما يدعو إلى التفاهم ؟ .

هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخالف

بعضهم بعضا في الافتاء ، فهل أوقع ذلــك اختلافا بينهم في القلوب ؟ وهل فرق وحدتهم أو فرق رابطتهم ؟ اللهم لا وما حديث صلاة العصر في قريظة ببعيد .

وإذا كان هؤلاء قد اختلفوا وهم أقرب الناس عهداً بالنبوة وأعرفهم بقرائن الأحـكام فما بالنا نتناحر في خلافات تافهـة لا خطر لها ؟ وإذا كان الأئمة وهم أعلم الناس بكتاب الله وسنة رسوله قد اختلف بعضهم على بعض وناظـر بعضهم بعضا فلم لا يسعنا ما وسعهم ؟ وإذا كان الخلاف قد وقع في أشهر المسائل الفرعية وأوضحها كالأذان الذي ينادى به خمس مرات في اليوم الواحد ووردت به النصوص والآثار فما بالك في دقائق المسائل التي مرجعها إلى الرأي والاستنباط .

وثم أمر آخر جدير بالنظر ، إن الناس كانوا إذا اختلفوا رجعوا إلى (الخليفـة) وشرطة الإمامـة فيقضي بينهم ويرفع حكمه الخلاف ، أما الآن فأين الخليفة ؟ وإذا كان الأمر كذلك فأولى بالمسلمين أن يبحثوا عن القاضي ثم يعرضوا قضيتهم عليه فإن اختلافهم من غير مرجع لا يردهم إلا الى خلاف آخر .

يعلم الاخوان المسلمون كل هذه الحيثيات ، فهم لهذا أوسع الناس صدرا مع مخالفيهم ، ويرون أن مع كل قوم علما وفي كل دعوة حقا وباطلا ، فهم يتحرون الحق ويأخذون به ويحاولون في هوادة ورفق إقناع المخالفين بوجهة نظرهم ، فإن اقتنعوا فذاك وإن لم يقتنعوا فإخوان في الدين نسأل الله لنا ولهم الهداية .

حاربوا المنكر

ويعلم الاخوان المسلمون أن هناك ناحية اجتماعية هي أخطر النواحي على كيان هذا الدين ، فحبذا لو وجهت جهود الدعاة من المسلمين إلى جمع النـاس حول محاربة هذه النواحي الخطرة التي تهدد الدين من أساسه والتي نحن جميعاً مجمعون على استنـكارها ووجوب العمل لازالتها . ذلك منهاج الاخوان المسلـمين أمام مخالفيهم في المسائل الفرعية في دين الله ، يمكن أن أجمله لك في أن الاخوان (يجيزون الخلاف ويكرهون التعصب للرأي ويحاولون الوصول إلى الحق ويحملون الناس على ذلك بألطف وسائل اللين والحب) .

إلى العلاج

تشخيص

يا أخي : اعلم وتعلم أن مثل الأمم في قوتها وضعفها وشبابها وشيخوختها وصحتها وسقمها مثل الأفراد سواء بسواء ، فالفرد بينما تراه قوياً معافى صحيحاً سلـيما إذا بك تراه وقد انتابته العلل وأحاطت به الأسقام وهدت من بنيته القوية الأمراض والآلام ولا يزال يشكو ويئن حتى تتداركه رحمة الله تبارك

وتعالى بطبيب ماهر ونطاسي بارع يعلم موطـــن العلة ويحسن تشخيصها ويتعرف موضع الداء ويخلص في علاجه ، فإذا بك بعد حين ترى هذا المريض وقد عادت إليـه قوته ورجعت له صحته ، ربما كان بعد هذا العلاج خيراً منه قبله. قل مثل ذلك في الأمم تماماً تعترضها حوادث الزمن بما يهدد كيانها ويصدع بنيانها ويسري في مظـــاهر قوتها بـ ــئة الداء ، ولا يزال يلح عليها ويتشبث بها حتى ينال منها فتبدو هزيلة ضعيفة يطمع فيها الطامعون وينال منها الغاصبـــون ، فلا تقوى على رد غاصب ولا تمنع من مطامح طامح ، وعلاجها إنمـا يكون بأمور ثلاثة : -

معرفة موطن الداء ، والصبر على آلام العلاج ، والنطاسي الذي يتولى ذلـك حتى يحقق الله على يديه الغاية ويتمم الشفاء والظفر .

الأعراض

وقد علمتنا التجارب وعرفتنا الحوادث أن داء هذه الأمم الشرقية متشعب المناحي كثير الأعراض قد نال من كل مظاهر حياتها ، فهي مصابة في ناحيتها السياسية بالاستعمار من جانب أعدائها ، والحزبية والخصومـــة والفرقة والشتات من جانب أبنائها ، وفي ناحيتها الاقتصادية بانتشار الربا بين كل طبقاتها واستيلاء الشركات الأجنبية على مواردها وخيراتها، ومن ناحيتها الفكرية بالفوضى والمروق والإلحاد يهدم عقائدها ويحطم المثل

العليا في نفوس أبنائها ، وفي ناحيتها الاجتماعيـــة بالإباحية في عاداتها وأخلاقها والتحلل من عقدة الفضائل الانسانيـــة التي ورثتها عن الغر الميامين من أسلافها وبالتقليد الغربي يسري في شؤونها سريان لعـاب الأفاعي فيسمم دماءها ويعكـر صفو هنائها ، وبالقوانـــين الوضعية التي لا تزجر مجرما ولا تؤدب معتديا ولا ترد ظالما ، ولا تغني يوما من الأيام غناء القوانـــين السماوية التي وضعها خالق الخلق ومالك الملك ورب النفوس وبارئها ، وبفوضى في سياسة التعليم والتربية تحول دون التوجيه الصحيح لنشئها ورجال مستقبلها وحملة أمانة النهوض بها . وفي ناحيتها النفسانية بيأس قاتل وخمول مميت وجبن فاضح وذلة حقيرة وخنوثة فاشية وشح وأنانية تكف الأيدي عن البذل وتقف حجابا دون التضحية وتخرج الأمة من صفوف المجاهدين إلى اللاهين اللاعبين ، وماذا يرجى من أمة اجتمعت على غزوها كل هذه العوامل بأقوى مظاهرها وأشد أعراضها الاستعمار والحزبية ، والربا والشركات الأجنبية ، والإلحـاد والإباحية وفوضى التعليم، والتشريـع ، واليأس والشح، والخنوثة والجبن، والاعجاب بالخصم ، إعجاباً يدعو إلى تقليـده في كل ما صدر عنه وبخاصة من سيئات أعماله . إن داء واحداً من هذه الأدواء يكفي لقتل أمم متظاهرة فكيف وقد تفشت جميعاً في كل أمة على حدة ؟ لولا مناعة وحصانة وجلادة وشدة في هذه الأمم الشرقية التي جاذبها خصومها حبل العداء من بعيد ، ودأبوا على تلقيحها بجراثيم هذه الأمراض زمناً طويلاحتى باضت وأفرخت،

لولا ذلك لعفت آثارها ولبادت من الوجود . ولكن يأبى الله ذلك والمؤمنون .

يا أخي : هذا هو التشخيص الذي يلمسه الاخوان في أمراض هذه الأمة ، وهذا هو الذي يعملون في سبيل أن يبرئها منه ويعيد إليها ما فقدت من صحة وشباب .

أمــل وشعور

وأحب أن تعلم يا أخي قبل أن أتحدث لك عن هذه الوسيلة أننا لسنا يائسين من أنفسنا ، وأننا نأمل خيراً كثيراً ونعتقد أنه لا يحول بيننا وبين النجاح إلا هذا اليأس ، فإذا قوي الأمل في نفوسنا فسنصل إلى خير كثير إن شاء الله ، لهذا نحن لسنا يائسين ولا يتطرق اليأس إلى قلوبنا والحمد لله .

وكل ما حولنا يبشر بالأمل رغم تشاؤم المتشائمين ، إنك إذا دخلت على مريض فوجدته تدرج من كلام إلى صمت ومن حركة إلى سكون شعرت بقرب نهايته وعسر شفائه واستفحال دائه ، فإذا انعكس الأمر وأخذ يتدرج من صمت إلى كلام ومن همود إلى حركة شعرت بقرب شفائه وتقدمه في طريق الصحة والعافية ، ولقد أتى على هذه الأمم الشرقية حين من الدهر جمدت فيه حتى ملها الجمود وسكنت حتى أعياها السكون ، ولكنها الآن تغلي غلياناً بيقظة شاملة في كل مناحي الحياة ، وتضطرم اضطراماً بالمشاعر الحية القوية والأحاسيس العنيفة ، ولو لا ثقل القيود من

نجهة والفوضى في التوجيه من جهـــة أخرى لكان لهذه اليقظة أروع الآثار ، ولن تظل هذه القيود قيوداً أبد الدهر فإنما الدهر قلب ، وما بين طرفة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال ، ولن يظل الحائر حائراً ، فإنما بعد الحيرة هدى وبعد الفوضى استقرار ، ولله الأمر من قبل ومن بعد . لهـــذا لسنا يائسين أبداً ، وآيات الله تبارك وتعالى وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم وسنته تعالى في تربية الأمم وإنهاض الشعوب بعد أن تشرف على الفناء ، وما قصه علينا من ذلك في كتابه ، كل ذلك ينادينا بالأمل الواســـع ، ويرشدنا إلى طريق النهوض الصحيح ولقد علم المسلمون – لو يتعلمون – .

وإنك لتقرأ الاية الكريمة في أول سورة القصص : « طسم ، تلك آيات الكتاب المبين ، نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ، إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين ، ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون » تقرأ هذه الآية الكريمة فترى كيف يطغى الباطل في صولته ويعتز بقوته، ويطمئن إلى جبروته ويغفل عن عين الحق التي ترقبه ، حتى إذا فرح بما أوتي أخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، وأبت إرادة الله إلا أن تنتصر للمظلومين وتأخذ بناصر المهضومين المستضعفين فإذا

الباطل منهار من أساسه ، وإذا الحق قائم البنيان متين الأركان وإذا أهله هم الغالبون ، وليس بعد هذه الآية الكريمة وأمثالها من آيات الكتاب المحكم عذر في اليأس والقنوط لأمة من أمم الإسلام تؤمن بالله ورسوله وكتابه فمتى يتفقه المسلمون في كتاب الله .

لمثل هذا يا أخي وهو كثير في دين الله لم ييأس الإخوان المسلمون من أن ينزل نصر الله على هذه الأمم رغم ما يبدو أمامها من عقبات ، وعلى ضوء هذا الأمل يعملون عمل الآمل الجد والله المستعان .

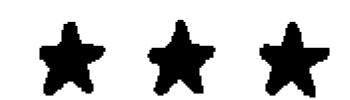
أما الوسيلة التي وعدتك الكلام عليها فهي أركان ثلاثة تدور عليها فكرة الإخوان :

أولاً – المنهاج الصحيح – وقد وجده الاخوان في كتاب الله وسنة رسوله وأحكام الاسلام حين يفهمها المسلمون على وجهها غضة نقية بعيدة عن الدخائل والمفتريات فعكفوا على دراسة الاسلام على هذا الأساس دراسة سهلة واسعة مستوعبة . وثانيها – العاملون المؤمنون – ولهذا أخذ الاخوان أنفسهم بتطبيق ما فهموه من دين الله تطبيقا لا هوادة فيه ولا لين ، وهم بحمد الله مؤمنون بفكرتهم مطمئنون إلى غايتهم واثقون بتأييد الله إياهم ما داموا له وعلى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسيرون .

وثالثها – القيادة الحازمة الموثوق بها ، وقد وجدها

الاخوان المسلمون كذلــك ، فهم لها مطيعون وتحت لوائها يعملون .

ذلك يا أخي بمجمل ما أردت أن أتحدث إليك به عن دعوتنا وهو تعبير له تعبير ، وأنت يوسف هذه الأحلام ، فإذا راقك ما نحن عليه فيدك مع أيدينا لنعمل سوياً في هذا السبيل ، والله ولي توفيقنا وتوفيقك وهو حسبنا ونعم الوكيل فنعم المولى ونعم النصير . والله أكــبر ولله الحمد .



٢ ــ إلى أي شيء ندعو الناس

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

قد تتحدث الى كثير من الناس في موضوعات مختلفة فتعتقد أنك قد أوضحت كل الإيضاح وأبنت كل الإبانة ، وانك لم تدع سبيلاً الى الكشف عما في نفسك إلا سلكتها حتى تركت من تحدثهم على الحجة البيضاء وجعلت لهم ما تريد بحديثك من الحقائق كفلق الصبح أو كالشمس في رائعة النهار كما يقولون ، وما أشد دهشتك بعد قليل حين ينكشف لك ان القوم لم يفهموا عنك ؛ ولم يدركوا قولك .

رأيت ذلك مرات ولمسته في عدة مواقف ، وأعتقد أن السر فيه لا يعدو أحد أمرين : إما ان الذي يقيس به كل منا ما يقول وما يسمع مختلف فيختلف تبعاً لذلك الفهم والإدراك ، وإما ان يكون القول في ذاته ملتبسا غامضا وإن اعتقد قائله أنه واضح مكشوف .

المقياس

وأنا اريد في هذه الكلمة ان اكشف للناس عن دعوة الإخوان المسلمين وغايتها ومقاصدها وأساليبها ووسائلها في

صراحة ووضوح وفي بيان وجلاء،وأحب أولاً أن أحددالمقياس الذي نقيس به هذا التوضيح ، وسأجتهد في ان يكون القول سهلاً ميسوراً ؛ لا يتعذر فهمه على قارىء يحب ان يستفيد ، وأظن ان احداً من الأمة الاسلامية جميعاً لا يخالفني في ان يكون هذا المقياس « كتاب الله » نستقي من فيضه ونستمد من بحره ونرجع إلى حكمه .

يا قومنا

إن القرآن الكريم كتاب جامع جمع الله فيه أصول العقائد وأسس المصالح الاجتماعية ، وكليات الشرائع الدنيوية فيه أوامر وفيه نواه ، فهل عمل المسلمون بما في القرآن فاعتقدوا وأيقنوا بما ذكر الله من المعتقدات ، وفهموا ما أوضح لهم من الغايات !وهل طبقوا شرائعه الاجتماعية والحيوية على تصرفاتهم في شئون حياتهم؟ إن انتهينا من بحثنا أنهم كذلك فقد وصلنا معاً الى الغاية ، وإن تكشف البحث عن بعدهم عن طريق القرآن وإهمالهم لتعاليمه وأوامره فاعلم ان مهمتنا ان نعود بأنفسنا وبمن تبعنا الى هذا السبيل .

غاية الحياة في القرآن

إن القرآن حدد غايات الحياة ومقاصد الناس فيها ، فبين أن قوماً همهم من الحياة الأكل والمتعة ؛ فقال تبارك وتعالى :

« والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار

مثوى لهم » .

وبين ان قوماً آخرين مهمتهم الزينة والعرض الزائل فقال تبارك وتعالى :

« زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » .

وبين ان قوماً آخرين شأنهم في الحياة إيقاد الفتن وإحياء الشرور والمفاسد أولئك الذين قال الله فيهم :

« ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ، وإذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد » .

تلك مقاصد من مقاصد الناس في الحياة نزه الله المؤمنين عنها وبرأهم منها وكلفهم مهمة أرقى ، وألقى على عاتقهم واجباً اسمى ذلك الواجب هو : « هداية البشر الى الحق ، وإرشاد الناس جميعاً الى الخير ، وإنارة العالم كله بشمس الاسلام » فذلك قوله تبارك وتعالى :

« يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ؛ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس : فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير » .

ومعنى هذا ان القرآن الكريم يقيم المسلمين اوصياء على البشرية القاصرة ، ويعطيهم حق الهيمنة والسيادة على الدنيا لخدمة هذه الوصاية النبيلة ، وإذن فذلك من شأننا لا من شأن الغرب ولمدنية الاسلام لا لمدنية المادة .

وصاية المسلم تضحية لا استفادة

ثم بين الله تبارك وتعالى ان المؤمن في سبيل هذه الغاية قد باع لله نفسه وماله فليس له فيها شيء ، وإنما هي وقف على نجاح هذه الدعوة وإيصالها الى قلوب الناس وذلك قوله تعالى :

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » .

ومن ذلك نرى أن المسلم يجعل دنياه وقفاً على دعوته ليكسب آخرته جزاء تضحيته ؛ ومن هنا كان الفاتح المسلم أستاذاً يتصف بكل ما يجب ان يتحلى به الاستاذ من نور وهداية ورحمة ورأفة ، وكان الفتح الاسلامي فتح تمدين وتحضير وإرشاد وتعليم ، وأين هذا مما يقوم به الاستعمار الغربي الآن ؟

اين المسلمون من هذه الغاية

فبربك يا عزيزي هل فهم المسلمون من كتاب ربهم هذا المعنى فسمت نفوسهم ورقت أرواحهم ، وتحرروا من رق المادة . وتطهروا من لذة الشهوات والأهواء ، وترفعوا عن سفاسف الأمور ودنايا المقاصد ، ووجهوا وجوههم لله الذي فطر السموات

والارض حنفاء يعلون كلمة الله ويجاهدون في سبيله ؛ وينشرون دينه ويذودون عن حياض شريعته، أم هم هؤلاء اسرى الشهوات وعبيد الأهواء والمطامع ، كل همهم لقمة لينة ومركب فاره وحلة جميلة ، ونومة مريحة ، وامرأة وضيئة ، ومظهر كاذب ولقب أجوف ؟

رضوا بالأماني ، وابتلوا بحظوظهم
وخاضوا بحار الجد دعوى فما ابتلوا

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم ، تعس عبد القطيفة » .

الغاية اصل والأعمال فروع لها

ولما كانت الغاية هي التي تدفع الى الطريق وكانت الغاية في أمتنا غامضة مضطربة كان لا بد من ان نوضح ونحدد ، وأظننا وصلنا إلى كثير من التوضيح، واتفقنا على ان مهمتنا سيادة الدنيا وإرشاد الانسانية كلها الى نظم الاسلام الصالحة وتعاليمه التي لا يمكن بغيرها ان يسعد الناس .

مصادر غايتنا

تلك هي الرسالة التي يريد الاخوان المسلمون أن يبلغوها للناس وأن تفهمها الأمة الاسلامية حق الفهم ، وتهب لانقاذها في عزم وفي مضاء ، لم يبتدعها الاخوان المسلمون ابتداعاً ، ولم

يختلقوها من أنفسهم ، وإنما هي الرسالة التي تتجلى في كل آية من آيات القرآن الكريم ، وتبدو في غاية الجلاء والوضوح في كل حديث من أحاديث الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم وتظهر في كل عمل من أعمال الصدر الأول الذين هم المثل الأعلى لفهم الاسلام وإنقاذ تعاليم الاسلام ، فإن شاء المسلمون أن يقبلوا هذه الرسالة كان ذلك دليل الايمان والاسلام الصحيح ، وإن رأوا فيها حرجاً أو غضاضة فبيننا وبينهم كتاب الله تبارك وتعالى ، حكم عدل وقول فصل يحكم بيننا وبين إخواننا ويظهر الحق لنا أو علينا :

« ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين »

استطـــراد

يتساءل كثير من إخواننا الذين أحببناهم من كل قلوبنـــا ، ووقفنا لخيرهم والعمل لمصلحتهم الدنيويـــة والأخروية جهودنا وأموالنا وأرواحنا ، وفنينا في هذه الغاية : غاية إسعاد أمتنا وإخواننا عن أموالنا وأنفسنا ، وذهلنا في سبيلهم عن أبنائنا والحلائل ؛ وكم أتمنى أن يطلع هؤلاء الاخوان المتسائلون على شباب الاخوان المسلمين وقد سهرت عيونهم والنـــاس نيام ؛ وشغلت نفوسهم والخليون هجع ، وأكب أحدهم على مكتبه من العصر إلى منتصف الليل عاملاً مجتهداً ومفكراً مجداً ، ولا يزال

كذلك طول شهره حتى إذا ما انتهى الشهر جعل مورده مورداً لجماعته ، ونفقته نفقة لدعوته ، وماله خادماً لغايته ، ولسان حاله يقول لبني قومه الغافلين عن تضحيته لا أسألكم عليه أجراً إن أجري إلا على الله . ومعاذ الله أن نمن على أمتنا فنحن منها ولها وإنما نتوسل إليها بهذه التضحية أن تفقه دعوتنا وتستجيب لندائنا .

من اين المال ؟

يتساءل هؤلاء الاخوان المحبوبون الذين يرمقون الاخوان المسلمين على بعد ويرقبونهم عن كثب قائلين : من أين ينفقون ؟ وأنى لهم المال اللازم لدعوة نجحت وازدهرت كدعوتهم والوقت عصيب والنفوس شحيحة ؟ وإني أجيب هؤلاء بأن الدعوات الدينية عمادها الإيمان قبل المال ، والعقيـــدة قبل الأعراض الزائلة ، وإذا وجد المؤمن الصحيح وجدت معه وسائل النجاح جميعاً ، وإن في مال الإخوان المسلمين القليل الذي يقتطعونه من نفقاتهم ويقتصدونه من ضرورياتهم ومطالب بيوتهم وأولادهم ، ويجودون به طيبة نفوسهم سخية به قلوبهم ، يود أحدهم لو كان له أضعاف أضعافه فينفقه في سبيل الله فإذا لم يجد بعضهم شيئاً تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون ، في هذا المال القليل والإيمان الكبير « ولله الحمد والعزة ، بلاغ لقوم عابدين ونجاح للعاملين الصادقين ، وإن الله الذي بيده كل شيء ليبارك في القرش الواحد من قروش الإخوان و « يمحق الله الربا

ويربي الصدقات » .

« وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون » .

نحن والسياسة

ويقول قوم آخرون إن الإخوان المسلمين قوم سياسيون ودعوتهم دعوة سياسية ، ولهم من وراء ذلك مآرب أخرى ، ولا ندري إلى متى تتقارض أمتنا التهم وتتبادل الظنون وتتنابز بالألقاب ، وتترك يقينا يؤيده الواقع في سبيل ظن توحيه الشكوك ؟ .

يا قومنا إننا نناديكم والقرآن في يميننا والسنة في شمالنا وعمل السلف الصالحين من أبناء هذه الأمة قدوتنا ، وندعوكم الى الاسلام وتعاليم الاسلام وأحكام الاسلام وهدى الاسلام فان كان هذا من السياسة عندكم فهذه سياستنا وإن كان من يدعوكم الى هذه المبادىء سياسياً فنحن أعرق الناس والحمد لله في السياسة وإن شئتم أن تسموا ذلك سياسة فقولوا ما شئتم فلن تضرنا الأسماء متى وضحت المسميات وانكشفت الغايات .

يا قومنا لا تحجبكم الألفاظ عن الحقائق ، ولا الأسماء عن الغايات ، ولا الأعراض عن الجواهر ، وإن للإسلام اسياسة في طيها سعادة الدنيا وصلاح الآخرة ؛ وتلك هي سياستنا لا نبغي بها بديلا فسوسوا بها أنفسكم ، واحملوا عليها غيركم تظفروا بالعزة الأخروية ، ولتعلمن نبأه بعد حين .

قوميتنا وعلى اي اساس ترتكز

أيها الأخ : تعال نصغ معاً إلى صوت العزة الإلهية يدوي في أجواء الآفاق ، ويملأ الأرض والسبع الطباق ، ويوحي في نفس كل مؤمن أسمى معاني العزة والفخار ، حين يسمع هذا النداء الذي تستمع له السموات والأرض ومن فيهن من لدن بلغه الأمين إلى هذا الوجود ، إلى حيث لا نهاية إذ كتب له الخلود :

« الله ولي الذين آمنوا » .

أجل أجل يا أخي : هذا نداء ربك اليك . فلبيك اللهم لبيك .وحمداً وشكراً لك لا نحصي ثناء عليك ، أنت أنت ولي المؤمنين ونصير العاملين والمدافع عن المظلومين الذين حوربوا في بيوتهم وأخرجوا من ديارهم ، عز من لجأ اليك وانتصر من احتمى بحماك .

« ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوي عزيز » .

أجل أجل يا أخي : تعال نستمع معاً الى صوت القرآن الكريم ، ونطرب بتلاوة الآيات البينات ، ونسجل جمال هذه العزة في صحائف ذلكم الكتاب المطهر .

إليّ إليّ يا اخي واسمع قول الله تبارك وتعالى :

١ – « الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور». سورة البقرة .

٢ – « بل الله مولاكم وهو خير الناصرين » . سورة آل عمران .

٣ — « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » . سورة المائدة .

٤ — « إن ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين » سورة الاعراف .

٥ « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون » سورة التوبة .

٦ —« ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون » سورة يونس .

٧ — « ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم » سورة محمد صلى الله عليه وسلم .

ألست ترى في هذه الآيات البينات ان الله تبارك وتعالى ينسبك الى نفسه ويمنحك فضل ولايته ويفيض عليك من فيض عزته ! .

« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون ».

وفي الحديث الشريف الذي يرويه المختار صلى الله عليه وسلم عن ربه ما معناه : « يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة يا بني آدم جعلت نسبا وجعلتم نسبا فقلتم فلان ابن فلان ، وقلت : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » فاليوم أرفع نسبي وأضع نسبكم » .

لهذا أيها الأخ الكريم فضل السلف الصالح أن يرفعوا نسبتهم الى الله تبارك وتعالى ، ويجعلوا أساس صلاتهم ومحور أعمالهم

تحقيق هذه النسبة الشريفة فينادي أحدهم صاحبه :

لا تدعني إلا بيا عبدها   فإنه أشرف أسمائي

في حين يجيب الآخر من سأله عن أبيه أتميمي هو أم قيسي :

ابي الإسلام لا أب لي سواه   إذا افتخروا بقيس أو تميم

ليس بعد ذلك عزة

أيها الأخ العزيز . إن الناس إنما يفخرون بأنسابهم لما يأنسون من المجد والشرف في أعمال جدودهم ، ولما يقصدون اليه من نفخ روح العزة والكرامة في نفوس أبنائهم ، ليس وراء هذين المقصدين شيء ، أفلا ترى ان في نسبتك الى الله تبارك وتعالى أسمى ما يطمح اليه الطامحون من معاني العزة والمجد : « فإن العزة لله جميعاً » وأولى ما يرفع نفسك الى أعلى عليين ، وينفخ فيها روح النهوض مع العاملين ، وأي شرف اكبر وأي رافع الى الفضيلة أعظم من أن ترى نفسك ربانيا ، بالله صلتك وإليه نسبتك ، ولأمر ما قال الله تبارك وتعالى :

« ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون » .

اعظم مصادر القوة

وفي النسبة الى الحق تبارك وتعالى معنى آخر يدركه من التحقق بهذه النسبة . ذلك هو الفيض الأعم من الايمان ، والثقة بالنجح الذي يغمر قلبك ويملأ نفسك فلا تخشى الناس جميعاً ولا

ترهب العالم كله إن وقف أمامك يحاول أن ينال عقيدتك أو ينتقص من مبدئك :

« الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » .

ولأمر ما كان الواحد من أولئك القلائل المؤمنين بالله وثقته وتأييده يقف أمام الجحفل اللجب والجيش اللهام فلا يرهب صولته ولا يخشى أذاه لأنه لا يخشى أحداً إلا الله وأي شيء أعظم من تلك القوة التي تنسكب في قلب الرجل المؤمن حين يجيش صدره بقول الله تعالى :

« إن ينصركم الله فلا غالب لكم » .

قوميتنا نسبة عالمية

وهناك معنى من معاني السمو الاجتماعي في انتساب الناس إلى الله تبارك وتعالى ، ذلك هو تآخي الشعوب وتآزر الجماعات والقضاء على تلك المطامع التي توحي بها العصبية ويؤرث نيرانها بين الأمم التقاطع والتناكر ، فمن للعالم بأن يجتمع بقوة حول راية الله ... ؟

احلام الأمس حقائق اليوم

هذا كلام طال عهد المسلمين باستماعه فقد يكون غامضاً عليهم غير مفهوم لديهم .

وقد يقول قائل : ما لهؤلاء الجماعة يكتبون في هذه المعاني

التي لا يمكن ان تتحقق ، وما بالهم يسبحون في جو من الخيال والأحلام ؟

على رسلكم أيها الإخوان في الاسلام والملة ، فإن ما ترونه اليوم غامضاً بعيداً كان عند أسلافكم بدهياً قريباً ، ولن يثمر جهادكم حتى يكون كذلك عندكم ، وصدقوني ان المسلمين الأولين فهموا من القرآن الكريم لأول ما قرأوه نزل فيهم ما ندلي به اليوم إليكم ونقصه عليكم .

وأصارحكم بأن عقيدة الاخوان المسلمين يحيون بها ويأملون الخير فيها ويموتون عليها ، ويرون فيها كل ما تصبو اليه نفوسهم من متعة وجمال وإسعاد وحق : « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون » .

أيها الإخوان . إذا اتفقتم معنا على هذا الأساس فاعلموا أن انتسابكم الى الله تبارك وتعالى يفرض عليكم ان تقدروا المهمة التي ألقاها على عاتقكم، وتنشطوا للعمل لها والتضحية في سبيلها ، فهل أنتم فاعلون ؟ .

مهمة المسلم

ان مهمة المسلم الحق لخصها الله تبارك وتعالى في آية واحدة من كتابه ورددها القرآن الكريم بعد ذلك في عدة آيات ، فأما تلك الآية التي اشتملت على مهمة المسلمين في الحياة فهي قول الله

تبارك وتعالى :

« يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ، وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس ، فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم ، فنعم المولى ونعم النصير » .

هذا كلام بين لا لبس فيه ولا غموض ، ووالله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة ، وإنه لواضح كالصبح ظاهر كالنور ، يملأ الآذان ويدخل على القلوب بغير استئذان ، أفلم يسمعه المسلمون قبل الآن ؟ أم سمعوه ولكن على قلوبهم أقفالا فلا تعي ولا تتدبر ؟

يأمر الله المسلمين أن يركعوا ويسجدوا وأن يقيموا الصلاة التي هي لب العبادة وعمود الأسلام وأظهر مظاهره ، وأن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً ، وأن يفعلوا الخير ما استطاعوا وهو حين يأمرهم بفعل الخير ينهاهم بذلك عن الشر ، وإن من أول الخير ان تترك الشر ، فما أوجز وما أبلغ ! ورتب لهم على ذلك النجاح والفلاح والفوز وتلك هي المهمة الفردية لكل مسلم التي يجب عليه أن يقوم بها بنفسه في خلوة أو جماعة .

حق الانسانية

ثم أمرهم بعد ذلك أن يجاهدوا في الله حق جهاده بنشر هذه الدعوة وتعميمها بين الناس بالحجة والبرهان ، فإن أبوا إلا العسف والجور والتمرد فبالسيف والسنان :

والناس إن ظلموا البرهان واعتسفوا
فالحرب أجدى على الدنيا من السلم

حراسة الحق بالقوة

وما أحكم ذلك القائل : «القوة أضمن طريق لإحقاق الحق، وما أجمل أن تسير القوة والحق جنباً إلى جنب » ، فهذا الجهاد في سبيل نشر الدعوة الإسلامية فضلا عن الاحتفاظ بمقدسات الإسلام فريضة أخرى فرضها الله على المسلمين كما فرض عليهم الصوم والصلاة والحج والزكاة وفعل الخير وترك الشر ، وألزمهم إياها وندبهم إليها ، ولم يعذر في ذلك أحداً فيه قوة واستطاعة ، وإنها لآية زاجرة رادعة وموعظة بالغة زاجرة :

« أنفروا خفافاً وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله » .

وقد كشف الله عن سر هذا التكليف وحكمة هذه الفريضة التي افترضها على المسلمين بعد هذا الأمر ، فبين لهم أنه اجتباهم واختارهم واصطفاهم دون الناس ليكونوا سواس خلقه وأمناءه على شريعته وخلفاءه في أرضه ، وورثة رسوله صلى الله عليه وسلم في دعوته ، ومهد لهم الدين وأحكم التشريع وسهل

الأحكام وجعلها من الصلاحية لكل زمان ومكان بحيث يتقبلها العالم وترى فيها الإنسانية أمنيتها المرجوة وأملها المنتظر : «هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس » وتلك هي المهمة الاجتماعية التي ندب الله إليها المسلمين جميعاً ، أن يكونوا صفاً واحداً وكتلة وقوة ، وأن يكونوا هم جيش الخلاص الذي ينقذ الإنسانية ويهديها سواء السبيل .

رهبان بالليل وفرسان بالنهار

ثم أوضح الحق تبارك وتعالى للناس بعد ذلك الرابطة بين التكاليف من صلاة وصوم بالتكاليف الاجتماعية وأن الأولى وسيلة للثانية . وأن العقيدة الصحيحة أساسها معاً ، حتى لا يكون لأناس مندوحة من القعود عن فرائضهم الفردية بحجة أنهم يعملون للمجموع ، وحتى لا يكون لآخرين مندوحة من القعود عن العمل للمجموع بحجة أنهم مشغولون بعباداتهم مستغرقون في صلتهم بربهم ، فما أدق وما أحكم « ومن أحسن من الله حديثاً » ؟ .

أيها المسلمون ، عبادة ربكم والجهاد في سبيل التمكين لدينكم وإعزاز شريعتكم هي مهمتكم في الحياة ، فإن أديتموها حق الأداء فأنتم الفائزون ، وإن أديتم بعضها أو أهملتموها جميعاً فإليكم أسوق قول الله تبارك وتعالى : « أفحسبتم انما خلقناكم

عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق » .

لهذا المعنى جاء في أوصاف أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وهم صفوة الله من خلقه والسلف الصالح من عباده : « رهبان بالليل فرسان بالنهار » ترى أحدهم في ليله ماثلا في محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ويقول : « يا دنيا غري غيري » فإذا انفلق الصباح ودوى النفير يدعو المجاهدين ، رأيته رئبالا على صهوة جواده ، يزأر الزأرة فتدوي لها جنبات الميدان .

يا لله ما هذا التناسق العجيب والتزاوج الغريب والمزج الفريد بين عمل الدنيا ومهامها وشؤون الآخرة وروحانيتها ؟ ولكنه الإسلام الذي جمع من كل شيء أحسنه .

استعمار الاستاذية والاصلاح

ولهذا المعنى أيها المسلمون نفر المسلمون - بعد أن اختار نبيه صلى الله عليه وسلم الرفيق الأعلى في أقطار الأرض قرآنه في صدورهم ومساكنهم على سروجهم وسيوفهم بأيديهم حجتهم واضحة على أطراف ألسنتهم يدعون الناس إلى إحدى ثلاث : الإسلام أو الجزية أو القتال فمن أسلم فهو أخوهم له ما لهم وعليه ما عليهم ، ومن أدى الجزية فهو في ذمتهم وعهدهم يقومون بحقه ويرعون عهده ويوفون له بشرطه ، ومن أبى جالدوه حتى يظهرهم الله عليه : « ويأبى الله إلا أن يتم نوره » .

ما فعلوا ذلك لسلطان ،فزهادتهم في الجاه والشهرة معروفة

عند الخاص والعام ؛ ولقد قضى دينهم على تلك المظاهر الزائفة التي يستمتع بها أقوام على حساب آخـــرين ، فكان خليفتهم أحدهم يفرض له من المال والعطاء ما لرجل منهم ليس بأفضلهم ولا أدركهم ، وأمرهم بينهم ، لا تميزه إلا بما أفاض الله عليه من جلال الإيمان وهيبة اليقين ، ولم يكن ذلك لمال ، فحسب أحدهم كسرة يرد بها جوْعته وجرعة يطفىء بها ظمأته ، والصوم لديهم قربه ، والجوع أحب عندهم من الشبع ، وحظ أحدهم من الملبس ما يستر به عورته ، وكتابهم يناديهم بقول الله تعالى :

« والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم » .

ونبيهم يقول لهم : « تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد القطيفة » .

إذن لم يكن مخرجهم من ديارهم لجـاه أو مال أو سلطة أو استعمار أو استبداد ، وإنما كان لأداء رسالة خاصة هي رسالة نبيهم صلى الله عليه وسلم التي تركها أمانة بين أيديهم ، وأمرهم أن يجاهدوا في سبيلها : « حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » .

آن لنا ان نتفهم

كان المسلمون يفهمون هذا قديماً ويعملون له ويحملهم إيمانهم على التضحية في سبيله ، أما في هذه الأيام فقد تفرق المسلمون في فهم مهمتهم واتخذوا من التأويل والتعطيل ســـناداً للقعود

والكسل ، فمن قائل يقول لك : مضى وقت الجهاد والعمل . وآخر يثبط همتك بأن الوسائل معدومة والأمم الإسلامية مقيدة ، وثالث رضي من دينه بكلمات يلوكها لسانه صباح مساء ، وقنع من عبادته بركعات يؤديها وقلبه هواء .

لا لا أيها الإخوان ، القرآن بينكم يناديكم بوضوح وجلاء : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون » .

وأما السنة فيقول لكم الرسول صلى الله عليه وسلم : « إذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة وتبعوا أذناب البقر وتركوا الجهاد في سبيل الله أدخل الله تعالى عليهم ذلا لا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم » رواه الامام أحمد في مسنده ، والطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الايمان عن عبد الله ابن عمر .

وأنتم تقرءون في كتب الفقه ما ألف منها قديماً أو حديثاً متى يكون الجهاد فرض كفاية ومتى يكون فرض عين ، وتعلمون حقائق ذلك ومعناه حق العلم ، فما هذا الخمول الذي ضرب بجرانه ؟ وما هذا اليأس الذي قبض على القلوب فلا تمي ولا تفيق ؟ هذا أيها المسلمون عصر التكوين فكونوا أنفسكم وبذلك تكون امتكم .

إن هذه الفريضة تحتاج منكم نفوساً مؤمنة وقلوباً سليمة ، فاعملوا على تقوية إيمانكم وسلامة صدوركم ، وتحتاج منكم تضحية

بالمال والجهود فاستعدوا لذلك فإن ما عندكم ينفد وما عند الله باق ، وإن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم جنة عرضها السموات والأرض .

من اين نبدأ !

إن تكوين الأمم وتربية الشعوب وتحقيق الآمال ومناصرة المبادىء تحتاج من الأمة التي تحاول هذا أو من الفئة التي تدعو إليه على الأقل إلى قوة نفسية عظيمة تتمثل في عدة امور : إرادة قوية لا يتطرق إليها ضعف ، ووفاء ثابت لا يعدو عليه تلون ولا غدر ، وتضحية عزيزة لا يحول دونها طمع ولا بخل ، ومعرفة بالمبدأ وإيمان به وتقدير له ، يعصم من الخطأ فيه والانحراف عنه والمساومة عليه والخديعة بغيره . على هذه الأركان الأولية التي هي من خصوص النفوس وحدها وعلى هذه القوة الروحية الهائلة تبنى المبادىء وتتربى الأمم الناهضة وتتكون الشعوب الفتية وتتجدد الحياة فيمن حرموا الحياة زمناً طويلاً .

وكل شعب فقد هذه الصفات الأربعة أو على الأقل فقدها قواده ودعاة الاصلاح فيه فهو شعب عابث مسكين ، لا يصل إلى خير ولا يحقق أملا . وحسبه أن يعيش في جو من الأحلام والظنون والأوهام : « إن الظن لا يغني من الحق شيئاً ».

هذا هو قانون الله تبارك وتعالى وسنته في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا :

« إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

وهو أيضاً القانون الذي عبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ومعناه : « يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها . ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن » فقال قائل : أو من قلة نحن يا رسول الله يومئذ ؟ قال :لا إنكم حينئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، فقال قائل :وما الوهن يا رسول الله ؟ قال: « حب الدنيا وكراهية الموت » .

أو لست تراه صلى الله عليه وسلم قد بين أن سبب ضعف الأمم وذلة الشعوب وهن نفوسها وضعف قلوبها وخلاء أفئدتها من الأخلاق الفاضلة وصفات الرجولة الصحيحة ، وإن كثر عددها وزادت خيراتها وثمراتها ؟ .

وإن الأمة إذا رتعت في النعيم وأنست بالترف وغرقت في اعراض المادة وافتتنت بزهرة الحياة الدنيا ونسيت احتمال الشدائد ومقارعة الخطوب والمجاهدة في سبيل الحق ، فقل على عزتها وآمالها العفاء .

بين القوتين

يظن كثير من الناس أن الشرق تعوزه القوة المادية من المال والعتاد ، وآلات الحرب والكفاح لينهض ويسابق الأمم التي سلبت حقه وهضمت أهله . ذلك صحيح ومهم ، ولكن أهم منه

وألزم القوة الروحية من الخلق الفاضل والنفس النبيلة والايمان بالحقوق ومعرفتها والإرادة الماضية.والتضحية في سبيل الواجب والوفاء الذي تنبني عليه الثقة والوحدة ، وعنها تكون القوة .

لو آمن الشرق بحقه وغير من نفسه واعتنى بقوة الروح وعني بتقويم الاخلاق لأتته وسائل القوة المادية من كل جانب ، وعند صحائف التاريخ الخبر اليقين .

يعتقد الاخوان المسلمون هذا تمام الاعتقـــاد ، وهم لهذا دائبون في تطهير أرواحهم وتقوية نفوسهم وتقويم أخلاقهم وهم لهذا يجاهدون بدعوتهم ويريدون الناس على مبـادئهم ويطالبون الأمة بإصلاح النفوس وتقويم الاخلاق .

وهم لم يبتدعوا ذلك ابتداعاً شأنهم في كل مـا يقولون ، ولكنهم يستمدونه من القاموس الأعظم والبحر الخضم والدستور المحكم والمرجع الأعلى ، ذلـكم هو كتاب الله تبارك وتعالى ، وقد سمعت من قبل تلك المادة الخالدة من ذلـكم القانون .

« إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

ولقد كشف القرآن عن هذا المعنى في كثير من آياته ، بـل إنه ضرب لنا مثلاً تطبيقياً خالداً واضحاً كل الوضوح صادقاً كل الصدق في قصة بني إسرائيل ، تلك القصة الرائعـــة التي ترسم لكل أمة يائسة طريق التكوين .

المنهاج واضح

يعتقد الاخوان المسلمون ان الله تبارك وتعالى حين أنزل القرآن وأمر عباده ان يتبعوا محمداً صلى الله عليه وسلم ورضي لهم الاسلام ديناً وضع في هذا الدين القويم كل الاصول اللازمة لحياة الأمم ونهضتها وإسعادها ، وذلك مصداق قول الله تبارك وتعالى :

« الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم » .

و مصداق قول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف ما معناه : «والله ما تركت من شر إلا ونهيتكم عنه».

وأنت إذا أمعنت النظر في تعاليم الاسلام وجدته قد وضع أصح القواعد وأنسب النظم وأدق القوانين لحياة الفرد رجلا وامرأة ، وحياة الأسرة في تكوينها وانحلالها ، وحياة الأمم في نشوئها وقوتها وضعفها وحلل الفكر التي وقف أمامها المصلحون وقادة الأمم .

فالعالمية والقومية والاشتراكية والرأسمالية والناشفية والحرب وتوزيع الثروة ، والصلة بين المنتج والمستهلك ، وما يمت بصلة قريبة أو بعيدة الى هذه البحوث التي تشغل بال ساسة الأمم وفلاسفة الاجتماع ، كل هذه نعتقد ان الاسلام خاض في لبها

ووضع للعالم النظم التي تكفل له الانتفاع بما فيها من محاسن وتجنب ما تستتبعه من خطر وويلات وليس ذلك مقام تفصيل هذا المقال ، فإنما نقول ما نعتقد ونبين للناس ما ندعوهم إليه ، ولنا بعد ذلك جولات نفصل فيها ما نقوله .

لا بد من أن نتبع

وإذا كان الاخوان المسلمون يعتقدون ذلك فهم يطالبون الناس بأن يعملوا على ان تكون قواعد الاسلام هي الأصول التي تبنى عليها نهضة الشرق الحديث في كل شأن من شؤون الحياة ، ويعتقدون أن كل مظهر من مظاهر النهضة الحديثة يتنافى مع قواعد الاسلام ويصطدم بأحكام القرآن فهو تجربة فاسدة فاشلة ، ستخرج منها الأمة بتضحيات كبيرة في غير فائدة ، فخير للأمم التي تريد النهوض أن تسلك إليه أخصر الطريق باتباعها أحكام الاسلام .

والاخوان المسلمون لا يختصون بهذه الدعوة قطراً دون قطر من الأقطار الاسلامية . ولكنهم يرسلونها صيحة يرجون أن تصل إلى آذان القادة والزعماء في كل قطر يدين ابناؤه بدين الاسلام . وإنهم لينتهزون لذلك هذه الفرصة التي تتحد فيها الأقطار الاسلامية وتحاول بناء مستقبلها على دعائم ثابتة من أصول الرقي والتقدم والعمران .

احذروا الانحراف

وإن أكبر ما يخشاه الإخوان المسلمون أن تندفع الشعوب

الشرقية الإسلامية في تيار التقليد فترفع نهضاتها بتلك النظم البالية التي انتقضت على نفسها وأثبتت التجربة فسادها وعدم صلاحيتها . إن لكل أمة من أمم الإسلام دستوراً عاماً فيجب أن تستمد موارد دستورها العام من أحكام القرآن الكريم ، وإن الأمة التي تقول في أول مادة من مواد دستورها : إن دينها الرسمي الإسلام ، يجب أن تضع بقية المواد على أساس هذه القاعدة ، وكل مادة لا يسيغها الإسلام ولا تجيزها الأحكام يجب أن تحذف حتى لا يظهر التناقض في القانون الأساسي للدولة .

أصلحوا القانون

وإن لكل أمة قانوناً يتحاكم إليه أبناؤها ، وهذا القانون يجب أن يكون مستمداً من أحكام الشريعة الإسلامية مأخوذاً عن القرآن الكريم متفقاً مع أصول الفقه الاسلامي وإن في الشريعة الاسلامية وفيما وضعه المشترعون المسلمون ما يسد الثغرة ويفي بالحاجة وينقع الغلة ، ويؤدي إلى أفضل النتائج وأبرك الثمرات . وإن في حدود الله لو نفذت لزاجراً يردع المجرم وإن اعتاد الإجرام ، ويكف العادي وإن تأصل في نفسه العدوان ، ويريح الحكومات من عناء التجارب الفاشلة ، والتجربة تثبت ذلك وتؤيده ، وأصول التشريع الحديث تنادي به وتدعمه ، والله تبارك وتعالى يفرضه ويوجبه : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » .

أصلحوا مظهر الاجتماع

وإن في كل أمة مظاهر من الحياة الاجتماعية تشرف عليها

الحكومات وينظمها القانون وتحميها السلطات ، فعلى كل أمة شرقية إسلامية أن تعمل على أن تكـــون كل هذه المظاهر مما يتفق وآداب الدين ويساير تشريع الإسلام وأوامره . إن البغاء الرسمي لطخة عار في جبين كل أمة تقدر الفضيلة ، فما بالك بالأمم الإسلامية التي يفرض عليها دينها محاربة البغاء والضرب على يد الزناة بشدة :

« ولا تأخذكم بهما رأفـة في دين الله إن كنتم تؤمنـون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » .

إن حانات الخمر في أظهر شـوارع المدن وأبرز أحيائها ، وتلك اللوحات الطويلة العريضة عن المشروبات الروحية ، وهذه الإعلانات الظاهرة الواضحة عن ام الخبائث مظاهر يأباها الدين ، ويحرمها القرآن الكريم أشد التحريم .

حاربوا الاباحية

وإن هذه الإباحية المغرية والمتعة الفاتنة واللهو العابث في الشوارع والمجامع والمصايف والمرابع يناقض ما أوصى الإسلام باتباعه من عفة وشهامة وإباء وانصراف الى الجد وابتعاد عن الإسفاف .

« إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها »

فكل هذه المظاهر وأشباهها على الأمم الاسلامية أن تبذل في محاربتها ومناهضتها كل ما في وسع سلطانها وقوانينهـا من

طاقة ومجهود ، لا تني في ذلك ، ولا تتواكل .

نظموا التعليم

وإن لكل أمة وشعب إسلامي سياسية في التعليم وتخريج الناشئة وبناء رجال المستقبل الذين تتوقف عليهم حياة الأمة الجديدة ، فيجب أن تبنى هذه السياسة على اصول حكيمة تضمن للناشئين مناعة دينية وحصانة خلقية ، ومعرفة بأحكام دينهم . واعتداداً بمجده الغابر وحضارته الواسعة .

هذا قليل من كثير من الأصول التي يريد الإخوان المسلمون أن ترعاها الأمم الإسلامية في بناء النهضة الحديثة ،وهم موجهون دعوتهم هذه إلى كل المسلمين شعوباً وحكومات ، ووسيلتهم في الوصول إلى تحقيق هذه الغايات الإسلامية السامية وسيلة واحدة : أن يبينوا ما فيها من مزية وإحكام ، حتى إذا ذكر الناس ذلك واقتنعوا بفائدته أنتج ذلك عملهم له ونزولهم على حكمه : « قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين » .

انتفعوا باخاء إخوانكم

ينادي الإسلام أبناءه ومتبعيه فيقول لهم :

« واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً » .

ويقول القرآن الكريم في آية أخرى :

« إنما المؤمنون إخوة » وفي آية أخرى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » .

ويقول النبي الكريم صلى الله عليه وسلم . « وكونوا عباد الله إخواناً » وكذلك فهم المسلمون الأولون – رضوان الله عليهم – من الإسلام هذا المعنى الأخوي ،وأملت عليهم عقيدتهم في دين الله أخلد عواطف الحب والتـآلف ، وأنبل مظاهر الأخـوة والتعارف ، فكانوا رجلاً واحداً وقلباً واحداً ويداً واحدة ، حتى امتن الله بذلك في كتابه فقال تبارك وتعالى :

« وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » .

تطبيـــق

وإن ذلك المهاجر الذي كان يترك أهله ، ويفارق أرضه في مكة ويفر بدينه كان يجد أمامه أبناء الإسلام من فتيان يثرب ينتظرون وكلهم شوق إليه ، وحب له وسرور بمقدمه ، وما كان لهم سابق معرفة ولا قديم صلة ، وما ربطهم به وشيجة من صهر أو عمومة ، وما دفعتهم إليه غاية أو منفعة . وإنمـا هي عقيدة الإسلام جعلتهم يحنون إليه ويتصلون به ، ويعدونه جزءاً من أنفسهم ، وشقيقاً لأرواحهم ، وما هو الا أن يصل المسجد حتى يلتف حوله الغر الميامين من الأوس والخزرج ، كلهم يدعوه إلى بيته ويؤثره على نفسه ويفديه بروحه وعيـاله ، ويتشبث بمطلبه هذا حتى يؤول الأمر إلى الاقتراع ، حتى روي

الإمام البخاري ما معناه :

« ما نزل مهاجري على أنصاري إلا بقرعة » .

وحتى خلد القرآن للأنصار ذلك الفضل أبد الدهر ، فما زال يبدو غرة مشرقة في جبين السنين في قول الله تبارك وتعالى :

« والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

وعلى هذا درج أبناء الإسلام وخص الرعيل الأول ممن وجدت بين نفوسهم الأخوة الإيمانية ، لا فرق بين مهاجرهم وأنصارهم ولا بين مكيهم ويمنيهم حتى أثنى الرسول الكريم على الأشاعرة من أهل اليمن بقوله صلى الله عليه وسلم ما معناه :

« نعم القوم الأشعريون إذا جهدوا في سفر أو حضر جمعوا ما عندهم فوضعوه في مزادتهم ثم قسموه بينهم بالسوية » .

وأنت إذا قرأت القرآن الكريم ، وأحاديث النبي العظيم صلى الله عليه وسلم ، وطالعت سير الغر الميامين من أبناء هذا الدين رأيت من ذلك ما يقر عينيك ويملأ سمعك وقلبك .

أخوة تعلن الانسانية :

ولقد أثمرت هذه العقيدة ثمرتين لا بد لنا من أن نجنيهما ونتحدث إليك عما فيهما من حلاوة ولذة وخير وفائدة ، فأما

الأولى منها فقد أنتجت هذه العقيدة أن الاستعمار الإسلامي لم يشبه استعمار في التاريخ أبداً ، لا في غايته ولا في مسالكه وإدارته ولا في نتائجه وفائدته ، فإن المستعمر المسلم انما كان يفتح الأرض حين يفتحها ليعلي فيها كلمة الحق ، وينير أفقها بسنة القرآن الكريم، فإذا أشرقت على نفوس أهلها شمس الهداية المحمدية فقد زالت الفوارق ، ومحيت المظـــالم ، وشملها العدل والإنصاف ، والحب والإخاء ، ولم يكن هناك فاتح غالب وخصم مغلوب ، ولكن إخوان متحابون متآلفون ، ومن هنا تذوب فكرة القومية ، وتنجاب كما ينجاب الثلج سقطت عليه أشعة الشمس قوية مشرقة أما فكرة الأخوة الاسلامية التي يبثها القرآن في نفوس من يتبعونه جميعاً .

إن ذلك الفاتح المسلم قبل أن يغزو من غزا ، ويغلب من غلب ، قد باع نفسه وأهله ، وتجرد من عصبيته وقوميتـه في سبيل الله ، فهو لا يغزو لعصبية ولا يغلب لقومية ، ولاينتصر لجنسية ، ولكنه يعمل حين يعمل (لله) ولله وحده لا شريك له؛

وإن أروع ما أثر من الإخلاص في الغاية ، وتجريد النفس من الهوى ما جاء في الحديث الشريف ما معناه أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إني أحب أن أجاهد في سبيل الله ، وأحب أن يرى موقفي ، فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجبه . فنزلت الآية الكريمة :

« فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عمـــلا صالحا ولا يشرك

بعبادة ربه أحداً » . أرأيت كيف اعتبر الاسلام تطلع هذا الشخص إلى الثناء والمدح وهما من طبائع النفوس شركا خفيا يجب أن يتنزه عنه ويسمو بشرف الغاية النبيلة عنه ؟ وهل هناك أخلص من أن ينسى الانسان نفسه في سبيل غايته ؟ وهل تظن أن رجلا يشترط عليه دينه أن يتجرد من نفسه ويكبت عواطفها وميولها وأهواءها حتى يكـــون جهاده خالصاً لله وحده – يفكر بعد هذا في أن يجاهد لعصبية أو يغزو لجنس أو قومية ؟ اللهم لا .

إن ذلك المغلوب الذي شـــاء له القدر أن يسعد بالاسلام ويهتدي بهديه ما ترك بلده وأرضه لأجنبي عنه يتحـــكم فيها ويسخره تسخير العبد الذليل ، ويستأثر دونه بخيراتها ، ولكنه ترك ما ترك لأنه يخلطه بنفسه ويمزجه بروحه ويناديه بإخلاص: لك ما لنا وعليك ما علينا ، وكتاب الله تبارك وتعالى يفصل بيننا ، فكلاهما فني في غايته وضحى في سبيل مبدئه ، وترك ما ترك ليعم الانسانية نور الله ، وتسطع عليها شمس القرآن الكريم ، وفي ذلك تمام إسعادها وكمال رقيها لو كانوا يعلمون .

أفق الوطن الاسلامي

أما الثمرة الثانية فإن الأخوة الاسلامية جعلت كل مسلم يعتقد أن كل شبر من الأرض فيه أخ يدين بدين القرآن الكريم قطعة من الأرض الاسلامية العامة التي يفرض الاسلام على كل أبنائه أن يعملوا لحمايتها وإسعادها ، فكان من ذلك أن اتسع

أفق الوطن الاسلامي وسما عن حـــدود الوطنية الجغرافية والوطنية الدموية الى وطنية المبادىء السامية والعقائد الخالصة الصحيحة ، والحقائق التي جعلها اللهللعالم هدى ونوراً ؛ والاسلام حين يشعر ابنـاءه بهذا المعنى ويقرره في نفوسهم يفرض عليهم فريضة لازمة لحماية أرض الاسلام من عدوان المعتدين ؛ وتخليصها من غضب الغاصبين ، وتحصينها من مطامع المعتدين .

طريق طويلة

أرجو أن تكون هذه الكلمات المتتاليات في بيـــان دعوة الاخوان المسلمين قد كشفت للقراء الكرام عن غايتهم ، وأبانت لهم ولو الى حد ما عن مناهجهم في السير الى هذه الغـاية ، وقد تحدثت من قبل إلى كثير من إخواننا الغيورين على الاسلام ومجده حديثاً طويلا هو أشبه بهذه الكلمات التي رآهـــا القراء تحت عنوان : « إلى اي شيء ندعو الناس » .

ولقد اصغى إلي من حدثتهم إصغاء مشكوراً ، وكنا نتفهم القول تباعاً أولا فأولا ، حتى خرجنا من المحادثة مقتنعين تماماً بشرف الغـــاية ونجاح الوسيلة . وكم كانت دهشتي عظيمة حين رأيت منهم شبه إجماع على ان هذه السبيل مع التسليم بنجاحها طويلة ، وأن التيارات الجارفة الهدامة في البلد قوية ، ممـا يجعل اليأس يدب الى القلوب والقنوط يستولي على النفوس ، وحتى لا يجد القراء الكرام في أنفسهم هذا الشعور الذي وجـده أولئك المتحدثون من قبل ، أحببت أن تكون هذه الكلمـــة مفعمة

بالأمل فياضة باليقين في النجاح إن شاء الله ، ولله الأمر من قبل ومن بعد ؛ وسأحصر الموضوع في نظرتين إيجابيتين :

نظرة فلسفية اجتماعية

يقول علماء الاجتماع إن حقائق اليوم هي أحلام الأمس ، وأحلام اليوم حقائق الغد . وتلك نظرة يؤيدها الواقع ويعززها الدليل والبرهان ، بل هي محور تقدم الانسانية وتدرجهامدارج الكمال ؛ فمن ذا الذي كان يصدق أن يصل العلماء الى ما وصلوا اليه من المكتشفات والمخترعات قبل حدوثها ببضع سنين ، بل إن أساطين العلم أنفسهم أنكروها لأول عهدهم بها ، حتى أثبتها الواقع وأيدها البرهان ، والمثل على ذلك كثيرة ، وهي من البداهة بحيث يكفينا ذلك عن الاطالة بذكرها .

نظرة تاريخية

إن نهضات الأمم جميعها إنما بدأت على حال من الضعف يخيل للناظر اليها ان وصولها الى ما تبتغي ضرب من المحال ، ومع هذا الخيال فقد حدثنا التاريخ ان الصبر والثبات والحكمة والأناة وصلت بهذه النهضات الضعيفة النشأة القليلة الوسائل الى ذروة ما يرجو القائمون بها من توفيق ونجاح ، ومن ذا كان يصدق أن الجزيرة العربية وهي تلك الصحراء الجافة المجدبة تنبت النور والعرفان ، وتسيطر بنفوذ أبنائها الروحي والسياسي على أعظم دول العالم ؟ ومن ذا الذي كان يظن ان أبا بكر وهو ذلك القلب

الرقيق اللين ، وقد انتقض الناس عليه وجار أنصاره في أمرهم يستطيع ان يخرج في يوم واحد أحد عشر جيشاً تقمع العصاة وتقيم المعوج ، وتؤدب الطاغي وتنتقم من المرتدين، وتستخلص حق الله في الزكاة من المانعين ؟ ومن ذا الذي كان يصدق أن هذه الشيعة الضئيلة المستترة من بني علي والعباس تستطيع ان تقلب ذلك الملك القوي الواسع الأكناف ما بين عشية أو ضحاها وهي ما كانت يوماً من الأيام الا عرضة للقتل والتشريد والنفي والتهديد ؟ ومن ذا الذي كان يظن ان صلاح الدين الأيوبي يقف الأعوام الطوال ، فيرد ملوك أوربا على أعقابهم مدحورين ، مع توافر عددهم وتظاهر جيوشهم، حتى اجتمع عليه خمسة وعشرون ملكا من ملوكهم الأكابر ؟

ذلك في التاريخ القديم . وفي التاريخ الحديث أروع المثل على ذلك ، فمن كان يظن أن الملك عبد العزيز آل سعود وقد نفيت أسرته وشرد أهله وسلب ملكه يسترد هذا الملك ببضعة وعشرين رجلاً ، ثم يكون بعد ذلك أملا من آمال العالم الاسلامي في إعادة مجده وإحياء وحدته؟ ومن كان يصدق أن ذلك العامل الألماني (هتلر) يصل الى ما وصل اليه من قوة النفوذ ونجاح الغاية ؟ .

هل هناك طريق اخرى

وثم نظرتان سلبيتان تحدثان النتيجة بعينها ، وتوجهان قلب الغيور الى العمل توجيها قويا صحيحا. أولاهما : ان هذه الطريق

مهما طالت فليس هناك غيرها في بناء النهضات بناء صحيحا ، وقد أثبتت التجربة صحة هذه النظرية .

الواجب اولا

وثانيهما ان العامل يعمل لأداء الواجب أولا ، ثم للأجر الأخروي ثانيا . ثم للإفادة ثالثا ، وهو إن عمل فقد أدى الواجب ، وفاز بثواب الله ما في ذلك من شك ، متى توفرت شروطه ، وبقيت الإفادة وأمرها إلى الله ، فقد تأتي فرصة لم تكن في حسابه تجعل عمله يأتي بأبرك الثمرات ، على حين أنه إذا قعد عن العمل فقد لزمه إثم التقصير ، وضاع منه أجر الجهاد وحرم الإفادة قطعا ، فأي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ؟ وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في صراحة ووضوح في الآية الكريمة : « لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون ، فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون » سورة الأعراف .

قصة أمة تتكون

ضعف

نحن الآن أمام جبار متكبر يستعبد عباد الله يستضعفهم

ويتخذهم خدما وحشما وعبيداً وخولا ، وبين شعب من الشعوب الكريمة المجيدة استعبده ذلك الطاغية الجبار ،ثم أراد الله تبارك وتعالى أن يعيد لهذا الشعب المجيد حريته المسلوبة وكرامته المغصوبة ومجده الضائع وعزه البائد ، فكان أول شعاع من فجر حرية هذا الشعب إشراق شمس زعيمه العظيم (موسى) على الوجود طفلا رضيعاً : « نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ، إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين ، ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ؛ ونمكن لهم في الأرض » .

زعامة

ونحن بعد هذا أمام هذا الزعيم وقد بلغ أشده واستوى ريلي " نانة الإلهية بعد أن أنفت نفسه الظلم وعافت الضيم ، ففر بنفسه وهرب بجريمه ؛ -يث اصطنعه الله لنفسه وحمله عبء رسالته ، وأسند إليه خلاص شعبه ؛ فآب مملوءاً بالايمان مؤيداً باليقين ، يواجه ذلك الجبار فيطلب إليه أن يعيد إلى شعبه حريته ويترك له كرامته ويؤمن به ويتبعه . وما أروع ذلك التهكم المر اللاذع حين يحكي القرآن الكريم قول الرسول العظيم : « وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بني إسرائيل » أيها الجبار المتحكم في عباد الله لا عبادك ، هل من النعمة التي تذكرني

بها والجيل الذي تسديه إلي أن تستعبد شعبي وتحقر أمتي وتمتهن قومي ؟ . إنها صيحة الحق دوت من فم النبي الكريم فزلزلت عرش الجبار وهزت ملكه : « فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين ، أن أرسل معنا بني إسرائيل ، قال ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين ، وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين ، قال فعلتها إذاً وأنا من الضالين ، ففرت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين » سورة الشعراء .

صراع

ونحن الآن نشهد غضبة القوة على الحق كيف تثور عليه وتنتقم منه وتعذب أهله وتقهر مناصريه ، ثم كيف يصبر أهل الحق على كل ذلك ، وكيف يعللهم رؤساؤهم بالآمال الحلوة والأماني العذبة حتى لا يجد الخور إلى نفوسهم سبيلا : « وقال الملأ من قوم فرعون تذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون ؛ قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ؛ إن الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » .

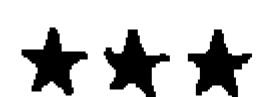
ايمان

وما أروع ان نشهد ذلك النموذج الخالد من الثبات والصبر ،

والاستمساك بعروة الحق ، والاستهانة بكل شيء حتى الحياة في سبيل الايمان والعقيدة من أتباع هذا الزعيم الذين آمنوا بدعوته، وقد تحدوا هذا الجبار في استهانة واستماتة : « فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى » .

انتصار

فإذا رأينا كل ذلـك رأينا عاقبته في القسم الخامس ،وما أدراك ما هي ؟ فوز وفلاح وانتصار ونجاح وبشرى تزف إلى المهضومين . وأمل يتحقق للحالمين ، وصيحة الحق المبين تدوي في آفاق الأرض : « يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم » .



٣ ـــ نحو النور

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدمة

في رجب من سنة ١٣٦٦ الهجرية بعث الإمام الشهيد حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين بهذا الخطاب إلى حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ملك مصر والسودان، وإلى حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس حكومتها حينذاك، وإلى حضرات أصحاب الجلالة والسمو ملوك وأمراء وحكام بلدان العالم الإسلامي المختلفة، كما بعث به كذلك إلى عدد عظيم من كبار البارزين في هذه البلدان من ذوي الصفات الدينية والدنيوية وها نحن أولاء نعيد طبعه وتوزيعه الآن، فلا زالت كثير من النظرات التي تضمنها والتوجيهات التي اشتمل عليها أمنية عزيزة لكل عربي ولكل مسلم، نسأل الله تحقيقها ؟ .

بسم الله الرحمـــن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

« ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا »

القاهرة عاصمة الديار المصرية في رجب الفرد ١٣٦٦ هـ .

حضرة صاحب ...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . (وبعد) فإنما حملنا على التقدم بهذه الرسالة إلى مقامكم الرفيع رغبة أكيدة في توجيه الأمة التي استرعاكم الله أمرها ووكل إليكم شأنها « في عهدها الجديد » توجيهاً صالحاً يقيمها على أفضل المسالك ويرسم لها خير المناهج ويقيها التزلزل والاضطراب ويجنبها التجارب المؤلمة الطويلة .

ولسنا نبغي من وراء ذلك شيئاً إلا أن نكون قد أدينا الواجب وتقدمنا بالنصيحة ... وثواب الله خير وأبقى .

تبعة الراعي

يا صاحب ...

إن الله وكل إليكم أمر هذه الأمـــة ، وجعل مصالحها وشؤونها وحاضرها ومستقبلها أمانة لديكم ووديعة عندكم ، وأنتم مسؤولون عن ذلك كله بين يدي الله تبارك وتعالى ، ولئن

كان الجيل الحاضر عدتكم ، فإن الجيل الآتي من غرسكم وما أعظمها أمانة وأكبرها تبعة أن يسأل الرجل عن أمة : « وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » . وقديماً قال الامام العادل : « لو عثرت بغلة بالعراق لرأيتني مسؤولاً عنها بين يدي الله تبارك وتعالى لم لم أسو لها الطريق » ؟ وصور الإمام عمر بن الخطاب عظيم التبعة في جملة فقال : « لوددت أن أخرج منها كفافاً لا لي ولا عليّ » .

مقدمات

(أ) عهد الانتقال

وإن أخطر العهود في حياة الأمم وأولاها بتدقيق النظر عهد الانتقال من حال إلى حال . إذ توضع مناهج العهد الجديد وترسم خططه وقواعده التي يراد تنشئة الأمة عليها والتزامها إياها ، فإذا كانت هذه الخطط والقواعد والمناهج واضحة صالحة قويمة فبشر هذه الأمة بحياة طويلة مديدة وأعمال جليلة مجيدة ، وبشر قادتها إلى هذا الفوز وأدلتها في هذا الخير بعظيم الأجر وخلود الذكر وإنصاف التاريخ وحسن الأحدوثة .

(ب) على مفترق طريقين

ولقد كانت المهمة ذات شطرين : « أولهما » تخليص الأمة من

قيودها السياسية حتى تنال حريتها ، ويرجع إليها ما فقدت من استقلالها وسيادتها .

« وثانيهما » بناؤها من جديد لتسلك طريقها بين الأمم ، وتنافس غيرها في درجات الكمال الاجتماعي .

والآن وقد وضع النضال السياسي أوزاره إلى حين ، وأصبحتم تستقبلون بالأمة عهداً جديداً ؛ فإنكم سترون أمامكم طريقين كل منهما يجب بكم أن توجهوا الأمة وجهته وتسلكوا بها سبيله ، ولكل منهما خواصه ومميزاته وآثاره ونتائجه ودعاته ومروجوه . فأما الأول فطريق (الاسلام) وأصوله وقواعده وحضارته ومدنيته ، وأما الثاني فطريق (الغرب) ومظاهر حياته ونظمها ومناهجها ، وعقيدتنا أن الطريق الاول طريق (الاسلام) وقواعده وأصوله هو الطريق الوحيد الذي يجب أن يسلك وأن توجه إليه الامة الحاضرة والمستقبلة .

(ج) مزايا التوجه الاسلامي

وإننا إذا سلكنا بالأمة هذا المسلك استطعنا ان نحصل على فوائد كثيرة ، منها ان المنهاج الاسلامي قد جرب من قبل وشهد التاريخ بصلاحيته ، وأخرج للناس أمة من أقوى الأمم وأفضلها وأرحمها وأبرها وأبركها على الانسانية جميعاً ، وله من قدسيته واستقراره في نفوس الناس ما يسهل على الجميع تناوله وفقهه والاستجابة له ، والسير عليه متى وجهوا إليه ، فضلا عن الاعتزاز بالقومية والاشادة بالوطنية الخالصة ، إذ أننا نبني

حياتنا على قواعدنا وأصولنا ولا نأخذ عن غـــيرنا . وفي ذلك أفضل معاني الاستقلال الاجتماعي والحيوي بعد الاستقلال السياسي .

وفي السير على هذا المنهاج تقوية للوحـــدة العربية أولا ثم للوحدة الاسلامية ثانياً ، فيمدنا العالم الاسلامي كله بروحه وشعوره وعطفه وتأييده ، ويرى فينا إخوة ينجدهم وينجدونه ويمدهم ويمدونه . وفي ذلك ربح أدبي كبير لا يزهد فيه عاقل .

وهذا المنهاج تام شامل كفيل بتقرير أفضل النظم للحيـــاة العامة في الأمة عملية وروحية . وهذه هي الميزة التي يمتاز بها الاسلام ، فهو يضع نظم الحياة للامم على أساسين مهمين : أخذ الصالح وتجنب الضار .

فإذا سلكنا هذا السبيل استطعنا أن نتجنب المشكلات الحيوية التي وقعت فيها الدول الأخـــرى التي لم تعرف هذا الطريق ولم تسلكه ، بل استطعنا أن نحل كثيراً من المشكلات المعقدة التي عجزت عن حلها النظم الحالية ، وإنا نذكر هنا كلمة برناردشو :

« ما أشد حاجة العالم في عصره الحديث إلى رجل (كمحمد) يحل مشكلته القائمة المعقدة بينما يتناول فنجاناً من القهوة » .

وبعد ذلك كله فإننا إذا سلكنا هذا السبيل كان تأييد الله من ورائنا يقوينا عند الوهن ، وينقذنا في الشدائد ويهون علينا المشاق ويهيب بنا دائماً إلى الأمام :

« ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما » .

(د) المدنية الغربية الآن

ومن تمام هذا البحث أن نقول : إن مدنية الغرب التي زهت بجمالها العلمي حيناً من الدهر ، وأخضعت العالم كله بنتائج هذا العلم لدوله وأممه تفلس الآن وتندحر ، وتندك أصولها وتنهدم نظمها وقواعدها،فهذه أصولها السياسية تقوضها الدكتاتوريات، وأصولها الاقتصادية تجتاحها الأزمات ، ويشهد ضدها ملايين البائسين من العاطلين والجائعين ، وأصولها الاجتماعية تقضي عليها المبادىء الشاذة والثورات المندلعة في كل مكان ، وقد حار القوم في علاج شأنها وضلوا السبيل . مؤتمراتهم تفشل ، ومعاهداتهم تخرق ومواثيقهم تمزق ، وعصبة أممهم شبح لا روح فيه ولا نفوذ له ، ويد العظيم فيهم توقع مع غيره ميثاق السلام والطمأنينة .

في ناحية ، بينما تلطمه الثانية في ناحية أخرى أقسى اللطمات؛ وهكذا أصبح العالم بفضل هذه السياسات الجائرة الطامعة كسفينة في وسط اليم ، حار ربانها وهبت عليها العواصف من كل مكان – الإنسانية كلها معذبة شقية قلقة مضطربة ، وقد اكتوت بنيران المطامع والمادة ، فهي في أشد الحاجة الى عذب من سؤر الاسلام الحنيف يغسل عنها اوضار الشقاء ويأخذ بها الى السعادة.

لقد كانت قيادة الدنيا في وقت « ما » شرقية بحتة ، ثم

صارت بعد ظهور اليونان والرومان غربية ، ثم نقلتها النبوات الموسوية والعيسوية والمحمدية الى الشرق مرة ثانية ، ثم غفا الشرق غفوته الكبرى ونهض الغرب نهضته الحديثة ، فكانت سنة الله التي لا تتخلف ، وورث الغرب القيادة العالميـــة ، وها هو ذا الغرب يظلم ويجور . ويطغى ويحار . ويتخبط ، فلم يبق إلا ان تمتد يد « شرقية » قوية يظللها لواء الله وتخفق على رأسها راية القرآن ويمدها جند الإيمان القوي المتين ، فإذا بالدنيا مسلمة هانئة ، وإذا بالعوالم كلها هاتفة : « الحمـد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لو لا ان هدانا الله » .

ليس ذلك من الخيال في شيء ، بل هو حكم التاريخ الصادق، إذ لم يتحقق بنا « فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » .

بيد أننا نحرص على ان نكون ممن يحوزون هذه الفضيلة ، ويكتبون في ديوان هذا الشرف « وربك يخلق ما يشاء ويختار » .

الإسلام كفيل بإمداد الأمة

الناهضة بما تحتاج إليه

ليس في الدنيا نظام يمد الأمة الناهضة بما تحتاج إليه من نظم وقواعد وعواطف ومشاعر كما يمد الاســـلام بذلك كله أممه

الناهضة ، ولقد امتلأ القرآن الكريم بتصوير هذه الناحية خاصة ، وضرب الأمثال فيها بالاجمال تارة وبالتفصيل تارة أخرى ، وعالج هذه النواحي علاجاً دقيقاً واضحاً ، لا تأخذ به أمة حتى تصل الى ما تريد .

(ا) الاسلام والأمل

تحتاج الأمة الناهضة الى الأمل الواسع الفسيح ، وقد أمد القرآن أمه بهذا الشعور بأسلوب يخلق من الأمة الميتة أمة كلها حياة وهمة وأمل وعزم ، وحسبك أنه يجعل اليأس سبيلا الى الكفر والقنوط من مظاهر الضلال ، وإن أضعف الأمم إذا سمعت قوله تعالى : « ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض » .

وقوله تعالى : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ، إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس » .

وقوله تعالى : « هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار » وقوله تعالى :« أم حسبتم أن تدخلوا

الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب » .

إن أضعف الأمم إذا سمعت هذا التبشير كله ، وقرأت ما إليه من قصص تطبيقية واقعية ، لا بد ان تخرج بعد ذلك أقوى الأمم إيماناً وأرواحاً ، ولا بد ان ترى في هذا الأمل ما يدفعها الى اقتحام المصاعب مهما اشتدت ، ومقارعة الحوادث مهما عظمت ، حتى تظفر بما تصبو إليه من كمال .

(ب) الاسلام والعزة القومية

وتحتاج الأمم الناهضة الى الاعتزاز بقوميتها كأمة فاضلة مجيدة لها مزاياها وتاريخها ، حتى تنطبع الصورة في نفوس الأبناء ، فيفدون ذلك المجـــد والشرف بدمائهم وأرواحهم ، ويعملون لخير هذا الوطن وإعزازه وإسعاده . هذا المعنى لن نراه واضحاً في نظام من النظم عادلا فاضلا رحيما كما هو في الاسلام الحنيف ، فإن الأمة التي تعلم ان كرامتها وشرفها قد قدسه الله في سابق علمه ، وسجله في محكم كتابه فقال تبارك وتعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » وقال تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » . « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

هي أجدر الأمم بافتداء عزتها الربانية بالدنيا وما فيها .

ولقد عملت الأمم الحديثة على ترسيخ هذا المعنى في نفوس شبابها ورجالها وأبنائها جميعاً ؛ ومن هنا سمعنا : « المانيا فوق الجميع » ، « وإيطاليا فوق الجميع » ، « وسودي يا بريطانيا واحكمي » . ولكن الفارق بين الشعور الذي يمليه المبدأ الاسلامي وبين الشعور الذي أملته هذه الكلمات والمبادىء ان شعور المسلم يتسامى حتى يتصل بالله ، على حين ينقطع شعور غيره عند حد القول فقط من جهة ، ومن جهة أخرى فإن الاسلام حدد الغاية من خلق هذا الشعور وشدد في التزامها ، وبين أنها ليست العصبية الجنسية والفخر الكاذب بل قيادة العالم الى الخير ، ولهذا قال تبارك وتعالى :

« تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

ومعنى ذلك مناصرة الفضيلة ومقارعة الرذيلة واحترام المثل الأعلى وملاحظته عند كل عمل ، ولهذا أنتج الشعور بهذه السيادة في السلف المسلم منتهى ما أثر عن الامم من عدالة ورحمة . أما مبدأ السيادة في نفس الامم الغربية فلم يحدد غايته بغير العصبية الخاطئة ، ولهذا أنتج التناحر والعدوان على الأمم الضعيفة . فكان المبدأ الاسلامي أخذ خير ما في هذه الناحية ، وأراد أن ينطبع بذلك أبناؤه ، وجنبهم ما فيها من شر وطغيان ، ولقد وسع الاسلام حدود الوطن الاسلامي ، وأوصى بالعمل لخيره والتضحية في سبيل حريته وعزته : فالوطن في عرف الاسلام يشمل : (١) القطر الخاص أولاً (٢) ثم يمتد

الى الأقطار الإسلامية الأخرى فكلها للمسلم وطن ودار (٣) ثم يرقى الى الإمبراطورية الإسلامية الأولى التي شادها الأسلاف بدمائهم الغالية العزيزة فرفعوا عليها راية الله ، ولا تزال آثارهم فيها تنطق بما كان لهم من فضل ومجـــد ؛ فكل هذه الأقاليم يسأل المسلم بـــين يدي الله تبارك وتعالى لماذا لم يعمل على استعادتها ؟ (٤) ثم يسمو وطن المسلم بعد ذلك كله حتى يشمل الدنيا جميعاً ؛ وألست تسمع قول الله تبارك وتعالى :

« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » .

وبذلك يكون الاسلام قد وفق بين شعور . الوطنية الخاصة وشعور الوطنية العامة بما فيه الخير كل الخير للإنسانية جميعاً :

« يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » .

(جـ) الاسلام والقوة الجندية :

وتحتاج كذلك الأمم الناهضة الى القوة وطبع أبنائها بطابع الجندية ، ولا سيا في هـــذه العصور التي لا يضمن فيها السلم إلا بالاستعداد للحرب ، والتي صار شعار أبنائها جميعاً : « القوة أضمن طريق لإحقاق الحق » .

والاسلام لم يغفل هذه الناحية ، بل جعلها فريضة محكمة من فرائضه ، ولم يفرق بينها وبـــين الصلاة والصوم في شيء ، وليس في الدنيا كلها نظام عني بهذه الناحية ، لا في القديم ولا في

الحديث كما عني بذلك الاسلام في القرآن وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته ، وإنك لترى ذلك ماثلا واضحا في قوله تعالى :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » . وفي قوله تعالى : « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم » .

وهل رأيت منشوراً عسكرياً في كتـــاب مقدس يتلى في الصلاة والذكر والعبادة والمناجاة كهذا المنشور الذي يبتدىء بالأمر المنجز في قوله تعالى :

« فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة»؟ ثم يبين الجزاء بعد ذلك : « ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيما » .

ثم يتلو ذلك باستثارة أنبـــل العواطف في النفوس وهي استنقاذ الأهل والوطن فيقول :

« وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القريـــة الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً » .

ثم يوضح لهم شرف غايتهم ودناءة غاية عدوهم ، ليبين لهم أنهم يجودون بثمن غال هو الحياة على سلعة غالية تستحقه وتربى عليه وهي رضوان الله ، على حين يقاتل غيرهم لغير غاية ، فهم

أضعف نفوساً وأخزى أفئدة ، فذلك قوله تعالى :

« الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً » .

ثم يندد بالذين جبنوا عن أداء الواجب ، وأخذوا التكاليف السهلة وتركوا تكاليف البطولة ، ويبين لهم خطأ موقفهم هذا ، وأن الإقدام لن يضرهم شيئاً بل سيكسبون به الجزاء الكبير ، والإحجام لا يغنيهم شيئاً فالموت من ورائهم لا محالة ، فيقول بعد الآيات السابقة مباشرة :

« ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لو لا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ، أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة » .

بربك أي منشور عسكري في هذه القوة وفي هذا الوضوح يبعث في نفس الجندي كل ما يريد القائد من همة وعزة وإيمان ؟.

وإذا كان قوام الحياة العسكرية في عرفهم أمرين ، هما : النظام والطاعة ، فقد جمعهما الله في آيتين من كتابه فقال تبارك وتعالى :

« إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان

مرصوص » كما قال تعالى : « فأولى لهم طاعة وقول معروف »

وإنك إذا قرأت ما جاء به الاسلام في إعداد العدة واستكمال القوة وتعليم الرمي ورباط الخيل وفضل الشهادة وأجر الجهاد وثواب النفقة فيه ورعاية أهله واستيعاب صنوفه لرأيت من ذلك ما لا يحصيه الحصر ، سواء في الآيات الكريمة أو الأحاديث الشريفة أو السيرة المطهرة أو الفقه الحنيف : « وسع ربنا كل شيء علما » .

عنيت بذلك الأمم الحديثة فبنت أنفسها على هذه القواعد ، ورأينا أساس فاشستية موسوليني ونازية هتلر وشيوعية ستالين أساساً عسكرياً بحتا ، ولكن الفرق بين ذلك كله وبين عسكرية الاسلام فرق عظيم فإن الاسلام الذي قدس القوة هذا التقديس هو الذي آثر عليها السلم فقال تبارك وتعالى بعد آية القوة مباشرة :

« وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » .

وهو الذي حدد ثمن النصر ومظاهره فقال تعالى :

« ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ! الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » .

وهو الذي وضع أساس القانون الدولي الحربي فقال تعالى :

« وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين » .

ولأمر ما كانت وصية الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه من بعده لقواد جنودهم أروع مظاهر الرحمـــة والرفق : ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا امرأة ولا طفلا ولا شيخاً كبيراً ، ولا تقطعوا شجـــرة مثمرة ولا تجهزوا على جريح ، وستمرون على أقوام ترهبوا في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له » .

كذلك كانت العسكرية في الاسلام (بوليس العدالة وشرطة القانون والنظام) . أما عسكريـة أوربا الآن فقد علم النـاس جميعاً عنها أنها (جيش الظلم وجند المطامع) فأي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ؟ .

(د) الاسلام والصحة العامة

ولما كانت الأمم الناهضة في حاجة الى هذه الجندية الفاضلة، وكان قوام هذه الجندية صحة الأبدان وقوة الأجسام فقد أشار القرآن الى هذا المعنى في بيان قصة أمة مجاهدة تحفزت للنهوض بعبء النضال في سـبيل حريتها واستقلالها وتكوين نفسها ، فاختار الله لها زعيما قوي الفكر وقوي الخلق ، وجعل من أركان نهوضه بعبئه قوة بدنه ، فذلك ما حكاه القرآن الكريم عن بني إسرائيل في تزكية الزعيم طالوت قال : « إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم » .

ولقد شرح الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المعنى في كثير من أحاديثه ، وحث المؤمنين على المحافظة على قوة أبدانهم ، كما حثهم على قوة أرواحهم ، فالحديث الصحيح يقول : « المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف » ويقول : « إن لبدنك عليك حقاً » ولقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم للأمة كثيراً من قواعد الصحة العامة وبخاصة في علم الوقاية وهو أفضل شطري الطب ، فقوله صلى الله عليه وسلم « نحن قوم لا تأكل إلا إذا جعنا وإذا أكلنا لا نشبع » وتحريه صلى الله عليه وسلم فيما يشرب من ماء . في الحديث : « كان صلى الله عليه وسلم يستعذب الماء » ونهيه عن البول والتبرز في المياه الراكدة وإعلانه الحجر الصحي على البلد المطعون وأهله فلا يتركونه ولا ينزله غيرهم ، وتحذيره من العدوى وطلب الفرار من المجذوم ، وأخيراً عنايته صلى الله عليه وسلم بكثير من فروع رياضة البدن كالرمي . والسباحة والفروسية والعدو ، وحث أمته عليها وعلى العناية بها حتى جاء في الحديث : « من علم الرمي ثم نسيه فليس مني » ونهيه صلى الله عليه وسلم نهياً مشدداً عن التبتل والترهب . تعذيب الجسوم وإضوائها تقرباً الى الله تبارك وتعالى ، وإرشاده الأمة الى جانب الاعتدال في ذلك كله . كل هذا ينطق بعناية الاسلام البالغة بصحة الأمة العامة وتشديده في المحافظة عليها وإفساح صدره لكل ما فيه خيرها وسعادتها من هذا الجانب الهام .

الاسلام والعلم

وكما تحتاج الأمم الى القوة كذلك تحتاج الى العلم الذي يؤازر هذه القوة ويوجهها أفضل توجيه ، ويمدها بما تحتاج إليه من مخترعات ومكتشفات ، والاسلام لا يأبى العلم بل يجعله فريضة من فرائضه كالقوة ويناصره ، وحسبك ان أول آية نزلت من كتاب الله :

« اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » .

وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل من فداء المشركين في بدر أن يعلم أحدهم من الأسرى عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة عملا على محو الأمية عن الأمة ، ولم يسو الله بين العلماء وبين الجاهلين فقال تبارك وتعالى « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب» وقد وزن الإسلام مداد العلماء بدم الشهداء ، وقرن القرآن بين العلم والقوة في الآيتين الكريمتين « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون . يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين » .

ولم يفرق القرآن بين علم الدنيا وعلم الدين ، بل أوصى بهما جميعاً ، وجمع علوم الكون في آية واحدة وحث عليها وجعل

العلم بها سبيل خشيته وطريق معرفته فذلك قوله تعالى :

« ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء » ؟ وفي ذلك إشارة إلى الهيئة والفلك وارتباط السماء بالأرض ثم قال تعالى : فاخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها » . وفي ذلك الإشارة إلى علم النبات وغرائبه وعجائبه وكيميائه :

« ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود » . وفي ذلك الإشارة إلى علم الجيولوجيا وطبقات الأرض وأدوارها وأطوارها : « ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك » . وفيها الإشارة الى علم البيولوجيا والحيوان بأقسامه من إنسان وحشرات وبهائم ، فهل ترى هذه الآية غادرت شيئاً من علوم الكون ؟ ثم يردف ذلك كله بقوله تعالى : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » .

أفلست ترى من هذا التركيب العجيب أن الله يأمر الناس بدراسة الكون ويحضهم على ذلك ، ويجعل العارفين منهم بدقائقه وأسراره هم أهل معرفته وخشيته ؟ اللهم فقه المسلمين في دينهم .

(و) الاسلام والخلق

والأمة الناهضة أحوج ما تكون الى الخلق .. الخلق الفاضل القوي المتين والنفس الكبيرة العالية الطموح ، إذ أنها ستواجه من مطالب العصر الجديد ما لا تستطيع الوصول إليه إلا

بالأخلاق القوية الصادقة من الايمـــان العميق والثبات الراسخ والتضحية الكثيرة والاحتمال البالغ ، وإنما يخلق هـــذه النفس الكاملة الاسلام وحده ، فهو الذي جعل صلاح النفس وتزكيتها أساس الفلاح . فقال تعالى : « قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » .

وجعل تغيير شؤون الأمم وقفاً على تغير أخلاقها وصلاح نفوسها فقال تعالى : « إن الله لا يغـــير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

وإنك لتسمع الآيات البالغة في مفردات الأخــلاق الكريمة فتراها القوة التي لا تغالب في إصلاح النفوس وإعدادها وتزكيتها وتصفيتها ، مثل قوله تعالى في الوفاء : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزي الله الصادقين بصدقهم » .

وفي البذل والتضحية والصبر والاحتمال ومغالبة الشدائد :

« ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين ، ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون » .

وليس كالاسلام عاملا على إيقاظ الضمير وإحياء الشعور

وإقامة رقيب على النفس وذلك خير الرقباء ، وبغيره لا ينتظم قانون ما الى أعماق السرائر وخفيات الأمور .

(ز) الاسلام والاقتصاد

والأمة الناهضة أحوج ما تكون الى تنظيم شؤونها الاقتصادية ، وهي أهم الشؤون في هذه العصور ، ولم يغفل الاسلام هذه الناحية بل وضع كلياتها ولم يقف أمام استكمال أمرها ، وهاأنت ذا تسمع قول الله تبارك وتعالى في المحافظة على المال وبيان قيمته ووجوب الاهتمام به : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما » .

ويقول في موازنة الانفاق والدخل :

« ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط » .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما عال من اقتصد» وهو كما يصدق في الفرد يصدق في الأمة مع قوله صلى الله عليه وسلم : « نعم المال الصالح للرجل الصالح » . وأي نظام اقتصادي فاضل يرحب به الاسلام ويدعو الأمة الى تشجيعه ولا يقف أبداً في سبيله ، والفقه الاسلامي مملوء بأحكام المعاملات المالية ، وقد فصلها تفصيلا لا يدع زيادة لمستزيد .

(وبعد) فإن الأمة إذا توافرت لها هذه الدعائم من الأمل والوطنية والعلم والقوة والصحة والاقتصاد فهي بلا شك أقوى

الأمم والمستقبل لها ، ولا سيما إذا أضيف الى ذلك أنها قد طهرت من الأثرة والعدوان والأنانية والطغيان ، وأصبحت تتمنى الخير للعالم كله ، وإن الاسلام قد كفل ذلك فلا حجة لأمة تريد النهوض في النكول عنه والعدوان عن طريقه .

(ح) نظم الاسلام العامة

هذه ناحية واحدة من نواحي الجمال في بعض النظم الاسلامية وهي النظم الخاصة بنهضة الامم ، على اعتبار أننا نستقبل عهد النهضة ، أما كل نواحي الجمال في كل النظم الاسلامية فذلك ما يحتاج الى مجلدات ضخام وبحوث واسعة مترامية الاطراف ، وحسبنا أن نقول كلمة مجملة كل الاجمال وهي : ان نظم الاسلام فيما يتعلق بالفرد أو الامة أو الاسرة حكومتها وشعبها ، أو صلة الامم بعضها ببعض — نظم الاسلام في ذلك كله قد جمعت بين الاستيعاب والدقة وإيثار المصلحة وإيضاحها ، وأنها أكمل وأنفع ما عرف الناس من النظم حديثاً أو قديماً ، هذا حكم يؤيده التاريخ ويثبته البحث الدقيق في كل مظاهر حياة الامة.

ولقد كان هذا الحكم خاصا فصار الآن عاما يشهد به كل منصف ، وكلما تغلغل الباحثون في بحوثهم كشفوا من نواحي الجمال في هذه النظم الخالدة ما لم يكن قد خطر ببال سلفهم وصدق الله القائل : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » ؟ ! .

٭١٨٤

الاسلام يحمي الأقليات

ويصون حقوق الاجانب

يا صاحب ...

يظن الناس أن التمسك بالإسلام وجعله أساسا لنظام الحياة ينافي وجود أقليات غير مسلمة في الأمة المسلمة، وينافي الوحدة بين عناصر الأمة وهي دعامة قوية من دعائم النهوض في هذا العصر، ولكن الحق غير ذلك بالمرة فإن الإسلام الذي وضعه الحكيم الخبير الذي يعلم ماضي الأمم وحاضرها ومستقبلها قد احتاط لتلك العقبة، وذللها من قبل، فلم يصدر دستوره المقدس الحكيم إلا وقد اشتمل على النص الصريح الواضح الذي لا يحتمل لبسا ولا غموضاً في حماية الأقليات، وهل يريد الناس أصرح من هذا النص :

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين » .

فهذا نص لم يشتمل على الحماية فقط، بل أوصى بالبر والاحسان إليهم، وإن الاسلام الذي قدس الوحدة الانسانية العامة في قوله تعالى : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » .

ثم قدس الوحدة الدينية العامة كذلك فقضى على التعصب

وفرض على أبنائه الإيمان بالأديان السماوية جميعاً في قوله تعالى : « قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ، صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » !..

ثم قدس بعد ذلك الوحدة الدينيـــة الخاصة في غير صلف ولا عدوان فقال تبارك وتعالى : « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » .

هذا الإسلام الذي بني على هـذا المزاج المعتدل والإنصاف البالغ لا يمكن أن يكون أتباعه سبباً في تمزيق وحدة متصلة ، بل بالعكس إنه أكسب هذه الوحدة صفة القداسة الدينية بعد أن كانت تستمد قوتها من نص مدني فقط .

وقد حدد الإسلام تحديداً دقيقـــاً من يحق لنا أن نناوئهم ونقاطعهم ولا نتصل بهم فقال تعالى بعد الآية السابقة :

« إنما ينهاكم الله عن الذين قاتـلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

وليس في الدنيا منصف واحد يكره أمة من الأمم على أن ترضى بهذا الصنف دخيلا فيها وفساداً كبيراً بين أبنائها ونقضا لنظام شؤونها .

ذلك موقف الإسلام من الأقليات غير المسلمة ، واضح لا غموض فيه ولا ظلم معه ، وموقفه من الأجانب موقف سلم ورفق ما استقاموا وأخلصوا ، فإن فسدت ضمائرهم وكثرت جرائمهم فقد حدد القرآن موقفنا منهم بقوله :

« يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ، ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم » .

وبذلك يكون الإسلام قد عالج هذه النواحي جميعاً أدق علاج وأنجعه وأصفاه .

الإسلام لا يعكر صفو العلائق

بيننا وبين الغرب

وقد يظن الناس كذلك أن نظم الإسلام في حياتنا الجديدة تباعد بيننا وبين الدول الغربية ، وتعكر صفو العلائق السياسية بيننا وبينها بعد أن كادت تستقر ، وهو أيضاً ظن عريق في الوهم ، فإن هذه الدول إن كانت تسيء بنا الظنون فهي لا ترضى عنا سواء تبعنا الإسلام أم غيره ، وإن كانت قد صادقتنا بإخلاص وتبودلت الثقة بينها وبيننا فقد صرح خطباؤها وساستها بأن كل دولة حرة في النظام الذي تسلكه في داخل أرضها ، ما دام لا يمس حقوق الآخرين فعلى ساسة هذه الدول

جميعاً أن يفهموا أن شرف الإسلام الدولي هو أقدس شرف عرفه التاريخ ، وأن القواعد التي وضعها الإسلام الدولي لصيانة هذا الشرف وحفظه أرسخ القواعد وأثبتها .

فالإسلام هو الذي يقول في المحافظة على التعهدات وأداء الالتزامات ، « وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا » ويقول: « إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين » ويقول : « فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم » ويقول في إكرام اللاجئين وحسن جوار المستجيرين : « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه » .

وهذا في المشركين فكيف بالكتابيين ؟.

فالإسلام الذي يضع هذه القواعد ويسلك بأتباعه هذه الأساليب يجب أن يعتبره الغربيون ضمانة أخرى ، تضمن لهم . نقول إنه من خير أوربا نفسها أن تسودها هذه النظريات السديدة في معاملات دولها بعضها لبعض ، فذلك خير لهم وأبقى !.

أصول النهضة في الشرق
غير أصولها في الغرب

يا صاحب ...

من الأسباب التي دعت بعض الأمم الشرقية إلى الانحراف

عن الإسلام واختيار تقليد الغرب دراسة قادتها النهضة الغربية واقتناعهم بأنها لم تقم إلا بتحطيم الدين وهدم الكنائس والتخلص من سلطة البابوية وإلجام القساوسة ورجال الكهنوت ، والقضاء على كل مظاهر السلطة الدينية في الأمة ، وفصل الدين عن سياسة الدولة العامة فصلاً تاماً ، وذلك إن صح في الأمم الغربيـــة فلا يصح أبداً في الأمم الإسلامية ، لأن طبيعة التعــاليم الإسلامية غير طبيعة تعاليم أي دين آخر ، وسلطة رجال الدين المسلمين محصورة محدودة لا تملك تغيير الأوضاع ولا قلب النظم ، مما جعل القواعـــد الأساسية في الإسلام على ممر القرون ، تساير العصور وتدعو إلى الرقي وتعضد العلم وتحمي العلماء ، فما كان هناك لا يصح أن يكون هنا ، وتلك بحوث واسعة وضعت فيها الكتب الكثيرة ، ومهمتنا في هذه الرسالة أن نلم بالموضوع إلمامة قصيرة من باب التذكرة والقضاء على الشبهات ، ونحن على يقين من أن كل منصف معنا في هــذه القاعدة ، وعلى ذلك فلا يجوز أبداً أن يكون هــذا الشعور رائدنا في نهضتنا الجديدة ، التي يجب أن ترتكز أول ما ترتكز على دعائم قوية من الخلق الفاضل والعلم الغزير والقوة السابغة ، وهو ما يأمر به الإسلام .

رجال الدين غير الدين نفسه

ومن المبررات التي اتخذها بعض الذين سلكوا سبيل الغربيين ، أنهم أخــذوا يشهرون بمسلك رجال الدين المسلمين من حيث

موقفهم المناوىء للنهضة الوطنيـة ، وتجنيهم على الوطنيين وممالأتهم للغاصبين وإيثارهم المنافع الخاصة والمطامع الدنيوية على على مصلحة البلد والأمة ، وذلك إن صح فهو ضعف من رجال الدين أنفسهم لا في الدين ذاته ، وهل يأمر الدين بهذا ؟. وهل تمليه سيرة الأجلاء الأفاضل من علماء الأمة الإسلامية الذين كانوا يقتحمون على المـلوك والأمراء أبوابهم وسدودهم ، فيقرعونهم ويأمرونهم وينهونهم ويرفضون أعطياتهم ويبينون لهم الحق ويتقدمون إليهم بمطالب الأمة ، بل ويحملون السلاح في وجوه الجور والظلم . وما نسي التاريخ بعد كتيبة الفقهاء في صف ابن الأشعث في شرق الدولة الإسلامية ، ولا ثورة القاضي بن يحيى الليثي المـالكي في غربها .

هذه تعاليم الدين ، وهذا ماضي رجاله من فقهـاء المسلمين فهل فيه شيء من هذا الذي يزعمون ؟ وهل من الإنصاف أن يتحمل الدين تبعة رجال انحرفوا عنه ؟

وعلى أن هذه المزاعم إن صحت في قوم فليست صحيحـة في الجميع ، وإن وقعت لظرف خـاص فليست تساير كل الظروف ، وهـذا تاريخ النهضات الحديثة في الشرق حافل بمواقف رجال الدين المسلمين في كل أمة من الأمم ، وما موقف الأزهر في مصر والمجلس الأعلى في سوريا الجنوبية « فلسطين » وسوريا الشمالية « لبنان » ومولانا أبي الكلام وإخوانه من جلة العلماء في الهند وزعماء المسلمين في أندونيسيا بمنسي ولا بعيد ، فتلك إذن مزاعم يجب ألا تتخذ ذريعة لتحويل الأمة عن دينها

باسم الوطنية المجردة ، أو ليس الأنفع للأمة أن تصلح رجال الدين وتصطلح عليهم بدلا من أن تقف منهم الموقف المبيد .
على أن هذه التعبيرات التي مرت إلينا تقليداً ومنها (رجال الدين) لا تنطبق ولا تتفق مع عرفنا ، فإنها إن كانت في الغرب خاصة (بالأكليروس) فإنها في العرف الإسلامي تشمل كل مسلم ، فالمسلمون جميعاً من أصغرهم لأكبرهم (رجال دين).

خطوة جريئة ولكنها موفقة

يا صاحب ..

بعد كل ما تقدم لا عـذر لنا إن جانبنا طريق الحق — طريق الإسلام — واتبعنا طريق الشهوات والزخارف — طريق أوربا — وفي طريق أوربا زينة وبهرج ، وفيه لذائذ وترف . وفيه تحلل وإباحية ، وفيه ما تهوى الأنفس من متعة ، وكل ذلك إلى النفس حبيب وقد قال تعالى :

« زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا » .

ولكن طريق الإسلام عزة ومنعـة وحق وقوة وبركة واستقامة وثبات وفضيلة ونبل ، فاسلكوها بالأمة وفقكم الله :
« قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان

من الله والله بصير بالعباد » .

وإنما أهلك الأمم الترف، وإنما زلزلت أوربا المتع والمطامع: « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً » .

وإن الله تبارك وتعالى قد أرسل رسوله رحمة للعالمين إلى يوم القيامة ، وبعث معه كتابه الحق نوراً وهدى إلى يوم القيامة ، وإن زعامة الرسول صلى الله عليه وسلم باقية بسنته ، وإن سلطان القرآن قوي بحجته ، وإن الإنسانية صائرة إليهما لا محالة بعز عزيز أو بذل ذليـــل من قريب أو من بعيد حتى يتحقق قول الله : « ليظهره على الدين كله » .

فكونوا أول من يتقدم باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقارورة الدواء من طب القرآن لاستنقاذ العالم المعذب المريض .

إنها خطوة جريئة ولكنها موفقة إن شاء الله تعالى والله غالب على أمره : « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » .

بعض خطوات الإصلاح العملي

يا صاحب ...

بعد ما أوضحنا ما يجب أن يسود الأمة في نهضتنا الجديدة من شعور روحي ، نحب أن نعرض ختاماً لبعض المظاهر والآثار العملية التي يجب أن يمليها هذا الشعور ، وسنذكر هنا رؤوس موضوعات فقط ونحن نعلم تمام العـــلم أن كل مطلب من هذه

المطالب يحتاج إلى بحث فسيح واسع دقيق تتوافر فيه جهود الاخصائيين وكفايتهم ، كما أننا نعلم أننـــا لم نستقص بعد كل حاجيات الأمة ومطالبها ومظاهر النهضة جميعاً ؛ ولسنا نعتقد أن تحقيق هذه المطالب من الهنات الهينات بحيث يتم في عشية أو ضحاها، كما أننا نعلم أن كثيراً منها أمامه من العقبات المتشعبة ما يحتاج إلى طول الأناة وعظيم الحكمة وماضي العزيمة، كل ذلك نعلمه ونقدره ، ونعـــلم إلى جانبه أنه إذا صدق العزم وضح السبيل ، وأن الأمة القوية الإرادة إذا أخذت في سبيل الخير فهي لا بد واصلة إلى ما تريد إن شاء الله تعالى ، فلتتوجهوا والله معكم ،أما رؤوس مناحي الإصلاح المرتكز على الروح الإسلامي الصحيح فهي .

أولاً : في الناحية السياسية والقضائية والإدارية .

١ – القضاء على الحزبية وتوجيه قوى الأمة السياسية في وجهة واحدة وصف واحد .

٢ – إصلاح القانون حتى يتفق مع التشريع الاسلامي في كل فروعه .

٣ – تقوية الجيش والإكثار من فرق الشباب وإلهاب حماستها على أسس من الجهاد الاسلامي .

٤ – تقوية الروابط بين الأقطار الاسلامية جميعاً ، وبخاصة العربية منها تمهيداً للتفكير الجدي العملي في شأن (الخلافـة) الضائعة .

٥ – بث الروح الاسلامي في دواوين الحكومة بحيث يشعر

الموظفون جميعاً بأنهم مطالبون بتعاليم الاسلام .

٦ – مراقبة سلوك الموظفين الشخصي وعدم الفصل بين الناحية الشخصية والناحية العملية .

٧ – تقديم مواعيد العمل في الدواوين صيفاً وشتاء حتى يعين ذلك على الفرائض ويقضي على السهر الكثير .

٨ – القضاء على الرشوة والمحسوبية والاعتماد على الكفاية والمسوغات القانونية فقط .

٩ – أن توزن كل أعمال الحكومة بميزان الأحكام والتعاليم الإسلامية . فتكون نظم الحفلات والدعوات والاجتماعات الرسمية والسجون والمستشفيات بحيث لا تصطدم بتعاليم الإسلام ، وتكون الدوريات في الأعمال على تقسيم لا يتضارب مع أوقات الصلاة .

١٠ – استخدام الأزهريين في الوظائف العسكرية والإدارية وتدريبهم .

ثانياً : في الناحية الاجتماعية والعلمية :

١ – تعويد الشعب احترام الآداب العامة ، ووضع إرشادات معززة بحماية القانون في ذلك الشأن ، وتشديد العقوبات على الجرائم الأدبية .

٢ - علاج قضية المرأة علاجا يجمع بين الرقي بها والمحافظة عليها وفق تعاليم الاسلام ، حتى لا تترك هذه القضية التي هي

أهم قضايا الاجتماع تحت رحمة الأقلام المغرضة والآراء الشاذة من المفرطين والمفرطين .

٣ – القضاء على البغـاء بنوعيـــه السري والعلني . واعتبار (الزنا) مهما كانت ظروفـه جريمة منكرة يجلد فاعلها .

٤ – القضاء على القمار بكل أنواعه من ألعاب ويانصيب ومسابقات وأندية .

٥ – محاربة الخمر كما تحارب المخدرات ، وتحريمها وتخليص الأمة من شرورها .

٦ – مقاومة التبرج والخلاعة وإرشاد السيدات الى ما يجب أن يكون ، والتشديد في ذلك بخاصة على المدرسات والتلميذات والطبيبات والطالبات ومن في حكمهن .

٧ – إعادة النظر في مناهـــج تعليم البنات ووجوب التفريق بينها وبين مناهج تعليم الصبيان في كثير من مراحل التعليم .

٨ – منع الاختلاط بين الطلبة والطالبات ، واعتبار خلوة أي رجل بامرأة لا تحل له جريمة يؤاخذان بها .

٩ – تشجيع الزواج والنسل بكل الوسائل المؤدية الى ذلك، ووضع تشريع يحمي الأسرة ويحض عليها ويحـــل مشكلة الزواج .

١٠ – إغلاق الصالات والمراقص الخليعة وتحريم الرقص وما الى ذلك .

١١ – مراقبة دور التمثيل وأفلام السينما والتشديد في اختيار الروايات والأشرطة .

١٢ – تهذيب الأغاني واختيارها ومراقبتها والتشديد في ذلك .

١٣ – حسن اختيار ما يذاع على الأمة من المحاضرات والأغاني والموضوعات واستخدام محطة الإذاعة في تربية وطنية خلقية فاضلة .

١٤ – مصادرة الروايات المثيرة والكتب المشككة « المفسدة » والصحف التي تعمل على إذاعة الفجور وتستغل الشهوات استغلالا فاحشاً .

١٥ – تنظيم المصايف تنظيما يقضي على الفوضى والإباحية التي تذهب بالغرض الأسامي من التصييف .

١٦ – تحديد مواعيد افتتاح وإغلاق المقاهي العامة ، ومراقبة ما يشتغل به روادها ، وإرشادهم الى ما ينفعهم وعدم السماح لها بهذا الوقت الطويل كله .

١٧ – استخدام هذه المقاهي في تعليم الأميين القراءة والكتابة ، ويساعد على ذلك هذا الشباب المتوثب من رجال التعليم الإلزامي والطلبة .

١٨ – مقاومة العادات الضارة اقتصاديا أو خلقيا أو غير ذلك ، وتحويل تيار الجماهير عنها الى غيرها من العادات النافعة، أو تهذيب نفسها تهذيباً يتفق مع المصلحة وذلك كعادات الأفراح والمآتم والموالد والزار والمواسم والأعياد وما إليها ، وتكون الحكومة قدوة صالحة في ذلك .

١٩ – اعتبار دعوة الحسبة ، ومؤاخذة من يثبت عليه مخالفة شيء من تعاليم الاسلام أو الاعتداء عليه كالإفطار في رمضان وترك الصلاة عمداً أو سب الدين وأمثال هذه الشؤون .

٢٠ – ضم المدارس الإلزامية في القرى الى المساجد ، وشمولهما معاً بالإصلاح التام من حيث الموظفون والنظافة وتمام الرعاية ، حتى يتدرب الصغار على الصلاة ويتدرب الكبار على العلم .

٢١ – تقرير التعليم الديني مادة أساسية في كل المدارس على اختلاف أنواعها كل بحسبه وفي الجامعة أيضاً .

٢٢ – تشجيع تحفيظ القرآن في المكاتب العامة الحرة ، وجعل حفظه شرطاً في نيل الاجازات العلمية التي تتصل بالناحية الدينية واللغوية ، مع تقرير حفظ بعضه في كل مدرسة .

٢٣ – وضع سياسة ثابتة للتعليم تنهض به وترفع مستواه ، وتوحد أنواعه المتحدة الأغراض والمقاصد ، وتقرب بين الثقافات

المختلفة في الأمة ، وتجعل المرحلة الأولى من مراحـــله خاصة بتربية الروح الوطني الفاضل والخلق القويم .

٢٤ – العناية باللغة العربية في كل مراحل التعليم ، وإفرادها في المراحل الأولى عن غيرها من اللغات الأجنبية .

٢٥ – العناية بالتاريخ الاسلامي، والتاريخ الوطني والتربية الوطنية وتاريخ حضارة الاسلام .

٢٦ – التفكير في الطرق لتوحيد الأزياء في الأمة تدريجيا .

٢٧ – القضاء على الروح الاجنبية في البيوت من حيث اللغة والعادات والأزياء والمربيات والممرضات الخ ، وتمصير ذلك كله وبخاصة في بيوت الطبقات الراقية .

٢٨ – توجيه الصحافة توجيها صالحاً وتشجيع المؤلــفين والكاتبين على طرق الموضوعات الاسلامية الشرقية .

٢٩ – العناية بشؤون الصحة العامة من نشر الدعاية الصحية بمختلف الطرق والاكثار من المستشفيات والأطباء والعيادات المتنقلة وتسهيل سبل العلاج .

٣٠ – العناية بشأن القرية من حيث نظامها ونظافتها وتنقية مياهها ووسائل الثقافة والراحة والتهذيب فيها .

ثالثاً : في الناحية الاقتصادية :

١ – تنظيم الزكاة دخلا ومنصرفاً بحسب تعالــيم الشريعة السمحة ، والاستعانة بها في المشروعات الخيرية التي لابد منها كملاجىء العجزة والفقراء واليتامى وتقوية الجيش .

٢ – تحريم الربا وتنظيم المصارف تنظيما يؤدي الى هذه الغاية ، وتكون الحكومة قدوة في ذلك بالتنازل عن (الفوائد) في مشروعاتها الخاصة بها كبنك التسليف والسلف الصناعية وغيرها .

٣ – تشجيع المشروعات الاقتصادية والاكثار منها ، وتشغيل العاطلين من الوطنيين فيها واستخلاص ما في أيدي الأجانب منها للناحية الوطنية البحتة .

٤ – حماية الجمهور من عسف الشركات المحتكرة وإلزامها حدودها والحصول على كل فائدة ممكنة للجمهور .

٥ – تحسين حال الموظفين الصغار برفع مرتباتهم واستبقاء علاواتهم ومكافآتهم وتقليل مرتبات الموظفين الكبار .

٦ – حصر الوظائف وخصوصاً الكثيرة منها ، والاقتصار على الضروري ، وتوزيع العمل على الموظفين توزيعاً عادلا والتدقيق في ذلك .

٧ – تشجيع الارشاد الزراعي والصناعي ، والاهتمام بترقية الفلاح والصانع من الناحية الانتاجية .

٨ – العناية بشؤون العمال الفنية والاجتماعية ، ورفع مستواهم في مختلف النواحي الحيوية .

٩ – استغلال الموارد الطبيعية كالأرض البور والمناجم المهملة وغيرها .

١٠ – تقديم المشروعات الضرورية على الكماليات في الانشاء والتنفيذ .

(وبعد) فهذه رسالة الاخوان المسلمين ، نتقدم بها ، وإنا لنضع أنفسنا ومواهبنا وكل ما نملك تحت تصرف أية هيئة أو حكومة تريد أن تخطو بأمة إسلامية نحو الرقي والتقدم نجيب النداء ونكون الفداء ، ونرجو أن نكون قد أدينا بذلك أمانتنا وقلنا كلمتنا والدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم ، وحسبنا الله ، وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ...

حسن البنا

* * *

٥

بين الأمس واليوم

للإمام الشهيد حسن البنا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ومن والاه

أصدر الاخوان المسلمون رسائل تشرح دعوتهم ، وتبين فكرتهم ، وترسم منهاجهم ، وقد جمعت تلك الرسائل أصول الدعوة ومراحلها ؛ وبينت حقيقتها وأهدافها ... وبين يدي القارىء الرسالة الأولى « بين الأمس واليوم » عن تطورات الفكرة الاسلامية وأهدافها وقد وضعت في فجر الفكرة قبيل نشوب الحرب العظمى الثانية ، وتداولها الاخوان منذ ذلك الحين ، وفيها عرض طيب لمبادىء الاسلام ووسائل الاصلاح التي رسمها ودعا الى الأخذ بها ، ونبذة عن الدولة الاسلامية في مطلع نهضتها يوم اتخذت القرآن دستوراً والرسول صلى الله عليه وسلم قدوةً وزعيماً ، كما أن فيها تحليلاً دقيقاً للعوامل التي أفسدت على المسلمين نهضتهم وبدلت حالهم ، ويرى القارىء في ختام الرسالة كلمات توجيهية سديدة ، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

والله نسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه ، وأن يفتح قلوب المسلمين وعقولهم للعمل بهدى الدين الحنيف .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد الفاتح الخاتم ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

١ - رسالة النبي الأمين - ومنهاج القرآن الكريم

منذ ألف وثلثمائة سنة وسبعين عاما نادى محمد بن عبد الله النبي الأمي في بطن مكة وعلى رأس الصفا : « يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت ، فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » . فكانت تلك الدعـــوة الجامعة حداً فاصلا في الكون كله ، بين ماض مظلم ، ومستقبل باهر مشرق ، وحاضر زاخر سعيد ، وإعلاناً واضحاً مبيناً لنظام جديد شارعه الله العليم الخبير ومبلغه محمد البشير النذير ، وكتابه القرآن الواضح المنير ، وجنده السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، وليس من وضع الناس ، ولكنه صبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي الى صراط مستقيم ، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا الى الله تصير الأمور » .

٢ ـ القواعد الأساسية في الاصلاح الاجتماعي الكامل الذي جاء به القرآن الكريم

والقرآن هو الجامع لأصول هذا الإصلاح الاجتماعي الشامل وقد أخذ يتنزل على النبي صلى الله عليه وسلم ، ويعلن به المؤمنين بين الآن والآن بحسب الوقائع والظروف والمناسبات « كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ، ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً » حتى اكتمـــل به الوحي وحفظ في الصدور والسطور في مدى اثنين وعشرين سنة وكسور ، وقد جمع الله فيه لهذه الأمة تبيان كل شيء ، وأصول الإصلاح الاجتماعي الكامل الذي جاء به تكاد تنحصر في هذه الأصول :

(ا) الربانية .

(ب) التسامي بالنفس الإنسانية .

(ج) تقرير عقيدة الجزاء .

(د) إعلان الأخوة بين الناس .

(هـ) النهوض بالرجل والمرأة جميعاً ، وإعلان التكافل والمساواة بينهما ، وتحديد مهمة كل منهما تحديداً دقيقاً .

(و) تأمين المجتمع بتقرير حق الحياة والملك والعمل والصحة والحرية والعلم والأمن لكل فرد وتحديد موارد الكسب .

(ز) ضبط الغريزتين : غريزة حفظ النفس ، وحفظ النوع ، وتنظيم مطالب الفم والفرج .

(ح) الشدة في محاربة الجرائم الأصلية .

(ط) تأكيد وحدة الأمة والقضاء على كل مظاهر الفرقة وأسبابها .

(ي) إلزام الأمة الجهاد في سبيل مبادىء الحق التي جاء بها هذا النظام .

(ك) اعتبار الدولة ممثلة للفكرة وقائمة على حمايتها، ومسؤولة عن تحقيق أهدافها في المجتمع الخاص ، وإبلاغها الى الناس جميعاً .

٣ – الشعائر العملية لهذا النظام

وقد خالف هذا النظام القرآني غيره من النظم الوضعية والفلسفات النظرية فلم يترك مبادئه وتعاليمه نظريات في النفوس ، ولا آراء في الكتب ولا كلمات على الأفواه والشفاه ، ولكنه وضع لتركيزها وتثبيتها والانتفاع بآثارها ونتائجها مظاهر عملية وألزم الأمة التي تؤمن به وتدين له بالحرص على هذه الأعمال وجعلها فرائض عليها لا تقبل في تضييعها هوادة ، بل يثيب العاملين ويعاقب المقصرين عقوبة قد تخرج بالواحد منهم من حدود هذا المجتمع الاسلامي وتطوح به الى مكان سحيق . وأهم هذه الفرائض التي جعلها هذا النظام سياجاً لتركيز مبادئه هي :

(أ) الصلاة والذكر والتوبة والاستغفار .. الخ .

(ب) الصيام والعفة والتحذير من الترف .

(جـ) الزكاة والصدقة والإنفاق في سبيل الخير .

(د) الحج والسياحة والرحلة والكشف والنظر في ملكوت الله.

(هـ) الكسب والعمل وتحريم السؤال .

(و) الجهاد والقتال وتجهيز المقاتلين ورعاية أهليهم ومصالحهم من بعدهم .

(ز) الأمر بالمعروف وبذل النصيحة .

(ح) النهي عن المنكر ومقاطعة مواطنه وفاعليه .

(ط) التزود بالعلم والمعرفة لكل مسلم ومسلمة في فنون الحياة المختلفة كل فيما يليق به .

(ي) حسن المعاملة وكمال التخلق بالأخلاق الفاضلة .

(ك) الحرص على سلامة البدن والمحافظة على الحواس .

(ل) التضامن الاجتماعي بين الحاكم والمحكوم بالرعاية والطاعة معاً .

فالمسلم مطالب بأداء هذه الواجبات ، والنهوض بها كما فصلها النظام القرآني ، وعليه ألا يقصر في شيء منها ، وقد ورد ذكرها جميعاً في القرآن الكريم ، وبينتها بياناً شافياً أعمال النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والذين اتبعوهم بإحسان في بساطة ووضوح ، وكل عمل فيها أو عدة أعمال تقوي وتركز مبدأ أو عدة مبادىء من النظريات السابقة التي جاء هذا النظام لتحقيقها وإفادة الناس بنتائجها وآثارها .

٤ – الدولة الاسلامية الأولى

على قواعد هذا النظام الاجتماعي القرآني الفاضل قامت الدولة الاسلامية الاولى تؤمن به إيماناً عميقـــاً وتطبقه تطبيقاً دقيقاً وتنشره في العالمين ، حتى كان الخليفة الأول رضي الله عنه يقول : « لو ضاع مني عقال بعير لوجدته في كتاب الله » وحتى إنه ليقاتل مانعي الزكاة ويعتبرهم مرتدين بهدمهم هذا الركن من أركان هذا النظام ويقول : « والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وســلم لقاتلتهم متى استمسك السيف بيدي » وكانت الوحدة بكل معانيها ومظاهرها تشمل هذه الأمة الناشئة . فالوحدة الاجتماعية شاملة بتعميم نظام القرآن ولغة القرآن ، والوحدة والسياسة شاملة في ظل أمير المؤمنين وتحت لواء الخلافة في العاصمة ، ولم يحل دونها ان كانت الفكرة الاسلامية فكرة لا مركزية في الجيوش ، وفي بيوت المال ، وفي تصرفات الولاة ، إذ ان الجميع يعملون بعقيدة واحدة وبتوجيه عام متحد . ولقد طاردت هذه المبادىء القرآنية الوثنية المخرفة في جزيرة العرب وبلاد الفرس فقضت عليها ، وطاردت اليهودية الماكرة فحصرتها في نطـــاق ضيق وقضت على سلطانها الديني والسياسي قضاءً تاماً ، وصارعت المسيحية حتى انحصر ظلها في قارتي آسيا وأفريقيا وانحازت الى أوربا في ظل الدولة الرومانية الشرقية بالقسطنطينية وتركز بذلك السلطان الروحي والسياسي بالدولة الاســلامية في القارتين العظيمتين ، وأحلت

بالغزو على القارة الثالثة تهاجم القسطنطينية من الشرق وتحاصرها حتى يجهدها الحصار وتأتيها من الغرب فتقتحم الأندلس وتصل جنودها المظفرة الى قلب فرنسا والى شمال وجنوب إيطاليـــا وتقيم في غرب أوربا دولة شامخة البنيان مشرقة بالعلم والعرفان ، ويتم لها بعد ذلك فتح القسطنطينية نفسها وحصر المسيحية في هذا الجزء المحدود من قلب أوربا ، وتمخر الأساطيل الاسلامية عباب البحرين الأبيض والأحمر فيصير كل منهما بحيرة إسلامية ، وتقبض قوات الدولة الاسلامية بذلك على مفاتيح البحار في الشرق والغرب وتتم لهـــا السيادة البرية والبحرية وقد اتصلت هذه الأمم الاسلامية بغيرها من الأمم ونقلت كثيراً من الحضارات ولكنها تغلبت بقوة إيمانها ومتانة نظامها عليها جميعاً فعربتها أو كادت واستطاعت أن تصبغها وأن تحملها على لغتها ودينها بما فيها من روعة وحيوية وجمال ، ولم يمنعها أن تأخذ النافع من هذه الحضارات جميعاً من غير ان يؤثر ذلك في وحدتها الاجتماعية أو السياسية .

٥ – عوامل التحلل في كيان الدولة الاسلامية والشعب الاسلامي

ومع هذه القوة البالغة والسلطان الواسع فإن عوامل التحلل قد أخذت تتسلل إلى كيان هذه الأمة القرآنية وتعظم وتنتشر وتقوى شيئاً فشيئاً حتى مزقت هذا الكيان وقضت على الدولة

الاسلامية المركزية في القرن السادس الهجري بأيدي التتار وفي القرآن الرابع عشر الهجري مرة ثانية وتركت وراءها في كلتا المرتين أمماً مبعثرة ودويلات صغيرة تتوق الى الوحدة وتتوثب للنهوض وكان أهم هذه العوامل :

(أ) الخلافات السياسية والعصبية وتنازع الرياسة والجاه ، مع التحذير الشديد الذي جاء به الاسلام في ذلك والتزهيد في الإمارة ولفت النظر الى هذه الناحيـــة التي هي سوس الأمم ومحطمة الشعوب والدول : « ولا تنـازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ، إن الله مع الصابرين » ومع الوصية البالغـة بالإخلاص لله وحده في القول والعمل والتنفير من حب الشهرة والمحمدة .

(ب) الخلافات الدينية والمذهبية والانصراف عن الدين كعقائد وأعمال الى ألفاظ ومصطلحات ميتة لا روح فيها ولا حياة ، وإهمال كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والجمود والتعصب للآراء والأقوال ، والولع بالجدل والمناظرات والمراء ، وكل ذلك مما حذر منه الإسلام ونهى عنه أشد النهي حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما ضـل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل » .

(جـ [illegible] اس في ألوان الترف والنعيم ، والإقبال على المتعة والشهو [illegible] أثر عن حكام المسلمين في كثير من العصور ما لم

يؤثر عن غيرهم مع أنهم يقرأون قول الله تبارك وتعالى : «و إذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً » .

(د) انتقال السلطة والرياسة الى غير العرب من الفرس تارة والديلم تارة أخرى والمماليك والاتراك وغيرهم بمن لم يتذوقوا طعم الاسلام الصحيح ولم تشرق قلوبهم بأنوار القرآن لصعوبة إدراكهم لمعانيه مع أنهم يقرأون قول الله تبارك وتعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ، ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون » .

(ه) إهمال العلوم العملية والمعارف الكونية وصرف الاوقات وتضييع الجهود في فلسفات نظرية عميقة وعلوم خيالية سقيمة مع أن الاسلام يحثهم على النظر في الكون واكتناه أسرار الخلق والسير في الارض ويأمرهم أن يتفكروا في ملكوت الله: « قل انظروا ماذا في السماوات والارض » .

(و) الغرور بسلطانهم والانخداع بقوتهم وإهمال النظر في التطور الاجتماعي للأمم من غيرهم ، حتى سبقتهم في الاستعداد والأهبة وأخذتهم على غرة ، وقد أمرهم القرآن باليقظة وحذرهم مغبة الغفلة واعتبر الغافلين كالأنعام بل هم أضل : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » .

(ز) الانخداع بدسائس المتملقين من خصومهم والإعجاب بأعمالهم ومظاهر حياتهم والاندفاع في تقليدهم فيما يضر ولا ينفع مع النهي الشديد عن التشبه بهم والأمر الصريح بمخالفتهم والمحافظة على مقومات الأمة الاسلامية والتحذير من مغبة هذا التقليد حتى قال القرآن الكريم : « يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين » وقال في آية أخرى : « يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين » .

٦ ــ صراع سياسي

(ا) أخذت هذه العوامل تعمل في كيان الدولة الاسلامية والأمة الاسلامية عملها وظنت الأمم الموتورة أن قد سنحت الفرصة لتأخذ بثأرها وتقضي على هذه الدولة الاسلامية التي فتحت بلادها من قبل وغيرت معالم أوضاعها في كل شؤون الحياة ، فانحدر التتار كالسيل الدافق على الدولة الاسلامية وأخذوا يقطعون أشلاءها جزءاً جزءاً حتى وصلوا إلى بغداد عاصمة الخلافة العباسية ووطئوها بنعالهم في شخص الخليفة المستعصم ، وبذلك تبدد شمل الدولة وانتثر عقد الخلافة لأول مرة وتفرقت الأمم الى دويلات صغيرة ، فكل قبيلة فيها أمير المؤمنين ومنبر ، وتنبهت المسيحية في أوربا وجمعت جموعها وقذفت الشرق المسلم في آسيا وأفريقيا بكتائبها في تسع حملات صليبية اشتملت على خير ما فيها من فرسان وملوك وعتاد ،

وتمكنت هذه القوات الزاحفة من إقامة دولة صليبية في بيت المقدس وتهديد أمم الاسلام في الشرق والغرب ومهاجمة مصر أقوى هذه الدول إذ ذاك .

(ب) انتعاش: ولكن الله تبارك وتعالى لم يأذن بعد بانتصار الباطل على الحق فاستطاعت مصر أن تجمع حولها فلول بعض هذه الدويلات وتقذف بهم في نحر الصليبيين بقيادة صلاح الدين فتستعيد منهم بيت المقدس وتريهم كيف تكون الهزيمة في حطين، ثم تقف في وجه التتار بقيادة الظاهر بيبرس وتردهم على أعقابهم خاسئين في عين جالوت ثم تعيد رسم الخلافة من جديد ، ويريد الله بعد ذلك أن تقوم للاسلام دولة وارفة الظلال قوية البأس شديدة المراس تجمع كلمة أهله وتضم تحت لوائها معظم أممه وشعوبه ويأبى لها علو الهمة إلا أن تغزو المسيحية في عقر دارها فتفتتح القسطنطينية ويمتد سلطانها في قلب أوربا حتى يصل إلى فيينا ، تلك هي دولة الأتراك العثمانية .

(جـ) بواكير النهضة في أوربا : اطمأنت الدولة الاسلامية تحت لواء العثمانيين إلى سلطانها واستنامت إليه وغفلت عن كل ما يدور حولها ولكن أوربا التي اتصلت بأضواء الاسلام غربا بالأندلس وشرقاً بالحملات الصليبية لم تضع الفرصة ولم تغفل عن الاستفادة بهذه الدروس فأخذت تتقوى وتتجمع تحت لواء الفرنجة في بلاد الغال، واستطاعت بعد ذلك أن تصد تيار الغزو الاسلامي الغربي وأن تبث الدسائس بين صفوف مسلمي الأندلس وأن تضرب بعضهم ببعض إلى أن قذفت بهم أخيراً إلى ماوراء

البحر أو إلى العدوة الأفريقية ، فقامت مقامهم الدولة الاسبانيولية الفتية وما زالت أوربا تتقوى وتتجمع وتفكر وتتعلم وتجوب البلاد وتكشف الأقطار حتى كان كشف أميريكا عملا من أعمال اسبانيا وكشف طريق الهند عملا من أعمـــال البرتغال ، وتوالت فيها صيحات الإصلاح ونبغ بها كثـــير من المصلحين وأقبلت على العلم الكوني والمعرفة المنتجة المثمرة . وانتهت بها هذه الثورات الإصلاحية إلى تكوين القوميات وقيام دولة قوية جعلت هدفها جميعاً أن تمزق هذه الدولة الاسلامية التي قاسمتها أوربا واستأثرت دونها بأفريقيا وآسيا وتحالفت هذه الدول الفتية على ذلك أحلافاً رقت بها الى درجة القداسة في كثير من الأحيان .

(د) هجوم جديد : وامتدت الأيـــدي الأوربية بحكم الكشف والضرب في الأرض والرحلة الى أقصى آفاتها البعيدة الى كثير من بلدان الاسلام النائية كالهند وبعض الولايات الاسلامية المجاورة لها وأخذت تعمل في جد للوصول إلى تمزيق دولة الاســـلام القوية الواســـعة وأخـــذت تضع لذلك المشروعات الكثيرة تعبر عنها أحياناً بالمسألة الشرقية وأخرى باقتسام تركة الرجل المريض ، وأخذت كل دولة تنتهز الفرصة السانحة وتنتحل الأسباب الواهية وتهاجم الدولة الوادعة اللاهية فتنقص بعض أطرافها أو تهد جانباً من كيانها ، واستمرت هذه المهاجمة أمداً طويلا انسلخ فيه عن الدولة العثمانيـــة كثير من

الأقطار الاسلامية ، وقعت تحت السلطان الأوربي (كالمغرب الأقصى وشمال أوربا) واستقل فيه كثير من البلاد غـــير الاسلامية التي كانت تحت سلطان العثمانيين كاليونان ودول البلقان، وكان الدور الختامي في هذا الصراع الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ – ١٩١٨ م الذي انتهى بهزيمة تركيا وحلفائها وبذلك سنحت الفرصة الكاملة لأقوى شعوب أوربا (انجلترا وفرنسا) وإلى جوارهما (إيطاليا) فوضعت يدها على هذا الميراث الضخم من أمم الاسلام وشعوبه، وبسطت سلطانها عليها في أسماء مختلفة من احتلال واستعمار ووصاية وانتداب وتقاسمته على هذا النحو:

١ – أفريقيا الشمالية (مراكش والجزائر وتونس)مستعمرات فرنسية تتخللها منطقة نفوذ دولية في طنجة ومستعمرة اسبانية في الريف .

٢ – طرابلس وبرقة مستعمرة إيطالية لم تشأ إيطاليا أن تبقي على شيء من آثار الاسلام فيها ، ففرضت عليها التجنس بالجنسية الايطالية وأسمتها ايطاليا الجنوبية ، وقذفتها بآلاف من جياع الأسر وذئاب البشر .

٣ – مصر والسودان تحت الحماية الانجليزية لا تملك إحداهما لنفسها من أمرها شيئاً .

٤ – فلسطين مستعمرة انجليزية أباحت انجلترا لنفسها أن تبيعها لليهود لينشئوا فيها الوطن القومي الصهيوني .

٥ – سوريا مستعمرة فرنسية .

٦ – العراق مستعمرة انجليزية .

٧ – الحجاز حكومة ضعيفة متداعيـــة تنتظر الصدقات وتتشبث بالعهود الزائفة والمواثيق الباطلة .

٨ – اليمن حكومة منزوية وشعب فقير مهدد بالغزو في كل مكان في أي وقت من الأوقات .

٩ – بقية أقسام الجزيرة العربية إمارات صغيرة يعيش أمراؤها في كنف القناصل الانجليزية ويقاتلون بفتات موائدهم وتشتعل صدورهم بنيران التحاقد والتباغض ، هذا مع الوعود المؤكدة والمواثيق الغليظة التي قطعها الحلفاء لعاهل الجزيرة الملك حسين أن يساعدوه على استقلال العرب وتدعيم سلطان الخلافة العربية .

١٠ – إيران والأفغان حكومات مضطربة تتوزعها الأطماع من كل مكان فهي تحت كنف هذه الأمة تارة وإلى جانب تلك تارة أخرى .

١١ – الهنـــد مستعمرة انجليزية .

١٢ – تركستان وما جاورها مستعمرات روسية يذيقها البلاشفة مر العذاب . وفيما عدا ذلك فهناك الأقليات الاسلامية المنثورة في كثير من البلدان لا تعرف دولة تلجأ إلى حمايتها ، أو حكومة مسلحة تحتمي بجنسيتها كالمسلمين في الحبشة والصين والبلقان وبلاد أفريقية الوسطى والجنوبية الشرقية والغربية . وبهذا الوضع انتصرت أوربا في هذا الصراع السياسي وتم لها

ما أرادت من تمزيق الإمبراطورية الاسلامية والذهاب بدولة الاسلام وحذفها سياسياً من قائمة الدول الحية العظيمة .

(هـ) إلى القوة من جديد : ولكن هـــذا العدوان الصارخ والاستهتار بالعهود والمواثيق أحرج الصدور وأثار النفوس فهبت هذه الأمم تطالب باستقلالها وتجاهد لاسترداد حريتها ومجدها، واشتعلت فيها الثورات لهذا المعنى، فثارت تركيا، وثارت مصر ، وثارت العراق وسوريا ، وتكررت الثورات في فلسطين والريف في بلاد المغرب ، وعمت اليقظة النفوس في كل مكان ، ووصلت شعوب الاسلام بذلك إلى بعض الحقوق ، فاستقلت تركيا في حدودها الجديدة ، واعتبرت مصر والعراق دولتين مستقلتين ، وقامت في الحجاز ونجد دولة السعوديـــين ، وحافظت اليمن وإيران وأفغانستان على وضعياتها المستقلة ، وقاربت سوريا أن تسلب الاعتراف باستقلالهـــا[١] ، ولفتت فلسطين أنظار العالم إليها بكفاحها ، وخطا المسلمون ولا شك خطوات طيبة وإن كانت قليلة وبطيئة نحو الأهداف الكريمة التي قصدوها من استعادة حريتهم واسترداد مجدهم وبناء دولتهم، ولئن اتجهت هذه الخطوات إلى المعنى القومي الخاص وطالبت كل أمة بحقها في الحرية كأمة مستقلة وتعمد كثير من العاملين لهذه

---

(١) نالت سوريا أخيراً حريتها واعترفت الدول باستقلالها وجلا الفرنسيون عن ديارها .

النهضة أن يغفل فكرة الوحدة فإن مصير هذه الخطوات سيكون ، ولا شك ، التجمع وعودة الإمبراطورية الاسلامية كدولة متحدة تضم شتات شعوب العالم الاسلامي وترفع راية الاسلام وتحمل دعوته ، فليس في الدنيا أمة يجمعها ما يجمع المسلمين من وحدة اللغة والاشتراك في المصالح المادية والروحية والتشابه في الآلام والآمال .

(و) حرب جديدة : ولقد خرجت الدول الأوربية من الحرب العالمية وبذور الحقد والبغضاء متأصلة في صدور الكثير منها وجاء مؤتمر الصلح ومعاهداته لطمات قاسية لبعضها وخيبة أمل مؤلمة لكثير منها ،هذا الى ظهور كثير من الفكر الجديدة، والمبادىء المتعصبة الشديدة التعصب ؛ ولا بد أن تنتهي هذه الحال بهذه الأمم الى خلاف جديد وحرب طاحنة ضروس تبدد شملهم وتمزق وحدتهم وتعيدهم الى رشدهم وتردهم عن ظلمهم ، وتهب لأمم الاسلام فرصة أخرى تسوي فيها صفوفها وتجمع شملها وتستكمل حريتها واستقلالها وتسترد دولتها ووحدتها تحت لواء أمير المؤمنين : « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين » .

٧ ـ صراع اجتماعي

حضارة جديده : إن الأمم الأوربية التي اتصلت بالاسلام وشعوبه في الشرق بالحروب الصليبية وفي الغرب بمجاورة عرب الأندلس ومخالطتهم لم تستفد من هذا الاتصال بمجـــرد الشعور

القوي أو التجمع والتوحد السياسي ولكنها أفادت الى جانب ذلك يقظة ذهنية وعقلية كبيرة واكتسبت علوماً ومعارف جمة وظهرت فيها نهضة أدبية وعلمية واسعة النطـــاق ، وقامت الكنيسة تناهض هذه الظاهرة الغريبة بكل ما أوتيت من قوة، وتذيق رجالها من الأدباء والعلماء مر العذاب ، وتعتدي عليهم محاكم التفتيش وتثير ضدهم الدول والشعوب ، ولكن ذلك كله لم يجدها نفعاً ولم تثبت تعاليمها أمام حقائق العلم وكشوفه ، وخرجت النهضة العلمية منتصرة كل الانتصار وتنبهت الدولة بذلك فصارعت الكنيسة هي الأخرى حتى صرعتها وتخلص بذلك المجتمع الأوربي تخلصاً تاماً من سلطانها وطارد رجالها الى المعابد والأديرة وألزم البابا الإقامة في الفاتيكان وحصر عمل رجال الدين في نطاق ضيق من شؤون الحياة لا يخرجون عنه ولا يتطلعون الى سواه ولم تبق أوربا على المسيحية إلا كتراث تاريخي ، وعامل من عوامل تهذيب البسطاء والأغرار من دهماء الشعوب ، ووسيلة من وسائل التغلب والاستعمار وقضاء المآرب السياسية ، وامتد أمام الاوربيين رواق العلم وانفسح مجـــال الاختراع والكشف وضاعفت الماكينة الإنتاج ووجهت الحياة وجهة صناعية ، وسار ذلك جنبـــاً الى جنب مع نشأة الدولة القوية وامتداد سلطانها الى كثير من البلاد والأقطار ، فأقبلت الدنيا على هذه الامم الاوربية وجبيت إليها ثمرات كل شيء ، وتدفقت عليها الاموال من كل مكان فكان طبيعياً بعد ذلك ان

تقوم الحياة الاوربية والحضارة الاوربية على قاعدة إقصاء الدين عن مظاهر الحياة الاجتماعية وبخاصة الدولة والمحكمة والمدرسة وطغيان النظرة المادية وجعلها المقياس في كل شيء ... وتبعاً لذلك صارت مظاهر هذه الحضارة مظاهر مادية بحتة تهدم ما جاءت به الأديان السماوية وتناقض كل المناقضة تلك الأصول التي قررها الاسلام الحنيف وجعلها أساساً لحضارته ، التي جمعت بين الروحانية والمادية جميعاً ، ومن أهم الظواهر التي لازمت المدنية الأوربية :

١ — الإلحاد والشك في الله وإنكار الروح ونسيان الجزاء الأخروي والوقوف عند حدود الكون المادي المحسوس : « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون » .

٢ — الإباحية والتهافت على اللذة والتفنن في الاستمتاع وإطلاق الغرائز الدنيا من عقالها وإشباع شهوتي البطن والفرج وتجهيز المرأة بكل صنوف الفاتن والمغريات والإغراق في الموبقات إغراقاً يحطم الجسوم والعقول ويقضي على نظام الأسر ويهدم سعادة البيوت : « والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم » .

٣ — الأثرة في الأفراد ، فكل إنسان لا يريد إلا خير نفسه . وفي الطبقات ، فكل طبقة تتعالى عمن سواها وتود ان تحظى بالمغانم دونها . وفي الشعوب ، فكل أمة تتعصب لجنسها وتنتقص غيرها وتحاول أن تلتهم من هي أضعف منها .

٤ ـ الربا والاعتراف بشرعيته واعتباره قاعدة التعامل والتفنن في صوره وضروبه وتعميمه بين الدول والأفراد ، وقد أنتجت هذه المظاهر المادية البحتة في المجتمـــع الأوربي فساد النفوس وضعف الأخلاق والتراخي في محاربة الجرائم فكثرت المشكلات وظهرت المبادىء الهدامة واشتعلت الثورات المخربة المدمرة واضطربت النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فلم تستقر على حال وتمزقت الدول بالطوائف والأحزاب وتناحرت الشعوب على المطامع والأحقاد ، وأثبتت هذه المدنية الحديثة عجزها التام عن تأمين المجتمع الإنساني وإقرار الطمأنينة والسلام فيه وفشلها في إسعاد الناس رغم ما فتحت عليهم من حقائق العلم والمعرفة وما وفرت لهم من أسباب الغنى والثراء وما مكنت لدولها في الأرض من قوة وسلطان ولما يمض عليها قرن كامل من الزمان .

طغيان المادة على بلاد الاسلام

وقد عمل الأوربيون جاهدين على أن تغمر موجـــة هذه الحياة المادية بمظاهرها الفاسدة وجراثيمها القتالة جميع البلاد الاسلامية التي امتدت إليها أيديهم وأوقعها سوء الطالع تحت سلطانهم ، مع حرصهم الشديد على أن يحتجزوا دون هذه الأمم عناصر الصلاح والقوة من العلوم والمعارف والصناعات والنظم النافعة وقد أحكموا خطة هذا الغزو الاجتماعي إحكاماً شديداً واستعانوا بدهائهم السياسي وسلطانهم العسكري حتى تم لهم ما

أرادوا . أغروا كبار المسلمين بالاستدانة منهم والتعامل معهم وسهلوا عليهم ذلك وهونوه عليهم واستطاعوا بذلك أن يكتسبوا حق التدخل الاقتصادي وأن يغرقوا البلاد برؤوس أموالهم ومصارفهم وشركاتهم وأن يديروا دولاب العمل الاقتصادي كما يريدون وأن يستأثروا دون الأهلين بالأرباح الطائلة والثروات العظيمة ، وتمكنوا بعد ذلك من أن يغيروا قواعد الحكم والقضاء والتعليم وأن يصبغوا النظم السياسية والتشريعية والثقافية بصبغتهم الخالصة في أقوى بلاد الاسلام ، وجلبوا إلى هذه الديار نساءهم الكاسيات العاريات وخمورهم ومسارحهم ومراقصهم وملاهيهم وقصصهم وجرائدهم ورواياتهم وخيالتهم وعبثهم ومجونهم ، وأباحوا فيها من الجرائم ما لم يبيحوه في ديارهم ، وزينوا هذه الدنيا لصاخبة العابثة التي تعج بالإثم وتطفح بالفجور في أعين البسطاء الأغرار من المسلمين الأغنياء وذوي الرأي فيهم وأهل المكانة والسلطان . ولم يكفهم هذا حتى أنشأوا المدارس والمعاهد العلمية والثقافية في عقر ديار الاسلام تقذف في نفوس أبنائه الشك والإلحاد وتعلمهم كيف ينتقصون أنفسهم ويحتقرون دينهم ووطنهم وينسلخون من تقاليدهم وعقائدهم ويقدسون كل ما هو غربي ، ويؤمنون بأن ما يصدر عن الأوربيين وحده هو المثل الأعلى في هذه الحياة . واحتوت هذه المدارس على أبناء الطبقة العليا وحدها وصارت وقفاً عليها . وأبناء هذه الطبقة هم العظماء والحكام

ومن سيكون بيدهم بعد قليل مقاليد الامـــور في هذه الأمم والشعوب . ومن لم يتم نضجه في هذه المعاهد الموضعية فإن في البعثات المتلاحقة ما يكفل لهم التام.. ونجح هذا الغزو الاجتماعي المنظم العنيف أعظم النجاح فهو غزو محبب الى النفوس لاصق بالقلوب طويل العمر قوي الأثر ، وهو لهذاأخطر من الغزو السياسي والعسكري بأضعاف الأضعاف ، وتعالت بعض الأمم الاسلامية في الإعجاب بهذه الحضارة الأوربية والتبرم بصبغتها الاسلامية حتى أعلنت تركيا أنها دولة غـــير إسلامية وتبعت الأوربية في عنف قاس في كل ما يصنعون ، وحاول ذلك أمان الله خان ملك الافغان فطاحت تلك المحاولة بعرشه وازدادت في مصر مظاهر هذا التقليد واستفحلت حتى استطاع رجل من ذوي الرأي فيها أن يجهر بأنه لا سبيل الى الترقي إلا بأن نأخذ بهذه الحضارة خيرها وشرها وحلوهاومرها وما يحب منها وما يكره وما يحمد منها وما يعاب . وأخذت تنتقل في سرعة وقوة من مصر الى ما جاورها من البــلاد حتى وصلت إلى أقصى المغرب وطوفت بالمشاعر المقدســـة في ربوع الحجاز ، ونستطيع أن نقسم البلاد الاسلامية بحسب تأثرها بهذه الحضارة المادية وطغيان مادتها عليها الى ثلاثة أقسام :

١ — بلاد بلغ فيها هذا التأثر مبلغاً عظيماً يصل الى القلوب والمشاعر ، كما غير الأوضاع والمظاهر ، ومن هذه البلاد تركـيا ومصر فقد انحسر ظل الفكرة الاسلامية في هذه البلاد عن كل

الأوضاع الاجتماعية وطوردت الفكرة الاسلامية لتقبع في المساجد والزوايا والربط والتكايا .

٢ - بلاد تأثرت بهذه الحضارة في أوضاعها ومظاهرها الرسمية ، ولكنها لم تتغلب فيها على المشاعر القلبية كإيران وبلاد المغرب لإشمال أفريقيا .

٣ - بلاد لم تتأثر بهذه الحضارة فيها إلا طبقة خاصة من المثقفين والحكام دون العامة والدهماء كسوريا والعراق والحجاز وكثير من أجزاء الجزيرة العربية وبقية ممالك الاسلام .

ومع هذا فالموجة تمتد بسرعة البرق لتصل الى ما لم تصل إليه بعد من النفوس والطبقات والأوضاع . ولقد استطاع خصوم الاسلام أن يخدعوا عقلاء المسلمين وأن يضعوا ستاراً كثيفاً أمام أعين الغُيُر منهم بتصوير الاسلام نفسه تصويراً قاصراً في ضروب من العقائد والعبادات والأخلاق الى جانب مجموعة من الطقوس والخرافات والمظاهر الجوفاء ، وأعانهم على هذه الخديعة جهل المسلمين بحقيقة دينهم حتى استراح كثير منهم إلى هذا التصوير واطمأنوا اليه ورضوا به ، وطال عليهم في ذلك الأمد حتى صار من العسير أن نفهم أحدهم أن الاسلام نظام اجتماعي كامل يتناول كل شؤون الحياة ونستطيع بعد ذلك أن نقول إن الحضارة الغربية بمبادئها المادية قد انتصرت في هذا الصراع الاجتماعي على الحضارة الاسلامية بمبادئها القويمة الجامعة للروح والمادة معاً في أرض الاسلام نفسه ، وفي حرب ضروس

ميدانها نفوس المسلمين وأرواحهم وعقائدهم وعقولهم كما انتصرت في الميدان السياسي والعسكري ، ولا عجب في هذا فإن مظاهر الحياة لا تتجزأ والقوة قوة فيها جميعاً ، والضعف ضعف فيها جميعاً كذلك : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » وإن كانت مبادىء الاسلام وتعاليمه ضلت قوية في ذاتها فياضة بالخصب والحياة جذابة . أخاذة بروعتها وجمالها ، وستظل كذلك لانها الحق ولن تقوم الحياة الإنسانية كاملة فاضلة بغيرها ولأنها من صنع الله وفي حياطته : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ، « يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

(ب) يقظة : وكما كان لذلك العدوان السياسي أثره في تنبيه المشاعر القومية ، وكان لهذا ، الطغيان الاجتماعي أثره كذلك في انتعاش الفكرة الإسلامية ، فارتفعت الأصوات من كل مكان تطالب بالرجوع الى الاسلام وتفهم أحكامه وتطبيق نظامه ولا بد أن يأتي قريباً ذلك اليوم الذي تندك فيه صروح هذه المدنية المادية على رؤوس أهلها ؛ وحينئذٍ يشعرون بسعير الجوع الروحي تشتعل به قلوبهم وأرواحهم ولا يجدون الغذاء والشفاء والدواء إلا في تعاليم هذا الكتاب الكريم : « يأيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ، قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون » .

٨ – دعوتنا دعوة البعث والانقاذ

(ا) تركة مثقلة : وهكذا أيها الإخوان أراد الله أن نرث هذه التركة المثقلة بالتبعات ، وأن يشرق نور دعوتكم في ثنايا هذا الظلام وأن يهيئكم الله لإعلاء كلمته وإظهار شريعته وإقامة دولته من جديد : « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز » .

(ب) أهدافنا العامة : ماذا نريد أيها الإخوان ؟ أنريد جمع المال وهو ظل زائل ؟ أم نريد سعة الجاه وهو عرض حائل ؟ أم نريد الجبروت في الأرض : « والأرض لله يورثها من يشاء من عباده » ؟ ونحن نقرأ قول الله تبارك وتعالى : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين » شهد الله أننا لانريد شيئاً من هذا وما لهذا عملنا ولا إليه دعونا ولكن اذكروا دائماً أن لكم هدفين أساسيين :

١ – أن يتحرر الوطن الإسلامي من كل سلطان أجنبي وذلك حق طبيعي لكل إنسان لا ينكره إلا ظالم جائر أو مستبد قاهر .

٢ – أن تقوم في هذا الوطن الحر دولة إسلامية حرة تعمل بأحكام الاسلام وتطبق نظامه الاجتماعي وتعلن مبادئه القويمة وتبلغ دعوته الحكيمة للناس ، وما لم تقم هذه الدولة فإن المسلمين جميعاً آثمون مسؤولون بين يدي الله العلي الكبير عن

تقصيرهم في إقامتها وقعودهم عن إيجادها . ومن العقوق للإنسانية في هذه الظروف الحائرة أن تقوم فيها دولة تهتف بالمبادىء الظالمة وتنادي بالدعوات الغاشمة ولا يكون في الناس من يعمل لتقوم دولة الحق والعدالة والسلام . نريد تحقيق هذين الهدفين في وادي النيل وفي بلاد العروبة وفي كل أرض أسعدها الله بعقيدة الاسلام : دين وجنسية وعقيدة توحد بين جميع المسلمين .

(جـ) أهدافنا الخاصة : ولنا بعد هذين الهدفين أهداف خاصة لا يصير المجتمع إسلامياً كاملاً إلا بتحقيقها . فاذكروا أيها الاخوان أن أكثر من ٦٠ ٪ من المصريين يعيشون أقل من معيشة الحيوان ، ولا يحصلون على القوت إلا بشق النفس وأن مصر مهددة بمجاعة قاتلة ومعرضة لكثير من المشكلات الاقتصادية التي لا يعلم نتيجتها إلا الله وأن مصر بها أكثر من ٣٢٠ شركة أجنبية تحتكر كل المرافق العامة وكل المنافع الهامة في جميع أنحاء البلاد ، وأن دولاب التجارة والصناعة والمنشآت الاقتصادية كلها في أيدي الاجانب المرابين وأن الثروة العقارية تنتقل بسرعة البرق من أيدي الوطنيين الى أيدي هؤلاء ، وأن مصر أكثر بلاد العالم المتمدين أمراضاً وأوبئة وعاهات وان أكثر من ٩٠ ٪ من الشعب المصري مهدد بضعف البنية وفقد الحواس ومختلف العلل والامراض وأن مصر لا زالت الى الآن جاهلة لم يصل عدد المتعلمين فيها الى الخمس بما في ذلك أكثر

من مائة ألف شخص لا يتجـــاوز تعليمهم برامج مدارس الالزام ، وأن الجرائم تتضاعف في مصر وتتكاثر بدرجة هائلة حتى أن السجون لتخرج أكثر مما تخرج المدارس ، وأن مصر لم تستطع الى الآن أن تجهز فرقة واحدة في الجيش كاملة المعدات، وأن هذه المعاني والصور تتراءى في كل بلد من بلدان العالم الاسلامي ، فمن أهدافكم أن تعملوا لإصلاح التعليم ومحاربة الفقر والجهل والمرض والجريمة وتكوين مجتمع نموذجي يستحق أن ينتسب الى شريعة الاسلام .

(د) وسائلنا العامة : كيف نصل الى هذه الأهداف ؟ إن الخطب والأقوال والمكاتبات والدروس والمحاضرات وتشخيص الداء ووصف الدواء كل ذلك وحده لا يجدي نفعاً ولا يحقق غاية ولا يصل بالداعين الى هدف من الأهداف ، ولكن للدعوات وسائل لا بد من الأخذ بها والعمل لها . والوسائل العامة للدعوات لا تتغير ولا تتبدل ولا تعدو هذه الأمور الثلاثة :

١ — الإيمان العميق .

٢ — التكوين الدقيق .

٣ — العمل المتواصل وتلك هي وسائلكم العامة أيها الإخوان فآمنوا بفكرتكم وتجمعوا حولها واعملوا لها واثبتوا عليها .

(هـ) وسائل اضافية : وقد تكون الى جانب هذه الوسائل العامة وسائل إضافية لا بد من الأخذ بها وسلوك سبيلها ، منها السلبي ومنها الإيجابي ومنها ما يتفق مع عرف الناس ومنها ما

يخرج على هذا العرف ويخالفه ويناقضه ، ومنها ما فيه لين ومنها ما فيه شدة ، ولا بد أن نروض أنفسنا على تحمل ذلك كله والاعداد لهذا كله حتى نضمن النجاح . قد يطلب إلينا أن نخالف عادات ومألوفات وأن نخرج على نظم وأوضاع ألفها الناس وتعارفوا عليها وليست الدعوة في حقيقة أمرها إلا خروجاً على المألوفات وتغييراً للعادات والأوضاع ، فهل أنتم مستعدون لذلك أيها الاخوان ؟ .

(و) تثبيط : وسيقول كثير من الناس وماذا تعني هذه الرسائل ؟ وما عساها أن تنفع في بناء أمة وترميم مجتمع مع هذه المشكلات المزمنة ومع استقرار الحال على هذه المفاسد المتعددة ؟ وكيف تعالجون الاقتصاد على غير أساس الربا ؟ وكيف تصنعون في قضية المرأة ؟ وكيف تنالون حقكم بغير قوة ؟ فاعلموا أيها الاخوان أن وساوس الشيطان يلقيها في أمنية كل مصلح فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم . واذكروا لهؤلاء جميعاً أن التاريخ يقص علينا من نبأ الأمم الماضية والحاضرة ما فيه عظة وعبرة . والأمة التي تصمم على الحياة لا يمكن أن تموت .

(ز) العقبات في طريقنا : أحب أن أصارحكم أن دعوتكم لا زالت مجهولة عند كثير من الناس ويوم يعرفونها ويدركون مراميها وأهدافها ستلقى منهم خصومة شديدة وعداوة قاسية وستجدون أمامكم كثيراً من المشقات وسيعترضكم كثير من

العقبات وفي هذا الوقت وحده تكونون قد بدأتم تسلكون سبيل أصحاب الدعوات . أما الآن فلا زلتم مجهولين ولا زلتم تمهدون للدعوة وتستعدون لما تتطلبه من كفاح وجهاد ـ سيقف جهل الشعب بحقيقة الاسلام عقبة في طريقكم ، وستجدون من أهل التدين ومن العلماء الرسميين من يستغرب فهمكم للاسلام وينكر عليكم جهادكم في سبيله ، وسيحقد عليكم الرؤساء والزعماء وذوو الجاه والسلطان ، وستقف في وجهكم كل الحكومات على السواء ، وستحاول كل حكومة أن تحد من نشاطكم وأن تضع العراقيل في طريقكم .

وسيتذرع الغاصبون بكل طريق لمناهضتكم وإطفاء نور دعوتكم ، وسيستعينون في ذلك بالحكومات الضعيفة والأخلاق الضعيفة والأيدي الممتدة إليهم بالسؤال وإليكم بالإساءة والعدوان (وسيثير الجميع حول دعوتكم غبار الشبهات وظلم الاتهامات وسيحاولون أن يلصقوا بها كل نقيصة وأن يظهروها للناس في أبشع صورة معتمدين على قوتهم وسلطانهم ، ومعتدين بأموالهم ونفوذهم : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) وستدخلون بذلك ولا شك في دور التجربة والامتحان ، فتسجنون وتعتقلون وتنقلون وتشردون وتصادر مصالحكم وتعطل أعمالكم وتفتش بيوتكم ، وقد يطول بكم مدى هذا الامتحان : « أحسب الناس

أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون » ولكن الله وعدكم من بعد ذلك كله نصرة المجاهدين ومثوبة العاملين المحسنين « يـأيها الذين آمنوا هل أدلـكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . . . فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهـــرين » فهل أنتم مصرون على أن تكونوا أنصار الله ؟

(ح) عوامل النجاح — ومن الحق أيها الاخوان أن نذكر أمام هذه العقبات جميعاً أننا ندعو بدعوة الله وهي أسمى الدعوات وتنادي بفكرة الاسلام وهي أقوى الفكر ، ونقدم للناس شريعة القرآن وهي أعدل الشرائع : « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » وأن العالم كله في حاجة إلى هذه الدعوى وكل ما فيه يمهد لها ويهيء سبيلها ، وأننا نحمد الله برءاء من المطامع الشخصية بعيدون عن المنافع الذاتية ، لا نقصد إلا وجه الله وخير الناس ولا نعمل إلا ابتغاء مرضاته ، وإننا نترقب تأييد الله ونصرته ومن نصره الله فلا غالب له : « ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الـكافرين لا مولى لهم » فقـوة دعوتنا وحاجة العالم إليها ونبالة مقصدنا وتأييد الله إيانا هي عوامـل النجاح التي لا تثبت أمامها عقبة ولا يقف في طريقها عائق : « والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

٩ — وصية

أيها الاخوان المسلمون ، اسمعوا :

أردت بهذه الكلمات أن أضع فكرتكم أمام أنظاركم فلعل ساعات عصيبة تنتظرنا يحال فيها بيني وبينكم إلى حين ؛ فلا أستطيع أن أتحدث معكم أو أكتب إليكم ، فأوصيكم أن تتدبروا هذه الكلمات وأن تحفظوها إذا استطعتم وأن تجتمعوا عليها . وإن تحت كل كلمة لمعاني جمة .

أيها الاخوان : أنتم لستم جمعية خيرية ولا حزباً سياسياً ولا هيئة موضعية لأغراض محدودة المقاصد . ولكنكم روح جديد يسري في قلب هذه الأمة فيحييه بالقرآن ؛ ونور جديد يشرق فيبدد ظلام المادة بمعرفة الله ؛ وصوت داو يعلو مردداً دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ ومن الحق الذي لا غلو فيه أن تشعروا أنكم تحملون هذا العبء بعد أن تخلى عنه الناس . إذا قيل لكم إلام تدعون ؟ فقولوا ندعو إلى الاسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم والحكومة جزء منه والحرية فريضة من فرائضه ، فإن قيل لكم هذه سياسة ! فقولوا هذا هو الاسلام ونحن لا نعرف هذه الأقسام ، وإن قيل لكم أنتم دعاة ثورة ! فقولوا نحن دعاة حق وسلام نعتقده ونعتز به ، فإن ثرتم علينا ووقفتم في طريق دعوتنا فقد أذن الله أن ندفع عن أنفسنا وكنتم الثائرين الظالمين ، وإن قيل لكم إنكم تستعينون بالأشخاص والهيئات فقولوا : « آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنتم به

مشركين » فإن لجّوا في عدوانهم فقولوا : « سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين » .

١٠ – واجبـــات

أيها الاخوان :

آمنوا بالله واعتزوا بمعرفته والاعتماد عليه والاستناد إليه فلا تخافوا غيره ولا ترهبوا سواه . وأدوا فرائضه واجتنبوا نواهيه .

وتخلقوا بالفضائل وتمسكوا بالكمالات . وكونوا أقوياء بأخلاقكم أعزاء بما وهب الله لكم من عزة المؤمنين وكرامة الاتقياء الصالحين .

واقبلوا على القرآن تتدارســونه وعلى السيرة المطهرة تتذاكرونها وكونوا عمليين لا جدليين ؛ فإذا أهدى الله قوماً ألهمهم العمل ؛ وما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل .

وتحـــابوا فيما بينكم واحرصوا كل الحرص على رابطتكم فهي سر قوتكم وعماد نجاحكم ، واثبتوا حتى يفتح الله بينكم وبين قومكم بالحق وهو خير الفاتحين .

واسمعوا وأطيعوا لقيادتكم في العسر واليسر والمنشط والمكره فهو رمز فكرتكم وحلقة الاتصال فيما بينكم .

وترقبوا بعد ذلك نصر الله وتأييده . والفرصة آتية لا ريب

فيها « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » .

وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه ، وسلك بنا وبكم مسالك الأخيار المهتدين ، وأحيانا حياة الأعزاء السعداء ، وأماتنا موت المجاهدين الشهداء إنه نعم المولى ونعم النصير .

٦

رسالة

المؤتمر الخامس

للإمام الشهيد حسن البنا

بسم الله الرحمن الرحيم

في عشر سنوات

١٣٤٧ - ١٣٥٧ الهجرية

خلاصة الخطاب الجامع الذي ألقاه فضيلة الأستاذ
المرشد العام في المؤتمر الدوري الخامس

- غاية الاخوان وخصائص دعوتهم
- وسائل الاخوان وخطوات منهاجهم
- موقف الاخوان من الهيئات المختلفة

غاية الاخوان وخصائص دعوتهم

أيها الاخوان :

كنت أود أن نظل دائماً نعمل ولا نتكلم ، وأن نكل للأعمال وحدها الحديث عن الاخوان وخطوات الاخوان ، وكنت أحب أن تتصل خطوتكم اللاحقة بخطوتكم السابقة في هدوء وسكون ومن غير هذا الفاصل الذي نحدد به جهاد عشر سنوات مضت لنستأنف مرحلة أخرى من مراحل الجهاد الدائب في سبيل تحقيق فكرتنا السامية .

ولكنكم أردتم هذا ، وأحببتم أن تسعدونا بهذا الاجتماع الشامل فشكراً لكم ، ولا بأس أن ننتهز هذه الفرصة الكريمة فنستعرض برنامجنا ، ونراجع فهرس أعمالنا ، ونستوثق من مراحل طريقنا ونحدد الغاية والوسيلة فتتضح الفكرة المبهمة ، وتصحح النظرة الخاطئة ، وتعلم الخطوة المجهولة ، وتتم الحلقة المفقودة ، ويعرف الناس الاخوان المسلمين على حقيقة دعوتهم من غير لبس ولا غموض .

لا بأس بهذا ، ولا بأس بأن يتقدم إلينا من وصلته هذه الدعوة ومن سمع أو قرأ هذا البيان ، برأيه في غايتنا ووسيلتنا وخطواتنا فنأخذ الصالح من رأيه ، وننزل على الحق من مشورته . فإن الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم .

أيها الاخوان :

أجدني في غنى عن تحيتكم وشكركم ، وعن وصف ما يغمرني من السعادة بموقفي هذا بينكم ، ومن السرور والفرح بلقائكم ومن الأمل العظيم بمؤازرتكم وتوفيق الله إياكم .

أجدني في غنى عن بيان هذا كله بهذا الفيض من العواطف النبيلة الذي يغمر جو هذا الاجتماع ، فكان كل ما فيه ينطق بالحب العميق ، والارتباط الوثيق والأخوة الصادقة والتعاون المكين ، وفقكم الله لخير ما يحب ويرضى .

الاخوان فكرة في نفوس أربعة :

أيها الاخوان الكرام :

طالعت كثيراً وجربت كثيراً وخالطت أوساطاً كثيرة وشهدت حوادث عدة فخرجت من هذه السياحة القصيرة المدى الطويلة المراحل بعقيدة ثابتة لا تتزلزل هي أن « السعادة التي ينشدها الناس جميعاً إنما تفيض عليهم من نفوسهم وقلوبهم ، ولا تأتيهم من خارج هذه القلوب أبداً . وأن الشقاء الذي يحيط بهم ويهربون منه إنما يصيبهم بهذه النفوس والقلوب كذلك » وإن القرآن يؤيد هذا المعنى ويوضحه وذلك قول الله تعالى : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » وما رأيت كلاماً أعمق في فلسفة الاجتماع من قول ذلك الشاعر :

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق

اعتقدت هذا و اعتقدت الى جانبه أنه ليست هناك نظم ولا تعاليم تكفل سعادة هذه النفوس البشرية ، وتهدي النـاس إلى الطرق العملية الواضحة لهذه السعادة كتعاليم الاسلام الحنيف الفطرية الواضحة العملية ، وليس هنا مجال تفصيل هذه التعاليم ، ولا مجال التدليل على أنها تضمن هذه النتيجة ، وتكفل سعادة البشرية جميعاً فذلك مجال آخر فضلا عن أننا كلنا فيما أعتقد شركاء في التسليم بصحة هذه النظرية ، على أن كثيراً من غـير المسلمين يقر بها ويعترف بما في الاسلام من جمال وكمال .

لهذا وقفت نفسي منذ نشأت على غاية واحدة هي (إرشاد الناس إلى الاسلام حقيقة وعملاً) ولهذا كانت فكرة الاخوان المسلمين (إسلامية بحتة) في غايتها وفي وسائلها ، لا تتصل بغير الاسلام في شيء .

ظلت هذه الخواطر حديثاً نفسانياً ومناجاة رُوحية أتحدث بها في نفسي لنفسي ، وقد أفضي بها إلى كثير ممن حولي ، وقد تظهر في شكل دعوة فردية أو خطابة وعظية أو درس في المساجد إذا سنحت فرصة التدريس ، أو حث لبعض الأصدقاء من العلماء على بذل الهمة ومضاعفة الجهود في إنقاذ الناس وإرشادهم الى ما في الاسلام من خير .

ثم كانت في مصر وغيرها من بلدان العالم الاسلامي حوادث عدة ألهبت نفسي وأهاجت كوامن الشجن في قلبي ، ولفتت نظري إلى وجوب الجد والعمل ، وسلوك طريق التكوين بعد التنبيه ،

والتأسيس بعد التدريس ، ولا أطيل عليكم بتفصيل حوادث انتهى أمرها وعفت آثارها وفاء إلى الرشد أو بعض الرشـــد أصحابها .

ولقد أخذت أفاتح كثيراً من كبار القوم في وجوب النهوض والعمل وسلوك طريق الجـد والتكوين ، فكنت أجد التثبيط أحياناً والتشجيع أحياناً ، والتريث أحياناً ولكني لم أجدهما أريد من الاهتمام بتنظيم الجهود العملية ، ومن الوفاء أن أذكر في هذا المقام المرحوم (أحمد باشا تيمور) أفسح الله في جنته فما رأيته مرة إلا مثالاً للهمة المتوثبة ، والغيرة المتوقدة وما تحدثت إليه في شأن من شؤون الأمة العامة إلا وجدت العقل الكامل والاستعداد التام والإلمام الشامل وترقب ساعة العمل . فرحمه الله وأجزل مثوبته .

وليت وجهي شطر الأصدقاء والاخوان ممن جمعني وإياهم عهد الطلب وصدق الود والشعور بالواجب فوجدت استعداداً حسناً وكان أسرعهم مبادرة إلى مشاركتي عبء التفكـــير وأكثرهم اقتناعاً بوجوب العمل في إسراع وهمة الاخوان الفضلاء : الأستاذ أحمد أفندي السكري ، والأخ المفضال المرحوم الشيخ حامد عسكرية أسكنه الله فسيح جنته ، والأخ الشيخ أحمد عبد الحميد وكثير غيرهم .

وكان عهد وكان موثق أن يعمل كل منا لهذه الغاية ، حتى يتحول العرف العام في الامة إلى وجهة إسلامية صالحة .

ليس يعلم أحد إلا الله كم من الليالي كنا نقضيها تستعرض حال الأمة ، وما وصلت إليه في مختلف مظاهر حياتها ، ونحلل العلل والأدواء ونفكر في العلاج وحسم الداء ، ويفيض بنا التأثر لما وصلنا إليه إلى حد البكاء . وكم كنا نعجب إذ نرى أنفسنا في مثل هذه المشغلة النفسانية العنيفة والخليون هاجعون يتسكعون على المقاهي ويترددون على أندية الفساد والإتلاف . فإذا سألت أحدهم عما يحمله على هذه الجلسة الفارغة المملة قال لك : أقتل الوقت وما درى هذا المسكين أن من يقتل وقته إنما يقتل نفسه ، فإنما الوقت هو الحياة .

كنا نعجب لهؤلاء الناس وكثير منهم من المثقفين ، ومن هم أولى منا بحمل هذا العبء ، ثم يقول بعضنا لبعض : أليس هذا داء من أدواء الأمة ولعله أخطرها ألا تفكر في مرضها وألا تعمل لعلاج نفسها .

ولهذا وأمثاله نعمل ولإصلاح هذا الفساد وقفنا أنفسنا فنتعزى ونحمد الله على أن جعلنا من الداعين إليه العاملين لدينه ، وعمل الزمن عمله فتفرقنا نحن الأربعة فكان أحمد أفندي السكري بالمحمودية وكان المرحوم الشيخ حامد عسكرية بالزقازيق وكان الشيخ أحمد عبد الحميد بكفر الدوار وكنت بالإسماعيلية أذكر قول القائل :

بالشام أهلي وبغداد الهوى وأنا بالرقمتين وبالفسطاط جيراني

وفي الإسماعيلية أيها الإخوان وضعت أول نواة تكوينية للفكرة وظهرت أول هيئة متواضعة نعمل ونحمل لواءها ونعاهد الله على الجندية التامة في سبيلها تحت اسم « الاخوان المسلمون » وكان ذلك في ذي القعدة سنة ١٣٤٧ هـ .

إسلام الاخوان المسلمين

واسمحوا لي أيها السادة أن أستخدم هذا التعبير – ولست أعني به أن للاخوان المسلمين إسلاماً جديداً غير الاسلام الذي جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن ربه ، وإنما أعني أن كثيراً من المسلمين في كثير من العصور خلعوا على الاسلام نعوتاً وأوصافاً وحدوداً ورسوماً من عند أنفسهم ،واستخدموا مرونته وسعته استخداماً ضاراً – مع أنها لم تكن إلا للحكمة السامية – فاختلفوا في معنى الاسلام اختلافاً عظيماً ، وانطبعت للاسلام في نفوس أبنائه صور عدة تقرب أو تبعد أو تنطبق على الاسلام الأول الذي مثله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه خير تمثيل .

فمن الناس من لا يرى الاسلام شيئاً غير حدود العبادة الظاهرة فإن أداها أو رأى من يؤديها اطمأن إلى ذلك ورضي به وحسبه قد وصل إلى لب الاسلام ، وذلك هو المعنى الشائع عند عامة المسلمين ، فمن الناس من لا يرى الاسـلام إلا الخلق الفاضل والروحانية الفياضة ، وهذا الغذاء الفلسفي الشهي العقل والروح والبعد بها عن أدران المادة الطاغية الظالمة . ومنهم من يقف

إسلامه عند حد الاعجاب بهذه المعاني الحيوية العملية في الاسلام فلا يتطلب النظر الى غيرها ولا يعجبهم التفكير في سواها ، ومنهم من يرى الاسلام نوعاً من العقائد الموروثة والأعمال التقليدية التي لا عناء فيها ولا تقدم معها ، فهو متبرم بالاسلام وبكل ما يتصل بالاسلام ، وتجد هذا المعنى واضحاً في نفوس كثير من الذين ثقفوا ثقافة أجنبية ولم تتح لهم فرص حسن الاتصال بالحقائق الاسلامية فهم لم يعرفوا عن الإسلام شيئاً أصلاً ، أو عرفوه صورة مشوهة بمخالطة من لم يحسنوا تمثيله من المسلمين :

وتحت هذه الأقسام جميعاً تندرج أقسام أخرى يختلف نظر كل منها الى الاسلام عن نظر الآخر قليلاً أو كثيراً ، وقليل من الناس أدرك الاسلام صورة كاملة واضحة تنتظر هذه المعاني جميعاً.

هذه الصور المتعددة للاسلام الواحد في نفوس الناس جعلتهم يختلفون اختلافاً بيناً في فهم الاخوان المسلمين وتصور فكرتهم ، فمن الناس من يتصور الاخوان المسلمين جماعة وعظية إرشادية كل همها أن تقدم للناس العظات فتزهدهم في الدنيا وتذكرهم الآخرة ، ومنهم من يتصور الاخوان المسلمين طريقة صوفية تعنى بتعليم الناس ضروب الذكر وفنون العبادة وما يتبع ذلك من تجرد وزهادة ، ومنهم من يظنهم جماعة نظرية فقهية كل همها أن تقف عند طائفة من الأحكام تجادل فيها وتناضل عنها وتحمل الناس عليها وتخاصم أو تسالم من لم يسلم بها معها ، وقليل من

الناس خالطوا الاخوان المسلمين وامتزجوا بهم ولم يقفوا عند حدود السماع ولم يخلعوا على الاخوان المسلمين إسلاماً يتصورونه هم فعرفوا حقيقتهم وأدركوا كل شيء عن دعوتهم علماً وعملا —

ولهذا أحببت أن أتحدث لحضراتكم في إيجاز عن معنى الاسلام وصورته الماثلة في نفوس الاخوان المسلمين ، حتى يكون الأساس الذي ندعو إليه ونعتز بالانتساب له والاستمداد منه واضحاً جلياً .

(١) نحن نعتقد أن أحكام الاسلام وتعاليمه شاملة تنتظم شؤون الناس في الدنيا وفي الآخرة ، وإن الذين يظنون أن هذه التعاليم إنما تتناول الناحية العبادية أو الروحية دون غيرها من النواحي مخطئون في هذا الظن — فالاسلام عقيدة وعبادة ، ووطن وجنسية ودين ودولة ، وروحانية وعمل ، ومصحف وسيف ، والقرآن الكريم ينطق بذلك كله ويعتبره من لب الاسلام ومن صميمه ويوصي بالإحسان فيه جميعه وإلى هذا تشير الآية الكريمة : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخـــرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك » .

وإنك تقرأ في القرآن وفي الصلاة إن شئت قول الله تبارك وتعالى في العقيدة والعبادة : « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة » وتقرأ قوله تعالى في الحكم والقضاء والسياســة : « فلا وربك

لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما » . وتقرأ قوله تعالى في الدين وفي التجارة : « يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها واشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد » . وتقرأ قوله تعالى في الجهاد والقتال والغزو : « وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ، ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم » الى غير ذلك من الآيات الكثيرة البارعة في هذه الأغراض نفسها وفي غيرها من الآداب العامة وشؤون الاجتماع .

وهكذا اتصل الاخوان بكتاب الله واستلهموه واسترشدوه فأيقنوا أن الاسلام هو هذا المعنى الكلي الشامل ، وأنه يجب أن يهيمن على كل شؤون الحياة وأن تصطبغ جميعها به وأن تنزل على حكمه وأن تساير قواعده وتعاليمه وتستمد منها ما دامت الأمة تريد أن تكون مسلمة إسلاماً صحيحاً ، أما إذا أسلمت في عبادتها وقلدت غير المسلمين في بقية شؤونها فهي أمة ناقصة الاسلام تضاهيء الذين قال الله تعالى فيهم : « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون » .

(٢) إلى جانب هذا يعتقد الاخوان أن أساس التعاليم الاسلامية ومعينها هو كتاب الله تبارك وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم اللذان إن تمسكت بهما الأمة فلن تضل أبداً — وأن كثيراً من الآراء والعلوم التي اتصلت بالاسلام وتلونت بلونه تحمل لون العصور التي أوجدتها والشعوب التي عاصرتها ، ولهذا يجب أن تستقي النظم الاسلامية التي تحمل عليها الأمة من هذا المعين الصافي معين السهولة الأولى ، وأن نفهم الاسلام كما كان يفهمه الصحابة والتابعون من السلف الصالح رضوان الله عليهم ، وأن نقف عند هذه الحدود الربانية النبوية حتى لا نقيد أنفسنا بغير ، ما يقيدنا الله به ، ولا نلزم عصرنا لون عصر لا يتفق معه ، والاسلام دين البشرية جميعاً .

(٣) وإلى جانب هذا أيضاً يعتقد الاخوان المسلمون ان الاسلام كدين عام انتظم كل شؤون الحياة في كل الشعوب والأمم لكل الأعصار والأزمان . جاء أكمل وأسمى من أن يعرض لجزئيات هذه الحياة وخصوصاً في الأمور الدنيوية البحتة ، فهو إنما يضع القواعد الكلية في كل شأن من هذه الشؤون ويرشد الناس إلى الطريق العملية للتطبيق عليها والسير في حدودها — ولضمان الحق والصواب في هذا التطبيق أو تحريهما على الأقل .

عني الاسلام عناية تامة بعلاج النفس الإنسانية وهي مصدر النظم ومادة التفكير والتصوير والتشكل ، فوصف لها من الأدوية الناجعة ما يطهرها من الهوى ويغسلها من أدران الغرض والغاية ويهديها إلى الكمال والفضيلة، ويزجرها عن الجور والقصور والعدوان ، وإذا استقامت النفس وصفت فقد أصبح كل ما يصدر عنها صالحاً جميلاً — يقولون إن العدل ليس في نص القانون ولكنه في نفس القاضي ، وقد تأتي بالقانون الكامل العادل الى القاضي ذي الهوى والغاية فيطبقه تطبيقاً جائراً لا عدل معه، وقد تأتي بالقانون الناقص والجائر الى القاضي الفاضل العادل البعيد عن الأهواء والغايات فيطبقه تطبيقاً فاضلا عادلا فيه كل الخير والبر والرحمة والإنصاف ، ومن هنا كانت النفس الإنسانية محل عناية كبرى في كتاب الله وكانت النفوس الأولى التي صاغها هذا الاسلام مثال الكمال الإنساني ، ولهذا كله كانت طبيعة الاسلام تساير العصور والأمم، وتتسع لكل الأغراض والمطالب ، ولهذا

أيضاً كان الاسلام لا يأبى أبداً الاستفادة من كل نظام صالح لا يتعارض مع قواعده الكلية وأصوله العامة .

لا أحب أيها السادة أن أسترسل في هذا البيان فذلك باب واسع وحسبنا هذه الإلمامة الموجزة تلقي ضوءاً على هذا المعنى العام للفكرة الإسلامية في نفوس الإخوان المسلمين .

فكرة الاخوان المسلمين « تضم كل المعاني الاصلاحية »

كان من نتيجة هذا الفهم العام الشامل للاسلام عند الاخوان المسلمين أن شملت فكرتهم كل نواحي الاصلاح في الأمة ، وتمثلت فيها كل عناصر غيرها من الفكر الإصلاحية ، وأصبح كل مصلح مخلص غيور يجد فيها أمنيته ، والتقت عندها آمال محبي الاصلاح الذين عرفوها وفهموا مراميها ، وتستطيع أن تقول ولا حرج عليك إن الاخوان المسلمين :

(١) دعوة سلفية : لأنهم يدعون الى العودة بالاسلام الى معينه الصافي من كتاب الله وسنة رسوله .

(٢) وطريقة سنية : لأنهم يحملون أنفسهم على العمل بالسنة المطهرة في كل شيء ، وبخاصة في العقائد والعبادات ما وجدوا إلى ذلك سبيلا .

(٣) وحقيقة صوفية : لأنهم يعلمون أن أساس الخير طهارة النفس ونقاء القلب والمواظبة على العمل والاعراض عن الخلق والحب في الله والارتباط على الخير .

(٤) وهيئة سياسية: لأنهم يطالبون بإصلاح الحكم في الداخل وتعديل النظر إلى صلة الأمة الاسـلامية بغيرها من الأمم في الخارج وتربية الشعب على العزة والكرامـة والحرص على قوميته إلى أبعد حد .

(٥) وجماعة رياضية : لأنهم يعنون بجسومهم ، ويعلمون أن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف وأن النبي صلى الله عليـه وسلم يقول : « إن لبدنك عليك حقاً » وإن تكاليف الاسـلام كلها لا يمكن أن تؤدى كاملة صحيحة إلا بالجسم القوي ،فالصلاة والصوم والحج والزكاة لا بد لها من جسم يحتمل أعباء الكسب والعمل والكفاح في طلب الرزق ، ولأنهم تبعاً لذلك يعنون بتشكيلاتهم وفرقهم الرياضية عناية تضارع وربما فاقت كثيراً من الأندية المتخصصة بالرياضة البدنية وحدها .

(٦) ورابطة علمية ثقافية : لأن الاسلام يجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، ولأن أندية الاخوان هي في الواقع مدارس للتعليم والتثقيف ومعاهد لتربية الجسم والعقل والروح.

(٧) وشركة اقتصادية :لأن الاسلام يعنى بتدبير المال وكسبه من وجهه وهو الذي يقول نبيه صلى الله عليه وسلم : « نعم المال الصالح للرجل الصالح » ويقول : « من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفوراً له » ، « إن الله يحب المؤمن المحترف » .

(٨) وفكرة اجتماعية :لأنهم يعنون بأدواء المجتمع الاسلامي ويحاولون الوصول إلى طرق علاجها وشفاء الأمة منها .

وهكذا نرى أن شمول معنى الاسلام قد أكسب فكرتنا شمولاً لكل مناحي الاصلاح ووجه نشاط الاخوان إلى كل هذه النواحي وهم في الوقت الذي يتجه فيه غيرهم إلى ناحية واحدة دون غيرها يتجهون إليها جميعاً ويعلمون أن الاسلام يطالبهم بها جميعاً .

ومن هنا كان كثير من مظاهر أعمال الاخوان يبدو أمام الناس متناقضاً وما هو بمتناقض ★ فقد يرى الناس الأخ المسلم في المحراب خاشعاً متبتلاً يبكي ويتذلل ، وبعد قليل يكون هو بعينه واعظاً مدرساً يقرع الآذان بزواجر الوعظ ، وبعد قليل تراه نفسه رياضياً أنيقاً يرمي بالكرة أو يدرب على العدو أو يمارس السباحة وبعد فترة يكون هو بعينه في متجره أو معمله يزاول صناعته في أمانة وفي إخلاص ، هذه مظاهر قد يراها الناس متنافرة لا يلتئم بعضها ببعض ،ولو علموا أنها جميعاً يجمعها الاسلام ويأمر بها الاسلام ويحض عليها الاســـلام لتحققوا فيها مظاهر الالتئام ومعاني الانسجام ومع هذا الشمول فقد اجتنب الاخوان كل ما يؤخذ على هذه النواحي من المآخذ ومواطن النقد والتقصير .

كما اجتنبوا التعصب للألقاب إذ جمعهم الاسلام الجامع حول قلب واحد هو (الاخوان المسلمون) .

بعض خصائص دعوة الإخوان

لعل من صنع الله لدعوة الاخوان أن تنبت في الاسماعيلية ، وأن يكون ذلك على أثر خلاف فقهي بين الأهلين وانقسام دام سنوات حول بعض النقاط الفرعية التي أذكى نارالفرقة فيهاذوو المطامع والأغراض ، وأن تصادف نشأتها عهد الصراع القوي العنيف بين الأجنبي المتعصب والوطني المجاهد ، فكان من أثر هذه الظروف أن تميزت هذه الدعوة بخصائص خالفت فيها كثيراً من الدعوات التي عاصرتها .

ومن هذه الخصائص :

(١) البعد عن مواطن الخلاف

(٢) والبعد عن هيمنة الأعيان والكبراء

(٣) والبعد عن الأحزاب والهيئات

(٤) والعناية بالتكوين والتدرج في الخطوات

(٥) وإيثار الناحية العملية الانتاجية على الدعاية والاعلانات

(٦) وشدة الاقبال من الشباب

(٧) وسرعة الانتشار في القرى والبلاد .

١ ـ البعد عن مواطن الخلاف

فأما البعد عن مواطن الخلاف الفقهي فلأن الاخوان يعتقدون أن الخلاف في الفرعيات أمر ضروري ، لا بد منه ، إذ أن أصول الاسلام آيات وأحاديث وأعمال تختلف في فهمها

وتصورها العقول والأفهام . لهذا كان الخلاف واقعاً بين الصحابة أنفسهم ، وما زال كذلك وسيظل إلى يوم القيامة ، وما أحكم الإمام مالك رضي الله عنه حين قال لأبي جعفر وقد أراد أن يحمل الناس على الموطأ : « إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرقوا في الأمصار ، وعند كل قوم علم ، فإذا حملتهم على رأي واحد تكون فتنة » ، وليس العيب في الخلاف ولكن العيب في التعصب للرأي والحجر على عقول الناس وآرائهم – هذه النظرة الى الأمور الخلافية جمعت القلوب المتفرقة على الفكرة الواحدة ، وحسب الناس أن يجتمعوا (على ما يصير به المسلم مسلماً) كما قال زيد رضي الله عنه ، وكانت هذه النظرة ضرورية لجماعة يريدون أن ينشروا فكرة في بلد لم تهدأ بعد فيه ثائرة الخلاف على أمور لا معنى للجدل ولا للخلاف فيها .

٢ – البعد عن هيمنة الكبراء والأعيان

وأما البعد عن هيمنة الكبراء والأعيان فلانصرافهم عن هذه الدعوات الناشئة المجردة من الغايات والأهواء الى الدعوات القائمة التي تستتبع المغانم وتجر المنافع ولو في ظن الناس لا في حقيقة الحال – ولأننا معشر القائمين بدعوة الاخوان تعمدنا هذا لأول عهد الدعوة بالظهور حتى لا يطمس لونها الصافي لون آخر من الوان الدعوات التي يروج لها هؤلاء الكبراء ، وحتى لا يحاول أحد منهم أن يستغلها أو يوجهها في غير الغاية التي تقصد إليها ، وذلك الى أن كثيراً من العظماء ينقصه الكمال الاسلامي الذي

يجب أن يتصف به المسلم العادي فضلاً عن المسلم العظيم الذي يحمل اسم دعوة إسلامية لإرشاد الناس ، وعلى هذا فقد ظل هذا الصنف بعيداً عن الاخوان اللهم إلا قليلاً من الأكرمين الفضلاء يفهم عن فكرتهم ويعطف على غايتهم ويشارك في أعمالهم ويتمنى لهم التوفيق والنجاح .

٣ـ البعد عن الهيئات والأحزاب

وأما البعد عن الاتصال بالأحزاب والهيئات فلما كان ولا يزال بين هذه الهيئات من التنافر والتناحر الذي لا يتفق مع أخوّة الاسلام ، ودعوة الاسلام عامه تجمع ولا تفرق ولا ينهض بها ويعمل لها إلا من تجرد من كل ألوانه وصار لله خالصاً ، وقد كان هذا المعنى من قبل عسيراً على النفوس الطامحة التي تريد أن تصل عن طريق حزبيتها أو جماعتها الى ما تريد من جاه ومال، لهذا آثرنا أن نتجنب الجميع وأن نصبر على الحرمان من كثير من العناصر الصالحة حتى ينكشف الغطاء ، ويدرك الناس بعض الحقائق المستورة عنهم فيعودوا إلى الخطة المثلى بعد التجربة وقد امتلأت قلوبهم باليقين والإيمان .

ونحن الآن ـ وقد اشتد ساعد الدعوة ـ وصلب عودها وأصبحت تستطيع أن توجه ولا توجه وأن تؤثر ولا تتأثر ، نهيب بالكبراء والأعيان والهيئات والأحزاب أن ينضموا إلينا، وأن يسلكوا سبيلنا وأن يعملوا معنا وأن يتركوا هذه المظاهر

الفارغة التي لا غناء فيها ويتوحدوا تحت لواء القرآن العظيم ويستظلوا براية النبي الكريم ومنهاج الاسلام القويم ، فإن أجابوا فهو خيرهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة ، وتستطيع الدعوة بهم أن تختصر الوقت والجهود ، وإن أبوا فلا بأس علينا أن ننتظر قليلاً وأن نلتمس المعونة من الله وحده حتى يحاط بهم ويسقط في أيديهم ويضطرون إلى العمل للدعوة أذناباً وقد كانوا يستطيعون أن يكونوا رؤساء ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

٤ – التدرج في الخطوات

وأما التدرج والاعتماد على التربية ووضوح الخطوات في طريق الاخوان المسلمين – فذلك أنهم اعتقدوا أن كل دعوة لا بد لها من مراحل ثلاث : مرحلة الدعاية والتعريف والتبشير بالفكرة وإيصالها إلى الجماهير من طبقات الشعب ، ثم مرحلة التكوين وتخير الأنصار وإعداد الجنود وتعبئة الصفوف من بين هؤلاء المدعوين ، ثم بعد ذلك كله مرحلة التنفيذ والعمل والإنتاج . وكثيراً ما تسير هذه المراحل الثلاث جنباً إلى جنب نظراً لوحدة الدعوة وقوة الارتباط بينها جميعاً ، فالداعي يدعو ، وهو في الوقت نفسه يتخير ويربي ، وهو في الوقت عينه يعمل وينفذ كذلك .

ولكن لا شك في أن الغاية الأخيرة أو النتيجة الكاملة لا تظهر إلا بعد عموم الدعاية وكثرة الأنصار ومتانة التكوين .

في حدود هذه المراحل سارت دعوتنا ولا تزال تسير ، فقد بدأنا بالدعوة فوجهناها إلى الأمة في دروس متتالية وفي رحلات متلاحقة وفي مطبوعات كثيرة وفي حفلات عامة وخاصة ، وفي جريدة الاخوان المسلمين الأولى ثم في مجلة النذير الأسبوعية ، ولا زلنا ندعو وسنظل كذلك حتى لا يكون هناك فرد واحد لم تصله دعوة الاخوان المسلمين على حقيقتها الناصعة وعلى وجهها الصحيح ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ، وأظن أننا وصلنا في هذه المرحلة إلى درجة نطمئن عليها وعلى اطراد السير فيها ، وصار من ألزم واجباتنا أن نخطوا الخطوة الثانية ، خطوة الاختيار والتكوين والتعبئة .

خطونا الخطوة الثانية في صور ثلاث : (الكتائب) ويراد بها تقوية الصف بالتعارف وتمازج النفوس والأرواح ومقاومة العادات والمألوفات ، والمران على حسن الصلة بالله تبارك وتعالى واستمداد النصر منه ، وهذا هو معهد التربية الروحية للاخوان المسلمين — ثم (الفرق) للكشافة والجوالة والألعاب الرياضية . ويراد بها تقوية الصف بتنمية جسوم الاخوان وتعويدهم الطاعة والنظام والأخلاق الرياضية الفاضلة وإعدادهم للجندية الصحيحة التي يفرضها الاسلام على كل مسلم ، وهذا هو معهد التربية الجسمية للاخوان المسلمين — ثم (درس التعاليم) في الكتائب أو في أندية الاخوان المسلمين — ويراد به تقوية الصف بتنمية أفكار الاخوان وعقولهم بدراسة جامعة لأهم ما يلزم الأخ المسلم

معرفة لدينه ودنياه وهذا هو معهد التربيـــة العلمية والفكرية للاخوان المسلمين .

ذلك إلى مختلف نواحي النشاط الأخرى التي يدرب بهـــا الاخوان على الواجب الذي ينتظرهم كجماعة تعد نفسها لقيادة أمة بل لهداية العالمين .

بعد أن نطمئن على موقفنا من هذه الخطوة نخطو إن شاءالله الخطوة الثالثة ، وهي الخطـــوة العملية التي تظهر بعدها الثمار الكاملة لدعوة الاخوان المسلمين .

مصارحـــة

أيها الاخوان المسلمون وبخاصة المتحمسون المتعجلون منكم :

اسمعوها مني كلمة عالية داوية من فوق هذا المنبر في مؤتمركم هذا الجامع – إن طريقكم هذا مرسومة خطواته موضوعة حدوده . ولست مخالفاً هذه الحدود التي اقتنعت كل الاقتناع بأنها أسلم طريق للوصول ، أجل قد تكون طريقاً طويلة ولكن ليس هناك غيرها – إنما تظهر الرجولة بالصبر والمثابرة والجـد والعمل الدائب ، فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها أو يقتطف زهرة قبل أوانها فلست معه في ذلك بحال ، وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات ، ومن صبر معي حتى تنمو البذرة وتنبت الشجرة وتصلح الثمرة ويحين القطاف فأجره في ذلك على الله،ولن يفوتنا وإياه أجر المحسنين: إما النصر والسيادة ، وإما الشهادة والسعادة .

أيها الاخوان المسلمون :

ألجموا نزوات العواطف بنظرات العقول . وأنيروا أشعة العقول بلهب العواطف، وألزموا الخيال صدق الحقيقة والواقع، واكتشفوا الحقائق في أضواء الخيال الزاهية البراقة ، ولا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ، ولا تصادموا نواميس الكون فإنها غلابة ، ولكن غالبوها واستخدموها وحولوا تيارها واستعينوا ببعضها على بعض ، وترقبوا ساعة النصر وما هي منكم ببعيد .

أيها الاخوان المسلمون :

إنكم تبتغون وجه الله وتحصيل مثوبته ورضوانه ، وذلك مكفول لكم مادمتم مخلصين ، ولم يكلفكم الله نتائج الأعمال ولكن كلفكم صدق التوجه وحسن الاستعداد ، ونحن بعدذلك إما مخطئون فلنا أجر العاملين المجتهدين، وإما مصيبون مع ذلك ضعف الفائزين المصيبين ، على أن التجارب في الماضي والحاضرقد أثبتت أنه لا خير إلا في طريقكم ، ولا إنتاج إلا مع خطتكم، ولا صواب إلا فيما تعملون ، فلا تغامروا بجهودكم ولا تقامروا بشعار نجاحكم واعملوا والله معكم ولن يتركم أعمالكم والفوز للعاملين «وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم» .

متى تكون خطوتنا التنفيذية

أيها الاخوان المسلمون :

نحن هنا في مؤتمر أعتبره مؤتمراً عائلياً يضم أسرة الاخوان

المسلمين ، وأريد أن أكون معكم صريحاً للغاية فلم تعد تنفعنا إلا المصارحة : ــ إن ميدان القول غير ميدان الخيال ، وميدان العمل غير ميدان القول ، وميدان الجهاد غير ميدان العمل ، وميدان الجهاد الحق غير ميدان الجهـــاد الخاطىء . يسهل على كثير أن يتخيلوا ، ولكن ليس كل خيال يدور بالبال يستطاع تصويره أقوالا باللسان ، وإن كثيرين يستطيعـــون أن يقولوا ولكن قليلين من هذا الكثير يثبتون عند العمل، وكثير من هذا القليل يستطيعون أن يعملوا ، ولكن قليلا منهم يقدرون على حمل أعباء الجهاد الشاق والعمل العنيف ، وهؤلاء المجاهدون وهم الصفوة القلائل من الأنصار قد يخطئون الطريق ولا يصيبون الهدف إن لم تتداركهم عناية الله وفي قصة طالوت بيـــان لما أقول ــ فأعدوا أنفسكم وأقبلوا عليها بالتربية الصحيحة والاختبار الدقيق وامتحنوها بالعمل ، العمل القوي البغيض لديها الشاق عليها ، وافطموها عن شهواتها ومألوفاتها وعاداتها ، وفي الوقت الذي يكون فيه منكم ــ معشر الاخوان المسلمين ــ ثلاثمائة كتيبة قد جهزت كل منها نفسها روحياً بالايمان والعقيدة، وفكرياً بالعلم والثقافة ، وجسمياً بالتدريب والرياضة ، في هذا الوقت طالبوني بأن أخوض بكم لجاج البحار ، وأقتحم بكم عنان السماء وأغزو بكم كل عنيد جبار ، فإني فاعل إن شاء الله ، وصدق رسول الله القائل « ولن يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة » . إني أقدر لذلك وقتاً ليس طويلاً بعد توفيق الله واستمداد معونته وتقديم إذنه ومشيئته ، وقد تستطيعون أنتم معشر نواب الاخوان ومندوبيهم

أن تقصروا هذا الأجل إذا بذلتم همتكم وضاعفتم جهودكم ، وقد تهملون فيخطىء هذا الحساب ، وتختلف النتائج المترتبة عليه، فأشعروا أنفسكم العبء وألفوا الكتائب وكونوا الفرق، وأقبلوا على الدروس، وسارعوا إلى التدريب وانشروا دعوتكم في الجهات التي لم تصل إليها بعد ، ولا تضيعوا دقيقة بغير عمل .

وقد يظن من يسمع هذا أن الاخوان المسلمين قليل عددهم أو ضعيف مجهودهم ، ولست الى هذا أقصد وليس هـــذا هو مفهوم كلامي، فالاخوان المسلمون والحمد لله كثيرون وإن جماعة يمثلها في هذا الاجتماع آلاف من أعضائها كل منهم ينوب عن شعبة كاملة لأكثر من أن يستقل عددها أو ينسى مجهودها أو يغمط حقها ، ولكن أقصد الى ما ذكرت أولا من أن رجـــل القول غير رجل لعمل، ورجل العمل غير رجل الجهاد ، ورجل الجهاد فقط غير رجل الجهاد المنتج الحكيم الذي يؤدي الى أعظم الربح بأقل التضحيات .

٥ ـ إيثار الناحية العملية

وأما إيثار الناحية العملية على الدعايــة والاعلانات ـ فقد أثارها في نفس الاخوان ودعا إليها في مناهجهم أمور : منها ما جاء في الاسلام خاصاً بهذه الناحية بالذات ، ومخافة أن تشوب هذه الأعمال شوائب الرياء فيسرع إليها التلف والفساد، والموازنة بين هذه النظرة وبين ما ورد في إذاعة الخير والأمر به والمسارعة إلى إعلانه ليتعدى نفسه أمر دقيق قلما يتم إلا بتوفيق ، ومنها

نفور الاخوان الطبيعي من اعتماد الناس على الدعايات الكاذبة والتهريج الذي ليس من ورائه عمل، وما أنتجه هذا في الأمة من أثر سيء وتضليل كبير وفساد ملموس، ومنها ما كان يخشاه الاخوان من معالجة الدعوة بخصومة حادة أو صداقة ضارة يكون عن كليهما تعويق في السير أو تعطيل عن الغاية، كل هذه أمور وضعها الاخوان في ميزانهم وآثروا أن يسيروا في دعوتهم بجد وإسراع وان لم يشعر بهم إلا من حولهم، وإن لم يؤثر ذلك إلا في محيطهم .

قليل من الناس من يعرف الداعية من دعاة الاخوان قد يخرج من عمله المصلحي في عصر الخميس، فإذا هو في العشاء بالمنيا يحاضر الناس، وإذا هو في صلاة الجمعة يخطب وهو بمنفلوط، فإذا هو في العصر يحاضر بأسيوط، وبعد العشاء يحاضر بسوهاج، ثم يعود أدراجه فإذا هو في الصباح الباكر في عمله بالقاهرة قبل إخوانه من الموظفين — أربع حفلات جامعات يحضرها الداعية من دعاة الاخوان في أطراف القطر في ثلاثين ساعة، ثم يعود أدراجه هادىء النفس مطمئن القلب يحمد الله على ما وفقه إليه ولا يشعر به إلا الذين استمعوه .

هذا مجهود لو قام به غير الاخوان لملأ الدنيا صياحاً ودعاية، لكن الاخوان لما قدمت يؤثرون ألا يراهم الناس إلا عاملين، فمن أقنعهم العمل فبها ومن لم يؤثر فيه العمل فلن يرشده القول .

قد يقضي الأخ شهراً أو شهرين بعيداً عن أهله، بيته وزوجه

وولده يدعو إلى الله : هو في الليل محاضر وفي النهار مسافر يوماً بجزوى ويوماً بالعقيق ، فيلقي أكثر من ستين محاضرة في الصميم من شرق القطر إلى غربه ، وقد تضم الحفلات التي يحاضر فيها الآلاف من مختلف الطبقات ثم هو بعد ذلك يوصي ألا يكون ذلك محل دعاية أو إعلان .

يعقد الاخوان معسكراً نموذجياً بالاسكندرية قرابة شهر فيكون معسكراً نموذجياً بحق ، يجمع رياضة الفكر والروح الى رياضة البدن والجسم ، وتتمثل فيه في جلاء ووضوح المعاني الرياضية والعسكرية الكاملة ، ويدوم ذلك طول هذه الفترة ويضم تحت خيامه المباركة مائة من لشباب التقي المؤمن ، فلا يكون لذلك صداه في غير من حضروه من الاخوان المسلمين .

يعقد مؤتمر كمؤتمركم هذا وهو في الواقع أصدق برلمان (لمصر) إذ مثلت فيه مديرياتها ومراكزها وقراها وحواضرها من كل الطبقات أصدق تمثيل ، وقد حضرتم جميعاً لا يحملكم الى ذلك إلا الرغبة الأكيدة في العمل المنتج فنوجه إليكم الدعوة ويضمكم معشر الاخوان المسلمين هذا المكان المبارك .

يقوم الاخوان بهذا وبغيره من ضروب الاصلاح التي تنتج أحسن الا ثار ثم هم بذلك لا يتشدقون ولا يباهون،ولا يذكرون حتى الحقيقة فضلاً عن المبالغة والاغراق – ولو كان بعض هذا النشاط وبعض هذه الأعمال مما يوفق إليه غير الاخوان من الهيئات لملأوا الدنيا صراخاً، ولأسمعوا من في المشرق والمغرب،

ولا عجب فنحن في عصر الدعايات .

أيها الاخوان :

ذلك المعنى الذي تقصدون إليه معنى جميل حقـــاً وخطة محمودة عند الله وعند الناس ، فادرجوا عليها ولا بأس عليكم ، ولكن لاحظوا أنكم الآن وقد أرغمتكم الدعوة على أن تتخطوا الحواجز الخاصة الى الميادين الواسعة ، وقـد أظهرت الدعوة نفسها فأخذ الناس يتساءلون عنها وعنكم ، وأخذ بعض الفضوليين يتطوع بتصويركم لغيركم وهو لا يدري قليلاً ولا كثيراً من شئونكم ، فقد وجب عليكم أن تبينوا الناس غايتكم ووسيلتكم وحدود فكرتكم ومنهاج أعمالكم ، وأن تعلنوا هذه الأعمال على الناس ، لا للمباهاة بها ولكن للإرشاد الى ما فيها من نفع الأمة وخير لأبنائها ، فاكتبوا الى النذير وهي لسانكم ، واكتبوا الى الصحف اليومية وأظنهـــا لا تقف في سبيلكم ، واحرصوا على أن تكونوا صادقـــين لا تتجاوزون الحقيقة ، وأن تكون دعايتكم في حـــدود الأدب الكامل والخلق الفاضل والحرص التام على جمع القلوب وتأليف الأرواح ، واستشعروا كلما ظهرت دعوتكم أن الفضل في ذلك كله لله : « بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين » .

٦ – إقبال الشباب على الدعوة

وأما إقبال الشباب على الدعوة ونموها في كثير من الأوساط التي هي أخصب المنابت للدعوات من الطبقات العاملة والوسطى

فتوفيق كبير نحمد الله عليه ، فقد أقبل الشبب في كل مكان على دعوة الاخوان يؤمن بها ويؤيدها ويناصرها ، ويعاهد الله على النهوض بحقها والعمل في سبيلها .

تقدم ستة من شباب الجامعة منذ سنوات يهبون الله نفوسهم وجهودهم ، وعلم الله منهم ذلك فأيدهم وآزرهم ، فإذا بالجامعة كلها من أنصار الاخوان المسلمين تحبهم وتحترمهم وتتمنى لهم النجاح ، وإذا من الشباب الجامعي فئة كريمة مؤمنة تتفانى في الدعوة وتبشر في كل مكان .

قل مثل ذلك في الأزهر الشريف ، والأزهر بطبعه معقل الدعوة الاسلامية وموئل الاسلام ، فليس غريباً عليه أن يعتبر دعوة الاخوان دعوته وأن يعد غايتها غايته ، وأن تمتلىء الصفوف الاخوانية والأندية الاخوانية بشبابه الناهض وعلمائه الفضلاء ومدرسيه ووعاظه ، وأن يكون لهم جميعاً أكبر الأثر في نشر الدعوة وتأييدها والمناداة بها في كل مكان ، ولم يقتصر إقبال الشباب على طوائف الطلبة الفضلاء ومن إليهم ، بل إن كثيراً من طبقات الشعب المؤمنة أقبل على الدعوة وكان خير معوان في مناصرتها وإن كثيراً من الشباب كان ضالاً ، فهداه الله وكان حائراً فأرشده الله ، وكانت المعصية له عادة فوفقه الله الى الطاعة ، وكان لا يعرف له غاية من الحياة فوضحت أمامه الغاية (يهدي الله لنوره من يشاء) ، وإنا لنعتبر ذلك من علامات التوفيق ونلمس كل يوم تقدماً جديداً في هذا الباب يدعونا الى

الأمل القوي والمثابرة ومضاعفة الجهود ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم .

٧ – سرعة الانتشار في القرى والمدن

وأما سرعة انتشار الدعوة في القرى والمدن فقد قدمت لكم أن الدعوة نشأت في الإسماعيلية ، وترعرعت في جوها الصافي ودرجت على رمالها الممتدة الجميلة يغذيها وينميها ما ترى كل صباح ومساء من مظاهر الاحتلال الأجنبي والاستئثار الأوربي بخير هذا البلد ، فهذه قناة السويس علة الداء وأصل البلاء ، وفي الغرب المعسكر الانجليزي بأدواته ومعداته ، وفي الشرق المكتب العام لإدارة شركة القناة بأثاثه ورياسته وعظمته ومرتباته ، والمصري غريب بين كل هذه الأجواء في بلده ، محروم وغيره ينعم بخير وطنه ، ذليل والأجنبي يعتز بما يغتصبه من موارد رزقه – كان هذا الشعور غذاءً جميلاً ومدداً طيباً لدعوة الاخوان ، فبسطنا رواقها في منطقة القناة ، ثم تخطتها الى البحر الصغير ثم مديرية الدقهلية – تحتل قلوب المؤمنين بها بذرة صغيرة متواضعة ، ثم لا تلبث أن تستولي على هذه القلوب وتستغرق شعورها وتفكيرها ، وتصبح للرجل أمل الآمال وغاية الغايات فيدعو ويضحي ويبذل – وخطت الدعوة الى القاهرة باندماج جمعية الحضارة الاسلامية بدعاتها وأدواتها الى الاخوان إيماناً بفكرتهم وإيثاراً للعمل مع الجماعة ، وزهادة في

الألقاب والأسماء ، واحتقاراً لهذه الأنانية الفردية التي أفسدت علينا كل عمل ، ثم تبع ذلك تكوين مكتب الإرشاد العام بالقاهرة وإشرافه على شعب الجماعة الناشئة في الأقاليم والبلدان، وعمله الدائب على نشر الفكرة وإيصالها الى البلدان التي لم تتصل بها بعد - ودأب المكتب على ذلك يقتطع أعضاؤه من قوتهم وأوقاتهم وجهودهم ما يستعينون به على خدمة عقيدتهم في عفة الأسد ، وفي طهارة ماء الغمام ، لا يمدون لأحد يداً ولا يسألون كبيراً ولا هيئة شيئاً ، ولا يأخذون من مال حكومة ولا يطلبون معونة أحد إلا الله ، حتى انتشرت شعب الاخوان بسرعة فائقة في جميع نواحي القطر المصري من اسوان الى الاسكندرية ، الى رشيد إلى بور سعيد الى السويس الى طنطا ، الى الفيوم الى بني سويف ، الى المينا ، الى أسيوط ، الى جرجا، الى قنا ، وفيما بين ذلك من المراكز والقرى ولم تقف عند هذه الحدود المصرية بل تجاوزتها الى القسم الجنوبي من الوطن الغالي ، الى السودان المفدى ، ثم الى بقية أجزاء الوطن الاسلامي العزيز : - سوريا بأقسامها شرقاً ، والمغرب باقسامه غربا ، ثم الى غير ذلك من بقية بلادنا الاسلامية المباركة - كنا نوجه الدعوة ونعمل على انتشارها من قبل ، أما الآن فقد صارت الدعوة تسبقنا الى البلاد والقرى وتضطرنا الى ملاحقتها وأداء حقوقها مهما كان في ذلك من عنت ومن إرهاق - والمهم أن الصلة بين هذه الهيئات كلها مجرد التشابه في الاسم أو الوحدة في المقصد العام - كلا بل انها أقوى الصلات جميعاً ، إنها صلة الحب العميق

والتعاون الوثيق ، والارتباط القدسي المتين . والالتفاف التام حول محور الدعوة ومركزها ، والوحدة الشاملة في الألم والأمل والجهاد والعمل والوسائل والغايات والمناهج والخطوات وليس بعد ذلك زيادة لمستزيد ـ وليست هذه الهيئات في البلدان والقرى مقتصرة في عملها على تنفيذ تعليمات المكتب الرئيسي لها بالقاهرة ، بل إنها تجد وتعمل في مناحي الخدمة العامة فتبني أنديتها وكثير منها قد بنى داره وأصبحت ملكاً خالصاً له خاصاً به ، وكثير منها كذلك قام بكثير من المشروعات الخيرية والاقتصادية والاجتماعية ، وجميعها دائمة النشاط جمة الإنتاج ، كما أن صلة المكتب بفروعه وهيئاته المختلفة ليست صلة الرئيس بالمرءوس ، وليست صلة الإدارة البحتة والإشراف العلمي فقط ، ولكنها صلة فوق ذلك كله : صلة الروح أولاً ، وصلة أفراد الأسرة الواحدة بعضهم ببعض ، التزاور في الله ، فدعاة الاخوان يزورون إخوانهم ويختلطون بهم ويعرفون أهم ما يتصل بحياتهم وشؤونهم الخاصة والعامة ، ولم يتوفر ذلك لهيئة من الهيئات القائمة فيما أعلم ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

أيها الاخوان :

لا أكتمكم أني مزهو بهذه الوحدة الاخوانية الصادقة ، فخور بهذا الارتباط الرباني القوي المتين ، عظيم الأمل في المستقبل ، ما دمتم كذلك إخوة في الله متحابين متعاونين ،

فاحرصوا على هذه الوحدة فإنها سلاحكم وعدتكم .

وإن كثيراً من الناس ليتساءل : ومن أين يقوم الاخوان المسلمون بنفقات هذه الدعوة، وهي نفقات كثيرة تعجز الأغنياء فضلا عن الفقراء ؟ ألا فليعلم هؤلاء وليعلم غيرهم أن الاخوان المسلمين لا يبخلون على دعوتهم يوماً من الأيام بقوت أولادهم وعصارة دمائهم وثمن ضرورياتهم فضلا عن كالياتهم والفائض من نفقاتهم وأنهم يوم أن حملوا هذا العبء عرفوا جيداً أنها دعوة لا ترضى بأقل من الدم والمال، فخرجوا عن ذلك كله لله وفقهوا معنى قوله تعالى : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » فقبلوا البيع وقدموا البضاعة عن رضا وطيب نفس معتقدين أن الفضل كله لله ، فاستغنوا بما في أيديهم عما في أيدي الناس ، ومنحهم الله البركة في القليل فأنتج الكثير . إلى الآن أيها الاخوان لم يمنح مكتب الإرشاد العام إعانة واحدة من حكومة أيا كانت ، وهو يباهي ويفاخر ويتحدى الناس جميعاً أن يقول أحدهم إن هذا المكتب قد دخل خزانته قرش واحد من غير جيوب أعضائه ، ولسنا نريد إلا هذا ، ولن نقبل إلا من عضو أو من محب ، ولن نعتمد على الحكومات في شيء ، ولا تجعلوا في ترتيبكم ولا منهاجكم ذلك ولا تنظروا إليه ولا تعملوا له ، واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما .

تلك أيها الاخوان بعض خصائص دعوتكم ، انتهزت هذه الفرصة لأتحدث إليكم عنها ، وأنتقل بعد ذلك الى ناحية هامة

من نواحي الدعوة قد يلتبس الأمر في موقف الاخوان منها على كثير من الناس ، وربما خفي على بعض الاخوان أنفسهم حتى نحدد معاً ونكتشف معاً ماعسى أن يكون من إبهام .

من منهاج الاخوان المسلمين

الغاية والوسيلة

أظنكم أيها الاخوة الفضلاء قد عرفتم من هذا الحديث الطويل غاية الاخوان ووسيلتهم ومهمتهم تماماً : إن غاية الاخوان تنحصر « في تكوين جيل جديد من المؤمنين بتعاليم الاسلام الصحيح يعمل » « على صبغ الأمة بالصبغة الاسلامية الكاملة في كل مظاهر حياتها » « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة . وأن وسيلتهم في ذلك » « تنحصر في تغيير العرف العام وتربية أنصار الدعوة على هذه » « التعاليم حتى يكونوا قدوة لغيرهم في التمسك بها والحرص عليها » «والنزول على حكمها » وأنهم ساروا الى غايتهم في حدود وسيلتهم فوصلوا إلى درجة من النجاح يطمئنون إليها ويحمدون الله عليها ، وأظنني لست في حاجة إلى مزيد شرح أو بيان في هذه الناحية .

الاخوان والقوة والثورة

ويتساءل كثير من الناس : هل في عزم الاخوان المسلمين أن يستخدموا القوة في تحقيق أغراضهم والوصول الى غايتهم ؟وهل

يفكر الاخوان المسلمون في إعداد ثورة عامة على النظام السياسي أو النظام الاجتماعي في مصر ؟ ولا أريد أن أدع هؤلاء المتسائلين في حيرة ، بل إني أنتهز هذه الفرصة فأكشف اللثام عن الجواب السافر لهذا في وضوح وفي جلاء ، فليسمع من يشاء .

أما القوة فشعار الاسلام في كل نظمه وتشريعاته ، فالقرآن الكريم ينادي في وضوح وجلاء : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : « المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف » ، بل إن القوة شعار الاسلام حتى في الدعاء وهو مظهر الخشوع والمسكنة ، واسمع ما كان يدعو به النبي صلى الله عليه وسلم في خاصة نفسه ويعلمه أصحابه ويناجي به ربه : « اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال » ألا ترى في هذه الأدعية أنه قد استعاذ بالله من كل مظهر من مظاهر الضعف — ضعف الإرادة بالهم والحزن ، وضعف الإنتاج بالعجز والكسل وضعف الجيب والمال بالجبن والبخل ، وضعف العزة والكرامة بالدين والقهر — فماذا تريد من إنسان يتبع هذا الدين إلا أن يكون قوياً في كل شيء شعاره القوة في كل شيء ؟ فالاخوان المسلمون لا بد أن يكونوا أقوياء ، ولا بد أن يعملوا في قوة .

ولكن الاخوان المسلمين أعمق فكراً وأبعد نظراً من أن تستهويهم سطحية الأعمال والفكر فلا يغوصوا إلى أعماقها ولا يزنوا نتائجها وما يقصد منها وما يراد بها ، فهم يعلمون أن أول درجة من درجات القوة قوة العقيدة والإيمان ، ويلي ذلك قوة الوحدة والارتباط ، ثم بعدهما قوة الساعد والسلاح - ولا يصح أن توصف جماعة بالقوة حتى تتوفر لها هذه المعاني جميعاً ، وإنها إذا استخدمت قوة الساعد والسلاح وهي مفككة الأوصال مضطربة النظام أو ضعيفة العقيدة خامدة الإيمان فسيكون مصيرها الفناء والهلاك - هذه نظرة ، ونظرة أخرى،هل أوصى الاسلام - والقوة شعاره باستخدام القوة في كل الظروف والأحوال ؟ أم حدد لذلك حدوداً واشترط شروطاً ووجه القوة توجيهاً محدوداً ؟ - ونظرة ثالثة - هل تكون القوة أول علاج أم أن آخر الدواء الكي ؟ وهل من الواجب أن يوازن الانسان بين نتائج استخدام القوة النافعة ونتائجها الضارة وما يحيط بهذا الاستخدام من ظروف؟ أم من واجبه أن يستخدم القوة وليكن بعد ذلك ما يكون ؟ هذه نظرات يلقيها الاخوان المسلمون على اسلوب استخدام القوة قبل أن يقدموا عليه - والثورة أعنف مظاهر القوة ، فنظر الاخوان المسلمين إليها أدق وأعمق ، وبخاصة في وطن كمصر جرب حظه في الثورات فلم يجن من ورائها إلا ما تعلمون. وبعد كل هذه النظرات والتقديرات أقول لهؤلاء المتسائلين إن

الاخوان المسلمين سيستخدمون القوة العملية حيث لا يجدي غيرها ، وحيث يثقون أنهم قد استكملوا عدة الايمان والوحدة، وهم حين يستخدمون هذه القوة سيكونون شرفاء صرحاء وسينذرون أولاً ، وينتظرون بعد ذلك ثم يقدمون في كرامة وعزة ، ويحتملون كل نتائج موقفهم هذا بكل رضاء وارتياح — وأما الثورة فلا يفكر الاخوان المسلمون فيها ، ولا يعتمدون عليها ، ولا يؤمنون بنفعها ونتائجها ، وإن كانوا يصارحون كل حكومة في مصر بأن الحال إذا دامت على هذا المنوال ولم يفكر أولو الأمر في إصلاح عاجل وعلاج سريع لهذه المشاكل فسيؤدي ذلك حتما إلى ثورة ليست من عمل الاخوان المسلمين ولا من دعوتهم ، ولكن من ضغط الظروف ومقتضيات الأحوال ، وإهمال مرافق الإصلاح ، وليست هذه المشاكل التي تتعقد بمرور الزمن ويستفحل أمرها بمضي الأيام إلا نذيراً من هذه النذر ، فليسرع المنقذون بالأعمال .

الإخوان المسلمون والحكم

ويتساءل فريق آخر من الناس : هل في منهاج الاخوان المسلمين أن يكونوا حكومة وأن يطالبوا بالحكم ؟ وما وسيلتهم الى ذلك ؟ ولا أدع هؤلاء المتسائلين أيضاً في حيرة ، ولا نبخل عليهم بالجواب ، فالاخوان المسلمون يسيرون في جميع خطواتهم وآمالهم وأعمالهم على هدى الاسلام الحنيف كما فهموه ، وكما أبانوا عن فهمهم هذا في أول هذه الكلمة — وهذا الاسلام الذي يؤمن به

الاخوان المسلمون يجعل الحكومة ركناً من أركانه ، ويعتمد على التنفيذ كما يعتمد على الارشاد ، وقديماً قال الخليفة الثالث رضي الله عنه : « إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » ، وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الحكم عروة من عرى الاسلام - والحكم معدود في كتبنا الفقهية من العقائد والأصول، لا من الفقهيات والفروع ، فالاسلام حكم وتنفيذ ، كما هو تشريع وتعليم ، كما هو قانون وقضاء ، لا ينفك واحد منها عن الآخر - والمصلح الاسلامي إن رضي لنفسه أن يكون فقيهاً مرشداً يقرر الأحكام ويرتل التعاليم ويسرد الفروع والأصول وترك أهل التنفيذ يشرعون للأمة ما لم يأذن به الله ويحملونها بقوة التنفيذ على مخالفة أوامره ، فإن النتيجة الطبيعية أن صوت هذا المصلح سيكون صرخة في واد ونفخة في رماد كما يقولون .

قد يكون مفهوماً أن يقنع المصلحون الاسلاميون برتبة الوعظ والارشاد إذا وجدوا من أهل التنفيذ اصغاء لأوامر الله وتنفيذاً لأحكامه ، وإيصالاً لآياته وأحاديث نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأما والحال كما نرى : التشريع الاسلامي في واد والتشريع الفعلي والتنفيذي في واد آخر ، فإن قعود المصلحين الاسلاميين عن المطالبة بالحكم جريمة إسلامية لا يكفرها إلا النهوض واستخلاص قوة التنفيذ من أيدي الذين لا يدينون بأحكام الاسلام الحنيف - هذا كلام واضح لم نأت به من عند أنفسنا ، ولكننا نقرر به أحكام الاسلام الحنيف ، وعلى هذا

فالاخوان المسلمون لا يطلبون الحكم لأنفسهم ، فإن وجدوا من الأمة من يستعد لحمل هذا العبء وأداء هذه الأمانة والحكم بمنهاج إسلامي قرآني فهم جنوده وأنصاره وأعوانه ، وإن لم يجدوا فالحكم من منهاجهم ، وسيعملون لاستخلاصه من أيدي كل حكومة لا تنفذ أوامر الله .

وعلى هذا فالاخوان أعقـــل وأحزم من أن يتقدموا لمهمة الحكم ونفوس الأمة على هذا الحال ، فلا بد من فترة تنتشر فيها مبادىء الاخوان وتسود ويتعلم فيها الشعب كيف يؤثر المصلحة العامة على المصلحة الخاصة .

وكلمة لا بد أن نقولها في هذا الموقف هي أن الأخوان المسلمين لم يروا في حكومة من الحكومات التي عاصروها - لا الحكومة القائمة ولا الحكومة السابقة ولا غيرهما من الحكومات الحزبية - من ينهض بهذا العبء ، أو من يبدي الاستعداد الصحيح لمناصرة الفكرة الاسلامية ، فلتعلم الأمة ذلك ولتطالب حكامها بحقوقها الاسلامية وليعمل الاخوان المسلمون .

وكلمة ثانية أنه ليس أعمق في الخطأ من ظن بعض الناس أن الاخوان المسلمين كانوا في أي عهد من عهود دعوتهم مطية لحكومة من الحكومات ، أو منفذين لغاية غير غايتهم ، أو عاملـين على منهاج غير منهاجهم ، فليعلم ذلك من لم يكن يعلمه من الاخوان ومن غير الاخوان .

الاخوان المسلمون والدستور المصري

ويتساءل كذلك فريق من الناس ما موقف الاخوان المسلمين من الدستور المصري ؟ ولا سيما بعد أن كتب الأخ صالح أفندي عشماوي رئيس تحرير مجلة النذير في هذا الموضوع ، وتناولت كتابته صحيفة مصر الفتاة بالنقد والموازنة – وهـــذه فرصة طيبة أتحدث الى حضراتكم فيها عن رأي الاخوان المسلمين ، وموقفهم من الدستور المصري ، وأحب قبل هذا أن نفرق دائماً بين (الدستور) وهو نظام الحكم العام الذي ينظم حدود السلطات وواجبات الحاكمين ومدى صلتهم بالمحكومين ، وبين (القانون) وهو الذي ينظم صلة الأفراد بعضهم ببعض ، ويحمي حقوقهم الأدبية والمادية ويحاسبهم على ما يأتون من أعمـــال ، وأستطيع بعد هذا البيان أن أجلي لكم موقفنا من نظام الحكم الدستوري عامة ، ومن الدستور المصري خاصة :

الواقع أيها الاخـــوان أن الباحث حين ينظر الى مبادىء الحكم الدستوري التي تتلخص في المحافظة على الحرية الشخصية بكل أنواعها وعلى الشورى واستمداد السلطة من الأمة ، وعلى مسؤولية الحـــكام أمام الشعب ومحاسبتهم على ما يعملون من أعمال ، وبيان حدود كل سلطة من السلطات – هذه الأصول كلها يتجلى للباحث أنها تنطبق كل الانطباق على تعاليم الاسلام ونظمه وقواعده في شكل الحكم .

ولهذا يعتقد الاخوان المسلمون أن نظام الحكم الدستوري هو أقرب نظم الحكم القائمة في العالم كله الى الاسلام وهم لا يعدلون به نظاماً آخر .

بقي بعد ذلك أمران : أولهما النصوص التي تصاغ في قالبها هذه المبادىء ، وطريقة التطبيق التي تفسر بها عملياً هذه النصوص – إن المبدأ السليم القويم قد يوضع في نص مبهم غامض فيدع مجالاً للعبث بسلامة المبدأ في ذاته – وإن النص الظاهر الواضح للمبدأ السليم القويم قد يطبق وينفذ بطريقة يمليها الهوى وتوحيها الشهوات فيذهب .هذا التطبيق بكل ما يرجى من فائدة .

وإذا تقرر هذا فإن من نصوص الدستور المصري ما يراه الاخوان المسلمون مبهماً غامضاً يدع مجالاً واسعاً للتأويل والتفسير الذي تمليه الغايات والأهواء ، فهي في حاجة الى وضوح والى تحديد وبيان – هذه واحدة والثانية هي أن طريقة التنفيذ التي يطبق بها الدستور ويتوصل بها إلى جني ثمرات الحكم الدستوري في مصر طريقة أثبتت التجارب فشلها وجنت الأمة منها الأضرار لا المنافع ، فهي في حاجة شديدة إلى تحوير وإلى تعديل يحقق المقصود ويفي بالغاية ...

وحسبنا أن نشير هنا إلى قانون الانتخاب وهو وسيلة اختيار النواب الذين يمثلون الأمة ويقومون بتنفيذ دستورها وحمايته ، وما جره هذا القانون على الأمة من خصومات وحزازات وما

أنتجه من أضرار يشهد به الواقع الملموس ، ولا بد أن تكون فينا الشجاعة الكافية لمواجهة الأخطاء والعمل على تعديلها .

لهذا يعمل الاخوان المسلمون جهدهم حتى تحدد النصوص المبهمة في الدستور المصري وتعدل الطريقة التي ينفذ بها هذا الدستور في البلاد - وأظن أن موقف الاخوان قد وضح بهذا البيان وردت الأمـور إلى نصابها الصحيح ، إن الأخ صالح أفندي قد أراد أن يعبر في مقاله الأول عن وجهة النقد التي يراها الاخوان فاحتد واشتد ، ولما نبهناه إلى أن هذا ليس موقفنا في الواقع فنحن نسلم بالمبادىء الأساسية للحكم الدستوري باعتبـارها متفقة بل مستمدة من نظام الاسلام وإنما ننقد الإبهام وطرائق الإنفاذ ، أراد أن يعبر عن ذلك ويقر الأمر في وضعه الطبيعي بالنسبة للاخوان فتساهل ولان ، وهو في كلا الموقفين مأجور فالخير أراد ونية المرء خير من عمله . ونحن نشكر الذين أخذوا على الأخ صالح أفندي هذا الموقف ولا يضره فيما أعتقد أن يستفيد من هذا التنبيه فيؤثر الاعتدال في كلّ حالٍ وأعتقد أنه لا مجال لقول بعد هذا البيان - أما الأمثلة التفصيلية والأدلة الوافية ووصف طرائق العلاج والإصلاح ففي رسالة خاصة إن شاء الله .

الاخوان المسلمون والقانون

قدمت أن الدستور شيء والقانون شيء آخر وقد أبنت عن

موقف الاخوان من الدستور وأبين لحضراتكم الآن عن موقفهم من القانون .

إن الاسلام لم يجيء خلواً من القوانين بل هو قد أوضح كثيراً من أصول التشريع وجزئيات الأحكام ، سواء أكانت مادية أم جنائية ، أم تجارية أم دولية ، والقرآن والأحاديث فياضة بهذه المعاني وكتب الفقهاء غنية كل الغنى بكل هذه النواحي ، وقد اعترف الأجانب أنفسهم بهذه الحقيقة وأقرها مؤتمر لاهاي الدولي أمام ممثلي الأمم من رجال القانون في العالم كله .

فمن غير المفهوم ولا المعقول أن يكون القانون في أمة إسلامية متناقضاً مع تعاليم دينها وأحكام قرآنها وسنة نبيها ، مصطدماً كل الاصطدام بما جاء عن الله ورسوله ، وقد حذر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ذلك من قبل ، فقال تبارك وتعالى « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون ، أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » وذلك بعد قوله تعالى « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ـ والظالمون ـ والفاسقون » فكيف يكون موقف المسلم الذي يؤمن بالله وكلماته إذا سمع هذه الآيات البينات وغيرها من الأحاديث والأحكام ، ثم رأى نفسه محكوماً بقانون يصطدم معها ، فإذا طالب بالتعديل قيل له إن الأجانب

لا يرضون بهذا ولا يوافقون عليه ، ثم يقـــال بعد هذا الحجر والتضييق إن المصريين مستقلون وهم لم يملكوا بعد أن يتمتعوا بحرية الدين وهي أقدس الحريات .

على أن هذه القوانين الوضعية كما تصطدم بالدين ونصوصه تصطدم بالدستور الوضعي نفسه الذي يقرر أن دين الدولة هو الاسلام ، فكيف نوفق بين هذين يا أولي الألباب ؟

وإذا كان الله ورسوله قد حرم الزنا ، وحظر الربا ، ومنع الخمور وحارب الميسر ، وجاء القانون يحمي الزانيـــة والزاني ويلزم بالربا ويبيـح الخمر وينظم القمار فكيف يكون موقف المسلم بينهما ؟ أيطيـع الله ورسوله ويعصى الحكومة وقانونها والله خير وأبقى ؟ أم يعصى الله ورسوله ويطيـع الحكومـــة فيشقى في الآخرة والأولى ؟ نريد الجواب على هذا من رفعة رئيس الحكومة ومعالي وزير العدل ومن علمائنا الفضلاء الأجلاء .

أما الاخوان المسلمون فهم لا يوافقون على هذا القانون أبداً ولا يرضونه بحال ، وسيعملون بكل سبيل على أن يحل مكانه التشريـع الاسلامي العادل الفاضل في نواحي القانون ، ولسنا هنا في مقام الرد على ما قيل في هذه الناحية من شبهات أو يعترض سبيلها من توهم العقبات ولكنا في مقام بيان موقفنا الذي عملنا وسنعمل عليه متخطين في سبيله كل عقبة ، موضحين كل شبهة حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

ولقد تقدم الاخوان المسلمون إلى معالي وزير العدل بمذكرة ضافية في هذا الموضوع ، ولقد حذروا الحكومة في نهايتها من إحراج الناس هذا الإحراج ، فالعقيدة أثمن ما في الوجـود ، وسوف يعاودون الكرة وسوف لا يكون ذلك آخر مجهودهم « ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

موقف الاخوان المسلمين من الوحدة القومية والعربية والاسلامية

كثيراً ما تتوزع أفـكار الناس في هذه النواحي الثلاث : الوحدة القومية ، والوحدة العربية ، والوحدة الاسلامية ، وقد يضيفون الى ذلك الوحدة الشرقية ثم تنطلق الألسنة والأفـكار بالموازنة بينها وإمكان تحققها أو صعوبة ذلك الإمكان ، ومبلغ الفائدة أو الضرر منها ، والتشيـع لبعضها دون البعض الآخر ، فما موقف الأخوان المسلمين من هذا الخليط من الأفـكار والمناحي ؟ ولا سيما وكثير من الناس يغمزون الاخوان المسلمين في وطنيتهم ويعتبرون تمسكهم بالفكرة الاسلامية مانعاً إياهم من الإخلاص للناحية الوطنية ، والجواب على هذا أننا لن نحيد عن القاعدة التي وضعناها أساساً لفكرتنا ، وهي السير على هدى الاسلام وضوء تعاليمه السامية ــ فما موقف الاسلام نفسه من هذه النواحي ؟ .

إن الاسلام قد فرضها فريضة لازمة لا مناص منها أن يعمل

كل إنسان لخير بلده وأن يتفانى في خدمته ، وأن يقدم أكبر ما يستطيع من الخير للأمة التي يعيش فيها ، وأن يقدم في ذلك الأقرب فالأقرب رحماً وجواراً ، حتى أنه لم يجز أن تنقل الزكوات أبعد من مسافة القصر إلا لضرورة إيثاراً للأقربين بالمعروف ؛ فكل مسلم مفروض عليه أن يسد الثغرة التي هو عليها وأن يخدم الوطن الذي نشأ فيه ، ومن هنا كان المسلم أعمق الناس وطنية وأعظمهم نفعاً لمواطنيه لأن ذلك مفروض عليه من رب العالمين ، وكان الاخوان المسلمون أشد الناس حرصاً على خير وطنهم ، وتفانياً في خدمة قومهم ، وهم يتمنون لهذه البلاد العزيزة المجيدة كل عزة ومجد وكل تقدم ورقي ، وكل فلاح ونجاح وقد انتهت إليها رياسة الأمم الاسلامية بحكم ظروف كثيرة تضافرت على هذا الوضع الكريم ، وإن حب المدينة لم يمنع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحن إلى مكة وأن يقول لأصيل ، وقد أخذ يصفها : يا أصيل دع القلوب تقر ، وأن يجعل بلالا يهتف من قرارة نفسه :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بواد وحولي إذ خر وجليل

وهل أردن يوماً مياه مجنة ... وهل يبدون لي شامة وطفيل؟

فالاخوان المسلمون يحبون وطنهم ، ويحرصون على وحدته القومية بهذا الاعتبار ، ولا يجدون غضاضة على أي إنسان أن يخلص لبلده ، وأن يفنى في سبيل قومه ، وأن يتمنى لوطنه

كل مجد وكل عز وفخار . هذا من وجهة القومية الخاصة .

ثم إن هذا الإسلام الحنيف نشأ عربياً ووصل إلى الأمم عن طريق العرب . وجاء كتابه الكريم بلسان عربي مبين وتوحدت الأمم باسمه على هذا اللسان يوم كان المسلمون مسلمين ، وقد جاء في الأثر إذا ذل العرب ذل الإسلام وقد تحقق هذا المعنى حين دال سلطان العرب السياسي وانتقل الأمر من أيديهم إلى غيرهم من الأعاجم والديلم ومن إليهم ، فالعرب هم عصبة الإسلام وحراسه — وأحب هنا أن ننبه إلى أن الاخوان المسلمين يعتبرون العروبة كما عرفها النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه ابن كثير عن معاذ بن جبل رضي الله عنه : ألا إن العربيـة اللسان ألا إن العربية اللسان : ومن هنا كانت وحدة العرب أمراً لا بد منه لاعادة مجد الاسلام وإقامة دولته وإعزاز سلطانه — ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لاحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها وهذا هو موقف الاخوان المسلمين من الوحدة العربية .

بقي علينا أن نحدد موقفنا من الوحدة الاسلامية — والحق أن الاسلام كما هو عقيدة وعبادة ، هو وطن وجنسية ، وأنه قد قضى على الفوارق النسبية بين الناس فالله تبارك وتعالى يقول « إنما المؤمنون إخوة » والنبي صلى الله عليه وسلم يقول « المسلم أخو المسلم » ، والمسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم .

فالاسلام والحالة هذه لا يعترف بالحدود الجغرافية ولا يعتبر

الفوارق الجنسية الدموية ، ويعتبر المسلمين جميعاً أمة واحدة ، ويعتبر الوطن الإسلامي وطناً واحداً مهما تباعدت أقطاره وتناءت حدوده ، وكذلك الاخوان المسلمون يقدسون هذه الوحدة ويؤمنون بهذه الجامعة ويعملون لجمع كلمة المسلمين وإعزاز أخوة الاسلام ، ينادون بأن وطنهم هو كل شبر أرض فيه مسلم يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وما أروع ما قال في هذا المعنى شاعر من شعراء الإخوان :

ولست أدري سوى الاسلام لي وطناً
الشام فيه ووادي النيل سيان
وكلما ذكر اسم الله في بلد
عددت أرجاءه من لب أوطاني

يقول بعض الناس إن ذلك يناقض تيار الفكرة السائدة في العالم فكرة التعصب للأجناس والألوان ، والعالم الآن تجرفه موجة القوميات الجنسية فكيف تقفون أمام هذا التيار وكيف تخرجون على ما اتفق عليه الناس ؟ وجواب ذلك أن الناس يخطئون وأن نتائج خطئهم في ذلك ظاهرة ملموسة في إقلاق راحة الأمم وتعذيب ضمائر الشعوب بما لا يحتاج الى برهان ، وليست مهمة الطبيب أن يجاري المرضى ولكن أن يعالجهم وأن يهديهم سواء السبيل ، وتلك مهمة الاسلام ومن وصل دعوته بالاسلام .

ويقول آخرون إن ذلك غير ممكن والعمل له عبث لا طائل

تحته ومجهود لا فائدة منه . وخير للذين يعملون لهذه الجامعة أن يعملوا لأقوامهم ويخدموا أوطانهم الخاصة بجهودهم - والجواب على هذا أن هذه لغة الضعف والاستكانة - فقد كانت هذه الأمم مفرقة من قبل متخالفة في كل شيء : في الدين واللغة ، والمشاعر والآمال والآلام فوحّدها الاسلام وجمع قلوبها على كلمة سواء ، وما زال الاسلام كما هو بحدوده وبرسومه فإذا وجد من أبنائه من ينهض بعبء الدعوة اليه وتجديده في نفوس المسلمين فإنه يجمع هذه الأمم جميعاً من جديد كما جمعها من قديم ، والإعادة أهون من الابتداء والتجربة أصدق دليل على الإمكان .

يهتف بعض الناس بعد هذا بالوحدة الشرقية ، وأظن أنه لم يثر هذه النعرة في نفوس الهاتفين بها إلا تعصب الغربيين لغربهم وسوء عقيدتهم في الشرق وأبنائه وهم في ذلك مخطئون ، وإذا استمر الغربيون على عقيدتهم هذه فستجر عليهم الوبال والنكال ، والاخوان المسلمون لا ينظرون الى الوحدة الشرقية إلا من خلال هذه العاطفة فقط ، والشرق والغرب عندهم سيان إذا استوى موقفهما من الاسلام وهم لا يزنون الناس إلا بهذا الميزان .

وضح إذن أن الاخوان المسلمين يحترمون قوميتهم الخاصة باعتبارها الأساس الأول للنهوض المنشود ولا يرون بأساً بأن يعمل كل إنسان لوطنه وأن يقدمه في الوطن على سواه ، ثم هم بعد ذلك يؤيدون الوحدة العربية باعتبارها الحلقة الثانية في النهوض ثم هم يعملون للجامعة الاسلامية باعتبارها السياج الكامل للوطن الاسلامي العام — ولي أن أقول بعد هذا إن الاخوان

يريدون الخير للعالم كله فهم ينادون بالوحدة العالمية لأن هذا هو مرمى الاسلام وهدفه ومعنى قول الله تبارك وتعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

وأنا في غنى بعد هذا البيان عن أن أقول إنه لا تعارض بين هذه الوحدات بهذا الاعتبار ، وبأن كلاً منها تشد أزر الأخرى وتحقق الغاية منها ، فإذا أراد أقوام أن يتخذوا من المناداة القومية الخاصة سلاحاً يميت الشعور بما عداها فالاخوان المسلمون ليسوا معهم ولعل هذا هو الفارق بيننا وبين كثير من الناس .

الاخوان المسلمون والخلافة

ولعل من تمام هذا البحث أن أعرض لموقف الاخوان المسلمين من الخلافة وما يتصل بها ، وبيان ذلك أن الاخوان يعتقدون أن الخلافة رمز الوحدة الاسلامية ، ومظهر الارتباط بين أمم الاسلام ، وأنها شعيرة إسلامية يجب على المسلمين التفكير في أمرها والاهتمام بشأنها ، والخليفة مناط كثير من الأحكام في دين الله . ولهذا قدم الصحابة رضوان الله عليهم النظر في شأنها على النظر في تجهيز النبي صلى الله عليه وسلم ودفنه حتى فرغوا من تلك المهمة واطمأنوا إلى إنجازها .

والأحاديث التي وردت في وجوب نصب الإمام وبيان أحكام الإمامة وتفصيل ما يتعلق بها لا تدع مجالاً للشك في أن من واجب المسلمين أن يهتموا بالتفكير في أمر خلافتهم منذ حورت

عن مناهجها ثم ألغيت بتاتاً إلا الآن ـ والاخوان المسلمون لهذا يجعلون فكرة الخلافة والعمل لإعادتها في رأس مناهجهم ، وهم مع هذا يعتقدون أن ذلك يحتاج إلى كثير من التمهيدات التي لا بد منها ، وأن الخطوة المباشرة لإعادة الخلافة لا بد أن تسبقها خطوات : لا بد من تعاون تام ثقافي واجتماعي واقتصادي بين الشعوب الاسلامية كلها ، يلي ذلك تكوين الأحـــلاف والمعاهدات وعقد المجامع والمؤتمرات بين هذه البلاد . وأن المؤتمر البرلماني الاسلامي لقضية فلسطين ودعوة وفود الممالك الاسلامية إلى لندن للمناداة بحقوق العرب في الأرض المباركة لظاهرتان طيبتان وخطوتان واسعتـان في هـذا السبيل ـ ثم يلي ذلك تكوين عصبة الأمم الاسلامية ، حتى إذا استوثق ذلك للمسلمين كان عنه الاجتماع على « الإمام » الذي هو واسطة العقد ، ومجتمع الشمل ، ومهوى الأفئدة وظل الله في الأرض .

موقف الاخوان من الهيئات المختلفة

الاخوان المسلمون والهيئات الاسلامية :

الآن وقد أفصحت عن رأي الاخوان وموقفهم في كثير من المسائل العامة التي تشغل أذهان الأمة في هذه الأوقات ، أحب كذلك أن أفصح لحضراتكم عن موقف الاخوان المسلمين من الهيئات الاسلامية في مصر ، وذلك أن كثيراً من محبي الخير

يتمنون أن تجتمع هذه الهيئات وتتوحد منها جمعية إسلامية ترمي عن قوس واحدة — ذلك أمل كبير وأمنية عزيزة يتمناها كل محب للإصلاح في هذا البلد — والاخوان المسلمون يرون هذه الهيئات على اختلاف ميادينها تعمل لنصرة الاسلام، وهم يتمنون لها جميعاً النجاح، ولم يفتهم أن يجعلوا من مناهجهم التقرب منها والعمل على جمعها وتوحيدها حول الفكرة العامة، وقد تقرر هذا في المؤتمر الدوري الرابع للاخوان بالمنصورة وأسيوط في العام الفائت، وأبشركم بأن مكتب الإرشاد حين أخذ يعمل على تنفيذ هذا القرار وجد روحاً طيبة من كل الهيئات التي اتصل بها وتحدث إليها مما يبشر بنجاح السعي مع الزمن إن شاء الله.

الاخوان والشبان :

كثيراً ما يرد على أذهان الناس هذا السؤال ما الفرق بين جماعة الإخوان وجماعة الشبان؟ ولماذا لا يكونان هيئة واحدة ويعملان على منهاج واحد؟ — وأحب قبل الجواب على هذا السؤال أن أؤكد للذين يسرهم وحدة الجهود وتعاون العاملين أن الإخوان والشبان وبخاصة هنا في القاهرة لا يشعرون بأنهم في ميدان مناقشة ولكن في ميدان تعاون قوي وثيق، وأن كثيراً من القضايا الإسلامية العامة يظهر فيها الإخوان والشبان شيئاً واحداً وجماعة واحدة إذ أن الغاية العامة مشتركة وهي العمل لما فيه إعزاز الإسلام وإسعاد المسلمين — وإنما تقع فروق يسيرة في اسلوب الدعوة وفي خطة القائمين بها وتوجيه جهودهم في كلتا الجماعتين،

وإن الوقت الذي ستظهر فيه الجماعات الإسلامية كلها جبهة موحدة غير بعيد على ما أعتقد والزمن كفيل بتحقيق ذلك إن شاء الله.

الاخوان المسلمون والأحزاب :

والإخوان المسلمون يعتقدون أن الأحزاب السياسية المصرية جميعاً قد وجدت في ظروف خاصة ولدواع أكثرها شخصي لا مصلحي وشرح ذلك تعلمونه حضراتكم جميعاً، ويعتقدون كذلك أن هذه الأحزاب لم تحدد برامجها ومناهجها إلى الآن فكل منها سيدعي أنه يعمل لمصلحة الأمة في كل نواحي الإصلاح ، ولكن ما تفاصيل هذه الأعمال ، وما وسائل تحقيقها: وما الذي أعد من هذه الوسائل ، وما العقبات التي ينتظر أن تقف في سبيل التنفيذ، وما أعد لتذليلها ، كل ذلك لا جواب له عند رؤساء الأحزاب وإدارات الأحزاب ، فهم قد اتفقوا في هذا الفراغ كما اتفقوا في أمر آخر هو التهالك على الحكم وتسخير كل دعاية حزبية وكل وسيلة شريفة وغير شريفة في سبيل الوصول إليه وتجريح كل من يحول من الخصوم الحزبيين دون الحصول عليه ـ ويعتقد الإخوان كذلك أن هذه الحزبية قد أفسدت على الناس كل مرافق حياتهم، وعطلت مصالحهم ، واتلفت أخلاقهم .ومزقت روابطهم، وكان لها في حياتهم العامة والخاصة أسوأ الأثر – ويعتقدون كذلك أن النظام النيابي بل حتى البرلماني في غنى عن نظام الأحزاب بصورتها الحاضرة في مصر وإلا لما قامت الحكومات الائتلافية في

البلاد الديمقراطية ، فالحجة القائلة بأن النظام البرلماني لا يتصور إلا بوجود الأحزاب حجة واهية وكثير من البـــلاد الدستورية البرلمانية تسير على نظام الحزب الواحد وذلك في الإمكان - كما يعتقد الإخوان أن هناك فرقاً بين حرية الرأي والتفكير والإبانة الإفصاح والشورى والنصحية وهو ما يوجبه الإســلام ، وبين التعصب للرأي والخروج على الجماعة والعمل الدائب على توسيع هوة الانقسام في الأمة وزعزعة سلطان الحكام وهو ما تستلزمه الحزبية ويأباه الإسلام ويحرمه أشد التحريم ، والإسلام في كل تشريعاته إنما يدعو إلى الوحدة والتعاون .

وهذا مجمل نظرات الإخوان إلى قضية الحزبية والأحزاب في مصر وهم لهذا قد طلبوا إلى رؤساء الأحزاب منذ عام تقريباً أن يطرحوا هذه الخصومة جانباً وينضم بعضهم إلى بعض ، كما اقترحوا التوسط في هذه القضية على الأميرين الجليلين صاحب السمو الملكي الأمير محمد علي وصاحب السمو الأمير الجليل عمر طوسون .. كما التمسوا من جلالة الملك حل هذه الأحزاب القائمة حتى تندمج جميعاً في هيئة شعبية واحدة تعمل لصــالح الأمة على قواعد الإسلام .

وإذا كانت الظروف لم تساعد في المـــاضي على تحقيق هذه الفكرة فإننا نعتقد أن هذا العام كان دليلاً على صدق نظرة الإخوان وكان مقنعاً لمن كان في شك بأنه لا خير في بقاء هذه الأحزاب ، وسيواصل الإخوان جهودهم في هـــذا السبيل ، وسيصلون إلى

ما يريدون بتوفيق الله وفضل يقظة الأمة وبتوالي فشل رجال الأحزاب في ميـادينها وسيتحقق قطعاً ناموس الله « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » .

يظن رجال بعض الأحزاب أننا إنما نقصد بهذه التعاليم هدم حزبهم خدمة لغيره من الأحزاب وجرياً وراء منفعة خاصة ، وليس أدل على خطأ هذه النظرة من أن هذا الوهم قد سرى إلى نفوس الأحزاب جميعاً ، فكثير من رجال الوفد يتهم الإخوان المسلمين بأنهم يعملون لمحاربته وبأنه هو وحـده المقصود بهذه النعوت والأوصاف ، وبأن الإخوان إنما يحملون النـــاس على محاربته والانفضاض عنه ، وبأنهم إنما يقصدون بذلك خدمة الحكومة وتقوية الأحزاب الممثلة فيها – في الوقت الذي نسمع فيه هذه التهمة بعينها من أحزاب الحكومة أيضاً ، فهل هناك دليل أصدق من هذا على أن الإخوان يقفون من الجميع موقفاً واحداً يصدرون فيه عن عقيدتهم . ويعملون فيه بوحي من ضمائرهم وإيمانهم ؟

أحب أن أقول لإخواننا من دعاة الأحزاب ورجالها : إن اليوم الذي يستخدم فيه الإخوان المسلمون لغير فكرتهم الإسلامية البحتة لم يجيء بعد ولن يجيء أبداً . وإن الإخوان لا يضمرون لحزب من الأحزاب أياً كان خصومة خاصة به ، ولكنهم يعتقدون من قرارة نفوسهم أن مصر لا يصلحها ولا ينقذها إلا أن تنحل هذه الأحزاب كلها وتتألف هيئة وطنية عاملة تقود الأمة إلى الفوز

وفق تعاليم القرآن الكريم .

وبهذه المناسبة أقول إن الإخوان المسلمين يعتقدون عقم فكرة الائتلاف بين الأحزاب ويعتقدون أنها مسكن لا علاج وسرعان ما ينقض المؤلفون بعضهم على بعض فتعود الحرب بينهم جذعة على أشد ما كانت عليه قبل الائتلاف، والعلاج الحاسم الناجح أن تزول هذه الأحزاب مشكورة فقد أدت مهمتها وانتهت الظروف التي أوجدتها ، ولكل زمان دولة ورجال كما يقولون .

الاخوان ومصر الفتاة :

بهذه المناسبة لا بد لي من أن أعرض لموقف الإخوان المسلمين من جماعة مصر الفتاة — لقد تكونت جماعة الإخوان منذ عشر سنين وتكونت جماعة مصر الفتاة منذ خمس سنين، فجمعية الإخوان تكبر جمعية مصر الفتاة بضعف عمرها تماماً، ومع هذا أيضاً شاع في كثير من الأوساط أن جماعة الإخوان من شعب مصر الفتاة، وسبب ذلك أن مصر الفتــاة اعتمدت على الدعاية والإعلان في الوقت الذي آثر فيه الاخوان العمل والانتاج ، وما علينا من ذلك كله فسواء أكان الاخـوان هم الذين رسموا لمصر الفتاة طريق الجهاد والعمل للاسلام أم أن مصر الفتاة هي التي أظهرت الاخوان وأبرزتهم للناس وهم قد ولدوا قبلها وسبقوها إلى الجهاد والميدان بخمس سنوات أي بمثل عمرها ، وذلك أمر نظري لا يقيم له الاخوان وزناً ، ولكن الذي أريد أن أنبه إليه في هذه

الكلمة أن الاخوان المسلمين لم يكونوا يوماً من الأيام في صفوف مصر الفتاة ولا عاملين لها، ولا أقصد بذلك أن أنال منها أو من القائمين بدعوتها ولكن أقول تقريراً للواقع ، وأن جريدة مصر الفتاة هاجمت الاخوان واتهمتهم تهماً غير صحيحة وزعمت أنهم يعتدون عليها ويتهمونها وذلك غير صحيح أيضاً ، ونحن معشر الاخوان لم نعلق على ما كتب أهمية ولا نحب أن نؤاخذ بشيء منه وأرجو أن يكون ذلك هو شعور الاخوان جميعاً ، وأن كثيراً من الناس يود أن لو اتحدت جماعة مصر الفتاة مع الاخوان المسلمين وهذا شعور ما من شك في أنه جميل نبيل فليس أجمل من الوحدة والتعاون على الخير، ولكن من الأمور ما ليس يفصل فيه إلا الزمن وحده - في مصر الفتاة من لا يرى الاخوان إلا جماعة وعظية وينكر عليهم كل ما سوى ذلك من منهاجهم، وفي الاخوان من يعتقد أن جماعة مصر الفتاة لم ينضج في نفوس كثير من أعضائها بعد المعنى الاسلامي الصحيح نضجاً يؤهلهم للمناداة بالدعوة الاسلامية خالصة سليمة ، فلنترك للزمن أداء مهمته وإصدار حكمه وهو خير كفيل بالصقل والتمييز .

وليس معنى هذا أن الاخوان سيحاربون مصر الفتاة بل إنه ليسرنا أن يوفق كل عامل للخير وإلى الخير ، ولا يحب الاخوان أن يخلطوا البناء بهدم ، وفي ميدان الجهاد متسع للجميع .

ذلك موقفنا من مصر الفتاة ما دامت قد أعلنت أنها ليست حزباً سياسياً وأنها تعمل وستظل تعمل للفكرة الاسلامية

ولمبادىء الاسلام وفي ذلك الواقع انتصار جديد لمبادىء الاخوان المسلمين .

بقي أمر أخير ذلك هو موقف الاخوان من مصر الفتاة في قضية تحطيم الحانات ، ومعلوم أنه ما من غيور في مصر يتمنى أن يرى فوق أرضها حانة واحدة ، وقد كتب الاخوان يلقون تبعة هذا التحطيم على الحكومة قبل الذين فعلوه لأنها هي التي أحرجت شعبها المسلم هذا الإحراج ولم تفطن إلى ذلك التغيير النفساني والاتجاه الجديد القوي الذي طرأ عليه من تقديس الاسلام والاعتزاز بتعاليمه – وقديماً قيل قبل أن تأمر الباكي بالكف عن البكاء تأمر الضارب أن يرفع العصا ونحن نعتقد أن هذا التحدي لم يحن وقته بعد ، ولا بد من تخير الظرف المناسب أو استخدام منتهى الحكمة فيه ، وإنقاذه بصورة أخف ضرراً وأبلغ في الدلالة على المقصد من لفت نظر الحكومة إلى واجبها الاسلامي ، وبالرغم من أن المقبوض عليهم لم يعترفوا فقد وجه الاخوان خطاباً إلى معالي وزير العدل يلفتون نظر معاليه فيه إلى وجوب النظر إلى هذه القضية نظرة خاصة تتناسب مع الدافع الشريف فيها وأن يسرع بتشريع يحمي البلاد من هذه المهالك الخلقية .

موقف الاخوان من الدول الاوروبية

بعد هذا البيان عن موقف الاخوان المسلمين الذي يمليه عليهم

الاسلام في أهم القضايا الداخلية يحسن أن أتحدث إلى حضراتكم عن موقفهم من الدول الأوربية :

الاسلام كما قدمت يعتبر المسلمين أمة واحدة تجمعها العقيدة ويشارك بعضها بعضاً في الآلام والآمال وأن أي عدوان يقع على واحدة منها أو على فرد من المسلمين فهو واقع عليهم جميعاً — أضحكني وأبكاني حكم فقهي رأيته عرضاً في كتاب الشرح الصغير على أقرب المسالك ، قال مؤلفه (مسألة امرأة مسلمة سبيت بالمشرق وجب على أهل المغرب تخليصها وافتداؤها ولو أتى ذلك على جميع أموال المسلمين) ، ورأيت مثله قبل ذلك في كتاب مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر نقلاً عن كتاب البحر في مذهب الأحناف — رأيت هذا فضحكت وبكيت وقلت لنفسي أين عيون هؤلاء الكاتبين لتنظر المسلمين جميعاً في أسر غيرهم من أهل الكفر والعدوان ؟؟ أريد أن أستخلص من هذا أن الوطن الاسلامي واحد لا يتجزأ ، وأن العدوان على جزء من أجزائه عدوان عليه كله ، هذه واحدة والثانية أن الاسلام فرض على المسلمين أن يكونوا أئمة في ديارهم ، سادة في أوطانهم ، بل ليس ذلك فحسب ، بل إن عليهم أن يحملوا غيرهم على الدخول في دعوتهم والاهتداء بأنوار الاسلام التي اهتدوا بها من قبل .

ومن هنا يعتقد الاخـــوان المسلمون أن كل دولة اعتدت وتعتدي على أوطان الاسلام دولة ظالمة لا بد أن تكف عدوانها ولا بد من أن يعد المسلمـــون أنفسهم ويعملوا متساندين على

التخلص من نيرها .

إن انجلترا لا تزال تضايق مصر رغم مخالفتها إياها ولا فائدة في أن نقول إن المعاهدة نافعة أو ضارة أو ينبغي تعديلها أو يجب إنفاذها ، فهذا كلام لا طائل تحته ، والمعاهدة غل في عنق مصر وقيد في يدها ما في ذلك شك ،وهل تستطيع أن تتخلص من هذا القيد إلا بالعمل وحسن الاستعداد ؟ فلسان القوة هو أبلغ لسان فلتعمل على ذلك ولتكتسب الوقت إذا أرادت الحرية والاستقلال .

وإن انجلترا لا تزال تسيء إلى فلسطين وتحاول أن تنقص من حقوق أهلها ، وفلسطين وطن لكل مسلم باعتبارها من أرض الاسلام وباعتبارها مهد الأنبياء ، وباعتبارها مقر المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله ففلسطين دين على انجلترا للمسلمين لا تهدأ ثائرتهم حتى توفيهم فيه حقهم — وانجلترا تعلم ذلك العلم ، وذلك ما حداها إلى دعوة ممثلي البلاد الاسلامية إلى مؤتمرلندن، وإنا ننتهز هذه الفرصة فنذكرها بأن حقوق العرب لا يمكن أن تنقص.وبأن هذه الأعمال القاسية التي يدأب ممثلوها على ارتكابها في فلسطين ليست مما يساعد على حسن ظن المسلمين بها ، وخير لها أن تكف هذه الحملات العدوانية عن الأبرياء الأحرار ، وإنا لنبعث لسماحة المفتي الأكبر من فوق هذا المنبر أخلص تحيات الاخوان المسلمين وأطيب تمنياتهم ، ولن يضر سماحته ولن يضير آل الحسيني أن تفتش دورهم ويسجن أحرارهم فذلك مما يزيدهم

شرفاً إلى شرفهم وفخاراً إلى فخارهم ، ونذكر الوفود الاسلامية بمكر انجلترا وخداعها وبوجوب القيام على حقوق العرب كاملة غير منقوصة .

وبهذه المناسبة أذكر الاخوان بأنه قد تألفت لجنة عامة بدار الشبان المسلمين من الجمعيات الاسلامية جميعاً للتعاون على إصدار قرش موحد يوزع من أول السنة الهجرية إغاثة لفلسطين المجاهدة وسيحل هذا الطابع محل كل الطوابع المختلفة لكل الهيئات . فالوصية للاخوان أن يبذلوا جهدهم في تشجيع هذه اللجنة بتوزيع طوابعها حين صدورها ، وبتصفية ما عساه يكون موجوداً لديهم من حساب الطوابع القديمة وإعادتها إلى المكتب لإعدامها .

ولنا حساب بعد ذلك مع انجلترا في الأقاليم الاسلامية التي تحتلها لغير حق والتي يفرض الاسلام على أهلها وعلينا معهم أن نعمل لإنقاذها وخلاصها .

أما فرنسا التي ادعت صداقة الاسلام حيناً من الدهر فلهامع المسلمين حساب طويل ، ولا ننسى لها هذا الموقف المخجل مع سورية الشقيقة ، ولا ننسى لها موقفها في قضية المغرب الأقصى والظهير البربري ، ولا ننسى أن كثيراً من إخواننا الأعزاء شباب المغرب الأقصى الوطني الحر المجاهد في أعماق السجون وأطراف المنافي وسيأتي اليوم الذي يصفى فيه هذا الحساب وتلك الأيام نداولها بين الناس .

وليس حسابنا مع إيطاليـــا بأقل من حسابنا مع فرنسا – فطرابلس – طرابلس العربية المسلمة الجارة القريبة العزيزة يعمل الدوتشي ورجاله على إفنائها وإبادة أهلهـــا واستقصائها ومحو كل أثر للعروبة والاسلام منها ، وكيف يكون فيهـا أثر للعروبة والاسلام وقد اعتبرت جزءاً من إيطاليـــا ؟ ولا يجد الدوتشي بعد ذلك مانعاً يمنعه من أن يدعي أنه حامي الاسلام وأن يطلب بهذا العنوان صداقة المسلمين ! ! !.

أيها الاخوان المسلمون :

هذا كلام يدمي القلوب ويفتت الأكبـــاد ! وحسبي هذه الفواجع في هذا البيان ، فتلك سلسلة لا آخر لها ، وأنتم تعرفون هذا ولكن عليكم أن تبينوه للنـــاس وأن تعلموهم أن الاسلام لا يرضى من أبنائه بأقل من الحرية والاستقلال فضلاً عن السيادة ، وإعلان الجهاد ولو كلفهم ذلك الدم والمال ، فالموت خير من هذه الحياة . حياة العبودية والرق والاستذلال ! وأنتم إن فعلتم ذلك وصدقتم الله العزيمة فلا بد من النصر إن شاء الله : « كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز ».

خاتمـــة

أيها الاخوان المسلمون :

تقدمت إليكم في هذا البيـان بخلاصة وافية موجزة عن فكرتكم في مظهرها الخاص ، واليوم كنت أحب أن أستعرض معكم بعض المشاكل الاجتماعيــة والاقتصادية القائمــة في المجتمع المصري وإن شئتم فقولوا الاسلامي فإن الداء يكون واحداً في الجميع لولا ضيق الوقت ، ولولا أن الداء ينحصر في واحدة هي ضعف الأخلاق وفقدان المثل العليا ، وإيثار المصلحة الخاصة على المصلحة العامة ، والجبن عن مواجهة الحقائق ، والهروب من تبعات العلاج والفرقة قاتلها الله ، هذا هو الداء ، والدواء كلمة واحدة أيضاً هي ضد هذه الأخـلاق ، هي علاج النفوس أيهـا الاخوان وتقويم أخـــلاق الشعب : « قد أفلح من ذكاها وقد خاب من دساها » .

أيها الاخوان المسلمون :

لقد قام هذا الدين بجهاد أسلافكم على دعائم قوية من الإيمان بالله والزهادة في متعة الحياة الفانية وإيثار دار الخلود، والتضحية بالدم والروح والمال في سبيل مناصرة الحق وحب المـــوت في سبيل الله والسير في ذلك كله على هدي القرآن الكريم فعلى هذه الدعائم القوية أسسوا نهضتكم وأصلحوا نفوسكم وركزوا دعوتكم وقودوا الأمة إلى الخير والله معكم ولن يتركم أعمالكم .

أيها الاخوان المسلمون :

لا تيأسوا فليس اليأس من أخلاق المسلمين ، وحقائق اليوم أحلام الأمس ، وأحلام اليوم حقائق الغد ولا زال في الوقت متسع ، ولا زالت عناصر السلامة قوية عظيمة في نفوس شعوبكم المؤمنة رغم طغيان مظاهر الفساد ، والضعيف لا يظل ضعيفاً طول حياته ، والقوي لا تدوم قوته أبد الآبدين : « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض » .

إن الزمان سيتمخض عن كثير من الحوادث الجسام ، وإن الفرص ستسنح للأعمال العظيمة ، وإن العالم ينظر دعوتكم دعوة الهداية والفوز والسلام لتخلصه مما هو فيه من آلام ، وإن الدور عليكم في قيادة الأمم وسيادة الشعوب وتلك الأيام نداولها بين الناس ، وترجون من الله ما لا يرجون ، فاستعدوا واعملوا اليوم فقد تعجزون عن العمل غداً .

لقد خاطبت المتحمسين منكم أن يتريثوا وينتظروا دورة الزمان وإني لأخاطب المتقاعدين أن ينهضوا ويعملوا فليس مع الجهاد راحة : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » وإلى الأمام دائماً .

والله أكبر ولله الحمد ؟ .

حسن البنا

٧

الإخوان المسلمون تحت راية القرآن

للإمام الشهيد حسن البنا

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الشباب الظامىء للمجد التليـد . . .

إلى الأمة الحيرى على مفترق الطرق . . .

إلى ورثة الدم القاني الذي سطر على هام الزمان آيات الفخـار . . .

إلى كل مسلم يؤمن بالسيادة في الدنيا والسعادة في دار القرار نقـــدم :

خطاب الامام الشهيد حسن البنا

رســـالة الماضي القوي الملتهب إلى الحاضر الفتي المضطرب وعُدّة الحاضر الثائر للمستقبل الزاهر .

أيها الشباب . . أيها الهائم يبغي الحياة . .

أيها التائق لنصر دين الله . أيها المقدّم روحه بين يدي مولاه .

هنا الهداية والرشاد ، هنا الحكمة والسداد ، هنا نشوة البذل ولذة الجهاد.

فلتسارع إذن إلى الكتيبة الخرساء . .

ولتعمل تحت راية سيد الأنبياء .

وليضمك معسكر « الإخوان المسلمين» .

(حَتَّىٰ لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيكونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ)

الاخوان المسلمون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أحييكم بتحية الاسلام[1] تحية من عند الله مباركة طيبة ، فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته .

أيها الاخوان المسلمون :

أيها الناس أجمعون :

في هذا الصخب الداوي من صدى الحوادث الكثيرة المريرة التي تلدها الليالي الحبالى في هذا الزمان ، وفي هذا التيار المتدفق الفياض من الدعوات التي تهتف بها أرجاء الكون ، وتسري بها أمواج الأثير في أنحاء المعمورة ، مجهزة بكل ما يغري ويخدع من الآمال والوعود والمظاهر .

نتقدم بدعوتنا نحن الاخوان المسلمين ..

هادئة ، ولكنها أقوى من الزوابع العاصفة .

متواضعة ، ولكنها أعز من الشم الرواسي ..

محدودة ، ولكنها أوسع من حدود هذه الأقطار الأرضية جميعاً .

---

(١) هذا هو نص الخطاب الجامع الذي ألقاه الأستاذ الإمام في الاجتماع الحاشد يوم الثلاثاء ١٤ صفر سنة ١٣٥٨ ﻫ الموافق ٤ إبريل سنة ١٩٣٩ م بدار الإخوان المسلمين بالقاهرة .

خالية من المظاهر الزائفة والبهرج الكاذب ، ولكنها محفوفة بجلال الحق ، وروعة الوحي ، ورعاية الله . .

مجرّدة من المطامع والأهواء والغايات الشخصية والمنافع الفردية ، ولكنها تورث المؤمنين بها والصادقين في العمل لها « السيادة في الدنيا والجنة في الآخرة » .

على ضوء الدعوة الأولى

أيها الاخوان المسلمون . .

أيها الناس أجمعون . .

اسمعوها صريحة داوية ، يجلجل بها صوت الداعي الأول من بعد ، كما جلجل بها من قبل .

« يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرْ ، قُمْ فَأَنْذِرْ ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ » . ويدوي معها سرُّ قوله تعالى : « فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرْ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِين» . ويهتف بها لسان الوحي مخاطباً الناس أجمعين : « يأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاإِلَهَ إِلَّا هُو يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ

النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » .

أين نحن من تعاليم الاسلام ؟

أيها الاخوان المسلمون :

أيها الناس أجمعون :

إن اللهَ بعث لكم إماماً ، ووَضع لكم نظاماً ، وَفصل أحكاماً ، وأنزل كتاباً ، وأحل حلالاً ، وَحرم حراماً ، وَأرشدكم إلى ما فيه خيركم وسعادتكم ، وهداكم سواء السبيل ؛ فهل اتبعتم إمامه ، واحترمتم نظامه ، وأنفذتم أحكامه ، وقدستم كتابه ، وَأحللتم حلاله ، وَحرمتم حرامه ؟

كونوا صرحاء في الجواب ، وسترون الحقيقة واضحة أمامكم كل النظم التي تسيرون عليها في شؤونكم الحيوية نظم تقليدية بحتة لا تتصل بالاسلام، ولا تستمد منه ولا تعتمد عليه .

نظام الحكم الداخلي .

نظام العلاقات الدولية .

نظام القضاء .

نظام الدفاع والجندية .

نظام المال والاقتصاد للدولة والأفراد .

نظام الثقافة والتعليم .

بل نظام الأسرة والبيت .

بل نظام الفرد في سلوكه الخاص .

الروح العام الذي يهيمن على الحاكمين والمحكومين ويشكل مظاهر الحياة على اختلافها ، كل ذلك بعيد عن الاسلام وتعاليم الاسلام .

وماذا بقي بعد هذا ؟

هذه المساجد الشامخة القائمة التي يعمرها الفقراء والعاجزون ، فيؤدون فيها ركعات خالية من معاني الروحانية والخشوع إلا من هدى الله .

هذه الأيام التي تصام في العام فتكون موسماً للتعطل والتبطل والطعام والشراب ، وقلما تتجدد فيها نفس أو تزكو بها روح .

« إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَاهُمْ »

هذه المظاهر الخادعة من المسابح والملابس واللحى والمراسم والطقوس والألفاظ والكلمات ؟ أهذا هو الاسلام الذي أراده الله أن يكون رحمته العظمى ، ومنته الكبرى على العالمين ؟ .

أهذا هدى محمد صلى الله عليه وسلم الذي أراد به أن يخرج الناس من الظلمات إلى النور ؟ .

أهذا هو تشريع القرآن الذي عالج أدواء الأمم ومشكلات الشعوب ، ووضع للإصلاح أدق القواعد وأرسخ الأصول ؟ .

موجة التقليد الغربي

أيها الاخوان المسلمون

بل أيها الناس أجمعون .

من الحق أن نعترف بأن موجة قوية جارفة وتياراً شديداً دفاقاً قد طغى على العقول والأفكار في غفلة من الزمن ، وفي غرور من أمم الاسلام ، وانغماس منهم في الترف والنعيم ، فقامت مبادىء ودعوات ، وظهرت نظم وفلسفات ، وتأسست حضارات ومدنيات ، ونافست هذه كلها فكرة الاسلام في نفوس أبنائها ، وغزت أممه في عقر دارها ، وأحاطت بهم من كل مكان ، ودخلت عليهم بلدانهم وبيوتهم ومخادعهم ، بل احتلت قلوبهم وعقولهم ومشاعرهم ، وتهيأ لها من أسباب الإغواء والإغراء والقوة والتمكن ما لم يتهيأ لغيرها من قبل ، واجتاحت أمماً إسلامية بأسرها ، وانخدعت بها دول كانت في الصميم والذؤابة من دول الاسلام ، وتأثر ما بقي تأثراً بالغاً ، ونشأ في كل الأمم الاسلامية جيل مخضرم ، إلى غير الاسلام أقرب ، تصدر في تصريف امورها واحتل مكان الزعامة الفكرية والروحية والسياسية والتنفيذية منها ، فدفع بالشعوب مغافلة إلى ما يريد ، بل إلى ما ألف ، وهي لا تدري ما يراد بها ولا ما تصير إليه ، وارتفعت أصوات الدعاة إلى الفكرة الطاغية : ان خلصونا مما بقي من الاسلام وآثار الاسلام ، وتقبلوا معنا راضين لا كارهين مستلزمات هذه الحياة وتكاليفها وأفكارها

ومظاهرها ، واطرحوا بقية الفكرة البالية من رؤوسكم ونفوسكم ، ولا تكونوا مخادعين منافقين عاندين ، تعملون عمل الغربيين وتقولون قول المسلمين .

من الحق أن نعرف أننا بعدنا عن هدى الاسلام وأصوله وقواعده ، والاسلام لا يأبى أن نقتبس النافع وأن نأخذ الحكمة أنى وجدناها ، ولكنه يأبى كل الإباء أن نتشبه في كل شيء بمن ليسوا من دين الله على شيء ، وأن نطرح عقائده وفرائضه وحدوده وأحكامه ، لنجري وراء قوم فتنتهم الدنيا واستهوتهم الشياطين .

حقاً لقد تقدم العلم ، وتقدم الفن ، وتقدم الفكر ، وتزايد المال وتبرجت الدنيا ، وأخذت الأرض زخرفها وازينت ، وأترف الناس ونعموا ؛ ولكن هل جلب شيء من هذه السعادة لهم ؟ وهل أمن لهم شيء من هذا هذه الحياة ، أو ساق إلى نفوسهم الهدوء والطمأنينة ؟ .

هل اطمأنت الجنوب في المضاجع ؟ .

هل جفت الجفون عن المدامع ؟ .

هل حوربت الجريمة،واستراح المجتمع من شرور المجرمين ؟ .

هل استغنى الفقراء وأشبعت الملايين التي تفوق الحصر بطون الجائعين ؟ .

هل ساقت هذه الملاهي والمفاتن التي ملأت الفضاء وسرت مسرى الهواء العزاء إلى المحزونين ؟ .

هل تذوقت الشعوب طعم الراحة والهدوء، وأمنت عدوان المعتدين وظلم الظالمين ؟ .

لا شيء من هذا أيها الناس ، فما فضل هذه الحضارة إذن على غيرها من الحضارات ؟ .

وهل هذا فحسب ؟ .

ألسنا نرى هذه النظم والتعاليم والفلسفات حتى في العلوم وفي الأرقام يحطم بعضها بعضا، ويقضي بعضها على بعض،ويرجع الناس بعد طول التجربة وعظيم التضحيات فيها بمرارة الفشل وخيبة الأمل وألم الحرمان ؟ .

مهمتنـــا

ما مهمتنا إذن نحن الاخوان المسلمين

أما إجمالاً :

فهي أن نقف في وجه هذه الموجة الطاغية من مدنية المادة وحضارة المتع والشهوات ، التي جرفت الشعوب الاسلامية ، فأبعدتها عن زعامة النبي صلى الله عليه وسلم وهداية القرآن ، وحرمت العالم من أنوار هديها ، وأخرت تقدمه مئات السنين ، حتى تنحسر عن أرضنا ويبرأ من بلائها قومنا ، ولسنا واقفين عند هذا الحد بل سنلاحقها في أرضها،وسنغزوها في عقر دارها، حتى يهتف العالم كله باسم النبي صلى الله عليه وسلم ، وتوقن الدنيا

كلها بتعليم القرآن ، وينتشر ظل الاسلام الوارف على الأرض وحينئذٍ يتحقق للمسلم ما ينشده ، فلا تكون فتنة ويكون الدين كله لله «وَلِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ» .

هذه مهمتنا نحن الاخوان المسلمين إجمالاً ، فأما في بعض تفاصيلها فهي أن يكون في مصر أولاً ، بحكم أنها في المقدمة من دول الاسلام وشعوبه ، ثم في غيرها كذلك :

نظام داخلي للحكم يتحقق به قول الله تبارك وتعالى :

«وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ»

ونظام للعلاقات الدولية يتحقق به قول القرآن الكريم :

«وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً» .

ونظام عملي للقضاء يستمد من الآية الكريمة :

«فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا

شجَرَ بَيْنَهُم ثمَّ لا يَجِدُوا في أَنْفسِهِمْ حرَجاً مِمَّا قضَيْتَ وَيسَلِّمُوا تَسْلِيماً » .

ونظام للدفاع والجندية يحقق مرمى النفير العام :

« انفِرُوا خِفَافاً وَثِقالاً وَجَاهِدُوا بأمْوالِكم وَأنفسِكم في سَبيل اللهِ » .

ونظام اقتصادي استقلالي للثروة والمال والدولة والأفراد أساسه قوله تعالى : »

« ولا تؤتوا السُّفَهاء أموَالَكمُ الّتي جعَلَ اللهُ لكمْ قِياماً » .

ونظام للثقافة والتعليم يقضي على الجهالة والظلام ، ويطابق جلال الوحي في أول آية من كتاب الله : « اقرأ باسم ربك الذي خلق » .

ونظام للأسرة والبيت ينشىء الصبي المسلم والفتاة المسلمة والرجل المسلم ويحقق قوله تعالى :

« يأيُّها الّذينَ آمَنُوا قُوا أنفُسَكُمْ وَأهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُها النّاسُ وَالِحجارة» .

ونظام للفرد في سلوكه الخاص يحقق الفلاح المقصود بقوله تعـالى :

« قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا » .

وروح عام يهيمن على كل فرد في الأمة من حاكم أو محكوم قوامه قول الله تعالى :

« وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ » .

نحن نريد :

الفرد المسلم ... والبيت المسلم ...
والشعب المسلم ... والحكومة المسلمة ..

والدولة التي تقود الدول الاسلامية ، وتضم شتات المسلمين وتستعيد مجدهم ، وترد عليهم أرضهـم المفقودة ، وأوطانهم المسلوبة وبلادهم المغصوبة ، ثم تحمل علم الجهاد ولواء الدعوة إلى الله ، حتى تسعد العالم بتعاليم الاسلام .

عدتنـــــا

هذه غايتنا أيها الناس، وهذا منهاجنا !

فما عدتنا لتحقيق هذا المنهاج ؟

عدتنا هي عدة سلفنا من قبل، والسلاح الذي غزا به زعيمنا وقدوتنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصَحابته معه العالم، مع قلة العدد وقلة المورد وعظيم الجهـــد . هو السلاح الذي سنحمله لنغزو به العالم من جديد لقد آمنوا أعمق الإيمان وأقواه وأقدسه وأخلده : بالله ونصره وتأييده :

« إن يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَـــلا غَالِبَ لَكُمْ » .

وبالقائد وصدقه وإمامته : « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ في رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ » .

وبالمنهاج ومزيته وصلاحيته :

« قَـــدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نورٌ وَكِتَابٌ مُبِين يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ » .

وبالإخاء وحقوقه وقدسيته :

« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » .

وبالجزاء وجلاله وعظمته وجزالته :

« ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَطَأُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ، إِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ »

وبأنفسهم فهم الجماعة التي وقع عليها اختيار القدر لإنقاذ العالمين ، وكتب لهم الفضل بذلك ، فكانوا خير أمة أخرجت للناس .

لقد سمعوا المنادي ينادي للايمان فآمنوا ، ونحن نرجو أن يحبب الله إلينا هذا الإيمان ، ويزينه في قلوبنا كما حببه إليهم ، وزينه من قبل في قلوبهم .

فالايمان اول عدتنا

ولقد علموا أصدق العلم وأوثقه ، أن دعوتهم هذه لا تنتصر إلا بالجهاد ؛ والتضحية والبذل وتقديم النفس والمال ، فقدموا النفوس وبذلوا الأرواح ، وجاهدوا في الله حق جهاده ، وسمعوا هاتف الرحمن يهتف بهم :

«قُلْ إنْ كانَ آباؤُكُمْ وَأَبْناؤُكُمْ وَإِخوانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها وَمَساكِنُ تَرْضَوْنَها، أَحبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ ورسُولهِ وَجِهادٍ في سبيلهِ فَتَرَبَّصُوا حتَّى يأتيَ اللهُ بأمْرِه»؛

فأصاخوا للنذير، وخرجوا عن كل شيء طيبة بذلك نفوسهم، راضية قلوبهم، مستبشرين ببيعهم الذي بايعوا الله به.

يعانق أحدهم الموت وهو يهتف: ركضاً إلى الله بغير زاد.

ويبذل أحدهم المال كله قائلاً: أبقيت لعيالي الله ورسوله.

ويخطر أحدهم والسيف على عنقه:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً

على أي جنب كان في الله مصرعي

كذلك كانوا: صدق جهاد، وعظيم تضحية، وكبير بذل، وكذلك نحاول أن نكون!.

فالجهاد من عدتنا كذلك

ونحن بعد هذا كله واثقون بنصر الله، مطمئنون إلى تأييده:

« وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عزيزٌ. الَّذِين إنْ مَكَّنَّاهُمْ في الأَرْضِ أَقامُوا الصَّلاةَ

وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَللهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ » .

بين الخيال والحقيقة

سيقول الذين يسمعون هذا إنه الخيال بعينه وإنه الوهم ، وإنه الغرور ، وأنى لهؤلاء الذين لا يملكون إلا الايمان والجهاد أن يقاوموا هذه القوى المتألبة المجتمعة ، الأسلحة المتنوعة المختلفة ، وأن يصلوا إلى حقهم ، وهم بين ذراعي وجبهة الأسد .

سيقول كثيرون هذا ، ولعل لهم بعض العذر ، فهم قد يئسوا من أنفسهم ، ويئسوا من صلتهم بالقوي القادر ؛ وأما نحن فنقول إنها الحقيقة التي نؤمن بها ونعمل لها ، ونحن نقرأ قول الله تعالى :

« وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لَا يَرْجُونَ » .

وإن الذين فتحوا أقطار الدنيا ، ومكّن الله لهم في الأرض من أسلافنا لم يكونوا أكثر عدداً ، ولا أعظم عُدة ؛ ولكنهم مؤمنون مجاهدون ، ولكن سنعتد اليوم بما اعتد به رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم قال : بشر خبيباً بظهور هذا الأمر حتى

يسير الراكب من عدن إلى عمان لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه وكانوا إذ ذاك يستترون، ويوم وعد سراقة بن مالك سواري كسرى ، وكان مهاجراً بدينه ليس معه إلا ربه وصاحبه ، ويوم هتف مطلعاً على قصور الروم البيضاء وقد حاصره المشركون في مدينته بجنود من فوقهم ومن أسفل منهم :

« وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ».

ثم ماذا كان بعد ذلك ؟ .

كان أن أصغى مسمع الدهر لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وترددت في فم الزمان آيات قرآنية ، وأشرقت شموس الهداية ، في كل مكان من قلوب أصحابه وأتباعه ، وعم الكون نور ، ورفرف على الدنيا سلام ، وتذوقت الإنسانيـة حلاوة السعادة بعدالة الحكم ، وأمن المحكوم في ظل هذا الرعيل الأول من تلامذة محمد صلوات الله عليـه وسلامه ، وفتحت قصور الروم ، ودانت مدائن الفرس، ومدت الأرض بأعناقها ، وألقت بجرانها وزويت أكنافها ، واستسلمت مختارة للهداية المنقذة ، ترف عليها أنفاس النبوة ، وتمازجها أنفاس الوحي المقدس ، وتحف بها رحمة الله من كل جانب :

« وَرَدَّ اللهُ الذينَ كفَرُوا بغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالوا خيْراً وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزاً ، وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِن أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ في قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقــاً ، وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيارَهُمْ وَأَموالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللهُ عَلى كلِّ شَيْءٍ قَــدِيراً » .

سنعتد أيها الناس اليوم بهذه العدة ، وسننتصر كما انتصر أسلافنا بالأمس القريب ، وما النصر إلا مــن عند الله العزيز الحكيم وسيتحقق لنا وعد الله تبارك وتعالى .

« وَنُرِيــدُ أَنْ نَمُنَّ عَلى الَّذِين اسْتُضْعِفُوا في الأَرْضِ وَنَجْعلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِين وَنُمَكِّنَ لَهُمْ في الأَرْضِ » .

« فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْــدَ اللهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِين لاَ يُوقِنُونَ » .

لو كانت لنا حكومة

لو كانت لنا حكومة إسلامية صحيحة الاســـلام ، صادقة الإيمان ، مستقلة التفكير والتنفيذ ، تعلم حق العلم عظمة الكنز الذي بين يديها ، وجلال النظام الاسلامي الذي ورثته ، وتؤمن بأن فيه شفاء شعبها ، وهداية الناس جميعاً ، لكان لنا أن نطلب إليها أن تدعم الدنيا باسم الاسلام ، وأن تطالب غيرها من الدول بالبحث والنظر فيه ، وأن نسوقها سوقاً إليـــه ؛ بالدعوات المتكررة والإقناع والدليل والبعثات المتتالية ، وبغير ذلك من وسائل الدعوة والابلاغ ، ولاكتسبت مركزاً روحياً وسياسياً وعلمياً بين غيرها من الحكومات ، ولاستطاعت أن تجدد حيوية الشعب ، وتدفع به نحو المجد والنور ، وتثير في نفسه الحماسة والجد والعمل .

عجيب أن تجد الشيوعيـة دولة تهتف بها ، وتدعو إليها ، وتنفق في سبيلها ، وتحمل الناس عليها ، وأن تجد الفاشستية والنازية أمماً تقدسها ، وتجاهد لها ، وتعتز باتباعها ، وتخضع كل النظم الحيوية لتعاليمها ، وأن تجد المذاهب الاجتماعية والسياسية المختلفة أنصاراً أقوياء يقفون عليها أرواحهم وعقولهم وأفكارهم وأقلامهم وأموالهم وصحفهم وجهودهم ، ويحيون ويموتون لها .

ولا تجد حكومة إسلامية تقوم بواجب الدعوة إلى الاسلام الذي جمع محاسن هذه النظم جميعاً وطرح مساوئها ، وتقدمـه لغيرها من الشعوب كنظام عالمي فيـــه الحل الصحيح الواضح

المريح لكل مشكلات البشرية ، مع أن الاسلام جعل الدعوة فريضة لازمة ، وأوجبها على المسلمين شعوباً وجماعات قبل أن تخلق هذه النظم ، وقبل أن يعرف فيها نظام الدعايات :

« وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » .

ولكن أنى لحكامنا هذا ، وهم جميعاً قد تربوا في أحضان الأجانب ، ودانوا بفكرتهم ، على آثارهم يهرعون، وفي مرضاتهم يتنافسون ، ولعلنا لا نكون مبالغين إذا قلنا إن الفكرة الاستقلالية في تصريف الشؤون والأعمال لعلها لم تخطر ببالهم ، فضلاً عن أن تكون منهاج عملهم . لقد تقدمنا بهذه الأمنية إلى كثير من الحاكمين في مصر، وكان طبيعياً ألا يكون لهذا التقدم أثر عملي، فإن قوماً فقدوا الاسلام في أنفسهم وبيوتهم وشؤونهم الخاصة والعامة لأعجز من أن يفيضوه على غيرهم ، ويتقدموا بدعوة سواهم إليه ، وفاقد الشيء لا يعطيه .

ليست هذه مهمتهم أيها الاخوان ، فقد أثبتت التجارب عجزهم المطلق عن أدائها ، ولكنها مهمة هذا النشء الجديد ، فأحسنوا دعوته ، وجدوا في تكوينه ، وعلموه استقلال النفس والقلب ، واستقلال الفكر والعقل ، واستقلال الجهاد والعمل ، واملأوا روحه الوثابة بجلال الاسلام وروعة القرآن ، وجندوه

تحت لواء محمد ورايته ، وسترون منه في القريب الحاكم المسلم الذي يجاهد نفسه ويسعد غيره .

طبيعة فكرتنـــا :

أيها الاخوان المسلمون ..

بل أيها الناس أجمعون ..

لسنا حزباً سياسياً وإن كانت السياسة على قواعد الاسلام من صميم فكرتنا . ولسنا جمعية خيرية إصلاحية ، وإن كان عمل الخير والاصلاح من أعظم مقاصدنا ، ولسنا فرقاً رياضية ، وإن كانت الرياضة البدنية والروحية من أهم وسائلنا ، لسنا شيئاً من هذه التشكيلات ، فإنها جميعاً تخلقها غاية موضعية محدودة لمدة معدودة ، وقد لا يوحي بتأليفها إلا مجرد الرغبة في تأليف هيئة ، والتحلي بالألقاب الإدارية فيها .

ولكننا أيها النـــاس : فكرة وعقيدة ، ونظام ومنهاج ، لا يحدده موضع ولا يقيده جنس ، ولا يقف دونـــه حاجز جغرافي ، ولا ينتهي بأمر حتى يرث الله الأرض ومن عليها ذلك لأنه نظام رب العالمين ، ومنهاج رسوله الأمين .

نحن أيها الناس ولا فخر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحملة رايته من بعده ؛ ورافعو لوائه كما رفعوه وناشرو لوائه كما نشروه وحافظوا قرآنه كما حفظوه ، والمبشرون بدعوته كما بشروا ، ورحمة الله للعالمين « وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِـــين » .

أيها الاخوان المسلمون :

هذه منزلتكم ، فلا تصغروا في أنفسكم ، فتقيسوا أنفسكم بغيركم ، أو تسلكوا في دعوتكم سبيلاً غير سبيل المؤمنين ، أو توازنوا بين دعوتكم التي تتخذ نورها من نور الله ، ومنهاجها من سنة رسوله ، بغيرها من الدعوات التي تخلقها الضرورات ، وتذهب بها الحوادث والأيام . لقد دعوتم وجاهدتم ، ولقد رأيتم ثمار هذا المجهود الضئيل أصواتاً تهتف بزعامة رسول الله وهيمنة نظام القرآن ، ووجوب النهوض للعمل ، وتخليص الغاية لله ، ودماءً تسيل من شباب طاهر كريم في سبيل الله ؛ ورغبة صادقة للشهادة في سبيل الله ، وهذا نجاح فوق ما كنتم تنتظرون ، فواصلوا جهودكم ، واعملوا والله معكم ، وَلَن يَتِرَكُمْ أعمالَكُمْ .

فمن تبعنا الآن فقد فاز بالسبق ، ومن تقاعد عنا من المخلصين اليوم فسيلحق بنا غداً ، وللسابق عليه الفضل ومن رغب عن دعوتنا ، زهادة ، أو سخرية بها ، أو استصغاراً لها ، أو يائساً من انتصارها ، فستثبت له الأيام عظيم خطئه ، وسيقذف الله بحقنا على باطله فيدمغه فإذا هو زاهق .

. فإلينا إلينا أيها المؤمنون العاملون ، والمجاهدون المخلصون فهنا الطريق السوي ، والصراط المستقيم ، ولا توزعوا القوى والجهود :

« وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ».

حسن البنا



نشيد الكتائب

هُوَ الحقُّ يحشِدُ أجنادَهُ وَيَعتَدُّ لِلْمَوقف الفاصل
فَصُفوا الكتائب آسادَهُ وَدُكُّوا بهِ دولة الباطل

* * *

نَبِيُّ الْهُدى قَدْ جَفَوْنَا وَعِفْنا الشَّهِيَّ مِنَ الْمَطْعَمِ
نهضنا إلى الله نَجْلُو السُّرى بِرَوْعَةِ قُرْآنه الْمُحْكم
وَنُشْهِدُ مَنْ دَبَّ فَوْقَ الثَّرَى
وَتَحتَ السَّما عِـــزَّةَ الْمُسْلِمِ
دُعَـــاةً إلى الحق لَسْنا نَرَى
لهُ فِدْيَـــةً دُونَ بَذْلِ الدَّم

* * *

هو الحقُّ يَحشِد أجنادَهُ وَيَعْتَدُّ للموقف الفاصِل
فصفوا الكتائب آسادَهُ ودُكُّوا بهِ دَوْلَةَ الباطل
تَآخَتْ عَلى اللهِ أَرْوَاحُنا إِخاءً يَروعُ بِنَاءَ الزَّمَن

وَبَاتَتْ فِدَى الْحَقِّ آجَالُنَــا

بِتَوْجِيهِ « مُرْشِدِنَا » المؤتَمَـنْ

رِ قَــاقٌ إِذَا مَا الدُّجى زَارَنَا

غَمَرْنَا مَحَارِيبَنَــا بِالْحَزَنْ

وجُنْدٌ شِدَادٌ إذا رَامَنا لِبَأْسٍ رَأَى أُسْدنَا لا تَهِنْ

* * *

هو الحقُّ يحشِدُ أَجْنَادَهُ ويَعْتَدُّ للموقف الفاصل

فصفوا الكتائب آسَادَهُ وَدُكُّوا بِهِ دَوْلَةَ الباطل

* * *

أَخَا الكُفْرِ إِمَّا تَبِعْتَ الْهُدَاة

فَأَصْبَحْت فينا الأخ الْمُقْتَدَى

وَإِما جَهِلْت فَنَحْنُ الكُمَاة

نُقَاضِي إلى الرَّوْع من هَدَّدا

إذاً لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الحيَاة

وضعْفَ المماتِ وَلَنْ تُنجَــدا

فـــإنا نصُــولُ بروحِ الإلٰه
وَنَقفُو ركابَ نبيّ الهـــدَى

* * *

إلى النصر في الموقف الفاصل
إلى النصر في الموقف الفاصل



مُشكلاتنا في ضوء
النظام الإسلامي

للإمام الشهيد حسن البنا

بسم الله الرحمن الرحيم

نظرات ثلاث

« ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي
الناس ، ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون »
(قرآن كريم)

إلى رئيس الحكومة باعتباره المسؤول الأول ..

وإلى أعضاء الهيئات النيابية – على اختلافها – باعتبارهم الدعاة الرسميين لنظام الإسلام ..

وإلى رؤساء الهيئات الشعبية السياسية والوطنية والاجتماعية باعتبارهم قادة الفكر وموجهي الجماهير .

وإلى كل محب لخير العالم وسيادة بني الانسان .

أوجه هذه الكلمات ، أداء للامانة ، وقياماً بحق الدعوى..

ألا قد بلغت – اللهم فاشهد

نظرات ثلاث

فأما « النظرة الأولى » فإلى ما وصلت إليه الحال في وطننا العزيز ، وادي النيل ، من فساد تغلغل في كل المرافق ، وشمل كل مظاهر الحياة :

... مطالبنا الوطنية لم نصل فيها إلى شيء ...

وروح الشعب المعنوية محطمة أشد تحطيم بسبب هذا الركود.

والشقاق والخلاف تملك نفوس القادة والزعماء ، حاكمين ومحكومين على السواء ...

والجهاز الاداري أفسدته المطامع الشخصية ، والغايات الحزبية ، وسوء التصرفات وضعف الأخلاق ، والمركزية القاتلة والاجراءات المعقدة ، والهرب من تحمل التبعات .

والقانون قد ضعف سلطانه على النفوس والأوضاع لكثرة ما اقتحم عليه من تحايل واستثناءات .

... وشدة الغلاء ، وكثرة المتعطلين لقلة الأعمال ، وانخفاض مستوى المعيشة — إلى حد لا يكاد يتصوره إنسان — بين الأغلبية العظمى من السكان ، مع نضوب معين الرحمة من القلوب واستيلاء القسوة وروح الجبروت والظلم على النفوس . أخذ يتحول إلى حال من السخط تتمثل في كثرة الاضرابات ، وتتجلى في كثير من المظاهر والعبارات ...

والأخلاق قد انتهى أمرها — أو كاد — وعصف بها الجهل

والفقر والحاجة والفاقة ، وانتشرت الرذائل ومظاهر الانحلال الخلقي في كل مكان ...

والأفكار مبلبلة ، والنفوس قلقة لا تكاد تستقر في شيء على حال .

وكل هذه المعاني تزداد بمرور الأيام ، وتتضاعف ساعة بعد ساعة ، وتنذر ببلاء محيط وشر مستطير، إن لم يتداركها العقلاء قبل فوات الأوان ...

وأما « النظرة الثانية » فإلى ما وصلت إليه الحـــال في أوطاننا الغالية العزيزة من بلاد العروبة وأمم الاسلام :

« فلسطين » : مهددة بهذا الاجتياح الذي انتهت إليه هذه المؤامرة الدولية من الأميركان والروس والانجليز على السواء . بفعل الصهيونية العالمية التي سخرت الحكومات والشعوب الغربية بالمال ، مع استعدادها السابق ، بكل تعصب ذميم على العرب والمسلمين أينما كانوا ..

« والباكستان الناشئة » : تقاسي الأمرين من هذا العدوان الوثني المسلح، المؤيد بدسائس الاستعمار ، وأسلحة الاستعمار على اختلاف دوله ، حتى روسيا – التي تتظاهر باحترام إرادات الأمم والشعوب – تتآمر هي الأخرى على الدولة الناشئة إن صح ما وافتنا به اليوم البرقيات والأخبار ...

« وأندونيسيا» : التي تبلغ سبعين مليوناً أكثرهم من المسلمين تضغط عليها هولندا التي لم تكسر قيد الاحتلال الألماني إلا بيد

غيرها من جنود الحلفاء، وتريد أن تحول بين الشعب المسلم الباسل وبين ما هو حق طبيعي له من حرية واستقلال ...

« وطرابلس الغرب وبرقة » : تجهز لها حبائل الاستفتاء ولا يدري عواقب هذه اللعبة السياسية إلا الله ، وإن غداً لناظره قريب ...

« وشمال أفريقيا بأقسامه » : تونس ، والجزائر ، ومراكش ، يستغيث ولا مغيث ، ويجاهد ما استطاع ليكسر القيود والأغلال التي ضربتها من حوله فرنسا ، وحرمته بها حقه في العيش الحر الكريم ، ومن الاستقلال التام ...

وقل مثل ذلك في كل شعب عربي إسلامي ، فإنك لن تجد واحداً منها قد سلم من مناورات الغصب، ودسائس الاستعمار... وهذا في أوضاعه السياسية ، وكلها من حيث الأوضاع الاجتماعية ليست أحسن حالاً مما تقدم ذكره في وادي النيل ... وكلنا في الهم شرق .

* * *

وأما « النظرة الثالثة » : فإلى ما انحدر إليه التفكير بين زعماء العالم وساسة الشعوب ، والذين أتاحت لهم المقادير أن يكونوا قادة الدنيا في هذه الأيام بعد الحرب العالمية الثانية .

لقد اختفت المثل العليا تمام الاختفاء ، وغابت عن الأنظار والقلوب تلك الأهداف الجميلة التي نادى بها هؤلاء الناس ساعة العسرة ، وجندوا باسمها قوى الأمم ضد الظلم والطغيان ...

فالعدالة الاجتماعية، والحريات الأربع، ومبادىء ميثاق الأمم.. الخ . هذه القائمة الطويلة العريضة من المبادىء السامية والأهداف المغرية ، أصبحت في خبر كان ، ولم تعد لهؤلاء الساسة والزعماء « فلسفة راقية » يقودون بتوجيهها العالم إلا فلسفة المصالح المادية ، والمطامع الاستعمارية ، ومناطق النفوذ ، والاستيلاء على المواد الخام وكل ذلك على صورة من الجشع والنهم لم تر الدنيا لها مثيلاً ولا بعد الحرب العالمية الأولى ... وأصبحت هذه المعاني وحدها هي محور التنافس بين الدول المنتصرة ، روسيا من جانب ، وأمريكا وانجلترا من جانب آخر ، وإن حاولت كل منها أن تستر جشعها ومناورتها بستار من دعوى المبادىء الاجتماعية الصالحة ، والنظم الإنسانية الفاضلة ، باسم الشيوعية أو الديمقراطية ، وليس وراء هاتين اللفظتين إلا المطامع الاستعمارية والمصالح المادية في كل مكان .

ونتيجة هذا الانحراف — الذي هو في حقيقة أمره مسخ لإنسانية بني الإنسان — ليست إلا « الحرب الثالثة » المسلحة بالقنابل الذرية ، والغازات الخانقة ، والأسلحة المهلكة ، وما سمعنا وما لم نسمع عنه بعد من معدات الهلاك والدمار التي تمثل ما جاءت به الكتب السماوية من وصف القارعة وهول القيامة « يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش » .

* * *

هذه هي صورة الحال في وطننا الخاص ، وفي وطننا العربي والإسلامي ، وفي وطننا الإنساني العام ، وإذا لم تقم في الدنيا أمة « الدعوة الجديدة » تحمل رسالة الحق والسلام فعلى الدنيا العفاء ، وعلى الإنسانية السلام ..

وإن من واجبنا وفي يدنا شعلة النور وقارورة الدواء ، أن نتقدم لنصلح أنفسنا وندعو غيرنا ، فإن نجحنا فذاك ، وإلا فحسبنا أن نكون قد بلغنا الرسالة ، وأدينا الأمانة ، وأردنا الخير للناس ولا يصح أبداً أن نحتقر أنفسنا ، فحسب الذين يحملون الرسالات ويقومون بالدعوات من عوامل النجاح أن يكونوا بها مؤمنين ، ولها مخلصين ، وفي سبيلها مجاهدين ، وأن يكون الزمن ينتظرها والعالم يترقبها .. فهل من مجيب ؟

« قل إنما أعظكم بواحدة ، أن تقوموا لله مثنى وفرادى ، ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد » .

أي لون نختار؟

« صبغة الله ومن أحسن من
الله صبغة ونحن له عابدون »

تسود مجتمعنا اليوم « حـــيرة » وإذا دامت الحيرة فليس وراءها إلا الثورة ، والثورة الهوجاء التي لا غاية لها ، ولا ضابط ولا نظام ولا حدود ، ولا تعقيب إلا الهلاك والدمار والخسارة البالغة ، وبخاصة في هذا العصر الذي لا يرحم ، والذي تتجارى بأهله الأهواء كما يتجارى الكلب بصحبـــه ، وفي وطن كمصر تتطلع إليه الأنظار وتتقاذفه المطامع في الداخل والخارج .

هذا الكلام متفق عليه بين كل من يعنيهم أمر هذا الوطن ، وإنك لتسمعه من الزعمـاء والمفكرين ، كما تسمعه من العامة في مجلسهم والمجتمعين في أنديتهم ، وذوي الأعمال في أماكن عملهم ، ومن سائق العربة إذا ركبت معه ، ومن بائع الخضر إذا تحدثت إليه .. وإذا أنكرنا ذلك ، أو تغافلنا عن أثره ، أو استصغرنا نتائجه كنا كالنعامة التي تدفن رأسها في الرمل وتظن أنها بذلك تخدع الصياد .

★★★

وفي مثل هذه الحال لا يجدي في الإنقاذ الترقيع الإداري ولا الروتين الحكومي – ولا تسعف الحائرين الدراسات البطيئة في

اللجان المتواكلة، وما يزداد المتبرمون بمثل هذا العلاج الجزئي المادي إلا تبرماً وألماً ، ومهما تحـــاول الحكومة بالإنصاف أو التنسيق ، أو الوعود أو الخطب، أن تسكت الأفواه الصارخة، أو البطون الجائعة ، أو الأجساد العارية ، فلن تستطيع ذلك ، ولن تصل إليه، والبرهان ماثل والدليل قائم، لأن الحيرة والقلق والاضطراب قد مست النفوس والقلوب والأذهان، قبل أن تمس المظاهر والأوضاع ، وحينئـــذ لن تقنع هذه النفوس ولن تطمئن إلا إلى « رسالة جديدة » ولون من ألوان الحياة جديد ، ترى فيه رمزاً لأمانيها ، وسبيلاً إلى تحقيق مطالبها ،ومتى آمنت النفوس « بالرسالة الجديـــدة » كفكرة ونظام ، اطمأنت إليها وسكنت وحاولت أن تطبقها عملياً على أوضاع الحيـــاة ، وكل تاريخ النهضات والإصلاحات الشامـــلة يعطينا الدليل على صحة هذا الكلام :

« إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

★★★

ومن هذه الثغرة ، وتطبيقاً لهـــذا القانون الاجتماعي الذي لا يتخلف ، تأمل المبادىء الجديدة والدعوات الجديدة أن تنفذ إلى مصر ، وتكافح في سبيـــل استيلائها على النفوس المصرية والقلوب المصرية أشد الكفاح ، وتسلك إلى ذلك كل سبيـــل مستطاعة وغير مستطاعـــة ، ومن هنا سمعنا كثيراً من هذه الأصوات يتردد في الصحف السيـــارة وفي المجالس والمنتديات ،

فالشيوعية جادة في فرض تعاليمها على أبنـــاء هذا المجتمع ، والديمقراطية الاستعمارية الهزيلة تحاول من جانبها أن تقاوم هذا التيار ، ويتوسطهم قوم داعون للاشتراكية ، ويقف بين هؤلاء جميعاً وبين أمتنا الاسلام العتيد المستقر في هذه القلوب أربعة عشر قرناً ، المستولي عليها ، المؤثر فيها بجماله وجـــلاله وسموه وروعته - يأبى على الجميع أن ينزل عن مرتبته أو يتخلى عن هذه القلوب التي آمنت به وجاهدت أكرم الجهاد في سبيل إعلائه وبقائه ورفعته ، وردت عنه بهذا الجهاد غارات الصليبيـــين ، وهجمات التتار ، ومكايد الصهيونية ، « والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

★★★

ولكن إلى متى هذا الكفاح والتطاحن بـــين هذه الآراء والأوضاع التي تنذرعت بها الألباب والأذهـــان إلى حد إن كان اليوم صغيراً فهو لن يظل كذلك ؟ ! .

وإلى متى ينظر أهل الرأي في مصر إلى هذا الصراع في غفلة وبله وانصراف كأن الأمر لا يعنيهم ، وكأنه يتناول بلداً غير بلدهم وأشخاصاً غير أشخاصهم ؟ ! . لا مناص لنا من أن نختار.

وإذا لم نختر اليوم ونحن راضون ، فسنقبل غداً - بل الغد القريب جداً - ونحن مرغمـــون ، وإني لأرى الوميض خلال الرماد ويوشك أن يكون له ضرام .

لا بد من أن نختار لون الحياة الجديدة التي نحياها – ولم تعد أوضاع الحيـــاة الاجتماعية بكل نواحيها في مصر صالحة أمام التطور الجديد في الأخلاق والأفكار وحاجات الناس – والعاقل من تدبر الأمر قبل وقوعه وأعد له عدته .

وأمامنا الشيوعية والاشتراكيـــة وهما معتبران في منطق التحالف الدولي اليوم من معاني الديمقراطية ، ولا يستطيع الديمقراطيون أن يقدموا غير هذا – وأمامنـــا كذلك « نظام الاسلام » وتوجيه الاسلام ، وتعاليم الاسلام ، وأحكام الاسلام.

★★★

ونحن في الحقيقة لسنا مخيرين ولسنا أحراراً في الاختيار ، فإننا جميعاً آمنا بهـــذا الاسلام الحنيف ديناً ودولة ، واعتبرنا مصر دولة إسلامية ، بل هي زعيمة دول الاسلام وقال دستورنا صراحة في مادته التاسعة والأربعين بعد المائة : « دين الدولة الرسمي الاسلام ولغتها اللغة العربية » .

وهذا الشعب – شعب وادي النيـــل كله في الشمال وفي الجنوب – يدين بهذا الدين الحنيف ، والأقلية غير المسلمة من أبناء هذا الوطن تعلم تمام العلم كيف تجد الطمأنينـــة والأمن والعدالة والمساواة التامة في كل تعاليمه وأحكامه ، هذا الذي يقول كتابه : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب

الفلسطين » . والكلام في هذا المعنى مفروغ منه ؛ وهذا التاريخ الطويل العريض للصلة الطيبة الكريمة بين أبناء هذا الوطن جميعاً – مسلمين وغير مسلمين – يكفينا مؤونة الإفاضة والإسراف ، فإن من الجميل حقاً أن نسجل لهؤلاء المواطنين الكرام أنهم يقدرون هذه المعاني في كل المناسبات ، ويعتبرون الاسلام معنى من معاني قوميتهم وإن لم تكن أحكامه وتعاليمه من عقيدتهم .

وإذن فلا مناص للحكومة المصرية ، والهيئات المصرية ، والأحزاب المصرية ، من أن تفي بعهدها الشرعي لله ولرسوله يوم نطقت بالشهادتين ، فالتزمت الاسلام – وبعهدها المدني الوطني لهذا الشعب يوم أصدرت الدستور ، ونصت فيه على أن الدين الرسمي هو الاسلام. وبغير ذلك تكون قد غدرت بعهدها وخانت أمانة الله والناس عندها ، وعليها أن تصارح الشعب ليحدد موقفه منها وموقفها منه ، ولا محل اليوم للمداورة والخداع .

★★★

وهذا الوفاء سيحمي الوطن مما يهدده من أخطار اجتماعية داهمة ، ويعيد الطمأنينة والسكينة إلى النفوس والقلوب ، لكنه يستلزم حالاً تغيير الاتجاهات والأوضاع كلها والمجاهرة بأن وادي النيل هو حامل رسالة الاسلام ومنفذها ومبلغها في غير مواربة ولا وهن ولا يغني عن العمل الكلام .

فهل تصيخ الآذان المغلقة إلى هذا النذير ، فتعود إلى حجر الاسلام قولاً وعملاً وتطبيقاً ؟ ؟ « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً » .

يا دولة رئيس الحكومة .

ويا رجال الأزهـــر الشريف . . .

ويا رؤساء الهيئات والجماعات والأحزاب .

ويا أيها الغير على مصلحة هذا الوطن العزيز .

ويا أبناء هذا الوطن جميعاً .

إليكم أوجه النداء . فإلى تعاليم الاسلام ، « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون » .

ألا قد بلغت ... اللهم فاشهد .

اعتراضات

« فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون
فيهم ، يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ،
فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده
فيصبحوا على ما أسرّوا في أنفسهم نادمين »
« قرآن كريم » .

دعوت قومي إلى أن يختاروا ، أو بعبارة أصح وأوضح إلى أن يبروا بعهدهم مع الله ومع أنفسهم ، فيقيموا دعائم حياتنا الاجتماعية في كل مظاهرها على قواعد الاسلام الحنيف ، وبذلك يسلم مجتمعنا من هذا القلق والاضطراب والبلبلة التي شملت كل شيء ، والتي وقفت بنا عن كل تقدم ، والتي حالت بيننا وبين أن نتعرف الطريق السوي إلى علاج أية قضية من قضايانا الكثيرة المعلقة في الداخل والخارج — وقلت إنه لا سبيل إلى النجاة إلا هذا الاتجاه عقيدة وعملاً بكل ما نستطيع من حزم وسرعة .

وقد يقال : كيف ذلك والحياة العصرية في العالم كله لا تقوم على أساس الدين في أية ناحية من نواحيها ، وقد اصطلحت أمم العالم — التي بيدها اليوم مقاليد الأمور وتوجيه مقدرات الأمم والشعوب — على فصل الحياة الاجتماعية عن العقائد الدينية ، وإقصاء الدين عن كل مرافق الحياة وحصره بين الضمير والمعبد ، وهي وحدها نافذة المؤمن التي يتصل منها بالله — والذين يقولون

هذا القول لم يعرفوا « الاسلام »، ولم يدرسوا تعاليمه وأحكامه، ولم يفقهوه بعد على طبيعته الصحيحة ووضعه السليم .. من أنه دين ومجتمع ، ومسجد ودولة ، ودنيا وآخرة ، وأنه تعرض لشؤون الحياة الدنيوية العملية بأكثر مما تعرض به للأعمال التعبدية ، وإن كان قد أقام الشطرين معاً على دعامة من سلامة القلب ، وحياة الوجدان ، ومراقبة الله ، وطهر النفس . فالدين على هذا جزء من نظام الاسلام ، والاسلام ينظمه كما ينظم الدنيا تماماً ، ونحن كمسلمين مطالبون بأن يقوم ديننا ودنيانا على أساس القواعد الاسلامية : « ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون » .

ومن هنا فرق الفقهاء في النظرة التشريعية بين ما هو من قواعد أحكام المعاملات وشؤون الحياة الاجتماعية، فأفسح للنظر والاجتهاد في الثانية ما ليس في الأولى ، حتى لا يكون على الناس في ذلك حرج ولا مشقة « يُريدُ اللهُ بكم اليُسر ولا يُريدُ بكم العسرَ » وتحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور .

★★★

وقد يقال : إن هذا جمود ورجوع بالعالم إلى الوراء ألف عام أو تزيد ، فكيف يعقل أننا نطبق اليوم نظماً جاءت لأمة عاشت قبلنا بأربعة عشر جيلاً ، في أرض غير أرضنا ، وعلى لون من الحياة غير ألوان حياتنا ؟! وأين سنة التطور وقوانين التقدم والإرتقاء ؟ .ونقول لهؤلاء كذلك إنكم أيضاً لم تفهموا طبيعة

الاسلام الحنيف ، الذي جاء للناس ، فكرة سامية ، تحدد الأهداف العليا . وتضع القواعد الأساسية ، وتتناول المسائل الكلية ولا تتورط في الجزئيات ، وتدع بعد ذلك للحوادث الاجتماعية والتطورات الحيوية أن تفعل فعلها وتتسع لها جميعاً ولا تصطدم بشيء منها — وإذا كان تاريخ التشريع الاسلامي يحدثنا أن ابن عمر رضي الله عنه كان يفتي في الموسم في القضية من القضايا برأي ، ثم تعرض عليه في الموسم التالي من العام القابل فيفتي برأي آخر . فيقال له في ذلك ، فيقول : ذلك على ماعلمنا، وهذا على ما نعلم أو كلام هذا نحوه — كما يحدثنا أن الشافعي رضي الله عنه — وضع بالعراق مذهبه القديم ، فلما تمصر وضع مذهبه الجديد نزولاً على حكم البيئة ، وتمشياً مع مظاهر الحياة الجديدة ، من غير أن يخل ذلك بسلامة التطبيق على مقتضى القواعد الاسلامية الكلية الأولى ... وأصبحنا نسمع — قال الشافعي في القديم ، وقال الشافعي في الجديد — ونرى تغير رأي الرجل الواحد في القضية الواحدة بحسب الزمان تارة كما فعل ابن عمر وبحسب المكان تارة أخرى كما فعل الشافعي ، أو بحسبهما معاً كما سمعنا أن عمر رضي الله عنه أمر بعدم القطع في السرقة عام المجاعة، وجاءه رجل يشكو سرقة خدمه فأحضرهم فأقروا وذكروا أن سبب ذلك أنه لا يقوم بكفايتهم من طعام وملبس... إلخ » . فتركهم عمر وتوعد الرجل قائلاً: إذا سرق خدمك مرة ثانية قطعت يدك أنت ، واعتبرها شبهة تدرأ الحد، ولاحظ الظروف والملابسات ..

فهل يقال بعد هذا إن في الرجوع إلى النظـــام الاسلامي رجعية وجموداً ، وليست في الدنيا شريعة تقبل التطور ،وتساير مقتضيات التقدم ، وتتمتع بمعاني المرونـــة والسلاسة والسعة كشريعة الاسلام الحنيف ؟ « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » .

وقد يقال إن الجهر بالعودة إلى نظام الاسلام مما يخيف الدول الأجنبية والأمم الغربية ، فتتألب علينا وتتجمع ضدنا، ولا طاقة لنا بها ، ولا قدرة لنا عليها . وهذا منتهى الوهن ، وغاية الفساد في التقدير وقصر النظر — وها نحن أولاء نرى هذه الدول وقد سايرناها في نظمها، وأخذنا بألوان حياتها واتبعناها في تقاليدها ، فهل أغنى ذلك عنا شيئاً ؟ ! وهل دفع عنا من كيدها ؟ وهـل منعها من أن تحتل أرضنا ، وتسلب استقلالنا ، وتستأثر بخيرات بلادنا ، ثم تتجمع في كل مؤتمر أو مجتمع دولي ضد حقوقنـا ، وتثير المشكلات والصعاب والعقبات في وجوهنا ، ولا تتأثر إلا بشيء واحد هو ظروفها ومصالحها فقط ، ولا يعنيها بعد ذلك نصرانية ، فقد رأيناها في الحرب الماضية يحطم بعضها بعضاً وكلها مسيحية ، وتتملق مع هذا دول الاسلام وأممـه وشعوبه وتتزلف إليها بمعسول وحلو الحديث. وهاهم أولاء جميعاً يناصرون الصهيونية اليهودية وهي أبغض ما تكون إليهم لارتباط مصالحهم المادية وأغراضهم الاستعمارية بهذه المناصرة . وقد أصبح هذا المعنى معلوماً في تصرفات كل الساسة الغربيين .

إذن فلن يجدينا شيئاً عندهم أن نتنصل من الاسلام ، ولن يزيدهم فينا بغضاً أن نعلن التمسك به والاهتداء بهديه . وبخاصة وهم الآن معسكران مختلفان متنافسان على المصالح المادية وحدها .

ولكن خطر التنصل من الاسلام والتنكر له عظيم على كياننا نحن ، فما دمنا بعيدين عن تشرب روحه وتحقيق تعاليمه ، فسنظل حائرين ، فتتحطم معنوياتنا - متفرقين ، فتضعف قوتنا — ولو أخذنا بالحزم وأعلناها صريحة واضحة : اننا معشر أمم الاسلام لا شيوعيون ولا ديمقراطيون ولا شيء من هذا الذي يزعمون ، ولكننا بحمد الله مسلمون . لارتسمت أمامنا تواً طريق الهداية والنور ، ولجمعتنا كلمة الاسلام ، ووحدت بيننا وبين إخواننا جميعاً في أقطار الأرض ... وفي ذلك وحده ولا شيء غيره — القوة والمنقذ أمام هـذا العدوان الغربي الاستعماري الجارف الذي يهددنا في كل مكان .

وخلاصة هذا الكلام في إيجاز : اننا إذا لا حظنا غضب الغربيين ورضاهم في تمسكنا بالاسلام ، أو بعدنا عنه ، فليس لهذا من معنى إلا أننا إن لم نتمسك بالاسلام فلن نكسب رضاهم ، وسنخسر أنفسنا ، في حين أننا إذا تمسكنا به وتجمعنا من حوله واهتدينا بهديه كسبنا أنفسنا ولاشك ، وكان هناك احتمال قوي أن نكسبهم أيضاً بتأثير قوة الوحدة فأي الرأيين أولى بالاتباع يا أولي الألباب ؟ !

أما اعتراض الأقليات غير المسلمة فقد أشرنا إليه من قبل ولا نريد أن نطيل فيه القول اليوم ، فالأمر أوضح من أن يكـون موضع مراء .

إنه ليس أمام الأمم الاسلامية اليوم إلا هذه الفرصة ، وإن الدول الغربية تدرك هذا تماماً ، فهي تشغلنا بأنفسنا ، وتزيدنا حيرة على حيرة ، وليس في الوقت متسع للتردد وإن تبعة من لا يعلم في عنق من يعلم ، ولا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم .

فيا رئيس الحكومة .. ويا رجال الأزهر الشريف ...

ويا أعضاء الجماعات والأحزاب ويا ذوي الغـــيرة على هذا الوطن .

ويا أبناءه جميعاً .. إليكم أوجه القول ،

عودوا إلى الاسلام تغنموا وتسلموا ،

« إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا واطعنا »

الا قد بلغت ... اللهم فاشهد

قضيتنا الوطنية . . .

وكيف تحل في ضوء التوجيه الإسلامي

حقوقنا الوطنية معروفة ، أعلنتها الأمة بكل وضوح وجلاء على لسان أحزابها وهيئاتها وجماعاتها وأفرادها في كل المناسبات ، وهي تحقيق وحدة وادي النيل جنوبه وشماله ، وجلاء القوات الأجنبية عنه جميعاً ، لتتم بذلك حقيقة حريته واستقلاله .

والإسلام الحنيف يعلن الحرية ويزكيها ، ويقررها للأفراد والأمم والجماعات بأفضل معانيها ، ويدعوهم إلى الاعتزاز بها والمحافظة عليها ، ويقول نبيه صلى الله عليه وسلم : « من أعطى الذلة من نفسه طائعاً غير مكره فليس مني » — وهو يحارب هذه اللصوصية الدولية التي يسمونها الاستعمار بكل ما فيه من قوة ولا ترضى تعاليمه أبداً بأن تسود أمة أو يزهق شعب شعباً آخر ، ولا تزال كلمة عمر الفاروق رضي الله عنه ترن في الآذان حين قال لعامله عمرو بن العاص : « متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » .

ويوم حمل الفاتح المسلم سيفه على عاتقه ، وانطلق غازياً في أرض الله ، لم يكن يرجو من وراء ذلك مغانم دنيوية ، ولم يكن يتطلع إلى خيرات الأمم والشعوب ليستأثر بها دونها وإن امتلأت يداه منها بغير قصد منه — ولكن كان يؤمن بدعوة ، ويحمل رسالة ، ويحمي في العالم مبادىء الحق والعدل والسلام .

وتاريخ الصدر الأول من أئمة المسلمين الراشدين المهديين – وهم الحجة للاسلام – يعطيك هذه الصورة بينة المعالم ، واضحة الحدود .

والاسلام مع هذا يعتبر الأمة الاسلامية أمينة على رسالة الله في أرضه ، ولها في العالم مرتبة الاستاذية – ولا نقول مرتبة السيادة – بحكم هذه الأمانة ، فلا يسمح لها أن تذل لأحد ، أو تستعبد لأحد ، أو تلين قناتها لغامز أو تخضع لغاصب معتد أثيم :

« ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » ، ويوم قرر الاسلام هذا ، قرر الطريق العملي إلى حمايته هـذه الحرية ، فافترض الجهاد بالنفس والمال ، وجعله فرض كفاية لتأمين الدعوة وفرض عين على كل أبناء الأمة لرد العدوان على الوطن إذا واجهته قوات الغزاة من غير المسلمين ، وجعل الشهادة أعلى مراتب الايمان ، ووعد المجاهدين النصر والتأييد في الدنيا ، والخلود والبقاء والنعيم المقيم في الآخرة ، وأعلن أن الجهاد أفضل الأعمال بعد الايمان : « والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله ، وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان . وجنات لهم فيها نعيم مقيم ، خالدين فيها أبداً ، إن الله عنده أجر عظيم » .

ومع هذا فقد رحب الاسلام بالوسائل السلمية وإنهاء الخصومة متى أدت هذه الوسائل إلى الاعتراف بالحق الكامل لأصحابه : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » ، وما خيّر النبي

صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما مـــا لم يكن محرماً ومن السلم المفاوضة إذا أوصلت الى الحق الكامل ، وقـد فاوض رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديبيـة .. ومن السلم التحاكم إذا أدى الى هذا الحق أيضاً ، وإن كنا لا نعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم –أو أحداً من الخلفاء الراشدين المهديين– رضي بتحكيم كافر ، ولكنه مقتضى عموم الآية ، ولازم الاتفاق على الخير الذي لا يمنعه الاسلام بين المسلمين وغيرهم متى كان فيه مصلحة لهم وليس فيه ضرر عليهم .

فإذا فشلت هذه الجهود السلمية فإن رأي الاسلام صريح في « النبذ » الذي يتضمن إعلان الخصومة . ثم الأخـذ تواً بكل وسيلة من وسائل « الجهاد »: « وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء ، ان الله لا يحب الخائنـين ، ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون ، وأعدوا لهم مـا استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ».. وقد وعد الله المجاهدين للحق أن يدافع عنهم، وينصرهم لا محالة على أعدائهم مهما يكن عدوهم. كامل الأهبة ، عظيم العدد ، موفور العـدة ، قوي الوسائل وعليهم ألا يعبأوا بذلك ، وأن يعتمدوا على الله وحده : « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » . هذه الأحكام جميعاً مقررة في الاسلام ، يعرفهـا بتفصيل أوسع واستدلال أقوى وأدق وأحكم، كل من نهل من معينه ، وأخذ بحظ من الفقه فيه ، وعلى ضوئها نستطيع أن نحل قضيتنا الوطنية التي وصلت الى حد من الارتباك ، تبلبلت معه الخواطر ، واضطربت الأذهان ،

وإليك بيان ذلك :

لقد فاوضنا فلم نصل إلى شيء لتعنت الإنجليز وتصلبهم ومناورتهم ..

واحتكمنا فلم نصل إلى شيء كذلك ، أمام تغليب المصالح الدولية والمطامع الاستعمارية ، ولقد قال كاتب فاضل : إننا وصلنا إلى كسب أدبي عظم بالدعاية الواسعة لقضيتنا بطرحها أمام أنظار العالم كله ، وإخراجها من حيز التفاهم الثنائي الضيق ، إلى حيز التحاكم الدولي الواسع ، وذلك صحيح — ولكن هذا الكسب الأدبي لن يغني عن الحقيقة الواقعة شيئاً ، وهي أننا ما زلنا مع الإنجليز حيث كنا لم نتقدم خطوة ، بل ان هذا الركود كان مدعاة إلى التساؤل والبلبلة .

لم يبق إذن إلا « النبذ على سواء » بأن نعلنهم بالخصومة الصريحة السافرة ، ونقرر في صراحة إلغاء ما بيننا وبينهم من معاهدات واتفاقات ، ونعلن اعتبار أمة الوادي معهم في حالة حرب (ولو سلبية) وننظم حياتنا على هذا الاعتبار — اقتصادياً : بالاكتفاء والاقتصار على ما عندنا وعند إخواننا من العرب والمسلمين والدول الصديقة إن كانت — واجتماعيا : بتشجيع روح العزة والكرامة وحب الحرية — وعملياً بتدريب الشعب كله تدريباً عسكرياً حتى يأتي أمر الله — وتهيأ نفوس الشعب لذلك بدعاية واسعة تامة كاملة ، كما تفعل الأمم إذا واجهت حالة الحرب الحقيقية ، وتتغير كل الأوضاع الاجتماعية على هذا الأساس .

وهذا العمل لا يتسنى للافراد ولا للهيئات ابتداء ، ولكن الحكومة هي المسؤولة عنه أولاً وآخراً — والعجيب أن رئيس الحكومة أعلن هذا صراحة في مجلس الأمن ، ثم عاد فلم يعمل شيئاً ، ولم يتقدم في هذا السبيل خطوة.. هذا واجب الحكومة قطعاً .

وأما الشعب ، فنحن نقولها في صراحة ووضوح وثقة ، إنه على أتم استعداد لبذل كل شيء لو سلكت الحكومة هذا السبيل ، إنه مستعد ليجوع وليعرى .. وليموت ويناضل ويكافح بأشد أنواع النضال والكفاح .. ولكن على شريطة أن يكون ذلك في سبيل حريته واستقلاله لا في سبيل ارتباك اللجان الحكومية ، وضعف الوسائل الإدارية ، والتخبط في السياسة الاقتصادية ، والوقوف أمام مكايـــد الانجليز وضغطهم موقف المستسلمين العاجزين .

لقد سمعت عاملاً فقيراً يقول حـين صدرت الأوامر بخلط الخبز : إنني مستعد أنا وأولادي أن نأكل كل يوم مرة واحدة ، إذا وثقنا من أن هذا في سبيـل الحرية والتخلص من الانجليز ، ولكني ساخط كل السخط لأني لا أفهم لماذا نلجأ إلى هذا الخلط ونحن بلد زراعي أعظم محصوله المواد الغذائية ؟!

فالشعب على أتم استعداد للبذل ، ولكن في طريق واضحة مرسومة تؤدي إلى الحرية أو الشهادة ، بقيادة حكومة حازمة ترسم له في قوة وإخلاص مراحل هـــذا الطريق — أما إذا استمرت الحكومة في ترددها وتراخيها واضطرابها ، فلن يؤدي

ذلك بالشعب إلا إلى أحد أمرين ، إما أن « يثور » ، وإما أن « يموت » ، وكلاهما جريمة وطنية لا يغتفرها أبداً التاريخ .

فيا دولة رئيس الحكومة . ويا رجال الأزهر الشريف .. ويا زعماء الهيئات والأحزاب .. ويا ذوي الغيرة على هذا الوطن ويا أبناء الأمة جميعاً :

هذه هي الطريق فاسلكوها في ضوء الإسلام ، والله معكم .

ألا قد بلغت .. اللهم فاشهد .

وحدتنا في ضوء التوجيه الإسلامي

« وإن هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاتقون »
(قرآن كريم)

بالامس وضعت بين يدي قومي ، في قضيتنا الوطنية الخاصة ، توجيه الاسلام الذي هو أخصر الطرق كلها حلاً حاسماً كريماً ، والذي لا يعدو النبذ بالخصومة ، وإعداد وسائل الجهاد . ومتى فعلنا ذلك ، فقد خرجنا ولا شك من هـذه الحيرة ، ووجدنا الجواب الصحيح لهذا السؤال الذي يتحرك به كل لسان ، ويتردد في خاطر كل مواطن : « ماذا نعمل الآن ؟ » .

والحق أننا لا نحار لأننا لا نريد أن نفعل شيئاً ، ونهرب من تبعات العمل ، ونفر من ثقل التضحيات وتكاليف الكفاح ، ونلتمس اللين والسهولة دائماً ، ولا نفكر في سواهما ، ونتصور أن الحرية والاستقلال يهبطان من السماء بغير عمـل ، والسماء لا تمطر ذهباً ولا فضة . ولا تفيض بحرية أو استقلال .. ولو كنا جادين حقيقة في الطلب ، لسرنا في الطريق بعد أن عرفناه في كلمتين اثنتين « ننبذ ، ونجاهد » ، والنصر بعـد ذلك من عند الله .

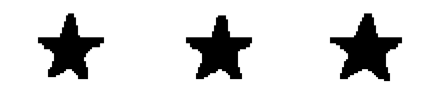
★ ★ ★

والآن أعرض لموضوع آخر يتصل بقضيتنا الوطنية العامة ،

التي تنظم قضايا الأمة العربية بمختلف أممها ، والعالم الإسلامي كله ، لنرى كيف تحل هي الأخرى في ضوء توجيه الإسلام الحنيف .

معلوم أن الإسلام رسالة عالمية جاءت لخير الأمم والشعوب جميعاً ، لا فرق بين عربي ولا عجمي أو شرقي أو غربي : « تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً » ولهذا دعا إلى القضاء على الفوارق الجنسية والعنصرية ، وأعلن الأخوة الانسانية ، ورفع لواء العالمية بين الناس لأول مرة في تاريخ البشر : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً » .

ومعلوم أن الإسلام كذلك . قد قرر من باب الأولى أقوى معاني الأخوة بين المؤمنين به ، والمنتسبين إليه ، والمعتقدين لرسالته ، حتى جعل الأخوة معنى من معاني الإيمان، بل هي أكمل معانيه : « إنما المؤمنون إخوة » و « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه » ، « ومثل المؤمنون في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم ، كالجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » — (والمؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً) .



ويوم واجه المسلمون العالم كله صفاً واحداً ، وقلباً واحداً في ظل هذه الأخوة الصادقة الحقة، لم تلبث أمامهم ممالك الروابط الإدارية أو السياسية المجردة ساعة من نهار، وانهزم أمامهم بغير نظام الروس والفرس على السواء ، وكونوا إمبراطورية ضخمة تمتد من المحيط الى المحيط ، ذات علم وحضارة ، وقوة وإشراق.

ويوم غفلوا عن سر قوتهم ولم يأخذوا بهدي كتابهم « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ،واصبروا إن الله مع الصابرين»، ودب إليهم داء الأمم من قبلهم: من تغليب المصالح المادية الزائلة على الأخوة الإيمانية الباقية ... تمزقت هذه الامبراطورية أيدي سبأ ، ولعبت بها المطامع الداخلية والخارجية ، وانتهى أمرها أخيراً جداً بعد الحرب العالمية الأولى الى الانهيار ، والوقوع في أسر خصومها من غير المسلمين الذين احتلوا أرضها ، وملكوا أمرها وتقاسموها فيما بينهم ، وظنوا أنه قد انتهى أمر الاسلام وختمت الحرب الصليبية أفضل ختام .

وكانت الدسيسة الكبرى التي اقتحمت على المسلمين عقولهم وقلوبهم أولاً ، ثم أرضهم وبلادهم ثانياً ، هي تأثرهم بالعنصرية والشعوبية ، واعتداد كل أمة منهم بجنسها ، وتناسي ما جاء به الاسلام من القضاء على عصبية الجـــاهلية والتفاخر بالأجناس والألوان والأنساب .

★★★

وقد انتهت الحرب العالمية الثانية، التي قضت على العنصريات الحديثة في أوربا، عنصرية النازية والفاشية، فرأينا بعدها الدول الأوربية الكبرى تسعى سعياً حثيثاً الى التجمع والتكتـــل ، باسم العنصريات تارة ، والمصالح تارة أخرى .. فروسيا تحاول أن تجمع العنصر الصقلبي بكل شعوبه تحت لواء الاتحاد السوفيتي، وانجلترا وأمريكا تتجمعان باسم الجنس واللغة ، ثم تتقاسمان بعد ذلـــك أمم العالم ومناطق النفوذ في الأرض باسم المصالح والضرورات الحيوية ، وتستر هذا التنافس بينها بتكوين هيئة الأمم المتحدة لتوهم الناس أنها تركي العالميـــة ، وتعمل لخير بني الإنسان كما رأينا هذه الدول نفسها تتجمع ضد حقوقنا الوطنية، وتخذلنا في كل قضية من قضايانا الجوهرية ، سواء عرضت على مجلس الأمن أم في هيئة الأمم المتحدة ، كما حدث في قضية مصر، وفي قضية فلسطين ، وفي قضية أندونيسيا .

★★★

نحن أمام كل هذه الأوضاع العالمية الجديدة ، وأمـــام تشابه قضايانا وتشاكلها ، فهي كلها قضية واحـــدة ، معناها استكمال الحرية والاستقلال ، وتكسير قيود الاستغلال والاستعمار ،لابد أن نلجأ من جديد الى ما فرضه الاسلام على أبنائه منذ أول يوم حين جعل الوحدة معنى من معاني الإيمان .. يجب أن نتكتل ونتوحد . وقد بدأنا بالجامعة العربية، وهي وإن كانت لم تستقر بعد الاستقرار الكامل ، إلا أنها نواة طيبة مباركة على كل حال ،

★★★

فعلينا أن ندعمها ونقويها ، ونخلصها من كل ما يحيط بها من عوامل الضعف والتخلخل ، وعلينا بعد ذلك أن نوسع الدائرة حتى تتحقق رابطة أمم الاسلام - عربية وغير عربية- فتكون نواة (لهيئة الأمم الاسلامية) بإذن الله ...

وبهذه الطريقة – التي ستضيف الى وسائلنا الخاصة لكل أمة ، من النبذ والجهاد ، معنى آخر من معاني القوة ، هو الوحدة والتجمع ، نستطيع أن نتخلص ؛ وأن نحفظ التوازن العالمي بين الأمم الطامعة ، والدول المتنافسة على المغانم والحطام .

والمسؤول عن تحقيق هذه الخطوات ، الحكومات العربية والاسلامية جميعاً ، وكل دعاة الإصلاح في هذه الشعوب من رسميين وأهليين – واليوم أوجه النداء : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » .
ألا قد بلغت .. اللهم فاشهد .



مشكلاتنا الداخلية

في ضوء النظام الإسلامي

●

نظام الحكم

١ ــ نظام الحكم

« وأن احكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم ، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك » .

(قرآن كريم)

الحكومة في الإسلام

يفترض الاسلام الحنيف الحكومة قاعدة من قواعد النظام الاجتماعي الذي جاء به للناس ، فهو لا يقر الفوضى ، ولا يدع الجماعة المسلمة بغير إمام ، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه : « إذا نزلت ببلد وليس فيه سلطان فارحل عنه » ، كما قال في حديث آخر لبعض أصحابه كذلك : « وإذا كنتم ثلاثة فأمروا عليكم رجلاً » .

فمن ظن أن الدين ـ أو بعبارة أدق الاسلام ـ لا يعرض للسياسة ، أو أن السياسة ليست من مباحثه ، فقد ظلم نفسه ، وظلم علمه بهذا الاسلام ، ولا أقول ظلم الاسلام فإن الاسلام شريعة الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. وجميل قول الإمام الغزالي ـ رضي الله عنه ـ « اعلم أن الشريعة أصل ، والملك حارس ، وما لا أصل له فمهدوم ، وما لا حارس له فضائع » فلا تقوم « الدولة » الاسلامية إلا على أساس « الدعوة » حتى

تكون « دولة رسالة » لا تشكيل إدارة ، ولا حكومة مادة جامدة صماء لا روح فيها - كما لا تقوم « الدعوة » إلا في حماية تحفظها وتنشرها وتبلغها وتقويها .

★★★

وأول خطئنا أننا نسينا هذا الأصل ، ففصلنا الدين عن السياسة عملياً ، وإن كنا لم نستطع أن نتنكر له نظرياً فنصصنا في دستورنا على أن دين الدولة الرسمي هو الاسلام ، ولكن هذا النص لم يمنع رجال السياسة وزعماء الهيئات السياسية أن يفسدوا « الذوق الاسلامي » في الرءوس ، والنظرة الاسلامية في النفوس ، والجمال الاسلامي في الأوضاع باعتقادهم وإعلانهم وعملهم على أن يباعدوا دائماً بين توجيه الدين ومقتضيات السياسة ، وهذا أول الوهن وأصل الفساد .

دعائم الحكم الاسلامي

والحكومة في الاسلام تقوم على قواعد معروفة مقررة ، هي الهيكل الأساسي لنظام الحكم الاسلامي .. فهي تقوم على « مسؤولية الحاكم » و « وحدة الأمة » و « احترام إرادتها » ، ولا عبرة بعد ذلك بالأسماء والأشكال .

مسؤوليـــة الحاكم

فالحاكم مسؤول بين يدي الله وبين الناس ، وهو أجـير لهم وعامل لديهم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » ، وأبو بكر – رضي الله عنه – يقول عندما ولي الأمر وصعد المنبر : « أيها النـــاس ، كنت أحترف لعيالي فأكتسب قوتهم ، فأنا الآن أحترف لكم، فافرضوا لي من بيت مالكم » ، وهو بهذا قد فسر نظرية العقد الاجتماعي أفضل وأعدل تفسير ، بل هو وضع أساسه ، فما هو إلا تعاقد بين الأمة والحاكم على رعاية المصالح العامة فإن أحسن فله أجره، وإن أساء فعليه عقابه .

وحدة الأمة

والأمة الاسلامية واحدة ، لأن الأخـوة التي جمع الاسلام عليها القلوب أصل من أصول الإيمان لا يتم إلا بها ولا يتحقق إلا بوجودها ، ولا يمنع ذلك حرية الرأي وبذل النصح من الصغير إلى الكبير ، ومن الكبير إلى الصغير ، وذلك هو المعبر عنه في عرف الاسلام ببذل النصيحـــة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدين النصيحة » قالوا لمن يا رسول الله؟ قال : لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم » ، وقال: « إذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم ياظالم،

فقد تودع منهـــا » ، وفي رواية : « وبطن الأرض خير لهم من ظهرها » ، وقال: « سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله » .

ولا تتصور الفرقة في الشؤون الجوهرية في الأمة الاسلامية، لأن نظام الحياة الاجتماعيـــة الذي يضمها نظام واحد – هو الاسلام – معترف به من أبنائها جميعها ، والخـــلاف في الفروع لا يضر ، ولا يوجب بغضاً ولا خصومة ولا حزبية يدور معها الحكم كما تدور ... ولكنه يستلزم البحث والتمحيص، والتشاور وبذل النصيحة ، فما كان من المنصوص عليه فلا اجتهـاد فيه ، وما لا نص فيه فقرار ولي الأمر يجمع الأمـة عليه ، ولا شيء بعد هذا .

احترام إرادة الأمـــة

ومن حق الأمة الاسلامية أن تراقب الحاكم أدق مراقبة وأن تشير عليه بما ترى فيه الخير – وعليه أن يشاورها وأن يحـترم إرادتها ، وأن يأخذ بالصالح من آرائها ، وقد أمر الله الحاكمـين بذلك ، فقال : « وشاورهم في الأمر » ، وأثنى به على المؤمنين خيراً ، فقال : « وأمرهم شورى بينهم » ونصت على ذلك سنة رسول الله صلى الله عليـــه وسلم والخلفاء الراشدين المهديين من بعده : إذا جاءهم أمر جمعوا أهل الرأي من المسلمين، واستشاروهم

ونزلوا عند الصواب من آرائهم ، بل إنهم لينَدبونهم إلى ذلك ويحثونهم عليه . فيقول أبو بكر رضي الله عنه: « فإن رأيتموني على حق فأعينوني ، وإن رأيتموني على باطل فسددوني أو قوموني » ، ويقول عمر بن الخطاب : « من رأى فيّ اعوجاجاً فليقومه » ،

و « النظام الاسلامي » في هذا لا يعنيه الأشكال ولا الأسماء متى تحققت هذه القواعد الأساسية التي لا يكون الحكم صالحاً بدونها ، ومتى طبقت تطبيقاً يحفظ التوازن بينها ولا يجعل بعضها يطغى على بعض ، ولا يمكن أن يحفظ هذا التوازن بغير الوجدان الحي والشعور الحقيقي بقدسية هذه التعاليم ، وإن في المحافظة عليها وصيانتها الفوز في الدنيا والنجاة في الآخرة ، وهو ما يعبرون عنه في الاصطلاح الحديث « بالوعي القومي » أو « النضج السياسي » أو « التربية الوطنية » أو نحو هذه الألفاظ ، ومردها جميعاً إلى حقيقة واحدة هي اعتقاد صلاحية النظام ، والشعور بفائدة المحافظة عليه . . . إذ أن النصوص وحدها لا تنهض بأمة كما لا ينفع القانون إذا لم يطبقه قاض عادل نزيه .

ونحن في حياتنا العصرية قد نقلنا من أوربا هذا النظام النيابي الذي تعيش في ظله حكوماتنا الآن ؛ ووضعنا دستورنا على أساسه ، وتغير هذا الدستور مرة باسمه كذلك وجربنا الكثير من آثاره فإلى أي مدى ينطبق هذا النظام على الاسلام ؟ وإلى أي مدى كانت فائدتنا منه طول هذه المدة ؟

ذلك ما سنعرض له إن شاء الله .

٢ ـــ نظام الحكم

« أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن
من الله حكماً لقوم يوقنون ؟ »
(قرآن كريم)

قدمت في الكلمة السابقة أن الدعائم التي يقوم عليها نظام الحكم الاسلامي ثلاث :

(أ) مسؤولية الحاكم .

(ب) ووحدة الأمة .

(جـ) واحترام إرادتها .

ولقد تحقق هذا النظام بأكمل صورة في عهد الخلفاء الراشدين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانوا يشعرون أتم الشعور بالتبعات الملقاة على كواهلهم كحكام مسؤولين عن رعاياهم ، ويظهر ذلك في كل أقوالهم وتصرفاتهم الكثيرة ، وحسبك أن تقرأ ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين ولي الخلافة ، وعمر ابن عبد العزيز حين وليها كذلك — وجاءت سيرتاهما مطابقتين لقولهما « أيها الناس قد وليت عليكم ، ولو لا رجاء أن أكون خيركم لكم ، وأقواكم عليكم ، وأشدكم استضلاعاً[1] بما ينوب من مهم أموركم ، ما توليت ذلك منكم ، وكفى عمر مهما

---

(١) الموجود في كتب اللغة اضطلاعاً (راجع سيرة عمر بن الخطاب تأليف الأستاذ علي الطنطاوي ص ٩٢٥ ج ٢) .

محزناً انتظار موافقة الحساب ، يأخذ حقوقكم كيف اخذها ووضعها أين أضعها، وبالسير منكم كيف أسير فربي المستعان. فإن عمر أصبح لا يثق بقـوة ولا حيلة إن لم يتداركه الله عز وجل برحمته وعونه وتأييده ، وكان يقول : « لو أن جملاً هلك ضياعاً بشط الفرات ، لخشيت أن يسأل الله عنه آل الخطاب » .

وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته : أما بعد ، فإنه ليس بعد نبيكم صلى الله عليه وسلم نبي ولا بعد الكتاب الذي أنزل عليه كتاب ، الا ما أحل الله عز وجل حلال الى يوم القيامة ، وما حرم الله حرام الى يوم القيامة ، ألا لست بقاص ولكنني منفذ ، ألا وإنني لست بمبتدع ولكني متبع ألا إنه ليس لأحد أن يطاع في معصية الله عز وجل ، ألا إني لست بخيركم ولكني رجل منكم غير أن الله جعلني أثقلكم حملاً » . وقدمت إليه مراكب الخلافة بعد دفن سليمان بن عبد الملك فأمر بتأخيرها، وركب بغلته وعاد الى منزله ، فدخل عليـه مولاه مزاحم فقال : يا أمير المؤمنين لعلك مهتم ؟ ! فقال « بمثل هذا الأمر الذي نزل بي اهتممت، إنه ليس من أمة محمد في مشرق ولا مغرب أحد إلا له قبلي حق يحق عليّ أداؤه إليه ، غير كاتب اليّ فيه ولا طالبه مني » .

وكانت الأمة مجتمعة الكلمة باستمساكها بأهداب الدين ، واعتقادها فضل ما جاء به من احكام ورعايتهـــا لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشديده في الوحدة ، حتى أمر بقتل من فارق الجماعة أو خرج على الطاعة ، فقال : « من أتاكم وأمركم

جميع يريد أن يشق عصاكم فاضربوه بالسيف كائناً من كان ، كما قال : « من خرج على الطاعة وخالف الجماعة فمات ، مات ميتة جاهلية ، ومن قاتل تحت راية عمية[1] يغضب لعصبة ، أو يدعو الى عصبة ، او ينصر عصبة[2] ، فقتل ، فقتله جاهلية ، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ، ولا يفي ذا عهد عهده ، فليس مني ولست منه » .

كما كانت إرادتها محترمة مقدورة ، فما كان أبو بكر يمضي في الناس أمراً إلا بعد أن يستشيرهم وخصوصاً فيما لا نص فيه ، وكذلك كان عمر بن الخطاب ، فقد جعل الخلافة من بعده شورى في الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض .

وقلت في الكلمة السابقة أيضاً إننا نقلنا هذا النظام النيابي ، الذي تعيش حكومتنا في ظله ، عن أوربا . فإلى أي مدى ينطبق على الاسلام ؟ وما الذي أفدناه منه منذ طبق في عهده الأخير في بلادنا إلى الان ، وهي مدة تبلغ ربع قرن من الزمان تقريباً ؟؟

---

(١) عمية : أي راية فتنة وجهالة .

(٢) عصبة الرجل : أقاربه . والمعنى : يقاتل ويدعو وينصر لا لنصرة الدين والحق ، بل لمحض التعصب لقومه وهواه .

موقف الإسلام
من النظام النيابي والدستور المصري

يقول علماء الفقه الدستوري إن النظام النيابي يقوم على مسؤولية الحاكم، وسلطة الأمة، واحترام إرادتها، وإنه لا مانع فيه يمنع من وحدة الأمة واجتماع كلمتها، وليست الفرقة والخلاف شرطاً فيه، وإن كان بعضهم يقولون إن من دعائم النظام النيابي البرلماني: الحزبية. ولكن هذا إذا كان عرفاً فليس أصلاً في قيام هذا النظام، لأنه يمكن تطبيقه بدون هذه الحزبية وبدون إخلال بقواعده الأصلية.

وعلى هذا فليس في قواعد هذا النظام النيابي ما يتنافى مع القواعد التي وضعها الاسلام لنظام الحكم، وهو بهذا الاعتبار ليس بعيداً عن النظام الاسلامي ولا غريباً عنه، بهذا الاعتبار يمكن أيضاً أن نقول في اطمئنان إن القواعد الأساسية التي قام عليها الدستور المصري لا تتنافى مع قواعد الاسلام، وليست بعيدة من لنظام الاسلامي ولا غريبة عنه، بل إن واضعي الدستور المصري رغم أنهم وضعوه على أحدث المبادىء والآراء الدستورية وأرقاها، فقد توخوا فيه ألا يصطدم أي نص من نصوصه بالقواعد الاسلامية، فهي إما متمشية معها صراحة كالنص لذي يقول: «دين الدولة الاسلام» أو قابلة للتفسير الذي يجعلها لا تتنافى معها كالنص الذي يقول: «حرية الاعتقاد مكفولة».

وأحب أن أنبه هنا إلى الفرق بين الدستور وبين القوانين التي تسير عليها الحاكم ، إذ أن كثيراً من هذه القوانين منه ما يتنافى صراحة مع ما جاء به الاسلام ، وذلك بحث آخر سنعرض له في موضعه إن شاء الله .

ومع أن النظام النيابي والدستور المصري في قواعدهما الأساسية لا يتنافيان مع ما وضعه الاسلام في نظام الحكم فإننا نصرح بأن هناك قصوراً في عبارات الدستور ، وسوءاً في لتطبيق،وتقصيراً في حماية القواعد الأساسية التي جاء بها الاسلام وقام عليها الدستور أدت جميعاً الى ما نشكو منه من فساد ، وما وقعنا فيه من اضطراب في كل هذه الحياة النيابية .

وسنتناول هذا الإيجاز بشيء من البيان .

مسؤولية الحاكم — الوزارة

فأما عن « مسؤولية الحاكم » فإن الأصل فيها في « النظام الاسلامي » أن المسؤول فيها هو رئيس الدولة كائناً من كان ، له أن يتصرف ، وعليه أن يقدم حساب تصرفه للأمة ، فإن أحسن اعانته وإن أساء قومته . ولا مانع في الاسلام في أن يفوض رئيس الدولة غيره في مباشرة هذه السلطة وتحمل هذه المسؤولية ، كما عرف ذلك في « وزارات التفويض » في كثير من العهود الاسلامية ، ورخص الفقهاء المسلمون في ذلك وأجازوه ما دام فيه مصلحة ، والقاعدة في مثل هذه الأمور رعاية المصلحة

العامة . قال الماوردي في كتاب (الأحكام السلطانية) : « والوزارة على ضربين ، وزارة تفويض ، ووزارة تنفيذ — فأما وزارة التفويض فهو أن يستوزر الإمام من يفوض إليه تدبير الأمور برأيه ، وإمضاءها على مقتضى اجتهاده ، وليس يمتنع جواز هذه الوزارة . قال تعالى حكاية عن نبيه عليه الصلاة والسلام : « واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي اشدد به أزري ، وأشركه في أمري » فإذا جاز ذلك في النبوة كان في الإمامة أجوز ، لأن ما وكل إلى الإمام من تدبير الأمة لا يقدر على مباشرة جميعه إلا باستنابة ، ونيابة الوزير المشارك له في التدبير أصح في تنفيذ الأمور من تفرده بها ليستظهر بها على نفسه وبها يكون أبعد من الزلل وأمنع من الخلل إلخ » .

والأصل في هذه المسؤولية في النظام النيابي ، أن المسؤول هو الوزارة ولا مسؤولية على رئيس الدولة ، وقد جرى على هذا الوضع الدستور المصري والدستور الانجليزي ، فصرح كل منهما بمسؤولية الوزارة ، وإخلاء رئيس الدولة من كل مسؤولية واعتباره لا يخطىء واعتبار ذاته مصونة لا تمس .

على أنه لا مانع في النظام النيابي من تحمل رئيس الدولة المسؤولية واعتبار الوزارة تابعة له في ذلك ، كما يقرر ذلك دستور الولايات المتحدة — والغريب أن تشير كتب الفقه الاسلامي الى هذا الوضع أيضاً ، وتسمى هذه الوزارة « وزارة التنفيذ » فيقول الماوردي في كتابه (الأحكام السلطانية

أيضاً ؟ : وأما وزارة التنفيذ فحكمها أضعف، وشروطها أقل ، لأن النظر مقصور فيها على رأي الإمام وتدبيره ، وهذا الوزير وسط بينه وبين الرعايا والولاة ، يؤدي عنه ما أمر ، وينفذ ما ذكر ويمضي ما حكم ... الخ » ولا شك أن هذا من سعة مادة الفقه الإسلامي ومرونته وصلاحيته لكل زمان ومكان .

* * *

غموض الدستور المصري

هذه هي قواعد النظام الإسلامي والنيابي معاً في « مسؤولية الحاكم » فماذا فعلنا نحن في مصر ؟ . وقفنا في منتصف الطريق نصاً وتطبيقاً ، وجاء دستورنا في هذا المعنى غامضاً مقتضباً غير واضح ولا مفصل ، مع أنها أهم نقطة في تحديد لون الحياة النيابية والاسلامية التي نحياها.. وشرحاً لذلك سأسوق ما كتبه الاستاذان الدكتور إبراهيم مدكور عضو مجلس الشيوخ المصري، والاستاذ مريت غالي في مذكرتهما (بنظام جديد) قالا تحت عنوان « الدستور وغموضه » :

« فأما العامل الأول فملخصه أن دستورنا على الرغم من دقته وضبط عباراته ، قد وقع في نفس الغموض الذي وقعت فيه دساتير أسبق منه ، وترك أهم نقطة في الحكم النيابي دون أن يحددها التحديد الكافي ، ونعني بها سلطة الوزراء وصلتهم

بالشعب ممثلة في نوابه من جهة ، وإشرافهم على ما يؤدي إليه من خدمات من طريق المصالح والإدارات من جهة أخرى – كما أجمل إجمالاً مخلاً في بيان موقفهم من رئيس الدولة ومليك البلاد، واكتفى بأن يصوغ هنا في عبارات تصلح لكل ما يراد منها . وواضح أن الوزارة هي العمود الفقري لهيكل النظام النيابي كله ، وحلقة الاتصال بين التشريع والتنفيذ ، ومبعث الحياة والحركة في نظام يراد به احترام سلطة الشعب مع تصريف شؤون الدولة تصريفاً محكماً سريعاً وإذا ما رجعنا إلى الدستور وجدنا أن ما جاء به متصلاً بهذه النقطة الحساسة لا يكاد يتجاوز ثلاثة أسطر كلها غموض وعموم، فيقرر في المادة ٢٩ : « أن السلطة التنفيذية يتولاها الملك في حدود هذا الدستور » وفي المادة ٤٨ : « الملك يتولى سلطته بواسطة وزرائه » وفي المادة ٤٩ : « الملك يعين وزراءه ويقيلهم » وفي المادة ٥٧ : « مجلس وزرائه هو المهيمن على مصالح الدولة » وفي المادة ٦١ : « الوزراء مسؤولون متضامنون لدى مجلس النواب عن السياسة العامة للدولة ، وكل منهم مسؤول عن أعمال وزارته ». وفي المادة ٦٣ : « أوامر الملك – شفهية أو كتابية – لا تخلي الوزراء من المسؤولية على أية حال » .

تلك تقريباً جملة النصوص المتصلة بهذا الموضوع ، ولا نظن أن فيها ما يكفي مطلقاً لحل أي مشكل من المشاكل التي أشرنا إليها إلخ ، وقد أفاضا بعد ذلك في الشرح والتمثيل بما يفصل

ما تقدم من هذه المعاني.. والمهم أن هذه النقطة وهي لب الأمر تحتاج إلى إيضاح واستقرار ، وهي القاعدة الأولى من قواعـد « النظام الاسلامي » أو النيابي على السواء ، وبغير ذلك لايمكن أن تستقيم الأمور أو تسلم .

٢ ــ نظام الحــكم

« وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ـ لكلٍ جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة » .

(قرآن كريم)

وحدة الأمة ـــ الحزبية

وأما عن وحدة الأمة فقد أبنت أن الاسلام الحنيف يفترضها افتراضاً ، ويعتبرها جزءاً أساسياً في حيــاة المجتمع الاسلامي لا يتساهل فيه بحال ، إذ انه يعتبر الوحدة قرين الايمان : « إنما المؤمنون إخوة » كما يعتبر الخلاف والفرقة قرين الكفر ، كما قال تعالى : « يا أيهـــا الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين » أي بعد وحدتكم متفرقين ، وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ترجعوا بعـــدي كفاراً يضرب بعضكم وجوه بعض » : فعبر بكلمة الكفر عن الفرقة والخلاف وأن يضرب بعضهم وجوه بعض .

وأعتقد أن الحكم النيابي ـ برلمانياً وغير برلماني ـ لا يأبى هذه الوحدة ، وبخاصة إذا كان لون الحياة الاجتماعية واحداً في أصوله واتجاهاته العامة ، كما هو شأن الامم الاسلامية جميعاً في

هذه الأيام ، وإنما لازمت الحزبية والفرقة والخلاف هذا النظام النيابي في أوربا وغيرها ، لأنها نشأت على أنقاضهـــا ، وكانت الخلافات المتكررة الدامية بين الشعوب وحكامها هي السبب في نشأته فعلاً ، مع تباين المشارب واختلاف الآراء ... أما الأمم الاسلامية ، فقد حماهـــا الله من ذلك كله ، وعصمها بوحدة الاسلام وسماحته من هذا التبلبل والاضطراب .

ومع هذا فإن الحكم النيابي في أعرق مواطنه لم يقم على هذه الحزبية المسرفة ، فليس في انجلترا إلا حزبان هما اللذان يتداولان فيها الأمر ، وتكاد تكون حزبيتهما داخليـة بحتة ، وتجمعهما دائماً المسائل القومية المهمة، فلا تجد لهذه الحزبية أثراً البتة — كما أن امريكا ليس بها إلا حزبان كذلك لا نسمع عنهما شيئاً إلا في مواسم الانتخابات ، أما فيما عدا هذا ، فلا حزبية ولا أحزاب— والبلاد التي تطورت في الحزبية وأسرفت في تكوين الأحزاب ذاقت وبال أمرهـــا في الحرب وفي السلم على السواء ، وفرنسا أوضح مثال لذلك .

وإذا كان الأمر كذلك ، وكانت وحـدة الأمة أساساً في النظام الاجتماعي الاسلامي ولا يأباه النظام النيابي ، فإن من الواجب أن نتحول سريعاً إلى الوحدة بعد أن أهلكت الحزبية في مصر الحرث والنسل .

الأحزاب المصرية

لقد انعقد الإجماع على ان الأحزاب المصرية هي سيئة هذا الوطن الكبرى ، وهي أساس الفساد الاجتماعي الذي نصطلي بناره الآن ، وأنها ليست أحزاباً حقيقية بالمعنى الذي تعرف به الأحزاب في أي بلد من بلاد الدنيا ، فهي ليست أكثر من سلسلة انشقاقات أحدثتها خلافات شخصية بين نفر من أبناء هـــذه الأمة اقتضت الظروف في يوم ما أن يتحدثوا باسمها وأن يطالبوا بحقوقها القومية . كما انعقد الإجماع على أن هـــذه الأحزاب لا برامج لها ولا مناهج ، ولا خلاف بينها في شيء أبداً إلا في الشخصيات ، وآية ذلك واضحـــة فيما تعلن من بيانات خارج الحكم وفيما تطلع به من خطب العرش داخل الحكم . وبما أن الأحزاب هي التي تقدم الشيوخ والنواب ، وهي التي تسير دفة الحكم في الحياة النيابية ، فإن من البديهي ألا يستقيم أمر الحكم وهذه حال من يسيرون دفته .

***

وهذا الكلام الذي انعقد إجماع الأمة عليه ، أعلنه شيوخ ونواب وفقهاء ودستوريون في صراحـــة ووضوح ، ومن قرأ ما كتبه علوبة باشا في كتابه (مبادىء وطنية) ، أو الأستاذ حسن الجداوي في كتابه (عيوب الحكم في مصر) أو غيرهما من الكتاب ، رأى صدق ما نقول – وحسبنا أن ننقل هنا

فقرة من كتاب الفقيه الدستوري الاستاذ سيد صبري (مبادىء القانون الدستوري) عن الأحزاب المصرية قال : « والواقع أنه لم يعد لأغلب الأحزاب السياسية في مصر برنامج يدافع عنه أنصاره ، بل أصبح كل حزب عبارة عن وزير سابق له أنصار ومريدون ، ولهذه النتيجة أهميتها ، فإن الانتخاب لن يبرم على المفاضلة بين البرامج ، فقد أصبحت واحدة للجميع ، بل سيقوم على الثقة بالأشخاص أو المفاضلة بينهم ، وستكون الانتخابات شخصية لا حزبية بالمعنى المفهوم لدى الشعوب الغربية ، وبديهي أن بقاء الأحزاب على هذا المنوال يقسم البلاد شيعاً وأحزاباً ، ويثير الشقاق والمنازعات بين الأفراد والأسرات بلا سبب مفهوم ولا أساس معقول » .

وإذا أضيف إلى هذا أن مصر ما زالت بلداً محتلاً إلى الآن ، وأن الذي يستفيد من هذه الفرقة هم المحتلون الغاصبون فقط ، وأنه إذا استسيغ الخلاف — وهو غير مستساغ بحال — في أمة من الأمم ، فإن أمة وادي النيل هي أحوج ما تكون إلى أكمل معاني الوحـــدة لتتجمع قواها في نضال الاستقلال وفي عمل الإصلاح الداخلي — كان الأمر أخطر من أن يهمل أو يستهان به .

* * *

حل الأحزاب المصرية

وإذا كان الأمر كذلك فلا ندري ما الذي يفرض على هذا الشعب الطيب المجاهد المناضل الكريم ، هذه الشيع والطوائف من الناس التي تسمي نفسها الأحزاب السياسية ؟ إن الأمر جد خطير ، ولقد حاول المصلحون أن يصلوا إلى وحدة ولو موقتة لمواجهة هـــذه الظروف العصيبة التي تجتازها البلاد ، فيئسوا وأخفقوا ، ولم يعد الأمر يحتمل أنصاف الحلول ، ولا مناص بعد الآن من أن تحل هذه الأحزاب جميعاً ، وتجمع قوى الأمة في حزب واحد يعمل لاستكمال استقلالها وحريتها ، ويضع أصول الإصلاح الداخلي العـــام ، ثم ترسم الحوادث بعد ذلك للناس طرائق في التنظيم ظل الوحدة التي يفرضها الاسلام .

٤ ـ نظام الحكم

« إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله
ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا »
(قرآن كريم)

احترام رأي الأمة ـ نظام الانتخاب

وأما عن احترام رأي الأمة ، ووجوب تمثيلها واشتراكها في الحكم اشتراكاً صحيحاً ، فإن الاسلام لم يشترط استبانة رأي أفرادها جميعاً في كل نازلة ، وهو المعبر عنه في الاصطلاح الحديث بالاستفتاء العام ـ ولكنه اكتفى في الأحوال العادية « بأهل الحل والعقد » ولم يعينهم بأسمائهم ولا بأشخاصهم ، والظاهر من أقوال الفقهاء ووصفهم إياهم أن هذا الوصف ينطبق على ثلاث فئات هم :

١ ـ الفقهاء المجتهدون الذين يعتمد على أقوالهم في الفتيا واستنباط الأحكام .

٢ ـ وأهل الخبرة في الشؤون العامة .

٣ ـ ومن لهم نوع قيادة أو رئاسة في الناس كزعماء البيوت والأسر وشيوخ القبائل ورؤساء المجموعات .

فهؤلاء جميعاً يصح أن تشملهم عبارة « أهل الحل والعقد » .

ولقد رتب النظام النيابي الحديث طريق الوصول الى أهل

الحل والعقد بما وضع الفقهاء الدستوريون من نظم الانتخــــاب وطرائقه المختلفة – والاسلام لا يأبى هذا التنظيم ما دام يؤدي الى اختيار أهل الحل والعقد ، وذلك ميسور إذا لوحظ في أي نظام من نظم تحديد الانتخاب صفات أهل الحل والعقد ، وعدم السماح لغيرهم بالتقدم للنيابة عن الأمة .

عيوب نظم الانتخاب في مصر

ونحن في مصر قد أخذنا بنظـــام الانتخاب المباشر تارة في قانون سنة ١٩٢٣ ، وبنظام الانتخاب على درجتــين في قانون سنة ١٩٣٠ وكلاهما في الواقع لم يحقق الغرض المقصود منـــه ، وظهرت له حين التطبيق عيوب يجب ان نعمل على إصلاحها بتعديل شامل ، وليس الخطأ عيباً في ذاته ، ولكن الرضا به ، والاستمرار عليه والدفاع عنـــه ، هو الخطأ كل الخطأ ولقد شعر الجميع بقصور قانون الانتخاب الحالي عن الوفاء بالغرض الذي وضع من أجله وهو الوصول الى اختيار الصالحين للنيابة عن الأمة، ووجهت إليه انتقادات مرة كشفت عن كثير من العيوب التي أهمها ما ذكره الدكتور سيد صبري في كتابه (مبـــادىء القانون الدستوري) : « أنه أوجد هيئة ناخبة لا يمكنها تحقيق الغرض من الانتخابات على الوجه المطلوب ، وأنه لم يحقق فكرة تمثيل الأمة تمثيلاً صحيحاً ، وأنه لم يصل الى إيجاد هيئة تعمل للصالح العام مجردة من كل قيد... وقد أورد بعد ذلك إحصائية

دقيقة خلص منها بالأرقام الى ان قرارات البرلمـان المصري في أدواره المختلفة لا تعبر عن رأي الأمة ولا عن رأي أكثريتها ، ولا عن رأي أقلية محترمة من أبنائها وإنما تعبر عن رأي نسبة ضئيلة من مجموع من له حق الانتخاب، لم تصل يوماً ما الى ١٢ ٪ وبيان ذلك :

ان مجلس نواب سنـــة ١٩٣٦ لا تمثل قراراته – مع أنها صحيحة ونافذة بحكم القانون – إلا ١٠و٧٥ ٪ من هيئة الناخبين – ومجلس سنة ١٩٢٩ نسبة التمثيل فيه ٩و٢٥ ٪ – ومجلس سنة ١٩٣٦ النسبة فيـــه ٩و٢٥ ٪ – ومجلس سنة ١٩٣٨ النسبة فيه ١١و٧٥ ٪ – ومجلس سنة ١٩٤٢ النسبة فيه ٩و٧٥ ٪ – والمجلس الحالي ليس أفضل مما تقدمه .

فكيف يقال بعد هذا إن ذلك تعبير عن رأي الأمـــة ؛ وتمثيل لها تمثيلاً صحيحاً ؟ ؟

تعديل وإصلاح

لابد من تعديل وإصلاح لقانون الانتخاب ، ومن وجـــوه هذا الإصلاح الضرورية :

١ – وضع صفات خاصة للمرشحـــين أنفسهم ؛ فإذا كانوا ممثلين لهيئات فلا بد ان يكون لهـــذه الهيئات برامج واضحة وأغراض مفصلة يتقدم على أساسها هذا المرشح – وإذا لم يكونوا ممثلين لهيئات فلا بد ان يكون لهم من الصفـــات والمناهج الإصلاحية ما يؤهلهم للتقدم للنيابة عن الأمـــة ، وهذا المعنى

مرتبط الى حد كبير بإصلاح الأحزاب في مصر ، وما يجب ان يكون عليه أمر الهيئات السياسية فيها .

٢ – وضع حدود للدعاية الانتخابية ، وفرض عقوبات على من يخالف هذه الحدود . بحيث لا تتناول الأسر ولا البيوت ولا المعاني الشخصية البحتة التي لا دخل لها في أهلية المرشح وإنما تدور حول المناهج والخطط الإصلاحية .

٣ – إصلاح جداول الانتخاب ، وتعميم نظام تحقيق الشخصية ، فقد أصبح أمر جداول الانتخاب أمراً عجيباً بعد ان لعبت بها الأهواء الحزبية والأغراض الحكومية طول هذه الفترات المتعاقبة ، وفرض التصويت إجبارياً.

٤ – وضع عقوبة قاسية للتزوير من أي نوع كان . وللرشوة الانتخابية كذلك .

٥ – وإذا عدل الى الانتخاب بالقائمة، لا الانتخاب الفردي كان ذلك أولى وأفضل ، حتى يتحرر النواب من ضغط ناخبيهم، وتحل المصالح العامة محل المصالح الشخصية في تقدير النواب والاتصال بهم .

وعلى كل حال فأبواب الإصلاح والتعديل كثيرة ، هذه نماذج منها ، وإذا صدق العزم وضح السبيل ، والخطأ كل الخطأ في البقاء على هذا الحال والرضا به ، والانصراف عن محاولة الإصلاح .

٥ ــ نظام الحكم

« إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم
بين الناس بما أراك الله ، ولا تكن للخائنين
خصيماً ». (قرآن كريم)

عرضت في الكلمات السابقة لدعائم الحكم الصالح الثلاث في النظام الاسلامي أو النيابي على السواء ، وهي :

١ ــ مسؤولية الحاكم .

٢ ــ ووحدة الأمة .

٣ ــ واحترام إرادتها .

وأشرت في إيجاز بالغ الى نواحي الغموض في التشريع والقصور والفساد في التطبيق في أسلوب الحكم الذي جرينا عليه منذ صدور الدستور المصري الى الآن . وقد كانت نتيجة هذا الغموض والقصور والفساد ... ما نحن عليه الآن من حيرة وقلق وارتباك ، وما وصلنا إليه من فرقة وتمزق وشتات .

ضعف الحكومات

لا يجادل أحد في ان الحكومات المتعاقبة قد ضعفت عن أداء واجبها ، وفقدت معظم هيبتها في النفوس كحكومة بسبب هذا التجريح بالحق وبالباطل الذي تمليه الروح الحزبية البحتة ، وبسبب هذا العجز الناتج عن عدم تحديد المسؤولية

والاضطلاع بها كاملة غير منقوصة ، ولولا أن النفوس في مصر مطبوعة بطابع الطاعة والاستسلام ، والأعمال تسير بطريق روتيني لا تجديد فيه ولا ابتكار .. لتعطل كل شيء ، ولعجز الدولاب الإداري المضطرب عن ان ينهض بحاجات الشعب أو ان يؤدي للناس عملاً .

وهيبة القانون

ولا شك أن سلطان القانون قد تزعزع وفقد معظم احترامه كذلك ، بسبب هذه الاستثناءات والمحسوبيات والحيل المتكررة ، والاعتداء أحياناً بنسخ القانون لغرض شخصي ... ولو ان هذا النسخ بقانون في ظاهر الأمر ، ولكن الدوافع تكون معروفة دائماً ولا تخفى على أحد ، فيعمل ذلك عمله في النفوس وينال من هيبة القانون واحترام النظام .

حزبية عمياء

ولا شك أن نار الخصومة والحقد قد اضطرمت في نفوس الحاكمين والمحكومين على السواء ، بفعل هذه الحزبية الخاطئة ، التي لم نفهمها نحن في مصر في يوم من الأيام على أنها خلاف في الرأي لا يفسد للود قضية ، بل فهمناها عداوة وبغضاء تتعدى النظر في المصالح العامة الى المقاطعة في كل الشؤون عامة وخاصة ، والى ان نرى الحق في جانب خصومنا الحزبيين باطلاً ، والباطل في جانب أنصارنا الحزبيين حقاً ، ونصدر من هذا الشعور في كل تصرفاتنا وصلاتنا ، ويستفحل الداء ويستشري حتى في أحرج المواقف ، فلا نستطيع أن نوحد صفوفنا في أي موقف قومي

مهما يكن يتوقف عليه إصلاح أمرنا ومستقبل بلادنا ... وهذا الشعور البغيض، والفهم الخاطىء للحزبية الذي تحول الى عداوة متأصلة، قد كان من نتائجه : ان انصرفت معظم الجهود الفكرية والعملية الى أمرين استغرقا كل اهتمام رجالنا ، وهما : الإيقاع بالخصوم الحزبيين – واتقاء مكائدهم ، فالحاكم يصرف جل همه في هاتين الناحيتين والمعارضة لا تقل عن الحاكم اهتماماً بهما ، وفي سبيل ذلك تضيع الحقوق ، وتتعطل المصالح ، ويرثي الأصدقاء ويشمت الأعداء ، ويستفيد الخصم الجاثم على صدر البلاد .

★★★

هذه الحال قد أنتجت التحطم في المعنويات ، والفساد والاضطراب في الماديات ، وقد بلغ الأمر منتهاه ولم يعد في قوس الصبر منزع ، ولا بد من تغيير حازم حاسم سريع .. فإما ان يفقه أولو الأمر هذه الحقيقة ويقدروها ، فيبادروا في سرعة الى اجراء التغيير الصالح برأيهم وعلى أيديهم ، وفي ذلك السلامة والاستقرار ، وما زال في الوقت متسع للاصلاح وإما ان يظلوا في هذا الانصراف فتسبقهم الحوادث ، ويفلت من يدهم الزمام ، ولا يدري عاقبة ذلك إلا الله .

يا أولي الأمر في هذا البلد ... ويا دولة رئيس الحكومة ... ويا رجال الأزهر ... ويا زعماء الأحزاب والهيئات والجماعات...

و يا ذوي الغيرة على هذا الوطن الأسيف :

تداركو الأمر قبل الفوات ... وأمامكم سفينة النجاة من نظام الاسلام ... ولله عاقبة الأمور .

ألا هل بلغت ... اللهم فاشهد .

مشكلاتنا الداخلية

في ضوء النظام الإسلامي

•

النظام الاقتصادي

مجموعة البنا «٥٢»

١ ـ النظام الاقتصادي

كتبت تحت عنوان « مشكلاتنا الداخلية في ضوء النظام الاسلامي » ، عدة كلمات سالفة بينت فيها أن نظام الحكم الاسلامي يقوم على قواعد ثلاث :

(أ) مسؤولية الحاكم .
(ب) احترام إرادة الأمة .
(ج) والمحافظة على وحدتها – وإن من حسن الحظ أن هذه هي أيضاً دعائم النظام النيابي الحديث اخترناه لأنفسنا ... كما بينت أننا لم نطبق هذا النظام ولا ذاك تطبيقاً صحيحاً ، وبذلك اضطربت كل الأمور تبعاً لذلك فإن هذا الأمر أصل وكل ما عداه تبع له : « ألا وإن في الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسم كله ، ألا وهي القلب » الحكومة ولا شك قلب الإصلاح الاجتماعي كله ، فإذا فسدت أوضاعها فسد الأمر كله وإذا صلحت صلح الأمر كله . . . وقد أهبت بالقائمين أن يبادروا بالإصلاح ، وأن يعودوا إلى الاسلام الحنيف جماع الخير ليهتدوا بهديه ، ويسيروا على ضوئه وبغير ذلك لا يمكن أن نظفر بالإصلاح الحقيقي المنشود .

★★★

وهنا أتناول « وضعنا الاقتصادي » بمثل هذا البيان ، رجاء أن تجد هذه الكلمات المخلصة آذاناً مصغية ، وقلوباً واعية ،

تستشعر الخطر وتعمل على تلافيه ، من قبل أن يستشري الداء .
ويعز الدواء ، ويتسع الخرق على الراقع ... ولا يحرك النفوس
ويثير الخواطر ، ويؤلم المشاعر شيء كالضائقة المالية ، تأخذ
بخناق الجماهير فتحول بينهم وبين الحصول على ضروريات الحياة
فضلاً عن كالياتها ... ولا أزمة أعنف من أزمة الرغيف ، ولا
عضة أقوى من عضة الجوع والمسغبة ... ولا حاجة أشد من
حاجة القوت ، وطالب القوت ما تعدّى . دخلت الجارية على
محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة ، فقالت : يا سيدي
فني الدقيق ؟ فقال : قاتلك الله ! أذهبت من رأسي أربعين
مسألة .

وهناك حقائق لا يستطيع أحد أن ينكرها ، أو يتجاهلها
منها ؟ — .

(أ) ــ غنى طبيعي

إن هذا البلد ليس فقيراً بطبيعته ، بل لعله أغنى بلاد الله
تبارك وتعالى بخيراته الطبيعية ، وثرواته المختلفة ، من زراعية
ومائية وحيوانية ومعدنية ، ونيله العجيب ، وواديه الخصيب ،
وما شئت من فضل الله تبارك وتعالى على مصر وأهل مصر منذ
القدم : « اهبطوا مصر فإنّ لكم ما سألتم » .

(ب) — استغلال أجنبي

ومنها أن الأجانب الذين احتلوا هذا الوطن بغفلة من أهله ، وتساهل من حكامه ، وظلم من غاصبيه ، أسعد حالاً من أهله وبنيه ، وأنهم قد وضعوا أيديهم على أفضل منابع الثروات فيه ؛ شركات أو أفراداً ، فالصناعة والتجارة ، والمنافع العامة ، والمرافق الرئيسية ، كلها بيد هؤلاء الأجانب حقيقة ، أو الأجانب الذين اتخذوا من الجنسية المصرية شعاراً وما زالوا يحنون بعد الى أوطانهم ويؤثرونها بأكبر أرباحهم . . . وإن كثيراً من هؤلاء الأجانب ما زال ينظر الى المواطن المصري ، والعامل المصري ، والحاكم المصري نظرة لا تقدير فيها ولا إنصاف .

(ج) ثراء فاحش وفقر مُدقع

ومنها أن التفاوت عظيم ، والبون شاسع ، والفرق كبير ، بين الطبقات المختلفة في هذا الشعب ، فثراء فاحش وفقر مُدقع — والطبقة المتوسطة تكاد تكون معدومة ، والذي نسميه نحن الطبقة المتوسطة ليس إلا من الفقراء المعوزين وإن كنا نسميهم متوسطين ، على قاعدة : بعض الشر أهون من بعض. ورحم الله فقهاءنا الذين خبر والبحوث الطويلة في الفرق بين الفقراء والمساكين وإن كان كلاهما من المحتاجين البائسين .

(د) تخبّط اقتصادي

ومنها وهو الأهم ، أننا في وسط هذا المعترك الحاد الصاخب العنيف ، بين المبادىء الاقتصادية ، من رأسمالية أو اشتراكية أو شيوعية لم تحدد لوناً نصبغ به حياتنا الاقتصادية في وقت تحتم فيه التحديد ، وتعقدت فيه الأمور ، بحيث لم تعد تنفع فيها أنصاف الحلول ، ولم يعد يجدي إلا الوضوح الكامل ، وتحديد الأهداف تحديداً دقيقاً ، والسير إليها في قوة وعزيمة ، وهذه الأوضاع — وإن امتزجت بها المعاني السياسية — إلا أنها في أغلب صورها ودوافعها ونتائجها تعاليم وأوضاع اقتصادية، ولهذا كان لا بد لنا من أن نختار لوناً من هذه الألوان أو من غيرها إن استطعنا ، لنعيش في حدود وضع معلوم له خصائصه ومميزاته، يحدد أهدافنا الرئيسية ، ويرسم لنا طريق العمل للوصول الى هذه الأهداف .

إلى الإسلام

وأعتقد أنه لا خير لنا في واحد من هذه النظم جميعاً ، فلكلٍ منها عيوبه الفاحشة ، كما له حسناته البادية — وهي نظم نبتت في غير أرضنا لأوضاع غير أوضاعنا ، ومجتمعات فيها غير ما في مجتمعنا .. فضلاً عن أن بين أيدينا النظام الكامل الذي يؤدي إلى الإصلاح الشامل في توجيهات الاسلام الحنيف ، وما

وضع للاقتصاد القومي كلية أساسية لو علمناها وطبقناها تطبيقاً سليماً ، لا نحلت مشكلاتنا . ولظفرنا بكل ما في هذه النظم من حسنات ، وتجنبنا كل ما فيها من سيئات ، وعرفنا كيف يرتفع مستوى المعيشة وتستريح كل الطبقـات ، ووجدنا أقرب الطرق الى الحياة الطيبة .

٢ – النظام الاقتصادي

قدمت في الكلمة السابقة أن مصر تتقاذفها الألوان الاقتصادية وتتضارب فيها النظم والآراء العصرية ، من رأسمالية واشتراكية وشيوعية ، وأن من الخير كل الخير أن تبرأ من هذه الألوان كلها ، وأن تركز حياتها الاقتصادية على قواعد الاسلام وتوجيهاتها العليا ؛ وتستمد منه وتعتمد عليه ، وبذلك تسلم من كل ما يصحب هذه الآراء من أخطاء ، وما يلصق بها من عيوب ؛ وتنحل مشاكلنا الاقتصادية من أقصر طريق .

قواعد النظام الاقتصادي في الإسلام

ويتلخص نظام الاسلام الاقتصادي في أمها :

١ – اعتبار المال الصالح قوام الحياة ، ووجوب الحرص عليه ، وحسن تدبيره وتثميره .

٢ – إيجاد العمل والكسب على كل قادر .

٣ – الكشف عن منابع الثروات الطبيعية ، ووجوب الاستفادة من كل ما في الوجود من قوى ومواد .

٤ – تحريم موارد الكسب الخبيث .

٥ – تقريب الشقة بين مختلف الطبقات ، تقريباً يقضي على الثراء الفاحش والفقر المدقع .

٦ – الضمان الاجتماعي لكل مواطن ، وتأمين حياته ،

والعمل على راحته وإسعاده .

٧ - الحث على الإنفاق في وجوه الخير ، وافتراض التكافل بين المواطنين ، ووجوب التعاون على البر والتقوى .

٨ - تقرير حرمة المال ، واحترام الملكية الخاصة ما لم تتعارض مع المصلحة العامة .

٩ - تنظيم المعاملات المالية بتشريع عادل رحيم ، والتدقيق في شؤون النقد .

١٠ - تقرير مسؤولية الدولة في حماية هذا النظام .

والذي ينظر في تعاليم الاسلام ، يجد فيه هذه القواعد مبينة في القرآن الكريم والسنة المطهرة وكتب الفقه الاسلامي بأوسع بيان .

المال الصالح قوام الحياة

فقد امتدح الاسلام المال الصالح ، وأوجب الحرص عليه وحسن تدبيره وتثميره ، وأشاد بمنزلة الغني الشاكر الذي يستخدم ماله في نفع الناس ومرضاة الله ، وليس في الاسلام هذا المعنى الذي يدفع الناس الى الفقر والفاقة من فهم الزهد على غير معناه ... وما ورد في ذم الدنيا والمال والغنى والثروة إنما يراد به ما يدعو إلى الطغيان والفتنة والإسراف ، ويستعان به على الإثم والمعصية والفجور وكفران نعمة الله ، وفي الحديث :

« نعم المال الصالح للرجل الصالح » – وفي الآية الكريمة :
« ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً » .

وفي ذلك الإشارة الى أن الأموال قوام الأعمال ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إضاعة المال في غير وجهه ، فقال: « إن الله ينهاكم عن قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » ، كما أن من مات مدافعاً عن ماله فهو شهيد كما جاء في الحديث : « من مات دون عرضه فهو شهيد ، ومن مات دون ماله فهو شهيد ... » الحديث .

العمل على كل قادر

وفي الاسلام الحث على العمل والكسب ، واعتبار الكسب واجباً على كل قادر عليه ، والثناء كل الثناء على العمال المحترفين ، وتحريم السؤال ، وإعلان أن من أفضل العبادة العمل ، وأن العمل من سنة الأنبياء ، وأن أفضل الكسب ما كان من عمل اليد ، والزراية على أهل البطالة ، والذين هم عالة على المجتمع مهما كان سبب تبطلهم – ولو كان الانقطاع لعبادة الله – فإن الاسلام لا يعرف هذا الضرب من التبطل ... والتوكل على الله إنما هو بالأخذ في الأسباب وأيضاً بالنتائج ، فمن فقد أحدهما فليس بمتوكل ... والرزق المقدور مقرون بالسعي الدائب ، والله تبارك وتعالى يقول : « وقل اعملوا ، فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم

تعملون » ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » ويقول عمر : « لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقني ، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة » - وفي الحديث : «لا يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم » .

الكشف من منابع الثروات

كما أن فيه لفت النظر الى ما في الوجـــود من منابع الثروة ومصادر الخير، والحث على العناية بها، ووجوب استغلالها ، وأن كل ما في هذا الكون العجيب مسخر للانسان ليستفيد منـــه وينتفع بـــه « ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض ، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » - « وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ، إن في ذلـك لآيات لقوم يتفكرون » ومن قرأ آيات القرآن الكريم ، علم تفصيل ذلك بأوسع بيان وأوفاه .

تحريم الكسب الخبيث

ومن تعاليمه ، تحريم موارد الكسب الخبيثة، وتحديد الخبث في الكسب بأنه ما كان بغير مقابل من عمل : كالربا والقمار ، واليانصيب ونحوها- أو كان بغير حق كالنصب والسرقة والغش

ونحوها – أو كان عوضاً لما يضر : كثمن الخمر والخنزير والمخدر ونحوها. فكل هذه موارد للكسب لا يبيحها الاسلام ولا يعترف بها .

التقريب بين الطبقـــات

وقد عمل الاسلام على التقريب بين الطبقات بتحريم الكنز ومظاهر الترف على الأغنياء ، والحث على رفع مستوى المعيشة بين الفقراء ، وتقرير حقهم في مال الدولة ومال الأغنياء ووصف الطريق العملي لذلك .

وأكثر من الحث على الإنفاق في وجوه الخير والترغيب في ذلـك ، وذم البخل والرياء والمن والأذى ، وتقرير طريق التعاون والقرض الحسن ابتغاء مرضاة الله تبارك وتعالى ورجاء ما عنده : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » .

حرمة المـال واحترام الملكيات

وقرر حرمة المال ، واحترام الملكية الخـاصة ما دامت لا تتعارض مع المصلحة العامة : « كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وعرضه وماله » . و « لا ضرر ولا ضرار » .

تنظيم المعاملات المـالية

وشرع تنظيم المعاملات الماليـة في حدود مصلحة الأفراد

والمجتمع ، واحترام العقود والالتزامات ، والدقة في شؤون النقد والتعامـل به ، حتى افردت له أبواب الفقه الاسلامي تحرم التلاعب فيه كالصرف[١] ونحوه ، ولعل هنا موضعاً من مواضع الحكمة في تحريم استخدام الذهب والفضة باعتبارهما الرصيد العالمي للنقد[٢] .

الضمان الاجتماعي

وقرر الضمان الاجتماعي لكل مواطن ، وتأميـن راحته ومعيشته كائناً من كان ، ما دام مؤدياً لواجبه ، أو عاجزاً عن هذا الأداء بسبب قهري لا يستطيع أن يتغلب عليه . ولقد مر عمر على يهودي يتكفف النـاس ، فزجره واستفسر عما حمله على السؤال ، فلما تحقق من عجزه رجع على نفسه باللائمة وقال له : « ما أنصفناك يا هذا ، أخذنا منك الجزية قوياً وأهملناك ضعيفاً ، افرضوا له من بيت المال ما يكفيه » .

وهذا مع إشاعة روح الحب والتعاطف بين الناس جميعاً .

---

(١) الصرف مبادلة تجري بين النقدين وتخضع لشروط خاصة تعرف في مراجعها من كتب الفقه .

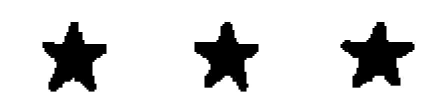
(٢) يحرم الاسلام استخدام الذهب والفضة مطلقاً في الأواني والأدوات الخاصة ، ويحرم الذهب كزينة للرجال وكذا الإسراف فيه للنساء ، ولعل ذلك لأن حاجة الدولة إلى رصيد ضخم من هذه المعادن أولى بالاعتبار من الاستعمال الفردي .

مسؤولية الدولة

وأعلن مسؤولية الدولة عن حماية هذا النظام ، وعن حسن التصرف في المال العام ، تأخذه بحقه وتصرفه بحقه ، وتعدل في جبايته . ولقد قال عمر ما معناه : إن هذا المال مال الله ، وأنتم عباده ، وليصلن الراعي بأقصى الأرض قسمه من هذا المال وإنه ليرعى في غنمه ، ومن غل غل في النار .

استغلال النفوذ .. من أين لك هذا ؟

كما حظر الاسلام استخدام السلطة والنفوذ ، ولعن الراشي والمرتشي والرائش ، وحرم الهدية على الحكام والأمراء وكان عمر يقاسم عماله ما يزيد عن ثرواتهم ، ويقول لأحدهم « من أين لك هذا ؟ إنكم تجمعون النار وتورثون العار » ، وليس للوالي من مال الأمة إلى ما يكفيه . وقد قال أبو بكر لجماعة المسلمين حين ولي عليهم : « كنت أحترف لعيالي فأكتسب قوتهم ، وأنا الآن أحترف لكم ، فافرضوا لي من بيت مالكم » ففرض له أبو عبيدة : قوت رجل من المسلمين ليس بأعلاهم ولا بأوكسهم ، وكسوة الشتاء ، وكسوة الصيف ، وراحلة يركبها ويحج عليها . وقومت هذه الفريضة بألفي درهم . . ولما قال أبو بكر لا يكفيني ، زادها له خمسمئة وقضي الأمر



تلك هي روح النظام الاقتصادي في الاسلام ، وخلاصة قواعده أوجزناها منتهى الإيجاز ، ولكل واحدة منها تفصيل يستغرق مجلدات ضخاماً ، ولو اهتدينا بهديها وسرنا على ضوئها لوجدنا في ذلك الخير الكثير .

٣ ــ النظام الاقتصادي

استقلال النقد

ذكرنا بعض الأصول التي يقوم عليها النظـــام الاقتصادي الاسلامي ، والروح التي تمليها علينا تلك الأصول التي تنتج مع التطبيق الصحيح وضعاً اقتصادياً سليماً ليس أفضل منه فهي توجب استقلال نقدنا ، واعتماده على رصيد ثابت من مواردنا ومن ذهبنا لا على أذونات الخزانة البريطانية ودار الضرب البريطانية والبنك الأهلي البريطاني – وإن كان مقره مصر – وتأمل الآية الكريمة : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً » .

ومن أفظع التغرير بهذا الشعب ، أن يسلم جهوده ومنتجاته نظير أوراق لا قيمة لها إلا بالضمان الانجليزي ، وإن مصر إذا حزمت أمرها ، وأحكمت تصرفاتها ، ستصل ولا شك الى هذا الاستقلال ... ولقد انفصلنا عن الكتلة الاسترلينية ، وفكرنا في تأميم البنك الأهلي، وطالبنا بالديون الكثيرة لنا على الانجليز ، وكل هذه ونحوها مشروعات تؤمن النقد المصري ... فماذا فعل الله بها ، وماذا أعددنا من العدة لإنقاذها .

... ولعل من المفارقات أن أكتب هذه الكلمات في الوقت الذي يذاع فيه أن المفاوضات بين مصر وانجلترا حول الأرصدة الاسترلينية – باءت أو قاربت أن تبوء بالفشل لتعنت الانجليز

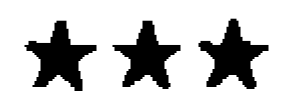
وتمسكهم بألا يدفعوا لمصر عن سنة ١٩٤٨ أكثر من ١٢ مليوناً في الوقت الذي تطلب فيه مصر طلباً متواضعاً هو ١٨ مليوناً .

... ولقد أنتج ضعف الرقابة على النقد، والاستهانة بأمره، استهانة بلغت حد الاستهتار ، هذه المآسي التي نصطلي بنارها من التضخم الذي استتبع غلاء المعيشة ، وصعوبة الاستيراد والتصدير .

ولم يحدث في تاريخ الدول الراقيـــة فيما نعلم أن (بنـكا) يستغل قراراً من وزير ، هذا الاستغلال الشائن ، كما فعل ذلك البنك الأهلي بقرار وزارة الماليـــة غير الموقع عليه من أحد في يونيو سنة ١٩١٦ ، فيصدر بمقتضاه من الأوراق ما يشاء .

تمصير الشركات

كما توجب هذه الأصول الاهتمام الـكامل بتمصير الشركات ، وإحلال رءوس الأموال الوطنية محل رءوس الأموال الأجنبية كلما أمكن ذلك ، وتخليص المرافق العامة — وهي أهم شيء للأمة — من يد غير أبنائها ، فلا يصح بحال أن تكون الأرض والبناء . والنقل والماء والنور والمواصلات الداخليـة ، والنقل الخارجي ، حتى الملح والصودا .. في يد شركات أجنبية تبلـغ رءوس أموالها وأرباحها الملايين من الجنيهات ،لا يصيب الجمهور الوطني ولا العامـل الوطني منها إلا البؤس والشقاء والحرمان .



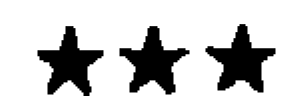
واستغلال منابع الثروة الطبيعية استغلالاً سريعاً منتجاً ، أمر يوجبه الاسلام الذي لفت أنظارنا كتابه الى آثار رحمة الله في الوجود ، وما أودع في الكون من خيرات في الأرض وفي السماء ، وأفاض في أحكام الركاز ، وحث على طلب الخير أينما كان .. في الماء عندنا ثروات ، وفي الصحراوات ثروات وفي كل مكان ثروات لا ينقصها إلا فكر يتجه ، وعزيمة تدفع ، ويد تعمل ، وخذ بعد ذلك من الخير ما تشاء : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء » ؛ والعلماء هنا فيما أظن الذين يعلمون علم الكائنات وما فيها للناس من خير ، وما يتجلى في دقيق صنعها من واسع علم الله خالق الأرض والسموات .

والعناية بالمشروعات الوطنية الكبرى المهملة التي طال عليها الأمد ، وقعد بها التراخي والكسل أو أحبطتها الخصومة الحزبية أو طمرتها المنافع الشخصية ، أو قضت عليها الألاعيب السياسية والرشوة الحرام ، كل هذه يجب أن تتوجه إليها الهمم من جديد . (إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه) .

كم كنا نربح لو أن مشروع خزان أسوان تحقق فعلاً منذ سنة ٣٧ . كم كنا نحتاج ونعرى لو لم يلهم الله (طلعت

حرب) – عليه الرضوان – أن يتقدم بمشروعات (المحـلة)
هناك مشروعات كثيرة درست وبحثت ؛ ثم وضعت على الرف
وطال عليها الأمد قبل الحرب ، ولا موجب لهذا الإهمـال ،
والضرورة قاسية والحاجة ملحة ، والأمر لا يحتمل التأخير .

انفضوا الغبار عن ملفات هذه المشروعات واستذكروها من
جديد ونفذوا : « وسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .



الصنــاعة

والتحول الى الصناعة فوراً من روح الاسلام الذي يقول نبيه
صلى الله عليه وسلم . (إن الله يحب المؤمن المحترف) ؛ من أمسى
كالاً من عمل يده أمسى مغفوراً له) – والذي أثنى كتابه على
داود وسليمان بهذا التقدم الصناعي ، وذكر لنا من دقائق الرقي
فيه ما أعجز البشر ، واستغل قوى الجن والشياطين ... حرام
على الأمة التي تقرأ في كتابها من الثناء على داود عليه السلام ،
« وألنا له الحديد ، أن اعمل سابغات وقدر في السرد . واعملوا
صالحاً إني بما تعملون عليم » . وتقرأ : « وعلمناه صنعة لبوس لكم
لتحصنكم من بأسكم ، فهل أنتم شاكرون ؟ » ثم لا يكون فيها
مصنع للسلاح – ثم تقرأ في كتابها : « ولسليمان الريح غدوها
شهر ورواحها شهر ؛ وأسلنا له عين القطر ؛ ومن الجن من يعمل
بيديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير

يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجوارب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكراً » .. ثم لا يكون فيها مسبك عظيم ، ولا مصنع كامل للأدوات المعدنية –ثم تقرأ : « وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس » .. ثم تهمل ما عندها من هذا المعدن هذا الإهمال ، وهو من أجود الأنواع ويكفي العالم مائتي عام كما قدر الخبراء ...

حرام هذا كله !! .

٤ ــ النظام الاقتصادي

عرضت في الكلمة السابقة لبعض صور التطبيق التي تمليها علينا قواعد النظام الإسلامي الاقتصادي ، وأعرض في هذه الكلمة لبعض الصور التي تمليها هذه القواعد أيضاً في صميم الإصلاح الاقتصادي القومي :

نظام الملكيات في مصر

توجب علينا روح الاسلام الحنيف ، وقواعده الأساسية في الاقتصاد القومي أن نعيد النظر في نظام الملكيات في مصر ، فتختصر الملكيات الكبيرة ، ونعوّض أصحابها عن حقهم بما هو أجدى عليهم وعلى المجتمع ، ونشجع الملكيات الصغيرة ، حتى يشعر الفقراء المعدمون بأن قد أصبح لهم في هذا الوطن ما يعنيهم أمره ، ويهمهم شأنه ... وأن نوزع أملاك الحكومة حالاً على هؤلاء الصغار كذلك حتى يكبروا ...

تنظيم الضرائب

وتوجب علينا روح الاسلام في تشريعه الاقتصادي ، أن نبادر بتنظيم الضرائب الاجتماعية ، وأوّلها « ضريبة الزكاة » وليس في الدنيا تشريع فرض الضريبة على رأس المال لا على الربح وحده كالاسلام ، وذلك لحكم جليلة منها : محاربة الكنز.

وحبس الأموال عن التداول ، وما جعلت الأموال إلا وسيلة لهذا التداول الذي يستفيد من ورائه كل الذين يقع في أيديهم هذا المال المتداول ..

وإنما جعل الاسلام مصارف الزكاة اجتماعية بحتة لتكون سبباً في جبر النقص والقصور الذي لا تستطيع المشاعر الإنسانية والعواطف الطيبة أن تجبره ، فيساهم بذلك المجتمع ويزكو ، وتصفو النفوس وتسمو : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » .

فلا بد من العناية بفرض ضرائب اجتماعية على النظام التصاعدي — بحسب المال لا بحسب الربح — يعفى منها الفقراء طبعاً ، وتجبى من الأغنياء الموسرين وتنفق في رفع مستوى المعيشة بكل الوسائل المستطاعة ... ومن لطائف عمر رضي الله عنه ، أنه كان يفرض الضرائب الثقيلة على العنب لأنه فاكهة الأغنياء ، والضريبة التي لا تذكر على التمر لأنه طعام الفقراء . فكان أول من لاحظ هذا المعنى الاجتماعي — في الحكام والأمراء — رضي الله عنه .

محاربة الربا

ويوجب علينا روح الاسلام أن نحارب الربا حالاً . ونحرمه ونقضي على كل تعامل على أساسه : (ألا وإن الربا موضوع ،

وأول ربا أبدأ به ربا عمي العبـــاس بن عبد المطلب) وصدق رسول الله .

ولقد كان المصلحون يتجنبون أن يقولوا في الماضي هـــذا الكلام حتى لا يقال لهم إن ذلـــك مستحيل وعليه دولاب الاقتصاد العالمي كله ، أما اليوم ... فقد أصبحت هذه الحجة واهية ساقطة لا قيمة لها بعد أن حرمت روسيا الربا وجعلته أفظع المنكرات في دارها ، وحرام أن تسبقنا روسيا الشيوعية الى هذه المنقبة الاسلامية ، فالربا حرام ... حرام ... حرام وأولى الناس بتحريمه أمم الاسلام ودول الاسلام .

تشجيع الصناعات المنزليـــة

وتوجب علينا روح الاسلام تشجيع الصناعات اليدوية المنزلية ، وهذا هو باب الإسعاف السريع لهذه العائلات المنكوبة ، وباب التحول الى الروح الصناعي والوضع الصناعي ... وأول ماتفعله هذه الأيدي العاطلة ، الغزل والنسيج بالأنوال الصغيرة ، وصناعة الصابون ، وصناعة العطور والمربيات ، وأنواع كثيرة وصنوف كبيرة تستطيـع النساء والبنات والأولاد أن يشغلوا الوقت فيها ، فتعود بالربح الوفير ، وتمنعهم بؤس الحاجة وذل السؤال ... وقد رأينا هذا بأعيننا منذ زمن في فوه غربية ، وبني عـــدي منفلوط . وغيرها من بلدان القطر المصري ، ورأينا في هـــذه البلاد الثروة والغنى ويسر الحال . ولقـــد كانت وزارة الشؤون قد فكرت في هذا المشروع الحيوي ، واستحضرت أصنافاً من

المنازل ، ولا ندري ماذا فعل الله بها ... ويوم الحكومة بسنة كما يقولون ولكن الأمر لم يعد يحتمل الانتظار .

تقليل الكماليات والاكتفاء بالضروريات

وإرشاد الشعب الى التقليل من الكماليات والاكتفاء بالضروريات ، وأن يكون الكبار في ذلك قدوة للصغار ، فتبطل هذه الحفلات الماجنة ، ويحرم هذا الترف والإسراف الفاسد ، ويظهر الجسد بخشونته وعبوسته ووقاره وهيبته على الدور والقصور ، والوجوه والمنتديات ... أمر يحتمه الاسلام الحنيف ، وكل ذلك يحتاج إلى إعداد .

هذه كلها واجبات لابد أن ننهض بأعبائها حالاً . . . فإلى العمل .



وبعد

فها نحن قد رأينا مما تقدم كيف أننا لم نسر على نظام اقتصادي معروف لا نظرياً ولا عملياً ، وأن هذا الغموض والارتجال قد أدّى بنا إلى ضائقة أخذت بمخانق الناس جميعاً .

وليس الشأن أن نرتجل الحلول ، ونواجه الظروف ، بالمخدرات والمسكنات التي يكون لها من رد الفعل ما ينذر بأخطر العواقب .. ولكن المهم في أن ننظر إلى الأمور نظرة شاملة محيطة ، وأن نردها الى أصل ثابت تستند إليه ،

وترتكز عليه . وليس ذلك الأمر إلا « النظام الاسلامي » الشامل الدقيق ، وفيه خير السداد .

لقد أتاح الله لنا من أسباب اليسر الاقتصادي ، والنجاح المادي ما لم يتحه لغيرنا من الأمم والشعوب ، فهذه الرابطة الوثيقة من اللغة والعقيدة والمصلحة والتاريخ بيننا وبين أمم العروبة والاسلام ، وهي بحمد الله أغنى بلاد الله في أرضه ، أخصبها تربة ، وأعدلها جواً ، وأكثرها خيرات ، وأثراها بالمواد الأولية وبالخامات من كل شيء ..

هذه الرابطة ، تمهد لنا – لو أحسنا الانتفاع بها – سبيل الاكتفاء الذاتي والاستقلال الاقتصادي ، وتنقذنا من هذا التحكم الغربي في التصدير والاستيراد وما إليهما ...

ولا يكلفنا الأمر أكثر من أن نعزم ونقدم ، ونقوّي الصلة ، ونحكم الرابطة ، ونوالي البعثات والدراسات ، ونحاول بكل سبيل إنشاء أسطول تجاري ، ونشيع روح الوحدة والتعاون بيننا وبين أمم العروبة وشعوب الاسلام .

★★★

لقد صبر الشعب المصري صبراً طويلاً على هذه الحياة الجافية القاسية ، وهذا الحرمان العجيب الذي لايصبر عليه آدمي إلا بمعجزة من معجزات الإيمان . ومن نظر الى العامل المصري والفلاح المصري ومن إليهما من عامة الشعب المصري ، أخذه العجب مما يشاهد من فاقة وصبر ..

لقدأخجلني أحد الإخوان الهنود وقد قدم من انجلتراحديثاً، حين عاد من جولة قصيرة في القاهرة ، يقول لي : لقد كنا نظن أن ما تنشره الصحف في انجلترا من سوء حالة الشعب المصري ، وانخفاض مستوى معيشته،مجرد دعاية يراد بها الحط من كرامته، ولكني قضيت هذه الفترة القصيرة في القاهرة وزرت بعضأحياء عامتها فأسفت لما رأيت . فخجلت لقوله هذا ، ولكنني رددت عن نفسي وعن الشعب بقولي له : سل هذه الجرائد التي تنشر ، أليس هذا البؤس من مظالم الاحتلال ؟ .

وتألمت مرة ثانية حين وجه إليّ مدير شركة أجنبي قوله : أأنت راض عن حال هؤلاء العمال المساكين ؟! ولكني رددت عليه أيضاً :أو لست تعلم أن السبب في هذه المسكنة استئثارهذه الشركات وبخلها على هؤلاء العمال بما يوازي ضروريات الحياة ؟ !

إن الأمر جد لا هزل فيه ، وقد بلغ غايته ، ووصل إلى مداه ، ولا بد من علاج حاسم وسريع ، ولن نجده كما قلت إلا في طب الاسلام الحنيف وعلاجه .

فيا دولة رئيس الحكومة ، ويا رؤساء الهيئات والجماعات ويا من يعنيهم أمر الطمأنينة والسلام في هذا الوطن :

تداركوا الأمر بحزم ... وعودوا إلى نظام الاسلام .

ألا قد بلغت ... اللهم فاشهد ..

حسن البنا

الى الشباب

للإمام الشهيد حسن البنا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه .

﴿ قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد . قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب ، قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد ، قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي إنه سميع قريب ﴾ .

« سورة سبأ : ٤٦ – ٥٤ »

أيها الشباب :

أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو وأصلي وأسلم على سيدنا محمد إمام المصلحين وسيد المجاهدين وعلى آله وصحبه والتابعين .

أيها الشباب :

إنما تنجح الفكرة إذا قوي الإيمان بها ، وتوفر الإخلاص في سبيلها ، وازدادت الحماسة لها ، ووجد الاستعداد الذي يحمل على التضحية والعمل لتحقيقها ، وتكاد تكون هذه الأركان الأربعة : الإيمان ، والإخلاص ، والحماسة ، والعمل من خصائص الشباب . لأن أساس الإيمان القلب الذكي ، وأساس الإخلاص الفؤاد النقي ، وأساس الحماسة الشعور القوي ، وأساس العمل العزم الفتي ، وهذه كلها لا تكون إلا للشباب . ومن هنا كان الشباب قديماً وحديثاً في كل أمة عماد نهضتها ، وفي كل نهضة سر قوتها ، وفي كل فكرة حامل رايتها ﴿ إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ﴾ .

ومن هنا كثرت واجباتكم . ومن هنا عظمت تبعاتكم . ومن هنا تضاعفت حقوق أمتكم عليكم . ومن هنا ثقلت الأمانة

في أعناقكم . ومن هنا وجب عليكم أن تفكروا طويلاً . وأن تعملوا كثيراً ، وأن تحددوا موقفكم، وأن تتقدموا للإنقاذ، وأن تعطوا الأمة حقها كاملاً من هذا الشباب .

قد ينشأ الشاب في أمة وادعة هادئة ،قوي سلطانها واستبحر عمرانها ، فينصرف إلى نفسه أكثر مما ينصرف إلى أمته ، ويلهو ويعبث وهو هادىء النفس مرتاح الضمير . وقد ينشأ في أمـــة مجاهدة عاملة قد استولى عليها غيرها ، واستبد بشؤونها خصمها فهي تجاهد ما استطاعت في سبيل استرداد الحق المسلوب، والتراث المغصوب، والحرية الضائعة والأمجاد الرفيعة ، والمثل العالية وحينئذ يكون من أوجب الواجبات على هذا الشاب أن ينصرف إلى أمته أكثر مما ينصرف إلى نفسه. وهو إذ يفعل ذلك يفوز بالخير العاجل في ميدان النصر، والخير الآجل من مثوبة الله . ولعل من حسن حظنا أن كنا من الفريق الثاني فتفتحت أعيننا على أمة دائبة الجهاد مستمرة الكفاح في سبيل الحق والحرية. واستعدوا يا رجال فما أقرب النصر للمؤمنين وما أعظم النجاح للعاملين الدائبين .

أيها الشباب .

لعل من أخطر النواحي في الأمة الناهضة — وهي في فجر نهضتها — اختلاف الدعوات، واختلاط الصيحات، وتعدد المناهج،

وتباين الخطط والطرائق ، وكثرة المتصدين للتزعم والقيادة . وكل ذلك تفريق في الجهود وتوزيع للقوى يتعذر معه الوصول إلى الغايات. ومن هنا كانت دراسة هذه الدعوات والموازنة بينها أمراً أساسياً لا بد منه لمن يريد الإصلاح .

ومن هنا كان من واجبي أن أشرح لكم في وضوح موجز دعوة الإسلام في القرن الهجري الرابع عشر .

دعوة الإخوان المسلمين

أو دعوة الإسلام في القرن الهجري الرابع عشر

يا شباب

لقد آمنا إيماناً لا جدال فيه ولا شك معه ، واعتقدنا عقيدة أثبت من الرواسي وأعمق من خفايا الضمائر ، بأنه ليس هناك إلا فكرة واحدة هي التي تنقذ الدنيا المعذبة وترشد الإنسانية الحائرة وتهدي الناس سواء السبيل ، وهي لذلك تستحق أن يضحى في سبيل إعلانها والتبشير بها وحمل الناس عليها بالأرواح والأموال وكل رخيص وغال ، هذه الفكرة هي (الإسلام الحنيف) الذي لا عوج فيه ولا شر معه ولا ضلال لمن اتبعه :

﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، إن الدين عند الله الإسلام ﴾ .

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ .

ففكرتنا لهذا إسلامية بحتــــة . على الإسلام ترتكز ومنه تستمد وله تجاهد وفي سبيل إعلاء كلمته تعمل . لا تعدل بالإسلام نظاماً ، ولا ترضى سواه إمـــاماً ، ولا تطيع لغيره أحكاماً :

﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ﴾ .

ولقد أتى على الإسلام والمسلمين حـين من الدهر توالت فيه

لحوادث وتتابعت الكوارث ، وعمل خصوم الإسلام على إطفاء رواته وإخفاء بهائه وتضليل أبنائه ، وتعطيل حدوده، وإضعاف جنوده ، وتحريف تعاليمه وأحكامه تارة بالنقص منها ، وأخرى بالزيادة فيها ، وثالثة بتأويلها على غير وجهها،وساعدهم على ذلك ضياع سلطة الإسلام السياسية وتمزيق إمبراطوريته العالمية وتسريح جيوشه المحمدية ووقوع أممه في قبضة أهل الكفر مستذلين مستعمرين

فأول واجباتنا نحن الإخوان أن نبين للناس حدود هذا الإسلام واضحة كاملة بينة لا زيادة فيها ولا نقص بها ولا لبس معها ، وذلك هو الجزء النظري من فكرتنا ، وأن نطالبهم بتحقيقها ونحملهم على إنفاذها ونأخذهم بالعمل بها وذلك هو الجزء العملي في هذه الفكرة .

وعمادنا في ذلك كله كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والسنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ والسيرة المطهرة لسلف هذه الأمة ، لا نبغي من وراء ذلك إلا إرضاء الله وأداء الواجب وهداية البشر وإرشاد الناس .

وسنجاهد في سبيل تحقيق فكرتنا ، وسنكافح لها ما حيينا وسندعوا الناس جميعاً إليها، وسنبذل كل شيء في سبيلها، فنحيا بها كراماً أو نموت كراماً ، وسيكون شعارنا الدائم : الله غايتنا والرسول زعيمنا ، والقرآن دستورنا ، والجهاد سبيلنا ، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا .

أيها الشباب

إن الله قد أعزكم بالنسبة إليه والإيمان به والتنشئة على دينه ، وكتب لكم بذلك مرتبة الصدارة من الدنيا ومنزلة الزعامة من العالمين وكرامة الأستاذ بين تلامذته : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ . ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ﴾ .

فأول ما يدعوكم إليه أن تؤمنوا بأنفسكم ، وأن تعلموا منزلتكم وأن تعتقدوا أنكم سادة الدنيا وإن أراد لكم خصومكم الذله ، وأساتذة العالمين وإن ظهر عليكم غيركم بظاهر من الحياة الدنيا والعاقبة للمتقين .

فحددوا أيها الشباب إيمانكم وحددوا غاياتكم وأهدافكم وأول القوة الإيمان ، ونتيجه هذا الإيمان الوحدة ، وعاقبة الوحدة النصر المؤزر المبين فآمنوا وتآخوا واعملوا وترقبوا بعد ذلك النصر .. وبشر المؤمنين .

إن العالم كله حائر يضطرب وكل ما فيه من النظم قد عجز عن علاجه ولا دواء له إلا الإسلام ، فتقدموا باسم الله لإنقاذه فالجميع في انتظار المنقذ ولن يكون المنقذ إلا رسالة الإسلام التي تحملون مشعلها وتبشرون بها .

أيها الشباب :

إن منهاج الإخوان المسلمين محدود المراحل واضح الخطوات ، فنحن نعلم تماماً ماذا نريد ونعرف الوسيلة إلى تحقيق هذه الإرادة .

١ ـ نريد أولاً الرجل المسلم في تفكيره وعقيدته، وفي خلقه وعاطفته، وفي عمله وتصرفه . فهذا هو تكويننا الفردي .

٢ ـ ونريد بعد ذلك البيت المسلم في تفكيره وعقيدته وفي خلقه وعاطفته وفي عمله وتصرفه ونحن لهـذا نعنى بالمرأة عنايتنا بالرجل، ونعنى بالطفولة عنايتنا بالشباب وهذا هو تكويننا الأسري .

٣ ـ ونريد بعد ذلك الشعب المسلم في ذلك كله أيضاً ونحن لهذا نعمل على أن تصل دعوتنا إلى كل بيت ، وأن يسمع صوتنا في كل مكان ، وأن تتيسر فكرتنـا وتتغلغل في القرى والنجوع والمدن والمراكز والحواضر والأمصار ، لا نألوا في ذلك جهـداً ولا نترك وسيلة .

٤ ـ ونريد بعد ذلك « الحكومـة المسلمة » التي تقود هذا الشعب إلى المسجد ، وتحمل به الناس على هدى الإسلام من بعد كما حملتهم على ذلك بأصحاب رسول الله ﷺ أبي بكر وعمر من قبل . ونحن لهـذا لا نعترف بأي نظام حكومي لا يرتكز على أساس الإسلام ولا يستمد منه، ولا نعترف بهذه الأحزاب السياسية ولا بهذه الأشكال التقليدية التي أرغمنا أهل الكفر وأعداء الإسلام على الحكم بها والعمل عليها، وسنعمل على إحياء نظام الحكم الإسلامي بكل مظاهره، وتكوين الحكومة الإسلامية على أساس هذا النظام

ـ ـ ونريد بعد ذلك أن نضم إلينا كل جزء من وطننا الإسلامي الذي فرقته السياسة الغربية وأضاعت وحدته المطامع الأوربية .

ونحن لهذا لا نعترف بهذه التقسيمات السياسية ولا نسلم بهـــذه الاتفاقات الدولية التي تجعل من الوطن الإسلامي دويلات ضعيفة ممزقة يسهل ابتلاعها على الغاصبين ، ولا نسكت على هضم حرية هذه الشعوب واستبداد غيرها بهـــا ، فمصر وسورية والعراق والحجاز واليمن وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش وكل شبر أرض فيه مسلم يقول: لا إله إلا الله ، كل ذلك وطننا الكبير الذي نسعى لتحريره وإنقاذه وخلاصه وضم أجزائه بعضها إلى بعض.

ولئن كان الرايخ الألماني يفرض نفسه حامياً لكل من يجري في عروقه دم الألمـــان ، فإن العقيدة الإسلامية توجب على كل مسلم قوي أن يعتبر نفسه حامياً لكل من تشربت نفسه تعاليم (القرآن) . فلا يجوز في عرف الإسلام أن يكون العـــامل العنصري أقوى في الرابطة من العامل الإيماني . والعقيدة هي كل شيء في الإسلام وهل الإيمان إلا الحب والبغض ؟.

٦ ـ ونريد بعد ذلك أن تعود راية الله خافقة عالية على تلك البقاع التي سعدت بالإسلام حينـــاً من الدهر ودوى فيها صوت المؤذن بالتكبير والتهليل ، ثم أراد لهـا نكد الطالع أن ينحسر عنها ضياؤها فتعود إلى الكفر بعد الإسلام . فالأندلس وصقلية والبلقان وجنوب إيطاليا وجزائر بحر الروم كلهـــا مستعمرات إسلامية يجب أن تعود إلى أحضان الإسلام ، ويجب أن يعود البحر الأبيض والبحر الأحمر بحيرتين إسلاميتين كما كانتا من قبل

ولئن كان السنيور موسوليني يرى من حقه أن يعيد الأمبراطورية الرومانية ، ومـا تكونت هذه الإمبراطورية المزعومة قديماً إلا على أساس المطامع والأهواء ، فإن من حقنا أن نعيد مجـد الإمبراطورية الإسلامية التي قامت على العدالة والإنصاف ونشر النور والهداية بين الناس .

٧ ـ نريد بعد ذلك ومعه أن نعلن دعوتنا على العالم وان نبلغ الناس جميعاً وأن نعم بها آفاق الأرض وأن تخضع لهـا كل جبار حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

ولكل مرحلة من هذه المراحل خطواتها وفروعها ووسائلها وإنما نجمل هنا القول دون إطالة ولا تفصيل، والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل

ليقل القاصرون الجبناء أن هذا خيال عريق ووهم استولى على نفوس هؤلاء الناس ـــ وذلك هو الضعف الذي لا نعرفـه ولا يعرفه الإسلام . ذلك هو الوهن الذي قذف في قلوب هذه الأمة فمكن لأعدائها فيها . وذلك هو خراب القلب من الإيمـان وهو علة سقوط المسلمين ـــ وإنما نعلن في وضوح وصراحة أن كل مسلم لا يؤمن بهـذا المنهاج ولا يعمل لتحقيقه لا حظ له في الإسلام فليبحث له عن فكرة أخرى يدين بها ويعمل لها .

يا شباب :

لستم أضعف ممن قبلكم ممن حقق الله على أيديهم هـذا المنهاج فلا تهنوا وتضعفوا وضعوا نصب أعينكم قوله تعالى :

﴿ الذين قال لهم الناس : إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ .

سنربي أنفسنا ليكون منا الرجـل المسلم ، وسنربي بيوتنا ليكون منهـا البيت المسلم ، وسنربي شعبنا ليكون منه الشعب المسلم ؛ وسنكون من بين هذا الشعب المسلم ، وسنسير بخطوات ثابتة إلى تمام الشوط وإلى الهدف الذي وضعه الله لنـا لا الذي وضعناه لأنفسنا ، وسنصل بإذن الله وبمعونته ، ويأبى الله إلاأن يتم نوره ولو كره الكافرون .

وقد أعددنا لذلك إيماناً لا يتزعزع ، وعملاً لا يتوقف ، وثقة بالله لا تضعف، وأرواحاً أسعد أيامهايوم تلقى الله شهيدةفي سبيله.

فليكن ذلك من صميم السياسة الداخلية والخـارجية ، فإنما نستمد ذلك من الإسلام ، ونجد بأن هـذا التفريق بين الدين والسياسة ليس من تعاليم الإسلام الحنيف ولا يعرفه المسلمون الصادقون في دينهم الفاهمون لروحه وتعاليمه ، فليهجرنا من يريد تحويلنا عن هذا المنهاج فإنه خصم للإسلام أو جاهل به وليس له سبيل إلا أحد هذين الوضعين .

أيها الشباب :

يخطىء من يظن أن جماعة الإخوان المسلمين (جماعة دراويش) قد حصروا أنفسهم في دائرة ضيقة من العبادات الإسلامية كل همهم صلاة وصوم وذكر وتسبيح فالمسلمون الأولون لم يعرفوا الإسلام بهذه الصورة ، ولم يؤمنوا به على هذا النحو ، ولكنهم آمنوا به عقيدة وعبادة ، ووطناً وجنسية ، وخلقاً ومادة ، وثقافة وقانوناً وسماحة وقوة . واعتقدوه نظاماً كاملاً يفرض نفسه على كل مظاهر الحياة وينظم أمر الدنيا كما ينظم الآخرة . اعتقدوه نظاماً عملياً وروحياً معاً فهو عندهم دين ودولة ، ومصحف وسيف . وهم مع هذا لا يهملون أمر عبادتهم ولا يقصرون في أداء فرائضهم لربهم ، يحاولون إحسان الصلاة ويتلون كتاب الله ، ويذكرون الله تبارك وتعالى على النحو الذي أمر به وفي الحدود التي وضعها لهم ، في غير غلو ولا سرف ، فلا تنطع ولا تعمق ، وهم أعرف بقول رسول الله ﷺ : « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى » ، وهم مع هذا يأخذون من دنياهم بالنصيب الذي لا يضر بآخرتهم ، ويعلمون قول الله تبارك وتعالى : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾ وإن الإخوان ليعلمون أن خير وصف لخير جماعة هو وصف أصحاب رسول الله ﷺ : (رهبان في الليل فرسان في النهار) ، وكذلك يحاولون أن يكونوا والله المستعان

ويخطىء من يظن أن الإخوان المسلمين يتبرمون بالوطن والوطنية ، فالمسلمون أشد الناس إخلاصاً لأوطانهم وتفانياً في خدمة هذه الأوطان واحتراماً لكل من يعمل لها مخلصاً ، وها قد علمت إلى أي حد يذهبون في وطنيتهم وإلى أي عزة يبغون بأمتهم . ولكن الفارق بين المسلمين وبين غيرهم من دعاة الوطنية المجردة أن أساس وطنية المسلمين العقيدة الإسلامية . فهم يعملون لوطن مثل مصر ويجاهدون في سبيله ويفنون في هذا الجهاد لأن مصر من أرض الإسلام وزعيمة أممه ، كما أنهم لا يقفون بهذا الشعور عند حدودها بل يشركون معها فيه كل أرض إسلامية وكل وطن إسلامي ، على حين يقف كل وطني مجرد عند حدود أمته ولا يشعر بفريضة العمل للوطن إلا عن طريق التقليد أو الظهور أو المباهاة أو المنافع ، لا عن طريق الفريضة المنزلة من الله على عباده . وحسبك من وطنية الإخوان المسلمين أنهم يعتقدون عقيدة جازمة لازمة أن التفريط في أي شبر أرض يقطنه مسلم جريمة لا تغتفر حتى يعيدوه أو يهلكوا دون إعادته ولا نجاة لهم من الله إلا بهذا

ويخطىء من يظن أن جماعة المسلمين دعاة كسل أو إهمال ، فالإخوان يعلنون في كل أوقاتهم أن المسلم لا بد أن يكون إماماً في كل شيء ، ولا يرضون بغير القيادة والعمل والجهاد والسبق في كل شيء ، في العلم وفي القوة وفي الصحة وفي المال ، والتأخر في أية ناحية من النواحي ضار بفكرتنا مخالف لتعاليم ديننا ، ونحن مع هذا ننكر على الناس هذه المادية الجارفة التي تجعلهم يريدون أن

يعيشوا لأنفسهم فقط وأن ينصرفوا بمواهبهم وأوقاتهم وجهودهم إلى الأنانية الشخصية ، فلا يعمل أحدهم لغيره شيئاً ولا يعني من أمر أمتــه بشيء ، والنبي ﷺ يقول : (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) ، كما يقول: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء).

ويخطىء من يظن أن جماعة المسلمين دعاة تفريق عنصري بين طبقات الأمة فنحن نعلم أن الإسلام عني أدق العناية باحترام الرابطة الإنسانية العامة بين بني الإنسان في مثل قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ﴾ ، كما أنه جاء لخير الناس جميعاً ورحمة من الله للعالمين. ودين هذه مهمته أبعد الأديان عن تفريق القلوب وإيغار الصدور وبهذا جــــاء القرآن مثبتاً لهذه الوحدة مشيداً بها في مثل قوله تعالى ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾. وقد حرم الإسلام الاعتداء حتى في حالات الغضب والخصومة فقال تعالى «ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، إعدلوا هو أقرب للتقوى » .

وأوصى بالبر والاحسان بين المواطنين وإن اختلفت عقائدهم وأديانهم : «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم » كما أوصى بإنصاف الذميين وحسن معاملتهم : (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) . نعلم كل هذا فلا ندعو إلى فرقة عنصرية، ولا إلى عصبية طائفية. ولكننا إلى جانب هذا لا نشتري هذه الوحدة بإيماننا ولا نساوم في سبيلها على عقيدتنا ولا نهدر من أجلها مصالح المسلمين، وإنما نشتريها بالحق والإنصاف

والعدالة وكفى. فمن حاول غير ذلك أوقفناه عند حده وأبنّا له خطأ ما ذهب إليه : ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين .

ويخطىء من يظن أن الإخوان المسلمين يعملون لحساب هيئة من الهيئات أو يعتمدون على جماعة من الجماعات . فالإخوان المسلمون يعملون لغايتهم على هدى من ربهم ، وهم الاسلام وأبناؤه في كل زمان ومكان ، وينفقون مما رزقهم الله ابتغاء مرضاته ، ويفخرون بأنهم إلى الآن لم يمدوا يدهم إلى أحد ولم يستعينوا بفرد ولا هيئة ولا جماعة .

أيها الشباب :

على هذه القواعد الثابتة وإلى هذه التعاليم السامية ندعوكم جميعاً . فإن آمنتم بفكرتنا ، واتبعتم خطواتنا ، وسلكتم معنا سبيل الإسلام الحنيف ، وتجردتم من كل فكرة سوى ذلك ، ووقفتم لعقيدتكم كل جهودكم فهو الخير لكم في الدنيا والآخرة وسيحقق الله بكم إن شاء الله ما حقق بأسلافكم في العصر الأول ، وسيجد كل عامل صادق منكم في ميدان الإسلام ما يرضي همته ويستغرق نشاطه إذا كان من الصادقين .

وإن أبيتم إلا التذبذب والاضطراب ، والتردد بين الدعوات الحائرة والمناهج الفاشلة ، فإن كتيبة الله ستسير غير عابئة بقلة ولا بكثرة : « وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم » .

حسن البنا

العقائد

للإمام الشهيد حسن البنا

مقـــــدمات

١ — تعريف العقائد

العقائد

العقائد : هى الأمورُ التى يجب أن يُصدِّق بها قلبُك ، وتطمئنّ إليها نفسُك ، وتكون يقينا عندك ، لا يمازجُه ريب ، ولا يخالِطه شك .

٢ — الناس فى درجات الاعتقاد

درجات الاعتقاد

والناس فى قوةِ العقيدة وضعفِها أقسام كثيرة ، بحسب وضوح الأدلة ، وتمكنها من نفوس كل قسم . ولنوضح لك هذا المقام بضرب المثال الآتى :

لو أن رجلا سمع بوجود بلد لم يرَه ، كاليمن مثلا ، من رجل آخرٍ غيرِ معروفٍ بالكذب فإنه يصدق بوجود هذا البلد ويعتقدُه ، فإذا سمع هذا الخبر من عدّةِ رجالٍ زاد به ثقةً ، وإن كان لا يمنعه ذلك من أن يشك فى اعتقاده إذا عرضت له الشُّبُهات ، فإذا رأى صورته الفتوغرافية زاد اعتقادُه بوجودِه ، وأصبح الشك متعسراً عليه أمامَ قوةِ هذا الدليل ، فإذا سافر وبدت له أعلامُه وبشائرُه زاد

إيقانُه وزالَ شكه ، فإذا نزله ورآه رأى العين ، لم يعد هناك مجالٌ للريبة ، ورسخت فى نفسِه هذه العقيدة رسوخاً قويًّا حتى يكون من المستحيل رجوعه عنها ولو أجمع الناس على خلافها ، فإذا سار فى طرقه وشـوارِعه ، ودرسَ شئونَه وأحوالَه ازدَاد به خبرةً ومعرفةً ، وكان ذلك أمراً موضحاً لاعتقاده زائداً عليه .

الناس أمام العقائد

إذا علمت هذا فاعلم أن النـاسَ أمامَ العقائدِ الدينيةِ أقسامٌ كذلك : منهم من تلقاها تلقيناً ، واعتقدها عادة ، وهذا لا يؤمن عليه من أن يتشكك إذا عرضت له الشُّبُهاتِ ؛ ومنهم من نظر وفـكّر فازداد إيمانُه ، وقوى يقينُه ؛ ومنهم من أدام النَّظرَ وأعملَ الفِـكْر ، واستعان بطاعةِ الله تعالى وامتثالِ أمرِه ، وإحسانِ عبادتِهِ ، فأشرقت مصابيحُ الهدايةِ فى قلبه ، فرأى بنور بصيرتِهِ ما أكملَ إيمانَه وأتمَّ يقينَه ، وثبَّت فؤادَه : « والَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ [1] » .

وإنما ضربنا لك هذا المثل لترقى بنفسك عن مواطِنِ التقليدِ فى التوحيدِ ، وتُعْمِلَ الفِـكْرَةَ فى تَفَهُّمِ عقيـدتك ،

---

(١) سورة محمد آية ١٧

ونستعين بطاعةِ مولاكَ فى معرفةِ أصولِ دينِك حتى تصلَ إلى مراتبِ الرجالِ ، وتترقّى فى مدارج الكمال :

قد رشّحوكَ لأمرٍ لو فَطِنْتَ له

فَارْبأْ بنفسِك أن ترعَى مع الهَمَلِ

٣ — تقدير الإسلام للعقل وحثه على التفكير والنظر

تقدير الإسلام للعقل

أساسُ العقائدِ الإسلاميَّة ، ككل الأحكام الشرعية ، كتابُ الله تعالى ، وسنةُ رسولِه صلى الله عليه وسلم .

العقائد وتأييد العقل لها

ويجب أن تعلم ، مع ذلك ، أن كل هذه العقائد يؤيِّدُها العقل ، ويثبتُها النظرُ الصحيحُ ؛ ولهذا شرف الله تعالى العقلَ بالخطابِ ، وجعلَه مناطَ التكليف ، وندبَه إلى البحثِ والنظرِ والتفكيرِ . قال اللهُ تعالى : « قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّموَاتِ والأَرْضِ[1] وما تُغْنِي الآيَاتُ والنُّذُرُ عن قومٍ لا يؤمنونَ[2] » . وقال تعالى : « أفلم يَنْظُرُوا إلى السَّماءِ

---

(١) « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » : أى من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى . « وما تغنى الآيات » : أى الدلالات . « والنذر » : أى الرسل صلوات الله وسلامه عليهم .

(٢) سورة يونس آية ١٠١

فوقهم[1] كيف بنَيْناها ، وزَيَّناها ، ومالَمَا من فُرُوجٍ . والأرضَ مدَدْناها ، وألقَيْنَا فيها رَواسِي ، وأنْبَتْنا فيها من كل زَوْجٍ بَهِيجٍ . تَبْصِرةً وَذِكْرَى لِـكلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ . وَنَزّلْنَا من السّماء مَاءً مباركاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ . وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ . رِزْقًا لِلْعِبادِ وَأَحْيَيْنَا به بلدةً مَيْتًا ، كَذلكَ الْخُرُوجُ[2] » ، وذم الذين لا يتفكرون ولا ينظرون فقال تعالى : « وكأيِّنْ من آيةٍ[3] فى السّمواتِ والأرضِ يمُرُّون عليها وهم عنها مُعْرِضُون[4] » وطالب الخصوم

(١) « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم » : أى نظر اعتبار وتفكر « كيف بنيناها » : أى رفعناها بلا عمد . « وزيناها » بالنجوم « ومالها من فروج » أى شقوق تعيبها « والأرض مددناها » : أى دحوناها « وألقينا فيها رواسى » جبالا تثبتها « من كل زوج » : أى صنف من النبات « بهيج » أى حسن يسر الناظرين « تبصرة » أى فعلنا ذلك تبصيراً منا « وذكرى » تذكيراً « لـكل عبد منيب » رجاع إلى طاعتنا « فأنبتنا به جنات » : أى بساتين « وحب الحصيد » : أى وحب النبت المحصود . « والنخل باسقات » : أى طوالا « لها طلع نضيد » متراكب بعضه فوق بعض « كذلك الخروج » : أى من القبور .

(٢) سورة ق آية ١١ .

(٣) « وكأين من آية » : أى وكم من آية دالة على وحدانية الله تعالى « يمرون عليها » : أى يشاهدونها « وهم عنها معرضون » : أى لا يتفـكرون فيها .

(٤) سورة يوسف آية ١٠٥

بالدليل والبرهان حتى فيما هو ظاهر البطلان ؛ تقديراً للأدلة ، وإظهاراً لشرف الحجة . وقد ورد فى الحديث أن بلالا جاء يُؤْذِنُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم بصلاة الصبح فرآه يبكى فسأله عن سبب بكائه . فقال : « وَيْحَكَ يا بلالُ ! وما يمنعنى أن أبكىَ وقد أنزلَ اللهُ عَلَىَّ فى هذه الليلة « إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِى الْأَلْبَابِ[1] » . ثم قال : « وَيْلٌ لمن قرأها ولم يَتَفَكَّرْ فيها ! » رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب « التفكر » .

ومن هنا تعلم أن الإسلام لم يحجر على الأفكار ولم يحبس العقول ، وإن أرشدها إلى التزام حدِّها ، وعرفها قلّةَ علمها ، وندبها إلى الاستزادة من معارفها ، فقال تعالى : « وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً[2] » ، وقال تعالى : « وَقُلْ رَبِّ زِدْنِى عِلْماً[3] » .

---

(١) «لآيات لأولى الألباب» الذين يستعملون عقولهم فى تأمل الدلائل . قال القر... : ختم تعالى هذه السورة بالأمر بالنظر والاستدلال فى آياته إذ لا تصدر إلا عن حى قيوم قدير قدوس سلام غنى عن العالمين حتى يكون إيمانهم مستند[illegible] [illegible]قين لا إلى التقليد . سورة آل عمران آية ١٩٠

(٢) [illegible] [illegible]اء آية ٨٥

(٣) سورة [illegible] ١١٤

٤ — أقسام العقائد الإسلامية

أقسام العقائد الإسلامية

العقائد الإسلاميةُ تنقسمُ إلى أربعةِ أقسامٍ رئيسيةٍ ، تحت كل قسم منها فروع عِدّة .

القسم الأول : الإلهيات . وتبحث فيما يتعلق بالإله سبحانه وتعالى من حيث صفاته وأسماؤه وأفعاله . ويلحق بها مايستلزمه اعتقادُها من العبد لمولاه .

القسم الثانى : النبوّات . وتبحث فى كل ما يتعلق بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من حيث صفاتهم وعصمتهم ومهمتهم وإلى الحاجة إلى رسالتهم . ويلحق بهذا القسم ما يتعلق بالأولياء رضوانُ الله عليهم، والمعجزةِ والكرامةِ ، والكتبِ السماويةِ .

القسم الثالث : الرُّوحانيَّات . وتبحث فيما يتعلق بالعالَم غير المادى : كالملائكةِ عليهم السلام ، والجن ، والروح .

القسم الرابع : السّمعيَّات . وتبحث فيما يتعلق بالحياةِ البَرْزَخِيَّة ، والحياة الأخروية : كأحوال القبر ، وعلاماتِ القيامةِ ، والبعثِ ، والموقفِ ، والحسابِ ، والجزاء .

القسم الأول ــ الإلهيات

١ ــ ذات الله تبارك وتعالى

ذات الله والعقل البشر

اعلم يا أخى ، هدانا الله وإياك إلى الحق ، أن ذات الله تبارك وتعالى أكبر من أن تحيطَ بها العقــولُ البشريةُ ، أو تدركها الأفكارُ الإنسانيةُ ؛ لأنها مهما بلغت من العلوّ والإدراك محدودة القوةِ ، محصورة القدرةِ . وسنفرد لك بحثاً خاصا إن شاء الله تعالى تعلم منه مبلغ قصور العقل البشرى عن إدراك حقائق الأشياء ، ولـكن يكفى أن أذكرك بما نلمسه الآن من أن عقولنا ، من أكبرها إلى أصغرها ، تنتفع بكثير من الأشياء ولا تعلم حقائقها . فالـكهربا ، والمغناطيس وغيرهما ، قوى نستخدمها وننتفع بها ولا نعلم شيئاً من حقيقتها ، ولا يستطيع أكبرُ عالم الآن أن يفيدك عنها بشىء ؛ على أن معرفةَ حقائق الأشـياء وذواتِها لا يفيدنا بشىء ، ويكفينا أن نعرفَ من خواصها ما يعود بالفائدة علينا .

فإذا كان هذا شأننا فى الأمور التى نلمسها ونحسُّها فما بالك بذات الله تبارك وتعالى ؟ ! وقد ضل أقوام تكلموا فى ذات الله تبارك وتعالى فـكان كلامهم سببا لضلالهم وفتنتِهم واختلافهم

لأنهم يتكلمون فيما لا يدركون تحديدَه ، ولا يقدرون على معرفةِ كُنْهِهِ ؛ ولهذا نهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن التفكر في ذات الله ، وأمر بالتفكر في مخلوقاته .

التفكر في ذات الله

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن قوماً تفكَّروا في الله عز وجل فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « تَفَكَّرُوا فى خَلْقِ اللهِ ، ولا تَتَفَكَّرُوا فى اللهِ ، فإنكم لن تَقْدُرُوا قَدْرَهُ » قال العراقى : رواه أبو نُعَيمٍ فى الحِلْية بإسنادٍ ضعيفٍ ، ورواه الأصبهانى فى الترغيب والترهيب بإسناد أصح منه ، ورواه أبو الشيخ كذلك ، وهو على كل حال صحيح المعنى .

وليس ذلك حجراً على حرية الفكر ، ولا جموداً فى البحث ، ولا تضييقا على العقل ، ولكنه عصمةٌ له من التردى فى مهاوِى الضلالةِ ، وإبعادٌ له عن معالجة أبحاث لم تتوفر له وسائلُ بحثها ، ولا تحتمل قوتُه ، مهما عظمت ، علاجَها . وهذه هى طريقة الصالحين من عباد الله العارفين بعظمةِ ذاتِه ، وجلالِ قدرِه . سئل الشبليُّ[1] رحمه الله تعالى

---

(١) هو أبو بكر دلف بن جحدر الشبلى . قال أبو القاسم القشيرى : بغدادى المولد والمنشأ ، وأصله من أسر وشنة ، صحب الجنيد ومن فى عصره وكان نسيج وحده حالا وظرفا وعلماً ، مالكى المذهب ، عاش سبعاً وثمانين سنة ، ومات سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ، وقبره ببغداد . ولما تاب الشبلى فى مجلس « خير » النساج أتى دماوند وقال : كنت والى بلدكم فاجعلونى فى حل . ومجاهداته فى بدايته فوق الحد .

عن الله تبارك وتعالى فقال : هو الله الواحدُ المعروف ، قبل الحدود وقبل الحروف . وقيل ليحيي بن مُعاذٍ[1] : أخبرنى عن الله عز وجل ؟ فقال : إلهٌ واحدٌ . فقيل له : كيفَ هو؟ فقال: مَلِكٌ قادرٌ . فقيل له : أين هو ؟ فقال : هو بالمِرْصادِ. فقال السائل : لم أسألك عن هذا . فقال : ما كان غير هذا كان صفة المخلوق ، فأما صفته فما أخبرتك عنه . .

فاحصر همتك فى إدراك عظمةِ ربِّك بالتفكرِ فى مخلوقاته والتمسك بلوازم صفاتِه .

٢ — أسماء الله تبارك وتعالى

أسماء الله الحسنى

إن الخالق المتصرف جل وعلا تعرّف إلى خلقه بأسماء وصفات تليق بجلاله ، يحسن بالمؤمن حفظها تبركا بها ، وتلذذاً بذكرها ، وتعظيما لقدرها . وإليك الحديث الصحيح الذى جمعها ، فَنعم المعلِّم حديثُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ونعم المرشِدُ والهادى لسانُ الوحى ، ومشكاةُ النبوّةِ .

---

(١) هو أبو زكريا يحيي بن معاذ الرازى . قال القشيرى : نسيج وحده فى وقته ، له لسان فى الرجاء خصوصاً ، وكلام فى المعرفة ، خرج الى بلخ. وأقام بها مدة ورجع الى نيسابور ، ومات بها سنة ثمان وخمسين ومائتين . قال أحمد بن عيسى : سمعت يحيي بن معاذ يقول : كيف يكون زاهداً من لا ورع له ، تورع عما ليس لك ثم ازهد فيما لك . وقال يحيي : لا ترغ على نفسك بشيء أجل من أن تشغلها فى كل وقت بما هو أولى بها .

عن أبي هريرةَ رضى الله عنه قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : « للهِ تسعةٌ وتسعونَ اسماً مائةٌ إلا واحداً[١] لا يحفظها أحدٌ إلا دخلَ الجنّةَ ، وهو وَتْرٌ[٢] يحبُّ الوتْرَ » رواه البخاريُّ ومسلمٌ . وفى رواية للبخارى « من أحصاها » ورواه التّرمذِيُّ وزاد : هو الله الذى لا إلٰه إلا هو ، الرحمنُ الرحيمُ ، الملِكُ ، القدُّوسُ ، السلامُ ، المؤمِنُ ، المُهَيْمِنُ ، العزيزُ ، الجبّارُ ، المتكبّرُ ، الخالِقُ ، البارىء ، المصوِّرُ ، الغفارُ ، القهّارُ ، الوهّابُ ، الرزّاقُ ، الفتّاحُ ، العليمُ ،

---

(١) قوله صلى الله عليه وسلم « مائة إلا واحدا » قال الحافظ العسقلانى فى شرح البخارى : قال جماعة من العلماء الحكمة فى قوله « مائة إلا واحداً » بعد قوله « تسعة وتسعون » أن يتقرر ذلك فى نفس السامع جمعا بين جهتى الإجمال والتفصيل ، أو دفعا للتصحيف الخطى والسمعى .

(٢) قوله صلى الله عليه وسلم « وهو وتر » : أى أنه تبارك وتعالى الواحد الذى لا نظير له فى ذاته ولا انقسام . وقوله صلى الله عليه وسلم « يحب الوتر » قال القرطبي : الظاهر أن الوتر هنا للجنس ؛ إذ لا معهود جرى ذكره حتى يحمل عليه ، فيكون معناه أنه يحب كل وتر شرعه . ومعنى محبته له أنه أمر به وأثاب عليه ، ويصلح ذلك لعموم ما خلقه وترا من مخلوقاته ، أو معنى محبته له أنه خصصه بذلك لحكمة يعلمها . ويحتمل أن يريد بذلك وترا بعينه وإن لم يجر له ذكر . ثم قال بعد كلام : ويظهر لى وجه آخر وهو أن الوتر يراد به التوحيد ، فيكون المعنى إن الله فى ذاته وكماله وأفعاله ، واحد يحب التوحيد ؛ أى أن يوحد ويعتقد انفراده بالألوهية دون خلقه ، فيلتئم أول الحديث وآخره ، والله أعلم .

القابضُ ، الباسِطُ ، الخافِضُ ، الرافعُ ، المعِزُّ ، المذِلُّ السميعُ ، البصيرُ ، الحكَمُ ، العدلُ ، اللطيفُ ، الخبيرُ ، الحليمُ ، العظيمُ ، الغفورُ ، الشّكورُ ، العليُّ ، الكبيرُ ، الحفيظُ ، المُقيتُ ، الحسِيبُ ، الجليلُ ، الكريمُ ، الرّقيبُ ، المجيبُ ، الواسعُ ، الحكيمُ ، الودُودُ ، المجيدُ ، الباعثُ ، الشَّهيدُ ، الحقُّ ، الوكيلُ ، القويُّ ، المتينُ ، الوليُّ ، الحميدُ ، المحصِي ، المبدِئ ، المُعِيدُ ، المحيِي ، المميتُ الحيُّ ، القيُّومُ ، الواجدُ ، الماجدُ ، الواحِدُ ، الصمدُ ، القادرُ ، المقتدِرُ ، المقدِّمُ ، المؤخِّرُ ، الأوّلُ ، الآخِرُ ، الظاهرُ ، الباطِنُ ، الوالى ، المتعالِى ، البرُّ ، التوابُ ، المنتقِمُ ، العفوُّ ، الرءوفُ ، مالِكُ الملكِ ، ذو الجلالِ والإكرامِ ، المقْسِطُ ، الجامعُ ، الغنيُّ ، المغنِي ، المانِعُ ، الضارُّ ، النافِعُ ، النورُ ، الهادِى ، البديعُ ، الباقى ، الوارثُ ، الرّشِيدُ ، الصبُورُ .

معانى بعض هذه الأسماء الكريمة

معانى أسماء الله

« القدُّوسُ » المطهّرُ من العيوبِ . « السّلامُ » الأمان لخلقِه ، أو هو السالمُ من العيوبِ ، « المؤْمِنُ » المصدِّقُ وعدَه لخلقِه والمؤمِّنُ لهم من عذابِه . « المُهَيمِنُ » المسيطرُ

المتصرِّفُ ، أو الشهيدُ الرقيبُ . « العزيزُ » القاهرُ الغالبُ . « الجبَّارُ » المنفذ لأوامره . « المتكبِّرُ » العالى عن صفات الخلق المتفرِّدُ بصفات عظمتِهِ « البارئ » الخالقُ وهو فى خلق ذى الروح أظهر . يقال : بارئ النَّسَم وخالقُ السموات والأرض . « المُقيتُ » العالمُ العارفُ « الحَسِيبُ » الكافى لخلقِهِ . « المحصِي » هو الذى أحصى كل شىء بعلمِهِ فلا يفوته شىء من الأشياءِ . « البَرُّ » المتعطِّفُ على عباده ببرِّه ولطفِهِ . « المقسِطُ » العادلُ فى حكمه . « الرشيدُ » الذى يُرشِدُ الخلق إلى مصالحهم . « الصبورُ » هو الذى لا يعاجلُ العصاةَ بالانتقامِ منهم .

بحوث تتعلق بأسماء الله الحسنى

١ — الأسماء الزائدة عن التسعة والتسعين

أسماء الله كثيرة

هذه التسعة والتسعون ليست كل ما ورد فى أسماء الله تبارك وتعالى ، بل وردت الأحاديث بغيرها من الأسماء . فقد ورد فى هذا الحديث من رواية أخرى « الحنَّانُ » « المنان » « البديع » ، وورد كذلك من أسمائه تعالى « المُغيثُ » ، و « الـكفيلُ » ، و « ذو الطَّوْل » ، و « ذو المعارِج » و « ذو الفضْلِ » ، و « الخلاقُ » .

قال أبو بكر بنُ العربىِّ فى شرح الترمذىِّ حاكيا عن بعضِ أهل العلم : إنه جمع من الـكتاب والسنة من أسمائه تعالى ألف اسم . وفى كلام صاحب « القَصد المجرَّد » ما يفيد ذلك ، وأشار إلى ذلك الشوكانى فى « تحفـة الذاكرين » ثم قال : وأنهضُ ما ورد فى إحصائها الحديثُ المذكور وفيه الـكفاية .

٢ — الأحاديث التى وردت فيها ألفاظ على أنها أسماء لله تعالى على المجاز .

أسماء الله مجازية

ثم اعلم أن بعضَ الأحاديثِ وردتْ فيها ألفاظ على أنها أسماء لله تعـالى ، ولـكن قرائن الحالِ وأصل الوضع

يدل على غير ذلك ، فاعلم أن ذلك من قبيل المجاز لا الحقيقة ، ومن قبيل تسمية الشيء باسم غيره لعلاقة بينهما أو على تقدير بعض المحذوفات . مثال ذلك الحديث الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لاَ تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ » رواه مسلم ، وحديث عائشة رضى الله عنها : « دَعُوهُ يَئِن فَإِنَّ الْأَنِينَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى يَرْتَاحُ إِلَيْهِ الْمَرِيضُ » ذكره الجلالُ السيوطىُّ فى الجامع الصغير عن الرافعى وحسّنه ، وليس هو من رواية مسلم ، ولا من حديث أبى هريرة كما يخطىء بعض الناس ، ومنه ما ورد فى إطلاق اسم رمضان على الحق تبارك وتعالى فى بعض الآثار .

فكل هذه لا يراد منها ظواهرُها وحقيقةُ الإطلاق ، بل المقصودُ فى الأول مثلا : فإن الله هو المسبب لحوادث الدهر فلا يصح أن ينسب إلى الدهر شيء ولا أن يسب ويذم[1] ؛ وفى الثانى : فإن الأنين أثر قهر الله تعالى يرتاح إليه المريض وهكذا فى المعانى التى تدل عليها قرائن الأحوال .

---

(١) وقال النووى فى شرح مسلم : أى لاتسبوا فاعل النوازل فإنكم إذا سببتم فاعلها وقع السب على الله تعالى لأنه هو فاعلها ومنزلها ، وأما الدهر الذى هو الزمان فلا فعل له ، بل هو مخلوق من جملة خلق الله تعالى .

٣ — التوقيف فى أسماء الله تعالى وصفاته

التوقيف فى أسماء الله

واعلم أن جمهورَ المسلمين على أنه لا يصح أن نطلق على الله تبارك وتعالى اسماً أو وصفاً لم يرد به الشرعُ ، بقصد اتخاذه اسما له تعالى و إن كان يُشعر بالكمال . فلا يصح أن نقولَ : مهندسُ الكون الأعظم ، ولا أن نقولَ مثلا : المديرُ العام لشئونِ الخلقِ ، على أن تكون هذه أسماء أو صفاتٍ له تعالى يصطلح عليها ، ويتفق على إطلاقها عليه تعالى ، ولكنها إن جاءت فى عرضِ الكلام لبيانِ تصرفه تعالى من باب التقريب للأفهام فلا بأس ، والأولى العدولُ عن ذلك تأدباً مع الحق تبارك وتعالى .

٤ — العلمية والوصفية فى هذه الأسماء

العلمية والوصفية فى أسماء الله

وهذه الأسماء المتقدمةُ منها علَم واحد وُضع للذاتِ القُدْسيةِ وهو لفظ الجلالة : اللهُ ، وباقيها كلها ملاحظ فيها معنى الصفات ؛ ولهذا صح أن تكون أخبارا للفظ الجلالة . وهل هو مشتَقٌ أو غير مشتق ؟ مسألةٌ خلافيةٌ ، لا يترتب عليها أمرٌ عمليٌ ، وحسبنا أنْ نعلمَ أنَّ اسمَ الذاتِ هو هذا الاسم المفرد وبقية الأسماء مشربةٌ بالوصفيةِ ، وفى هذا الكفاية .

٥ — خواص أسماء الله الحسنى

خواص أسماء الله

يذكر البعضُ أنَّ لكلِّ اسمٍ من أسماء الله تعالى خواصَّ وأسراراً تتعلق به على إفاضةٍ فيها أو إيجازٍ ، وقد يتغالى البعضُ فيتجاوزُ هذا القدر إلى زعمٍ أن لكلِّ اسمٍ خادماً رُوحانيًّا يخدم من يواظب على الذكر به ، وهكذا ؛ والذى أعلمُه فى هذا ، وفوقَ كلِّ ذى علمٍ عليمٌ ، أنَّ أسماء الله تعالى ألفاظٌ مشرفةٌ لها فضل على سائر الكلام ، وفيها بركةٌ ، وفى ذكرها ثوابٌ عظيمٌ ، وأن الإنسان إذا واظب على ذكر الله تعالى طهرت نفسُه ، وصفت روحُه ، ولا سيما إذا كان ذكره بحضورِ قلبٍ وفهمٍ للمعنَى . أما ما زاد على ذلك فلم يرد فى كتاب ولا سنة ، وقد نهينا عن الغلوّ فى دين الله تعالى ، والزيادةِ فيه ، وحسبنا الاقتصارُ على ماورد .

٦ — اسم الله الأعظم

اسم الله الأعظم

ورد ذكر اسمِ اللهِ الأعظمِ فى أحاديث كثيرة ؛ منها :

١ — عن بريدةَ رضى الله عنه قال : سمعَ النبيُّ صلى الله عليه وسلّم رجلا يدعو وهو يقولُ : اللّهمَّ إنى أسألُك بأنّى أشهدُ أنك أنتَ اللهُ لا إلهَ إلا أنتَ ، الأحدُ

الصَّمَدُ[(١)] الذى لم يلِد ولم يولَد ، ولم يكن له كُفُوًا أحدٌ قالَ : فقالَ : « والذى نفسى بيدِه لقد سأل اللهَ باسمِه الأعظمِ[(٢)] ، الذى إذا دُعِىَ به أجابَ ، وإذا سُئِلَ به أعطَى » رواه أبو داودَ والتِّرمذىُّ والنَّسائىُّ وابن ماجَهْ .
وقال المنذِرىُّ : قال شيخنا أبو الحسن المقْدسىُّ : هو إسنادٌ لا مطعن فيه ، ولا أعلمُ أنه روى فى هـذا الباب حديثٌ أجودُ إسناداً منه . وقال الحافظُ ابنُ حجر : هذا الحديث أرجحُ ماورد فى هـذا الباب من حيث السند .

٢ — عن أنسِ بن مالكٍ رضى الله عنه قال : دخلَ النَّبىُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم المسجدَ ورجلٌ قد صلَّى[(٣)] وهو يدعو ويقول فى دعائِه : اللّهُمَّ لا إله إلا اللهُ ، أنتَ المنَّانُ ،

---

(١) « الصمد » : أى المقصود فى الحوائج . « ولم يكن له كفوًا أحد » : أى ولم يكن له أحد مكافئاً ومماثلا .

(٢) « لقد سأل الله باسمه الأعظم » قال الطيبى : فيه دلالة على أن لله تعالى اسما أعظم إذا دعى به أجاب ، وأن ذلك مذكور ههنا ، وفيه حجة على من قال : كل اسم ذكر بإخلاص تام مع الإعراض عما سواه هو الاسم الاعظم ؛ إذ لا شرف للحروف ، وقد ذكر فى أحاديث أخر مثل ذلك وفيها أسماء ليست فى هذا الحديث إلا أن لفظ الله مذكور فى الكل فيستدل بذلك على أنه الاسم الأعظم .

(٣) « دخل النبى صلى الله عليه وسلم المسجد ورجل قد صلى » قال النووى قال الخطيب هذا الرجل أبو عياش زيد بن الصامت الأنصارى الزرقى

بديع السّموات والأرض ، ذا الجلال والإكرام[1] . فقال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم : « أتدرون بم دعا اللهَ ؟ دعا اللهَ باسمه الأعظم الذى إذا دُعِىَ به أجابَ ، وإذا سُئلَ به أعطَى » رواه أبو داودَ والتِّرمذىُّ والنَّسائىُّ وابن ماجَهْ .

٣ — عن أسماء بنت يزيدَ رضى الله عنها أن النبىَّ صلى الله عليه وسلم قال : اسمُ اللهِ الأعظمُ فى هاتين الآيتين « وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لاَ إِلَٰهَ إلاَّ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ . وفاتحة آلِ عمران : الم اللهُ لاَ إِلَٰهَ إلاَّ إلا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ » رواه أحمد وأبو داودَ والترمذىُّ وابنُ ماجَهْ . وقال الترمذىُّ : حديثٌ حسنٌ صحيحٌ .

٤ — عن سعدِ بن مالكٍ رضى الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « هل أدلكم على اسمِ اللهِ الأعظمِ ، الذى إذا دُعِىَ به أجابَ ، وإذا سُئِلَ به أعطَى ؟ الدعوةُ التى دعا بها يونُسُ حيث نادَى فى الظلماتِ الثلاثِ : لاَ إِلَٰهَ إلاَّ أَنْتَ ، سُبْحَانَكَ ! إنِّى كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ » . فقالَ رجلٌ : يا رسولَ اللهِ هل كانتْ ليونُسَ

---

(١) «ذا الجلال والإكرام» : أى ياذا العظمة والكبرياء ، وذا الإكرام لأوليائك .

(٢) «فى الظلمات الثلاث» ظلمة الليل ، وظلمة بطن الحوت ، وظلمة البحر .

خاصة أم للمؤمنين عامةً ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « ألاَ تسمعُ قولَ اللهِ عزَّ وجلَّ : « فَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ » رواه الحاكم .

فأنت ترَى من هذه الأحاديثِ ومن غيرها أنها لم تعيِّن الاسمَ الأعظمَ بالذاتِ ، وأنَّ العلماء مختلفون فى تعيينه لاختلافهم فى ترجيح الأحاديث بعضها على بعض ، حتى اختلفوا على نحو الأربعين قولا . والذى نأخذُه من هذه الأحاديث الشريفة ، ومن أقوالِ الثِّقاتِ من رجالِ الملّة أن الاسمَ الأعظمَ دعاءٌ مركبٌ من عدة أسماء من أسمائه تعالى إذا دعا به الإنسانُ ، مع توفر شروط الدعاء المطلوبة شرعا استجاب الله له ، وقد صرحت به الأحاديثُ الشريفةُ فى عِدّة مواضع .

وإذا تقرر هذا فما يدّعيه بعضُ الناس من أنه سرٌّ من الأسرارِ يمنح لبعض الأفراد ، فيفتحون به المغلّقات ، ويخرقون به العادات ، ويكونُ لهم به من الخواص ما ليس لغيرهم من الناس ، أمرٌ زائدٌ على ما ورد عن الله ورسوله . وإذا احتج هؤلاء البعض بالآيةِ الكريمة وهى قوله تعالى « قالَ الّذى عنده

علم من الكتابِ أنا آتيك به قبل أن يرتدَّ إليك طرفُك[1] على القول بأن معنى : « عِنْدَه علمٌ من الكتابِ » أنه اسمُ اللهِ الأعظمُ ، نقول لهم : قد صرح المفسِّرون بأن ذلك المدعوّ به كان : يا حَيُّ يا قَيُّومُ ، أو : اللهُ لا إلَهَ إلاَّ هو الحَيُّ القَيُّومُ . وادعى بعضُهم أنه سريانى لفظه (آهيا شراهيا) ، وهى دعوَى بغير دليلٍ ، فلم يخرج الأمرُ عما ورد فى الأحاديثِ الصحيحةِ .

وخلاصةُ البحثِ أن بعضَ الناسِ ولعوا بالمعمَّيات ، وادعاء الخصوصياتِ ، والزيادةِ فى المأثوراتِ ، فقالوا مالم يرد فى كتابٍ ولا سنةٍ ، وقد نهينا عن ذلك نهيا شديداً ، فلنقف مع المأثور .

---

(١) سورة النمل آية ٤٠

صفات الله تعالى

١ — صفات الله تبارك وتعالى فى نظر العقل السليم

صفات الله فى نظر العقل

أنت إذا نظرتَ إلى هذا الكون وما فيه من بدائع الحِكم ، وغرائبِ المخلوق ودقيقِ الصُّنع ، وكبيرِ الإحكام ، مع العظمةِ والاتساع ، والتناسقِ والإبداع ، والتجدّدِ والاختراع ؛ ورأيتَ هذه السماء الصافيةَ بكواكبها وأفلاكها وشموسها وأقمارها ومداراتها ؛ ورأيت هذه الأرضَ بنبَاتها وخيراتِها ومعادِنها وكنوزِها وعناصرِها وموادِّها ، ورأيتَ عالَم الحيوانِ وما فيه من غريبِ الهداية والإلهام ؛ بل لو رأيتَ تركيبَ الإنسانِ وما احتواه من أجهزةٍ كثيرةٍ ، كلّ يقومُ بعملِه ، ويؤدى وظيفتَه ، ورأيتَ عالم البحارِ وما فيه من عجائبَ وغرائب ، وعرفتَ القُوَى الكونيةَ وما فيها من حكم وأسرارٍ من كهرباء ، ومغناطيس وأثير ، وراديوم ، ثم انتقلتَ من النظر إلى ذواتِ العالَم وأوصافها ، إلى الروابط والصِّلاتِ فيما بينها ، وكيفَ أنّ كلا منها يتصلُ بالآخرِ اتصالا محكما وثيقاً بحيث يتألفُ من مجموعها وحدة كونية كلّ جزء منها يخدم الأجزاء الأخرى كما يخدم العضوُ فى الجسم الواحدِ بقيةَ الأعضاء ، لخرجت من كلّ ذلك ، من غيرِ أن يأتيك دليلٌ أو برهانٌ ، أو

وحيٌ أو قرآنٌ ، بهذه العقيدةِ النظريةِ السهلةِ وهي : أن لهذا الـكونِ خالقاً صانعاً مُوجداً ، وأن هذا الصانعَ لابد أن يكونَ عظيماً فوق ما يتصورُ العقلُ البشريُّ الضعيفُ من العظمةِ ، وقادراً فوقَ ما يفهم الإنسانُ من معانى القدرةِ ، وحيًّا بأكملِ معانى الحياةِ ، وأنه مستغنٍ عن كلِّ هذه المخلوقات ؛ لأنه كان قبل أن تـكون ، وعليماً بأوسع حدودِ العلم ، وأنه فوق نواميس هذا الـكونِ لأنه واضعها ، وأنه قبل هذه الموجودات لأنه خالقُها ، وبعدَها لأنه الذى سيحكم عليها بالعدم ؛ وإجمالا ستري نفسَك مملوءاً بالعقيدةِ بأن صانعَ هـذا الـكون ومدبِّرَه : متصفٌ بكلِّ صفاتِ الـكمالِ فوق ما يتصورُها العقلُ البشريُّ الصغيرُ ، ومنزَّهٌ عن كلِّ صفاتِ النقصِ ؛ وسـترى هذه العقيدةَ وحْيَ وُجْدانِك لوجدانك ، وشعورَ نفسـك لنفسـك : « فِطْرَةَ اللهِ التى فطرَ النَّاسَ عليها لا تَبْدِيلَ لخلقِ اللهِ ذلك الدِّينُ القيِّمُ [1] » .

ونسوقُ إليكَ بعد هذه المقدمةِ بعضَ غرائبِ الحوادثِ فى هذا الـكون ، وسترى أنها ، على قلتها ، بالنسبةِ لعظمةِ الـكونِ وما فيه من دِقَّةٍ وإحكامٍ ، ستكون كافية لأن تشعر فى نفسك بما قدَّمتُ لك .

---

(١) سورة الروم آية ٣٠

الملاحظةُ الأولى : هـذا الهواء الذى نستنشقه مركبٌ من عدةِ عناصرَ ، منها جزءان هامان : جزء صالح لتنفس الإنسان ويُسمَّى باصطلاح السيكميائيين الأوكسجين ، وجزء ضار به ويُسمَّى السكربون . فمن دقائق الارتباط بين وحدات هذا الوجودِ المعجز أن هـذا الجزء الضار بالإنسان يتنفسُه النباتُ وهو نافع له ، ففى الوقت الذى يكون الإنسانُ فيه يستنشقُ الأوكسجين ويطردُ السكر ون يكون النباتُ يعملُ عكسَ هذه العملية ، فيستنشقُ السكربون ويطرد الأوكسجين .

فانظر إلى الرابطةِ التعاونيـةِ بين الإنسان والنبات فى شيء هو أهم عناصرِ الحياة عندهما ، وهو التنفس ، وقل لى ، بعد ذلك ، هل يفعل هذا فى الـكون العظيمِ غيرُ عظيمٍ قادرٍ واسعِ العلمِ ، دقيق الحـكمةِ ؟ .

الملاحظة الثانية : أنتَ تأكلُ الطعامَ وهو يتركبُ من عدةِ عناصرَ نباتية أو حيوانية ، يقسمُها العلماءُ إلى مواد زُلاليةٍ ، أو نشَوِيَّةٍ ، أو دُهنيَّةٍ مثلا ، فترى أن الريقَ يهضمُ بعضَ المواد النّشويةِ ، ويذيبُ المواد السكريةَ ونحوَها مما يقبلُ الذوبانَ ، والمعدةَ يهضمُ عصيرُها المواد

الزُّلالية كاللحم وغيره ، والصفراء المنفرزة من الكبد تهضمُ الدّهنيات ، وتجزئها إلى أجزاء دقيقة يمكن امتصاصُها ، ثم يأتى البنكرياسُ بعد ذلك فيفرزُ أربعَ عصارات تتولى كل واحدة منها تتميم الهضم فى عنصر من العناصر الثلاثةِ النشوية ، أو الزلاليةِ ، أو الدهنيةِ ، والرابعةُ تحول اللبن إلى جبن . فتأمل هذا الارتباطَ العجيبَ بين عناصر الجسم البشريِّ ، وعناصر النبات والحيوان والأغذيةِ التى يتغذى بها الإنسانُ ! .

الملاحظة الثالثة : ترى الزهرةَ فى النبات فترى لها أوراقاً جميلةً جذّابةً ملونةً بألوانٍ بهجةٍ ، فإذا سألت علماء النبات عن الحكمة فى ذلك ، أجابوك بأن هذا إغواء للنحل وأشباهه من المخلوقات التى تمتص رحيقَ الأزهارِ لتسقط على الزهرة ؛ حتى إذا وقفت على عيدانها علقت حبوب اللقاح بأرجلها ، وانتقلت بذلك من الزهرة الذّكَر إلى الزهرةِ الأنثى فيتم التلقيح . فانظر كيف جعلت هذه الأوراقُ الجميلةُ فى الزهرة حلقة اتصال بين النبات والحيوان حتى يستخدم النباتُ الحيوانَ فى عملية التلقيح الضروريةِ للإثمار والإنتاج ! .

كل ما فى الكون ينبئك بوجودِ حكمةٍ عاليةٍ ، وإرادةٍ سامية ، وسيطرةٍ قويةٍ ، ونواميسَ فى غايةِ الدِّقةِ والإحكام يسير عليها هذا الوجود . وربُّ هذهِ الحكمةِ ، وصاحبُ هذه العظمةِ ، وواضعُ هذه النواميس هو : الله .

وقد أفاضَ القرآنُ فى ذلك ، وفى لفتِ الأنظارِ إلى هذه الحكمِ البارعةِ ، والأسرارِ العاليةِ ، فلا تكاد تخلو سورةٌ من سورهِ من ذكر آلاء الله ونعمه ، ومظاهرِ قدرته وحكمتهِ ، وحثِّ الناسِ على تجديدِ النظرِ فى ذلك ، ودوامِ التفكرِ فيه .

قال تعالى : « وَمِنْ آياتهِ[1] أَنْ خلقكُمْ من ترابٍ ، ثمَّ إذا أنتمْ بشرٌ تنتشرونَ . ومنْ آياتهِ أنْ خلقَ لكُمْ من أنفسكُمْ أزْواجاً لِتسكنُوا إليهاَ وَجعلَ بينكُمْ مودةً ورَحمةً ؛ إنَّ فى ذلكَ لآياتٍ لقومٍ يتفكَّرُونَ . ومنْ آياتهِ خلقُ السمواتِ والأرضِ ، واختلافُ ألسنتِكمْ وألوانكُمْ[2] ؛

(١) « ومن آياته » : أى ومن آيات الله تبارك وتعالى الدالة على قدرته . « ثم إذا أنتم بشر تنتشرون » : أى تنتشرون فى الأرض تتصرفون فيما هو قوام معايشكم .

(٢) « واختلاف ألسنتكم وألوانكم » : أى اختلاف لغاتكم من عربية وعجمية وغيرها ، واختلاف ألوانكم من بياض وسواد وغيرهما وأنتم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة .

إنَّ فِي ذَلكَ لآياتٍ لِلعالِمِينَ[1] . ومِنْ آياتِهِ منامكم بالليلِ والنهارِ ، وابتغاؤكم منْ فَضلِهِ[2] ؛ إنَّ في ذلك لآياتٍ لِقومٍ يسمعونَ . ومنْ آياتِهِ يرِيكمُ البَرْقَ خوْفاً وَطمعاً[3] ؛ ويُنزِّلُ منَ السماءِ ماءً فيُحيي بهِ الأرضَ بعدَ موتِها ؛ إنَّ في ذلكَ لآياتٍ لِقوْمٍ يَعقلونَ[4] » .

وقال تعالى : « اللهُ الذى يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُثيرُ سَحاباً[5] فيبسطُه في السَّماءِ كيفَ يشاء ، ويَجعلهُ كِسَفاً ، فترى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ، فإذا أصابَ بِهِ مَنْ يشاء مِنْ عِبادِهِ إذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ . وإنْ كانوا مِنْ قبلِ أنْ يُنزَّلَ عليهم من قبلِهِ لَمُبْلِسِينَ . فانظر إلى آثارِ رحمةِ اللهِ كيفَ

---

(١) « إن فى ذلك لآيات للعالمين » بفتح اللام وكسرها : أى ذوى العقول وأولى العلم .

(٢) « وابتغاؤكم من فضله » : أى تصرفكم فى طلب المعيشة بإرادته « إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون » : أى سماع تدبر واعتبار .

(٣) « ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا » : أى خوفا للمسافر من الصواعق وطمعا للمقيم فى المطر .

(٤) سورة الروم آية ٢٤

(٥) «فتثير سحابا» : أى تزعجه «ويجعله كسفا» : أى قطعاً متفرقة «فترى الودق» :أى المطر . «يخرج من خلاله» : أى من وسطه . « إذاهم يستبشرون » : أى يفرحون بنزول المطر عليهم . « وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين » : أى ليائسين من نزوله .

يُحْيِي الأرضَ بعدَ مَوْتِها ؛ إنّ ذلكَ لَمحيي الموتَى ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ[1] » .

وغيرُ ذلك كثيرٌ في سورةِ الرَّعْدِ ، والقَصَصِ ، والأنبياء ، والنملِ ، وقَ ، وغيرها من سورِ القرآنِ الكريم .

٢ — مجمل صفات الله في القرآن .

صفات الله في القرآن

أشارت آياتُ القرآنِ الكريم إلى بعضِ الصفاتِ الواجبةِ للهِ تعالى ، والتي يقتضِيها كمالُ الألوهيةِ . وإليك بعضَ هذهِ الآياتِ الكريمةِ :

وجود الله تعالى

١ — قال الله تعالى : « اللهُ الذى رفعَ السمواتِ بغيرِ عَمَدٍ تَرَوْنها ، ثُمَّ استوَى على العرشِ ، وسَخَّرَ الشمسَ والقمرَ كلٌّ يجرِي لِأجَلٍ مسمًّى ، يُدَبِّرُ الأمْرَ يُفصِّلُ الآياتِ لعلَّكُمْ بِلِقاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ . وهُوَ الذى مدَّ الأرْضَ[2] ، وَجعلَ فِيها رَوَاسِيَ ، وَأَنْهارًا ، وَمِنْ كُلِّ الثَّمراتِ جعلَ فِيها زَوْجَيْنِ اثنَيْنِ[3] ، يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ ؛ إنَّ فِي ذَلِكَ لآياتٍ

---

(١) سورة الروم آية ٥٠ .

(٢) « وهو الذى مد الأرض » : أى بسطها طولا وعرضاً . « وجعل فيها رواسى » : أى جبالا ثوابت .

(٣) « جعل فيها زوجين اثنين » : أى من كل نوع « يغشى الليل النهار » : أى يغطى الليل بظلمته النهار .

لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ . وفى الأرضِ قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ ، وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ ، وزرعٌ ، وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ[١] يُسْقَى بماءٍ واحِدٍ ونُفَضِّلُ بعضَها على بعضٍ فى الأُكُلِ[٢] إنَّ فى ذلكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ » . وقال تعالى : « وهُوَ الذى أنشأَ لكم السمعَ والأبصارَ والأفئدَةَ قليلاً ما تشكرونَ ، وهو الذى ذرأكُم[٣] فى الأرضِ وإليهِ تُحْشَرُونَ ، وهو الذى يُحْيِي ويُمِيتُ ، ولهُ اختلافُ الليلِ والنَّهارِ أفلا تعقِلونَ ! »[٤] .

فكلُّ هذه الآياتِ تنبِئُكَ بوجودِ الله تبارك وتعالى ، وتستدل عليه بما ترى من تصرُّفاتِهِ فى شئونِ هذا الكونِ العجيب .

قدم الله تعالى وبقاؤه

٣،٢ — قال الله تعالى : « هو الأوَّلُ والآخِرُ[٥] ، والظاهِرُ

---

(١) « ونخيل صنوان وغير صنوان » : جمع صنو وهو : النخلات والنخلتان يجمعهن أصل واحد وتتشعب منه رءوس فتصير نخلا .

(٢) « ونفضل بعضها على بعض فى الأكل » . الأكل: الثمر ، يعنى الحلو والحامض ، وهو من دلائل قدرة الله تعالى . سورة الرعد آية ٤

(٣) « وهو الذى ذرأكم » : أى خلقكم . « واليه تحشرون » : أى تجمعون يوم القيامة للجزاء .

(٤) سورة المؤمنون آية ٨٠

(٥) « هو الأول » : أى قبل كل شيء بلا بداية « والآخر » بعد كل شيء بلانهاية « والظاهر » بالأدلة عليه « والباطن » عن إدراك الحواس .

والباطِنُ ، وهو بكلِّ شيء عليمٌ[١] » وقال تعالى : « ولا تدْعُ مع اللهِ إلهاً آخرَ ، لا إله إلّا هو ، كلُّ شيء هالِكٌ إلّا وجْهَه ، له الحكمُ وإليهِ تُرْجَعونَ[٢] » . وقال تعالى : « كلُّ من عليها فانٍ ، ويبقَى وجْهُ ربِّك ، ذو الجلالِ والإكرامِ[٣] » .

وفى هذه الآياتِ الكريمةِ إشارةٌ إلى صِفَتَي القِدمِ ، والبقاء لله تبارك وتعالى .

مخالفة الله للحوادث

٤ — قال الله تعالى : « قل هو اللهُ أحدٌ ، اللهُ الصَّمدُ[٤] لم يَلِد ولم يُولَد ، ولم يكن له كُفُوًا أحدٌ[٥] » . وقال تعالى : « فاطِرُ السمواتِ والأرضِ[٦] جعلَ لكم من أنفسِكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً ، يذرؤكم فيه ، ليس كمِثْلِه شيءٌ ، وهو السميعُ البصيرُ[٧] » .

---

(١) سورة الحديد آية ٣

(٢) سورة القصص آية ٨٨

(٣) سورة الرحمن آية ٢٧

(٤) « الله الصمد » : أى المقصود فى الحوائج على الدوام .

(٥) « ولم يكن له كفواً أحد » : أى ولم يكن له أحد مكافئاً ومماثلا تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . سورة الإخلاص .

(٦) « فاطر السموات والأرض » : أى خالقهما على غير مثال سبق .
« جعل لكم من أنفسكم أزواجاً » : أى حيث خلق حواء من ضلع آدم .
« ومن الأنعام أزواجا » : أى ذكوراً وإناثا .

(٧) سورة الشورى آية ١١

وفى ذلك إشارة إلى مخالفته تبارك وتعالى للحوادِث من خلقِه ، وتنزُّهِه عن الولد والوالد والشبيه والنظير .

قيام الله تعالى بنفسه

٥ — قال الله تعالى : « يأيها الناسُ أنتم الفقراء إلى اللهِ ، واللهُ هو الغنيُّ الحميدُ[1] » . وقال تعالى : « ما أشْهَدْتُهم خلْقَ السمواتِ والأرضِ ولا خلْقَ أنفسِهم[2] ، وما كنتُ متخذَ المضلِّينَ عَضُدًا[3] » .

وفى ذلك إشارة إلى قيامِه تعالى بنفسه واستغنائه عن خلقِه مع حاجتهم إليه .

وحدانية الله تعالى

٦ — قال الله تعالى : « وقال اللهُ : لاتتَّخِذُوا إلٰهينِ اثنينِ إنما هو إلهٌ واحدٌ ، فإيَّاىَ فارْهَبونِ[4] . وله مافى السمواتِ والأرضِ ، وله الدِّينُ واصِباً[5] ، أفغَيرَ اللهِ تَتَّقون ؟ ! وما بكم من نعمةٍ فمن اللهِ ، ثم إذا مسَّكم الضُّرُّ فإليه

---

(١) سورة فاطر آية ١٥

(٢) « ولاخلق أنفسهم » أى لم أشهد بعضهم خلق بعض . « وما كنت متخذ المضلين عضداً » : أى أعوانا فى الخلق .

(٣) سورة الكهف آية ٥١

(٤) « فإياى فارهبون » : أى خافون دون غيرى .

(٥) « وله الدين واصبا » : أى دائما .

تجأرون[١] » . وقال تعالى : « لقد كفر الذين قالوا : إنّ اللهَ ثالثُ ثلاثةٍ ، وما من إله إلّا إلهٌ واحدٌ ، وإن لم يَنْتَهُوا عما يقولونَ ليمسَّنَّ الذين كفروا منهم عذابٌ أليمٌ . أفلا يتوبونَ إلى اللهِ ويستغفرونَه ؟! واللهُ غفورٌ رحيمٌ[٢] » . وقال تعالى : « أم اتَّخذوا آلهةً من الأرضِ هم يُنْشِرونَ[٣] . لو كان فيهما آلهةٌ إلا اللهُ لفسدتَا ، فسبحانَ اللهِ ربِّ العرشِ عما يصفونَ . لا يُسألُ عما يفعلُ وهم يُسألونَ . أم اتَّخذوا من دونِه آلهةً ؟! قل : هاتوا برهانَكم ! هذا ذِكْرُ مَن مَعِيَ[٤] وذِكرُ مَن قَبلِي ، بل أكثرُهم لا يعلمونَ الحقَّ فهم مُعْرِضونَ . وما أرسلْنا من قبلِك من رسولٍ إلّا نوحِي إليه أنّه لا إله إلا أنا فاعْبُدونِ[٥] » . وقال تعالى : « قل : لِمَن الأرضُ ومَن فيها إن كنتم تعلمونَ ؟ سيقولون : للهِ ،

---

(١) « فإليه تجأرون » : أى ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء ولا تدعون لغيره . سورة النحل آية ٥٣

(٢) سورة المائدة آية ٧٤

(٣) « هم ينشرون » : أى يحيون الموتى ، ولا يكون إلها إلا من يحيي الموتى .

(٤) « هذا ذكر من معى » : أى أمتى وهو القرآن . « وذكر من قبلى » من الأمم وهو التوراة والإنجيل وغيرها من كتب الله تعالى ، ليس فى واحد منها أن مع الله إلها مما قالوا ، تعالى الله عن ذلك .

(٥) سورة الأنبياء آية ٢٥

قل أفلا تذكَّرون ؟! قل : مَن ربُّ السمواتِ السبعِ وربُّ العرشِ العظيمِ ؟! سيقولونَ : لِلهِ . قل : أفلا تتقونَ ؟! قل : مَنْ بيده ملكوتُ كلِّ شيءٍ[1] وهو يُجيرُ ولا يُجارُ عليه إن كنتم تعلمونَ ؟! سيقولون : لِلهِ . قل : فأنَّى تُسْحَرونَ[2] ؟! بل أتيناهم بالحقِّ وإنهم لكاذبونَ . ما اتَّخذَ اللهُ مِن ولَدٍ ، وما كان معه من إلٰهٍ ، إذاً لذهبَ كلُّ إلٰهٍ بما خلقَ[3] ولعلا بعضُهم على بعضٍ ، سبحان اللهِ عما يَصِفونَ . عالِمِ الغيبِ والشهادةِ فتعالَى عما يُشْرِكونَ[4] » . وقال تعالى : « قل : الحمدُ لِلهِ ، وسلامٌ على عبادِهِ الذينَ اصطفَى ، آللهُ خيرٌ أمّا يُشْرِكونَ . أمَّنْ خلقَ السمواتِ والأرض ، وأنزلَ لكم مِن السماء ماء فأنبتنا به حدائقَ ذاتَ بهجةٍ[5] ما كان لكم أن تنْبِتوا شجرَها ، أإلٰهٌ مع اللهِ ؟! بل هم قوم يَعْدِلونَ .

---

(١) « من بيده ملكوت كل شيء » : أي ملك كل شيء والتاء للمبالغة . « وهو يجير ولا يجار عليه » : أي يحمى ولا يحمى عليه .

(٢) « فأنى تسحرون » : أي تخدعون وتصرفون عن الحق وعبادة الله وحده : أي كيف يخيل لكم أنه باطل .

(٣) « إذاً لذهب كل إله بما خلق » : أي انفرد به ومنع الآخر من الاستيلاء عليه « ولعلا بعضهم على بعض » مغالبة كفعل ملوك الدنيا .

(٤) سورة المؤمنون آية ٩٢

(٥) « فأنبتنا به حدائق ذات بهجة » جمع حديقة وهى البستان الذى عليه حائط . والبهجة : الحسن والجمال .

أمَّن جعلَ الأرضَ قَراراً[١] ، وجعلَ خِلَالها أنهاراً ، وجعلَ لهـا رواسِيَ ، وجعلَ بين البحرينِ حاجزاً ، أإلهٌ مع اللهِ ؟ ! بل أكثرُهم لايعلمونَ ، أمّن يُجيبُ المضطَرَّ إذا دعاهُ[٢] ، ويكشِفُ السوء ، ويجعلُكم خُلَفاء الارضِ[٣] ، أإلهٌ مع اللهِ ؟! قليلا ما تذكرونَ . أمن يهديكم فى ظلماتِ البرِ والبحرِ[٤] ، ومَن يُرْسِلُ الرّياحَ بُشْرًا بين يَدَىْ رحمتِهِ[٥] ، أإلهٌ مع اللهِ ؟! تعالى اللهُ عما يشركونَ . أمّن يبدأُ الخلقَ ثم يعيدُه ، ومَن يرزقكُم مِن السماء والأرضِ ، أإلهٌ مع اللهِ ؟ ! قل : هاتوا برهانَكم إن كنتم صادقينَ[٥] » .

إلى غير ذلك من الآياتِ التى تثبتُ أنه تعالى واحدٌ فى ذاتِه ، واحدٌ فى صفاتِه ، واحـدٌ فى أفعالِه وتصرفاتِه ، لارب غيرُه ، ولا إله سواه .

---

(١) « أمن جعل الأرض قراراً » : أى لاتميد بأهلها . « وجعل لها رواسى » : أى جبالا أثبت بها الأرض . « وجعل بين البحرين حاجزاً » : أى بين العذب والملح لايختلط أحدهما بالآخر .

(٢) « أمن يجيب المضطر » : أى المكروب الذى مسه الضر .
« ويجعلكم خلفاء الأرض » : أى سكانها يهلك قوما وينشىء آخرين .

(٣) « أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر » : أى يرشدكم إلى مقاصدكم بالنجوم ليلا وبعلامات الأرض نهاراً .

(٤) « ومن يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته » : أى أمام المطر .

(٥) سورة النمل آية ٦٤

قدرة الله تعالى

٧ — قال الله تعالى : « يأيها الناسُ إن كنتُم فى ريبٍ من البَعْثِ فإنّا خلقناكُم من ترابٍ ثم من نُطْفَةٍ[١] ثم من عَلَقَةٍ ثم من مُضْغَةٍ مخلَّقةٍ وغيرِ مخلَّقةٍ ، لنبيِّنَ لكم ، ونُقِرُّ فى الأرحامِ ما نشاء إلى أجل مُسَمًّى ، ثم نُخرِجُكم طِفلا ، ثم لتبلغوا أشدَّكم ، ومنكم من يُتَوفَّى ، ومنكم مَن يُرَدُّ إلى أرْذَلِ العُمُرِ لكيلا يعلَمَ من بعدِ علمٍ شيئًا ، وترى الأرضَ هامدةً فإذا أنزلْنا عليها الماء اهْتَزَّت ورَبَتْ وأنبتَتْ من كلِّ زوجٍ بهيجٍ ؛ ذلك بأنَّ اللهَ هو الحقُّ ، وأنّه يُحيِي الموتَى ، وأنه على كلِّ شىءٍ قديرٌ ، وأنَّ الساعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها ، وأنَّ اللهَ يبعثُ مَن فى القُبورِ[٢] » .
وقال تعالى : « ما أشهدتُهم خَلْقَ السمواتِ والأرضِ ولا خَلْقَ

---

(١) « فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة » : أى خلقنا آدم عليه السلام من تراب ثم خلقنا ذريته من نطفة من مني « ثم من علقة » أى دم جامد « ثم من مضغة » وهى لحمة قدر ما يمضغ « مخلقة وغير مخلقة » : أى مصورة تامة الخلق وغير تامة الخلق . « ثم لتبلغوا أشدكم » : أى نعمركم لتبلغوا أشدكم ، أى الكمال والقوة وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين سنة . « ومنكم من يرد إلى أرذل العمر » : أى أخسه من الهرم والخرف . « وترى الأرض هامدة » : أى يابسة لا تنبت شيئا . « فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت » : أى تحركت وارتفعت وزادت . « وأنبتت من كل زوج بهيج » : أى من كل صنف حسن .
(٢) سورة الحج آية ٧

أنفسهم ، وما كنتُ مُتَّخِذَ المضلّين عَضُدًا[١] » . وقال تعالى : « ولقد خلقنا السموات والأرضَ وما بينهما فى ستةِ أيامٍ ، وما مَسَّنا من لُغُوبٍ[٢] » . وقال تعالى : « وهو الذى مَرَجَ البحرَيْنِ[٣] هذا عذبٌ فُراتٌ ، وهذا مِلحٌ أُجاجٌ ، وجعلَ بينهما برزخاً وحِجْرًا محجوراً . وهو الذى خلق من الماءِ بشراً فجعله نَسَباً وصِهْرًا وكان ربُّك قديراً[٤] » . وقال تعالى : « ألم ترَ أن اللهَ يُزْجِى سحاباً[٥] ثم يؤلِّف بينَه ، ثم يجعلُه رُكاماً فترى الوَدْقَ يخرجُ من خِلالِه ، ويُنَزِّلُ من السماءِ من جبالٍ فيها من بَرَدٍ فيصيبُ به مَن يشاء

(١) سورة الكهف آية ٥١

(٢) « وما مسنا من لغوب » : أى تعب . سورة ق آية ٣٨

(٣) « وهو الذى مرج البحرين » : أى أرسلهما متجاورين . « هذا عذب فرات » : أى حلو شديد العذوبة . « وهذا ملح أجاج » أى شديد الملوحة . « وجعل بينهما برزخا » : أى حاجزاً لايختلط أحدهما بالآخر . « وحجراً محجوراً » : أى ستراً مستوراً يمنع أحدهما من الاختلاط بالآخر . « وهو الذى خلق من الماء بشراً » : أى خلق من النطفة إنسانا . قال القرطبي : وفى هذه الآية تعديد النعمة على الناس فى إيجادهم بعد العدم ، والتنبيه على العبرة فى ذلك .

(٤) سورة الفرقان آية ٥٤

(٥) « ألم تر أن الله يزجي سحابا » : أى يسوقه . « ثم يؤلف بينه » : أى يجمعه ليقوى ويتصل ويكثف . « ثم يجعله ركاما » : أى مجتمعا يركب بعضه بعضا . « فترى الودق » : أى المطر .

ويصرفه عن مَن يشاء يكادُ سنابرْقه[(١)] يذهبُ بالأبصارِ ، يقلِّبُ اللهُ الليلَ والنهارَ ، إنّ في ذلك لعبرةً لأولِي الأبصارِ . واللهُ خلق كلَّ دابةٍ من ماء فنهم من يمشِي على بطنِه ، ومنهم من يمشِي على رجلَيْن ، ومنهم من يمشِي على أربعٍ ، يخلقُ اللهُ ما يشاء ؛ إنّ اللهَ على كلِّ شيء قديرٌ[(٢)] » .

إلى غير ذلك من الآياتِ الدالةِ على عظيمِ قدرتِه تبارك وتعالى وباهرِ عظمتِه .

إرادة الله تعالى

٨ — قال الله تعالى : « إنما أمرُهُ إذا أرادَ شيئاً أنْ يقولَ لَهُ كُنْ فيكونُ »[(٣)] وقال تعالى : « وإذا أردنا أنْ نُهْلِكَ قريةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيها[(٤)] ففَسَقوا فيها فحَقَّ عليها القولُ فدَمَّرْناها تدميرا[(٥)] » . وقال تعالى حكايةً عن الخضِر في قصَّتِه مع

(١) « يكاد سنا برقه » : أي لمعان برقه « يذهب بالأبصار » الناظرة إليه : أي يخطفها « يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة » : أي دلالة « لأولي الأبصار » : أي لأصحاب البصائر على قدرة الله تعالى .

(٢) سورة النور آية ٤٥

(٣) سورة يس آية ٨٢

(٤) « أمرنا مترفيها » : أي منعميها بمعنى رؤسائها أي أمرناهم بالطاعة على لسان رسلنا . « فحق عليها القول » : أي بالعذاب « فدمرناها تدميراً » : أي أهلكناها بإهلاك أهلها وتخريبها .

(٥) سورة الإسراء آية ١٦

موسى عليهما السلام : « فأَرَادَ رَبُّكَ أن يبلغا أَشُدَّهُما [١] ويستخرجا كَنْزَهُما رحمةً من ربِّكَ ، وما فعلتُهُ عن أمرى ، ذلكَ تأويلُ ما لم تَسْطِعْ عليهِ صبرًا » [٢] . وقال تعالى : « يريدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لكم [٣] ، وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قبلكم ، ويتوبَ عليكم ، واللهُ عليمٌ حكيمٌ . واللهُ يريدُ أن يتوبَ عليكم ويريدُ الذينَ يتَّبعون الشهواتِ أنْ تميلوا ميلاً عظيما . يريدُ اللهُ أنْ يُخَفِّفَ عنكم وَخُلِقَ الإنسانُ ضعيفا » [٤] .

إلى غير ذلك من الآياتِ الكريمةِ التى تشيرُ إلى إثباتِ إرادةِ الله تعالى وأنها فوقَ كلِّ إرادةٍ ومشيئةٍ . « وَمَا تشاءونَ إلاَّ أَنْ يشاء اللهُ [٥] ».

علم الله تعالى

٩ — قال الله تعالى : « الحمدُ للهِ الذى لهُ ما فى السمواتِ وما فى الأرضِ ولهُ الحمدُ فى الآخرةِ وهوَ الحكيمُ الخبيرُ .

---

(١) « فأراد ربك أن يبلغا أشدهما » : أى إيناس رشدهما . « ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبراً » : أى تطق صبراً عليه .

(٢) سورة الكهف آية ٨٢

(٣) « يريد الله ليبين لكم » : أى شرائع دينكم ومصالح أمركم . « ويهديكم سنن الذين من قبلكم » : أى طرائق الذين من قبلكم من الأنبياء فى التحليل والتحريم فتتبعوهم .

(٤) سورة النساء آية ٢٦

(٥) سورة الدهر آية ٢٠

يعلمُ ما يَلِجُ فى الأرضِ[1] ، وما يخرجُ منها ، وما ينزِلُ مِنَ السماء وما يعرُجُ فيها ، وهو الرحيمُ الغفورُ » . وقال تعالى : « يعلمُ ما فى السمواتِ والأرضِ ويعلمُ ما تُسِرُّونَ وما تُعْلِنُونَ واللهُ عليمٌ بذاتِ الصُّدورِ »[2] . وقال تعالى حكاية عن لُقْمَان فى وصيتِهِ لابنه : « يا بُنَيَّ إِنَّها إنْ تَكُ مِثْقالَ حبَّةٍ من خَرْدَلٍ فتَكُنْ فى صخرةٍ أَوْ فِي السمواتِ أو فى الأرضِ يأْتِ بها اللهُ ، إنَّ اللهَ لطيفٌ خَبِير »[3] .

وقال تعالى فى حكاية ما وقع بين شُعَيْبٍ وقومِهِ : « قال الملأ الذين استكبروا من قومِهِ : لَنُخْرِجَنَّكَ ياشُعَيْبُ والذين آمنوا معكَ من قريتنا أو لتعودُنَّ فى مِلَّتِنَا . قال أَوَ لَوْ كُنَّا كارهينَ ! قد افْتَرَيْنَا عَلَى اللهِ كَذِبًا إنْ عُدْنا فِي مِلَّتِكُمْ بعدَ إذْ نَجَّانَا اللهُ مِنها ، وما يكونُ لنا أن نعودَ فيها إلا أن يشاء اللهُ رَبُّنَا ، وَسِعَ رَبُّنَا كلَّ شيء عِلما ، عَلَى اللهِ توكلنا

---

(١) « يعلم مايلج فى الأرض » : أى يدخل فيها من ماء وغيره . « وما يخرج منها » أى من نبات وغيره « وما ينزل من السماء » من رزق وغيره . « وما يعرج فيها » أى يصعد فيها من الملائكة وأعمال العباد . سورة سبأ آية ٢

(٢) « والله عليم بذات الصدور » : أى بما فيها من الأسرار والمعتقدات . سورة التغابن آية ٤

(٣) سورة لقمان آية ١٦

ربنا افتح بيننَا وبينَ قومنَا بالحقِّ[1] وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ »

وقال تعالى : « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يعلمُ مافى السموات ِ ومافى الأرض ما يكونُ مِنْ نَجْوَى ثلاثةٍ إلا هو رابعُهم[2] ، ولا خمسةٍ إلا هوَ سادسُهم ، ولا أَدْنَى من ذلك ولا أكثرَ إلا هوَ معهم أينما كانوا ، ثم ينبئهم بمـا عملوا يومَ القيامةِ ؛ إنَّ اللهَ بكلِّ شيء عليم »[3] . وقال تعالى : « وما تـكونُ فى شَأْنٍ وما تَتْلُوا منهُ مِنْ قرآنٍ ، ولا تعملونَ مِنْ عَمَلٍ إلا كنَّا عليكم شهُودا[4] إذْ تُفِيضُونَ فيه ، وَمَا يَعْزُبُ عن ربِّكَ مِنْ مثقالِ ذَرَّةٍ فِي الأرضِ ولا فى السماء ، ولا أصغرَ من ذلك ولا أكبرَ إلا فى كتابٍ مُبِينٍ »[5]

إلى غيرِ ذلك من الآياتِ الـكثيرةِ الدالةِ عَلَى سَـعَةِ عِلْمِهِ تبارك وتعالى ، وإحاطتِه بكل شىء ، قلَّ أو كثر ، دقَّ أو عظُم .

---

(١) « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق » : أى احكم . سورة الأعراف آية ٨٨

(٢) « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم » : أى بعلمه .

(٣) سورة المجادلة

(٤) « إلا كنا عليكم شهوداً » : أى نعلمه . « إذ تفيضون فيه » : أى تأخذون فيه . « وما يعزب عن ربك » : أى يغيب .

(٥) سورة يونس آية ٦١

حياة الله تعالى

١٠ — قال الله تعالى . « اللهُ لا إله إلا هو الحيُّ القيُّومُ[(١)] لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ ، لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ[(٢)] » . وقال تعالى : « الم اللهُ لاإِلٰهَ إلاَّ هُوَ الحيُّ القيُّومُ ، نَزَّلَ عليكَ الكتابَ[(٣)] بالحقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يديهِ وأنزلَ التَّوْرَاةَ والإنجيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى للناسِ ، وأنزلَ الفُرْقان »[(٤)] . وقال تعالى : « اللهُ الذى جعلَ لكمُ الأرضَ قراراً ، والسماء بناَء ، وصَوَّرَكم فأَحْسَنَ صُوَرَكم ، وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطيِّباتِ ، ذٰلكم اللهُ رَبُّكُمْ ، فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالمينَ . هُوَ الحيُّ لاَ إِلٰهَ إلاَّ هُوَ ، فادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لهُ الدِّينَ ، الحمدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالمينَ »[(٥)] .

إلى غيرِ ذلك من آياتٍ كثيرةٍ تدل على أن الله تبارك وتعالى مُتَّصِفٌ بالحياةِ الكاملة التى ليس ثَمَّ أكمل منها .

---

(١) « القيوم » : أى القائم بتدبير خلقه . « لاتأخذه سنة » السنة بكسر السين : النعاس .

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٥

(٣) « نزل عليك الكتاب » : أى القرآن « مصدقا لما بين يديه » : أى لما قبله من الكتب المنزلة . « وأنزل الفرقان » : أى الكتب الفارقة بين الحق والباطل .

(٤) سورة آل عمران آية ٤

(٥) سورة غافر آية ٦٥

سمع الله تعالى وبصره

١١، ١٢ — قال الله تعالى : « قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ [١] فى زوجِها ، وتشتكى إلى اللهِ ، واللهُ يَسْمَعُ تحاوُرَكما ؛ إنَّ اللهَ سميعٌ بصير » . وقال تعالى : « أرَأَيْتَ الذى يَنْهَىٰ عَبْدًا إذَا صَلَّى ! أرَأَيْتَ إنْ كانَ عَلَى الْهُدَى أو أمَرَ بالتَّقْوَى ! أرَأَيْتَ إنْ كَذَّبَ وتَوَلَّىٰ ! أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى ! [٢] » . وقال تعالى لموسى وهارون حين أرسلهما إلى فرعون : « اُذْهَبَا إلى فِرْعَوْنَ إنَّهُ طَغَىٰ . فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أوْ يَخْشَىٰ . قالاَ : رَبَّنَا إنَّنَا نَخَافُ أنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا [٣] أوْ أنْ يَطْغَىٰ . قال : لا تَخَافَا إنَّنِي مَعَكُمَا أسْمَعُ وَأرَى » وقال تعالى : « يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأعْيُنِ [٤] وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ، واللهُ يَقْضِي بالحقِّ والذين يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لاَ يَقْضُونَ بِشَيْءٍ ، إنَّ اللهَ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ [٥] » .

---

(١) « قد سمع الله قول التى تجادلك » : أى تراجعك « والله يسمع تحاوركما » : أى تراجعكما . سورة المجادلة آية ١

(٢) سورة العلق آية ١٤

(٣) « قالا : ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا » : أى يعجل بالعقوبة . « أو أن يطغى » علينا : أى يتكبر . سورة طه آية ٤٦ .

(٤) « يعلم خائنة الأعين » : أى بمسارقتها النظر إلى محرم . « وما تخفى الصدور » : أى القلوب .

(٥) سورة غافر آية ٢٠

إلى غير ذلك من الآيات التى تدلُ على اتصافه تبارك وتعالى بالسمعِ والبصرِ .

كلام الله تعالى

١٣ — قال الله تعالى : « وكلّمَ اللهُ موسى تكليماً[(١)] »

وقال تعالى : « أفتَطْمَعُونَ أنْ يُؤْمِنُوا لكم وقد كان فَرِيقٌ منهم يَسْمَعُونَ كلام[(٢)] اللهِ ثم يُحَرِّفُونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمونَ[(٣)] » .

إلى غير ذلك من الآيات التى تدلُ على اتصافِهِ تبارك وتعالى بصفة الكلام .

صفات الله لاتتناهى

وصفاتُ اللهِ تبارك وتعالى فى القرآن الكريم كثيرةٌ ، وكمالاتُه تبارك وتعالى لا تتناهَى ، ولا تدرِكُ كُنْهَها عقولُ البشر ، سبحانَه لا نحصِى ثناء عليه هو كما أثنَى على نفسِه .

بين صفات الله وصفات الخلق

صفات الله وصفات الخلق

والذى يجب أن يتفطّنَ له المؤمنُ أنّ المعنى الذى يُقْصَدُ باللفظِ فى صفاتِ الله تبارك وتعالى يختلفُ اختلافاً كلياً عن المعنى الذى يقصد بهذا اللفظ عينه فى صفاتِ المخلوقين .

---

(١) سورة النساء ١٦٤

(٢) « يسمعون كلام الله » : أى التوراة . « ثم يحرفونه » : أى يغيرونه . « من بعد ماعقلوه » :أى فهموه .

(٣) سورة البقرة آية ٧٥

فأنتَ تقولُ : الله عالم والعلم صفة لله تعالى ، وتقولُ : فلانٌ عالمٌ والعلمُ صفة لفلان من الناس ، فهل ما يقصدُ بلفظةِ العلم في التركيبين واحد ؟ حاشا أن يكون كذلك ؛ وإنما علم الله تبارك وتعالى علم لا يتناهى كماله ولا يُعَدُّ علمُ المخلوقين شيئاً إلى جانبه . وكذلك الحياة ، وكذلك السمع ، وكذلك البصر ، وكذلك الكلام ، وكذلك القدرة والإرادة . فهذه كلها مدلولاتُ الألفاظِ فيها تختلفُ عن مدلولاتها في حق الخلقِ من حيثُ الكمالُ والكيفيةُ اختلافاً كليًّا ؛ لأنه تبارك وتعالى لا يشبه أحداً من خلقِه . فتفطن لهذا المعني فإنه دقيق . ولستَ مطالباً بمعرفةِ كُنْهِها ، وإنما حسبُك أن تعلم آثارَها في الكون ولوازمَها في حقِّك . واللهَ نسألُ العصمةَ من الزللِ وحسنَ التوفيقِ .

الأدلة العقلية والمنطقية على إثبات صفات الله تعالى

صفات الله والعقل

يعمِد علماء العقائدِ إلى إثباتِ صفاتِ الله تبارك وتعالى بأدلةٍ عقليةٍ ، وأقيسةٍ منطقيةٍ ؛ ونحن نقولُ : إن ذلك حسنٌ ؛ لأن العقلُ أساسُ المعرفةِ ، ومناطُ التكليفِ ، وحتى لا يكونَ في نفسِ أحدٍ أثرٌ من آثارِ الشُّبُهاتِ والاباطيلِ ؛ ولكن الأمرَ أوضحُ من ذلك ، ووجودُ الخالقِ تبارك

وتعالى وإثباتُ صفاتِ الكمالِ المطلقِ له صار فى حكم البدهيات التى لا يُحتَاجُ فى إثباتِها إلى دليلٍ أو برهانٍ ، ولا يطالِب بالدليل عليها إلا كلُّ مكابرٍ مريضِ القلبِ لا يُجْدِيه دليلٌ ، ولا تنفع معه حُجَّةٌ ؛ ومع هذا فتتميماً للفائدةِ نذكر بعضَ الأدلةِ العقليةِ الإجماليةِ والتفصيليةِ ، فنقولُ :

الدليل الأول : هذا الوجودُ الذى يدل بعظمتِه وإحكامِه على وجودِ خالقِه وعظمتِه وكمالِه .

الدليل الثانى : أن فاقدَ الشىء لا يعطيه ، فإذا لم يكن موجِدُ هذا الكونِ متصفاً بصفاتِ الكمالِ فكيف تكونُ آثارُ هذه الصفات فى مخلوقاتِه .

الدليل الثالث ، وهو خاصٌّ بأن هذا الخالقَ واحدٌ لا يتعدد : أن التعدُّد مدعاةُ الفسادِ والخلافِ والعلوِّ ولا سيما وشأنُ الألوهيةِ الكبرياء والعظمةُ ؛ وأيضاً فلو استقل أحدُ المتعددين بالتصرفِ تعطلتْ صفاتُ الآخرين ، ولو اشتركوا تعطلت بعضُ صفاتِ كل منهم ، وتعطيلُ صفات الألوهيةِ يتنافَى مع جلالِها وعظمتِها ، فلا بد أن يكون الإله واحداً لا رب غيره .

هذه نماذجُ من الأدلةِ المنطقيةِ على وجـودِ الخالقِ ، وإثباتِ صفاتِهِ . ومن أراد الاستيعابَ فعليه بالمطولاتِ . على أن الأمرَ مركوزٌ فى فِطَرِ النفوسِ الصافيةِ ، مستقِرٌّ فى أعماقِ القلوبِ السليمةِ « وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ » .

سؤال يقف أمامه كثير من الناس

دفع الخواطر والوسوسة

وردَ فى حديثٍ عن أبى هريرةَ رضى الله عنه قال : قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : « لا يزالُ الناسُ يتساءلونَ حتى يُقالَ هذَا : خلقَ اللهُ الخلْقَ فمَن خلقَ اللهَ ؟ فمَن وجدَ مِن ذلك شيئاً فلْيَقل : آمنتُ باللهِ[1] » رواهُ مسلمٌ .

وهذا السؤالُ وإن كان خطأً من أساسِه ؛ لأننا أمرنا ألّا نبحثَ فى ذاتِ اللهِ تبارك وتعالى ؛ لأن عقولَنا القاصرةَ التى

---

(١) قال الإمام المازرى : ظاهر الحديث أنه صلى الله عليه وسلم أمرهم أن يدفعوا الخواطر بالإعراض عنها والرد لها من غير استدلال ولا نظر فى إبطالها . قال : والذى يقال فى هذا المعنى أن الخواطر على قسمين فأما التى ليست بمستقرة ولا اجتلبتها شبهة طرأت فهى التى تدفع بالإعراض عنها وعلى هذا يحمل الحديث ، وعلى مثلها ينطلق اسم الوسوسة ، فكأنه لما كان أمراً طارئاً وبغير أصل دفع بغير نظر فى دليل ، إذ لا أصل له ينظر فيه . وأما الخواطر المستقرة التى اجتلبتها الشبهة فإنها لا تندفع إلا بالاستدلال والنظر فى إبطالها ، والله أعلم .

تعجزُ عن إدراكِ حقيقةِ نفسِها تعجزُ من باب الأولى ، عن إدراكِ حقيقةِ ذاتِ اللهِ تبارك وتعالى ، إلا أنه يختلج فى نفوسِ بعضِ الناس ، ونريدُ أن نوضِّحَ لهم الجوابَ عليه بمثالٍ يريحُ ضمائرَهم ، إن شاء اللهُ تعالى ، فنقول :

إذا وضعتَ كتاباً على مكتبِك ثم خرجتَ من الحجرة وعدتَ إليها بعد قليل فرأيت الكتابَ الذى تركتَه على المكتبِ موضوعاً فى الدرج فإنك تعتقدُ تماماً أن أحداً لا بد أن يكون قد وضعه فى الدرج ؛ لأنك تعلم من صفاتِ هذا الكتاب أنه لا ينتقل بنفسِه . احفظ هذه النقطة وانتقل معى إلى نقطةٍ أخرى : لو كان معك فى حجرةِ مكتبِك شخص جالسٌ على الكرسىِّ ثم خرجتَ وعدتَ إلى الحجرةِ فرأيتَه جالساً على البِساطِ مثلا فإنك لا تسألُ عن سببِ انتقالِه ، ولا تعتقدُ أن أحداً نقله من موضِعِه ؛ لأنك تعلم من صفاتِ هذا الشخصِ أنه ينتقلُ بنفسِه ولا يحتاج إلى من ينقله . احفظ هذه النقطة الثانية ثم اسمع ما أقولُ لك : لما كانت هذه المخلوقاتُ مُحْدَثَةً ونحن نعلم من طبائِعِها وصفاتِها أنها لا توجدُ بذاتِها بل لابد لها من موجِدٍ ، عرفنا أن موجِدَها هو الله تبارك وتعالى ؛ ولما كان كمالُ الألوهيةِ يقتضى عدم احتياج الإِله إلى غيرِه ، بل إن من صفاتِه قيامَه

بنفسِه ، عرفنا أن اللهَ تبارك وتعالى موجود بذاتِه وغيرُ محتاجٍ إلى من يوجِدُه . وإذا وضعتَ النقطتين السابقتين إلى جانبِ هذا الكلام ، اتّضح لك هذا المقام ، والعقلُ البشريُّ أقصرُ من أن يتورّطَ فى أكثرَ من ذلك . واللهَ نسألُ العصمةَ من الزّللِ ؛ إنه رءوف رحيم .

وإليك أقوالَ علماء الأوربيين فى إثباتِ وجود اللهِ تعالى والإقرارِ بكمالِ صفاتِه ، واللهُ وليُّ توفيقِنا وتوفيقِك :

كلام العلماء الطبيعيين فى إثبات وجود الله وصفاته

الطبيعيون ووجود الله

قدمنا لك أن هذه العقيدةَ فطرية فى النفوسِ السليمة ، مستقرة فى الأذهانِ الصافيةِ ، تكاد تكون من بدهيّاتِ المعلوماتِ تؤيدها نتائجُ العقولِ جيلا بعد جيلٍ ، ولذلك اعتقدها علماء الكونِ من الأوربيينَ وغيرِهم وإن لم يتلقوها عن دينٍ من الأديانِ ؛ وسننقلُ لك بعضَ شهاداتِهم ، لا تأييداً للعقيدةِ ، ولكن إثباتاً لاستقرارِها فى النفوسِ ، وقطعاً لألسنةِ الذينَ يريدونَ أن يتحللوا من عقدةِ العقائدِ ، ويخادعوا ضمائرَهم وأرواحَهم بالباطلِ !

١ — قال ديكارت العالِم الفرنسيُّ :

شهادة ديكارت

« إنى مع شعورى بنقص ذاتى أحِسُّ فى الوقتِ نفسِه

بوجوبِ وجودِ ذاتٍ كاملةٍ ، وأرَانى مضطرًّا للاعتقادِ بأن هذا الشعورَ قد غرسَتْه فى ذاتى تلك الذاتُ الكاملةُ المتحليةُ بجميع صفاتِ الكمالِ ، وهى : اللهُ » .

فهو يثبتُ فى كلامِه هذا ضعفَ نفسِه ونقصَها ، ووجودَ اللهِ وكمالَه، ويعترفُ بأن شعورَه وإحساسَه هبةٌ من اللهِ له وفِطْرةٌ فيه « فِطْرَةَ اللهِ التى فطَرَ الناسَ عليها[1] » .

٢ — وقال إسحاق نيوتن العالِمِ الإنجليزىُّ الشهير ، ومكتشفُ قانونِ الجاذبية :

شهادة إسحاق نيوتن

«لاتشكوا فى الخالقِ فإنه مما لايعقلُ أن تكون المصادفاتُ وحدَها هى قائدةَ هذا الوجودِ » .

٣ — وقال هرشل الفلكىّ الإنكليزىّ :

شهادة هرشل

« كلما اتسع نطاقُ العِلمِ ازدادت البراهينُ الدامغةُ القويةُ على وجودِ خالقٍ أزلىٍّ لاحد لقدرتِه ولا نهاية ؛ فالجيولوجيونَ والرياضيونَ ، والفلكيونَ ، والطبيعيونَ قد تعاونوا على تشييدِ صرحِ العلمِ ، وهو صرحُ عظمةِ اللهِ وحدَه » .

٤ — وقال لينيه ، كما نقله عنه كاميل فلامريون الفرنسىُّ فى كتابِه المسمَّى « اللهُ فى الطبيعة » :

---

(١) سورة الروم آية ٣٠

شهادة لينيه

« إنّ اللهَ الأزليَّ الأبديَّ العالِمَ بكل شيء والمُقتدِرَ على كل شيء ، قد تجلّى لِي ببدائعِ صُنعِهِ حتى صرتُ مندهشاً مبهوتاً ؛ فأيُّ قدرةٍ وأيُّ حكمةٍ وأيُّ إبداع أبدعَه في مصنوعاتِه ! سواءٌ في أصغرِ الأشياء أو أكبرِها ! إن المنافعَ التي نستمدُّها من هذهِ الكائناتِ تشهدُ بعظمةِ رحمةِ اللهِ الذي سَخَّرَها لنا ، كما أن كمالَها وتناسُقَها ينبئُ بواسعِ حكمتِه ، وكذلك حفظُها عن التلاشِي وتجدُّدها يقرُّ بجلالتِه وعظمتِه » .

شهادة هربرت سبنسر

٥ — ويقول « هربرت سبنسر الإنجليزيُّ » في هذا المعنى في رسالته في التربية :

« العِلمُ يناقضُ الخرافاتِ ، ولكنهُ لا يناقضُ الدِّينَ نفسَه : يوجدُ في شيء كثيرٍ من العِلم الطبيعيِّ الشائعِ روحُ الزندقةِ ، ولكن العلمَ الصحيحَ الذي فاتَ المعلوماتِ السطحيةَ ، ورسبَ في أعماقِ الحقائقِ ، براءٌ من هذه الرُّوحِ . العلمُ الطبيعيُّ لا ينافي الدينَ ، والتوجُّهُ للعِلمِ الطبيعيِّ عِبادةٌ صامتةٌ[1] واعترافٌ صامتٌ بنفاسةِ الأشياء التي نعاين وندرسُ ، ثم بقدرةِ خالقِها ، فليس ذلك التوجهُ تسبيحاً شفهياً ، بل هو

---

(١) وقد أشارت الآية الكريمة إلى ذلك في قول الله تعالى : « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » المؤلف .

تسبيحٌ عمليٌّ ، وليس باحترامٍ مُدَّعًى ، إنما هو احترامٌ أثمرتهُ تضحيةُ الوقتِ والتفكيرِ والعمل . وهذا العلمُ لايسلك طريقَ الاستبداد فى تفهيمِ الإنسانِ استحالةَ إدراكِ السببِ الأوّلِ وهو « اللهُ » ، ولـكنهُ ينهجُ بنا النّهجَ الأوضحَ فى تفهيمنا الاستحالةَ ، بإبلاغِنا جميعَ أنحاء الحدودِ التى لايستطاعُ اجتيازُها ، ثم يقفُ بنا ، فى رِفْقٍ وهوادةٍ ، عند هذه النهايةِ ؛ وهو بعد ذلك يُرِينا بكيفيةٍ لا تعادَلُ صِغَرَ العقلِ الإنسانىِّ إزاء ذلك الذى يفوتُ العقلَ . . . »

ثم أخذَ يضربُ الأمثلةَ على ما يقولُ فقال : « إنَّ العالِمَ الذى يرى قطرةَ الماء فيعلمُ أنها تتركبُ من الأوكسجين والإيدروجين بنسبةٍ خاصةٍ ، بحيث لو اختلفت هذه النسبةُ لكانت شيئاً آخرَ غيرَ الماء ، يعتقدُ عظمةَ الخالقِ وقُدْرَتَهَ وحكمتَه وعِلْمَه الواسعَ بأشدَّ وأعظمَ وأقوى من غير العالِمِ الطبيعىِّ الذى لايرى فيها إلا أنها قطرة ماء فحسب ، وكذلك العالِمُ الذى يرى قطعةَ البَرَد[1] فيرى تحتَ مِجْهَرِه[2] ما فيها من جمالِ الهندسةِ ، ودقةِ التقسيمِ ، لاشك أنه [illegible]عر بجمالِ

---

(١) أى قطعة الثلج الصغيرة النازلة مطراً . المؤلف .

(٢) المجهر : للنظار الـكبر . المؤلف .

الخالقِ ودقيقِ حِكمتِه أكبرَ من ذلك الذى لايعلم عنها إلا أنها مطرٌ تجمَّدَ من شدةِ البَرْدِ » .

وأقوالُ علماء الكونِ فى ذلك لاتقع تحت حصرٍ ، وفيما ذكرناهُ الكفايةُ . وإنما استشهدنا بذلك حتى يعلمَ شبابُنا أن دينَهُم مُؤَيَّدٌ من عِند اللهِ تباركَ وتعالى ، لايزيدُه العِلمُ إلا قُوَّةً وثباتًا وتأييدًا ، مِصْداقًا لقولِ اللهِ تعالى : « سَنُرِيهم آياتِنا فى الآفاقِ وفى أنفسِهم حتَّى يتبَيَّنَ لهم أنهُ الحقُّ ، أوَلَمْ يَكْفِ بربِّكَ أنهُ على كل شىءٍ شهيدٌ »[1] .

آياتُ الصفاتِ وأحاديثُها

آيات الصفات وأحاديثها

وردت فى القرآنِ الكريمِ آياتٌ وفى السُّنَّةِ المُطَهَّرَةِ أحاديثُ تُوهِمُ بظاهرِها مشابهةَ الحق تبارك وتعالى لِخَلْقِهِ فى بعض صفاتِهِم ، نُورِدُ بعضَها على سبيلِ المثالِ ، ثم نُقَفِّى بذكرِ ما وردَ فيها من الأقوالِ . واللهَ نسألُ أنْ يوفقنا إلى بيانِ وجهِ الحق فى هذه المسألةِ ، التى طال فيها جدَلُ الناسِ ونقاشُهم إلى هذا العصرِ ، وأن يُجَنِّبَنا الزَلَلَ ، ويُلهِمَنا الصَّوابَ ، وهو حسبنا ونعم الوكيلُ .

---

(١) سورة فصلت آية ٥٣

نماذج من آيات الصفات

من آيات الصفات

١ — قال اللهُ تعالى : « كلُّ مَن عليها فانٍ[١] ، ويبقَى وجهُ ربِّك ذو الجلالِ والإكرامِ ».

ومثلُها كلُّ آيةٍ وردَ فيها لفظُ الوجهِ مضافاً إلى الحقِّ تباركَ وتعالى .

٢ — قال اللهُ تعالى : « ولقد مننَّا عليك مرةً أُخرى ؛ إذْ أوحينا إلى أُمِّك ما يُوحَى : أن اقذفيه فى التابوتِ فاقذفيه فى اليمِّ[٢] ، فليُلقِهِ اليمُّ بالساحلِ يأخذْهُ عدوٌّ لى وعدوٌّ له ، وألقيتُ عليك محبةً منى ، ولِتُصْنَعَ عَلَى عينِى » . وقال تعالى : « وأُوحِىَ إلى نوح أنه لن يؤمنَ من قومِك إلّا مَن قد آمنَ فلا تبتَئِس[٣]

---

(١) « كل من عليها » : أى على الأرض « فان » : أى هالك . « ويبقى وجه ربك » : أى ذاته . قال الزمخشرى : والوجه يعبر به عن الجملة والذات ، ومساكين مكة يقولون : أين وجه عربى كريم ينقذنى من الهوان . سورة الرحمن آية ٢٧

(٢) « فاقذفيه فى اليم » : أى فى نهر النيل . « فليلقه اليم بالساحل » : أى بالشاطىء . « ولتصنع على عينى » : أى تربى على رعايتى وحفظى لك . سورة طه آية ٣٩

(٣) « فلا تبتئس » أى فلا تحزن . « واصنع الفلك بأعيننا » : أى بمرأى منا وحيث نراك . وقال الربيع بن أنس : بحفظنا إياك حفظ من يراك . وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : بحراستنا .

بما كانوا يفعلونَ . واصنع الفلك بأَعْيُنِنَا ووحينا ، ولا تخاطبْنى فى الذين ظلموا إنهم مُغْرقونَ[١] » .

ومثلُها كل آية ورد فيها لفظ العين مضافاً إلى الله تبارك وتعالى .

٣ — قال الله تعالى : « إن الذينَ يبايعونَكَ[٢] إنما يبايعونَ اللهَ يَدُ اللهِ فوقَ أيديهم ، فمن نكثَ فإنما ينكُثُ عَلَى نَفْسِه ، ومن أوْفَى بما عاهدَ عليهُ اللهَ فسيؤتيه أجراً عظيما » . وقال تعالى : « وقالتِ اليهودُ يدُ اللهِ مغلولةٌ[٣] غُلَّتْ أيديهم ولُعِنُوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطَتانِ ينفقُ كيف يشاء » . وقال تعالى :

---

(١) سورة هود آية ٣٧

(٢) « إن الذين يبايعونك » : أى بيعة الرضوان . « يد الله فوق أيديهم » : أى التى بايعوا بها النبي صلى الله عليه وسلم : أى هو مطلع على مبايعتهم فيجازيهم عليها . « فمن نكث فإنما ينكث على نفسه » : أى فمن نقض البيعة فإنما يرجع وبال نقضه على نفسه . سورة الفتح آية ١٠

(٣) « وقالت اليهود يد الله مغلولة » : أى مقبوضة عن إدرار الرزق علينا ، كنوا بذلك عن البخل تعالى الله عن ذلك . « غلت أيديهم » : أى أمسكت عن فعل الخيرات . « بل يداه مبسوطتان » : مبالغة فى الوصف بالجود ، وثنى اليد لإفادة الكثرة ؛ إذ غاية ما يبذله السخى من ماله أن يعطى بيديه . سورة المائدة آية ٦٤

« أَوَلَمْ يَرَوْا أنا خلقنا لهم مِمَّا عملتْ[١] أيدينا أنعاماً فهم لها مالكونَ » .

٤ — قال الله تعالى : « لا يتخذِ المؤمنونَ الكافرينَ أولياء من دونِ المؤمنينَ ، ومن يفعلْ ذلك فليس من الله فى شىء إلا أن تتقوا منهم تقاةً ، ويحذِّرُكُمُ اللهُ نفسَه[٢] وإلى الله المصيرُ » . وقال تعالى : « وإذ قال اللهُ ياعيسى ابنَ مريمَ أأنتَ قلتَ للناسِ اتخذونِى وَأُمِّىَ إلهيْنِ مِنْ دونِ اللهِ . قال : سبحانَك ! ما يكونُ لى أن أقولَ ما ليس لى بحقٍ ، إن كنتُ قلتُه فقد علمتَه تعلمُ ما فى نفسى ولا أعلمُ ما فى نفسِك[٣] ؛ إنك أنت علامُ الغيوبِ » .

٥ — قال الله تعالى : « الرَّحمنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى[٤] »

---

(١) « أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما » : أى أبدعناه وعملناه بلا شريك ولا معين . والأنعام هى الإبل والبقر والغنم . سورة يس آية ٧١

(٢) « ويحذركم الله نفسه » أى يخوفكم الله إياه . آل عمران آية ٢٨

(٣) « تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك » : أى تعلم سرى وما انطوى عليه ضميرى الذى خلقته ، ولا أعلم شيئاً مما استأثرت به من غيبك وعلمك . سورة المائدة آية ١١٦

(٤) « الرحمن على العرش استوى » : العرش سرير الملك . واستوى قال أبو الحسن الأشعرى وغيره : استوى على عرشه بغير حد ولا كيف كما يكون استواء المخلوقين . وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : يريد : خلق ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة وبعد القيامة . طه آية ٥

ومثلها كل آية نُسب فيها الاستواء على العَرش إلى الله تبارك وتعالى .

٦ — قال الله تعالى : « وهو القاهرُ فوقَ عبادِهِ[١] ويرسِلُ عليكم حفظةً حتى إذا جاء أحدَكمُ الموتُ توفَّته رُسُلُنا وهم لا يفرِّطونَ » . وقال تعالى : « أأمنتم مَن في السماء[٢] أن يَخسِفَ بكمُ الأرضَ فإذا هي تَمُورُ » وقال تعالى : « من كانَ يريدُ العِزَّةَ فَلِلهِ العزةُ جميعاً إليهِ يصعَدُ الكلِمُ[٣] الطيبُ والعملُ الصالحُ يرفعُه والذين يمكرونَ السيئاتِ لهم عذابٌ شديدٌ ، ومكرُ أولئك هو يبورُ » .

مما يؤخذ منه نسبةُ الجهة لله تبارك وتعالى .

---

(١) « وهو القاهر فوق عباده » قال القرطبي : القهر : الغلبة والقاهر الغالب . ومعنى « فوق عباده » فوقية الاستعلاء بالقهر والغلبة عليهم : أى هم تحت تسخيره لا فوقية مكان ، كما تقول السلطان فوق رعيته أى بالمنزلة والرفعة . « ويرسل عليكم حفظة » : أى ملائكة تحصى أعمالكم « توفته رسلنا » أى الملائكة الموكلون بقبض الأرواح . سورة الأنعام آية ٦١

(٢) « أأمنتم من في السماء » أى أأمنتم من في السماء سلطانه وقدرته . قال القرطبي : وخص السماء وإن عم ملكه ، تنبيها على أنه الإله الذى تنفذ قدرته في السماء لا من يعظمونه في الأرض « فإذا هى تمور » : أى تذهب وتجيء . سورة الملك آية ١٦ .

(٣) « إليه يصعد الكلم الطيب » : أى إلى الله تبارك وتعالى يصعد الكلم الطيب : أى يعلمه « والعمل الصالح يرفعه » : أى يرفعه الله : أى يقبله . والكلم الطيب : هو التوحيد الصادر عن عقيدة طيبة . « ومكر أولئك هو يبور » : أى يهلك . سورة فاطر آية ١٠

٧ — قال الله تعالى : « إِنَّ الذين يؤذونَ اللهَ[١] ورسولَه لعنهم اللهُ فى الدنيا والآخرةِ ، وأعدَّ لهم عذاباً مُهيناً » . وقال تعالى : « ومريمَ ابنةَ عِمْرانَ التى أَحْصَنَتْ فرجَها فنفخنا فيه من رُوحِنا وصدَّقَتْ بكلماتِ رَبِّها وَكُتُبِه ، وكانت من القانتين[٢] » . وقال تعالى : « كلاَّ إذا دُكَّتِ الأرضُ دكاً دكاً . وجاء رَبُّكَ والملكُ صفّاً صفّاً[٣] » .

نماذج من أحاديث الصفات

من أحاديث الصفات

وردت فى الأحاديث الشريفة ألفاظٌ كالتى وردت فى الآياتِ السابقةِ ، منسوبةٌ إلى الله تبارك وتعالى : كالوجهِ

(١) « إن الذين يؤذون الله ورسوله » هم الكفار يصفون الله تعالى بما هو منزه عنه من الولد والشريك ويكذبون رسوله صلى الله عليه وسلم . سورة الأحزاب آية ٥٧

(٢) « التى أحصنت فرجها » أى حفظته عن الفواحش « فنفخنا فيه » : أى أرسلنا جبريل فنفخ فى جيبها « من روحنا » أى روحا من أرواحنا وهى روح عيسى عليه السلام « وصدقت بكلمات ربها » : أى بشرائعه « وكانت من القانتين » : أى من المطيعين . سورة التحريم آية ١٢

(٣) « دكا دكا » : أى مرة بعد مرة وزلزلت فكسر بعضها بعضاً فتكسر كل شىء على ظهرها « وجاء ربك » أى أمره وقضاؤه « والملك » أى الملائكة « صفاً صفاً » : أى صفوفاً . سورة الفجر آية ٢٢

واليدِ ، ونحوهما ، فنكتفي بالآيات عن ذكرها ؛ وورد في أحاديث كثيرةٍ ألفاظٌ أخرى من هذا القبيل منسوبةٌ إلى ذاتِ اللهِ تباركَ وتعالى نوردُ بعضَها ؛ فمن ذلك :

١ — عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنهُ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « خلقَ اللهُ آدمَ عَلَى صورتهِ[1] طولُه ستون ذراعاً ، فلما خلقَهُ قال : اذهب فسلِّمْ عَلَى أُولئك — نفرٍ من الملائكةِ جلوسٍ — فاستمع ما يحيُّونَك فإنها تحيّتُك وتحيّةُ ذريتك ، فقالَ : السلامُ عليكم . فقالوا : السّلامُ عليكَ ورحمةُ اللهِ ، فزادوهُ ورحمةُ اللهِ ، فكل من يدخلُ الجنةَ على صورةِ آدمَ ، فلم يزلِ الخلقُ ينقصُ بعدُ حتى الآنَ » رواهُ البخاريُّ ومُسلمٌ .

٢ — عن أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنهُ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تزالُ جهنمُ يُلقَى فيها وتقولُ : هل من مزيدٍ حتى يضعَ رَبُّ العِزّةِ فيها قدمَه[2]

(١) « على صورته » أي على صورة آدم عليه السلام . قال الحافظ العسقلاني : المعنى أن الله تعالى أوجده على الهيئة التي خلقه عليها لم ينتقل في النشأة أحوالا ولا تردد في الأرحام أطواراً كذريته ، بل خلقه الله رجلا كاملا سويا من أول ما نفخ فيه الروح .

(٢) « حتى يضع رب العزة فيها قدمه » . قال الزمخشري : وضع القدم على الشيء مثل للردع والقمع فكأنه قال : يأتيها أمر الله فيكفها =

فينزوِى بعضُها إلى بعضٍ ، وتقولُ : قط قط بعزّتك وكرمك ، ولا يزالُ فى الجنةِ فضلٌ حتى ينشئَ اللهُ لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنةِ » رواهُ البخاريُّ ومسلمٌ .

٣ — عن أبى هريرةَ رضى اللهُ عنهُ قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « لَلّهُ أشدُّ فَرَحًا(١) بتوبةِ أحَدِكم مِنْ أحَدِكم بضالّتِهِ إذا وَجَدَهَا » رواهُ البخاريُّ وَمُسْلِمٌ .

انقسم الناس فى هذه المسألة على أربع فرق :

المجسمة وآيات الصفات وأحاديثها

١ — فرقة أخذت بظواهرها كما هى ، فنسبت إلى اللهِ وجهاً كوجُوه الخلقِ ، ويدًا أو أيدِياً كأيديهم ، وضحكا كضحكهم ، وهكذا حتى فرضوا الإله شيخاً ، وبعضهم فرضه شابا ، وهؤلاء هم المجَسِّمة والمشَبِّهةُ ، وليسوا من الإسلام فى شىء ، وليس لِقولِهم نصيبٌ من الصحةِ ، ويكفى

= عن طلب المزيد فترتدع . وقوله صلى الله عليه وسلم : « فينزوى بعضها إلى بعض » أى ينقبض بعضها إلى بعض « وتقول قط قط » : أى تقول حسبى حسبى .

(١) « لله أشد فرحاً » . قال النووى : قال المازرى : الفرح ينقسم على وجوه : منها السرور ، والسرور يقاربه الرضا بالمسرور به ، فالمراد هنا أن الله تعالى يرضى بتوبة عبده أشد مما يرضى واجد ضالته ، فعبر عن الرضا بالفرح تأكيداً لمعنى الرضا فى نفس السامع ومبالغة فى تقريره .

في الردِّ عليهم قولُ اللهِ تعالى : « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ[1] » . وقولُهُ تعالى : « قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ، اللهُ الصَّمَدُ ، لم يَلِدْ ولم يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ » .

المعطلة وآيات الصفات وأحاديثها

٢ — فرقة عطلَت معانى هذهِ الألفاظِ على أيِّ وَجْهٍ ، يقصدونَ بذلك نفى مدلولاتِها مطلقاً عن الله تبارك وتعالى ، فاللهُ تبارك وتعالى عندهم لا يتكلمُ ولا يسمعُ ولا يُبْصِرُ ؛ لأن ذلك لا يكون إلا بجارحةٍ والجوارحُ يجبُ أنْ تُنْفَىٰ عنهُ سبحانه ؛ فبذلك يعطِّلون صفات اللهِ تباك وتعالى ويتظاهرون بتقديسهِ ، وهؤلاء هم المعطِّلةُ . ويطلِق عليهم بعضُ علماءِ تاريخ العقائدِ الإسلاميةِ : الجَهْمِيَّة ، ولا أظن أن أحداً عندهُ مُسْكَةٌ من عقلٍ يستسيغ هذا القولَ المُتَهافِتِ ! وهاقد ثبتَ الكلامُ والسَّمعُ والبصَرُ لبعض الخلائق بغيرِ جارحةٍ ، فكيفَ يتوقَّفُ كلامُ الحقِّ تبارك وتعالى على الجوارحِ ؟! تعالى الله عن ذلك عُلوًّا كبيرا .

هذان رأيان باطلانِ لاحظَّ لهما من النظرِ ، وبقى أمامَنا رأيانِ هُما محلُّ أنظارِ العلماء فى العقائدِ ، وهما رأى السَّلَفِ ورأى الخَلَفِ .

---

(١) سورة الشورى آية ١١

مذهب السلف والخلف فى آيات الصفات وأحاديثها

السلف وآيات الصفات وأحاديثها

٣ — أما السَّلَفُ رضوان اللهُ عليهم فقالوا : نؤمِنُ بهذه الآياتِ والأحاديثِ كما وردت ، ونتركُ بيانَ المقصودِ منها لِلهِ تبارك وتعالى ، فهم يثبِتون اليد والعين والأعين والاستواء والضَّحِكَ والتعجبَ . . . الخ وكلُّ ذلك بمعانٍ لاندركها ، ونتركُ لِلهِ تبارك وتعالى الإحاطةَ بعِلمها ، ولا سيما وقد نهينا عن ذلك فى قول النبيّ صلى الله عليه وسلم : « تفكَّروا فى خَلْقِ اللهِ ولا تتفكَّروا فى اللهِ فإنكم لن تَقْدُرُوهُ قَدْرَهُ » . قال العِراقىُّ : رواهُ أبو نعيمٍ فى « الحِلْيَةِ » بإسنادٍ ضَعيفٍ ، ورواهُ الأصبهانىُّ فى الترغيبِ والترهيبِ بإسنادٍ أصحَّ منه ، ورواهُ أبو الشيخ كذلك مع قطعهم رضوان اللهِ عليهم بانتفاء المشابهةِ بينَ اللهِ وبين الخلقِ . وإليك أقوالهَم فى ذلك :

الإمام محمد وآيات الصفات وأحاديثها

(ا) روى أبو القاسم اللالكائىُّ فى « أصولِ السُّنة » عن محمدِ بنِ الحسنِ صاحبِ أبى حنيفةَ رضى الله عنهما قال : « اتفقَ الفقهاء كلُّهم من المشرِقِ إلى المغربِ على الإيمانِ بالقرآنِ والأحاديثِ التى جاءت بها الثقاتُ عن رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلمَ فى صفةِ الرّبِّ عزَّ وجلّ من غير تفسيرٍ ولا وصفٍ ولا تشبيهٍ ، فمن فسر اليوم شيئا

من ذلك فقد خرج بما كان عليه النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم وفارق الجماعة؛ فإنهم لم يصفوا ولم يفسِّرُوا، ولكن أفتوا بما فى الكتابِ والسُّنةِ ثم سكتوا».

الإمام أحمد وآيات الصفات وأحاديثها

(ب) وذكر الخلَّالُ فى كتابِ «السُّنةِ» عن حنبلٍ وذكرهُ حنبلٌ فى كُتُبِه مثلَ كتاب «السُّنةِ والمحنةِ» قال حنبلٌ: «سألتُ أبا عبدِ اللهِ عن الأحاديثِ التى تروى «إن اللهَ تبارك وتعالى ينزلُ إلى سماء الدنيا». و«إن اللهَ يرى» و«إنّ اللهَ يضعُ قدمَه» وما أشبه هذه الأحاديث؟ فقال أبو عبدِ اللهِ: نُؤمِنُ بها ونُصَدِّقُ بها ولا كيف ولا معنى ولا نردّ منها شيئا، ونعلمُ أن ما جاء بهِ الرسولُ صلى اللهُ عليه وسلم حقٌّ إذا كان بأسانيدَ صِحاح، ولا نرد على اللهِ قولَه، ولا يوصف اللهُ تبارك وتعالى بأكثرَ مما وصف به نفسَه بلا حَدٍّ ولا غايةٍ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ».

الإمام مالك وآيات الصفات وأحاديثها

(جـ) وروى حرْملةُ بنُ يحيَى قالَ: سمعتُ عبدَ اللهِ ابنَ وَهْبٍ يقولُ: سمعتُ مالكَ بنَ أنسٍ يقولُ: مَنْ وصف شيئا من ذات اللهِ مثل قَوْلِه: «وَقَالَتِ اليهُودُ يَدُ اللهِ مغلولَةٌ[1]» فأشار بيده إلى عنقهِ، ومثل قولِه

---

(١) سورة المائدة آية ٦٤

« وهُوَ السَّمِيعُ البصيرُ[١] » فأشار إلى عينِه أو أُذُنِهِ أو شيء من يديه ، قطع ذلك منه ؛ لأنهُ شبَّه اللّهَ بنفسه . ثم قال مالكٌ : أما سمعتَ قولَ البَرَاءِ حين حدَّث أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم لا يضحى بأربعٍ من الضحايا وأشارَ البَرَاء بيده كما أشارَ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم ، قال البرَاء : ويدى أقصرُ من يَدِ رسولِ الله صلى اللهُ عليه وسلم ، فكره البراء أن يصِفَ يَدَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم إجلالاً لَهُ وهو مخلوق ، فكيف الخالق الذى ليس كَمِثْلِهِ شيءٌ ؟ !

المـاجشون وآيات الصفات وأحاديثها

(د) وروى أبو بكرٍ الأثْرَمُ ، وأبو عَمْرو الطلمنكيُّ وأبو عبدِ اللهِ بنِ بطَّةَ فى كتبهم وغيرُهم عن عبدِ العزيزِ ابنِ عبدِ اللهِ بنِ أبى سَلَمَةَ المـاجِشون كلاماً طويلاً فى هذا المعنى ختمهُ بقولهِ : « فما وصفَ اللهُ مِنْ نَفْسِهِ فسماهُ عَلَى لسانِ رسولهِ سمَّيناهُ كما سمّاهُ ، ولم نتكلَّفْ منهُ صفة ما سواهُ ، لا هذا ولا هذا ، لا نجحد ما وصفَ ، ولا نتكلّفُ معرفةَ ما لم يصِف » .

اعلم ، رحمك اللهُ ، أن العصمةَ فى الدينِ أن تنتهى حيثُ انتُهِى بك ، ولا تجاوز ما قد حُدَّ لك ؛ فإنَّ من قِوامِ

---

(١) سورة الشورى آية ١١

الدِّينِ معرفةَ المعروفِ ، وَإنكارَ المنكرِ ، فما بسطتْ عليه المعرفةُ ، وسكنَتْ إليهِ الأفئدةُ ، وذكر أصله فى الكتابِ والسُّنةِ ، وتوارثَ عِلمَهُ الأمةُ فلا تخافنَّ فى ذكرهِ وصفتِه من ربك ما وصف من نفسِه عيناً ، ولا تكلفنَّ بما وصف من ذلك قدراً ، وما أنكرته نفسُك ، ولم تجد ذكره فى كتابِ ربِّك ، ولا فى الحديثِ عن نبيِّك من ذكر صفة ربك فلا تتكلَّفَنَّ علمه بعقلِك ، ولا تصفه بلسانك ، واصمُتْ كما صَمَتَ الربُّ عنه من نفسِه ؛ فإنَّ تكلُّفك معرفة ما لم يصف به نفسه مثل إنكارك ما وصف منها ، فكما أعظَمت ما جحد الجاحدون مما وصف من نفسه ، فكذلك أعْظِمْ تكلف ما وصف الواصفون مما لم يصف منها ، فقد واللهِ ، عزَّ المسلمون الذين يعرفون المعروف وبمعرفتهم يعرف ، وينكرون المنكر وبإنكارهم ينكر ، يسمعون ما وصف اللهُ به نفسَه من هذا فى كتابِه ، وما يبلغهم مثلهُ عن نبيِّه ، فما مرض من ذكر هذا وتسميته من الرب قلبُ مسلم ، ولا تكلّف صِفة قدره ، ولا تسمية غيره من الرب مؤمنٌ ، وما ذكر عن رسول اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلم أنه سماهُ من صِفة ربه فهو بمنزلة ما سمّى ووصفَ الرّب

تعالى من نفسِه ، والرّاسخونَ في العِلْمِ ، الواقفونَ حَيْثُ انتهى بهم علمُهُمْ ، الواصِفونَ لربهم بمـا وَصَفَ نفسَهُ ، التاركون لما ترك من ذكرها لاينكرون صفة ماسمّى منها جَحداً ، ولا يتكلّفون وصفه بما لم يسم تعمقاً ؛ لأن الحق ترك ما ترك وسمى ما سمّىَ « وَمَن يتّبعْ غيرَ سبيلِ المُؤمِنِين نُوَلِّهِ مَا تَوَلّىٰ ، ونُصْلِه جهنَّمُ وساءتْ مَصِيرا » وهَبَ اللهُ لنا ولكم حكما ، وألحقنا بالصالحين .

مذهب الخلف في آيات الصفات وأحاديثها

الخلف وآيات الصفات وأحاديثها

قدمتُ لك أنّ السلَفَ ، رضوانُ اللهِ عليهم ، يؤمنونَ بآياتِ الصفاتِ وأحاديثِها كما وردت ويتركون بيانَ المقصودِ منها لِلهِ تبارك وتعالى مع اعتقادِهم بتنزيه اللهِ تبارك وتعالى عن المشابهة لخلقِه .

فأما الخلَفُ فقد قالوا : إننا نقطعُ بأن معانى ألفاظِ هذه الآياتِ والأحاديثِ لا يرادُ بها ظواهرُها ، وعلى ذلك فهى مَجازاتٌ لا مانع من تأويلها ، فأخذوا يؤوّلون الوجهَ بالذاتِ واليدَ بالقدرةِ وما إلى ذلك ؛ هرباً من شبهةِ التشبيه . وإليكَ نماذجَ من أقوالِهم فى ذلك :

١ — قال أبو الفرج بنُ الجوزىّ الحنبلىّ فى كتابه

« دفع شبهة التشبيه » : قال الله تعالى : « ويبقى وجهُ ربِّكَ[(١)] » قال المفسرون : يبقى ربك ، وكذلك قالوا فى قوله تعالى : « يريدونَ وَجْهَهُ[(٢)] » : أى يريدونه . وقال الضّحّاكُ وأبو عبيدةَ : « كلُّ شىءٍ هالكٌ إلاّ وَجْهَهُ[(٣)] » أى إلا هو .

وعقد فى أول الكتاب فصلا ضافياً فى الرد على من قالوا إن الأخذَ بظاهرِ هذه الآياتِ والأحاديثِ هو مذهبُ السلَفِ ؛ وخلاصةُ ما قاله أن الأخذ بالظاهرِ هو تجسيمٌ وتشبيهٌ ؛ لأن ظاهرَ اللفظِ هو ما وُضع له ، فلا معنًى لليد حقيقةً إلا الجارحة ، وهكذا . وأما مذهبُ السلَفِ فليس أخذها على ظاهرِها ، ولكن السكوتُ جملةً عن البحثِ فيها . وأيضاً فقد ذهبَ إلى أن تسميتها آيات صفاتٍ وأحاديث صفات تسمية مبتدعة لم ترد فى كتاب ولا فى سنة ، وليست حقيقية فإنها إضافات ليس غير ، واستدل على كلامه فى ذلك بأدلةٍ كثيرةٍ لا مجالَ لذكرِها هنا .

---

(١) سورة الرحمن آية ٢٧
(٢) سورة الأنعام آية ٥٢
(٣) سورة القصص آية ٨٨

الرازى وآيات الصفات وأحاديثها

٢ — وقال فخرُ الدينِ الرازىُّ فى كتابه « أساسُ التقديس » : واعلم أن نصوصَ القرآنِ لا يمكنُ إجراؤها على ظاهرِها لوجوهٍ : الأول أن ظاهرَ قوله تعالى : « وَلِتُصْنَعَ على عينِي[1] » يقتضى أن يكون موسى عليه السلام مستقراً على تلك العين ملتصقاً بها مستعلياً عليها وذلك لا يقولُه عاقلٌ ، والثانى أن قوله تعالى : « وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا[2] » يقتضي أن يكون آلة تلك الصنعة هى تلك العين ، والثالثُ أن إثبات الأعين فى الوجه الواحد قبيح فثبت أنه لابد من المصير إلى التأويل ، وذلك هو أن تُحملَ هذه الألفاظُ على شدةِ العنايةِ والحراسةِ .

الغزالى وآيات الصفات وأحاديثها

٣ — قال الإمامُ الغزالىُّ فى الجزء الأول من كتابه « إحياء علوم الدين » عنـد كلامهِ عَلَى نسبةِ الْعِلم الظاهرِ إلى الباطنِ وأقسام مَا يتأتَّى فيهِ الظهورُ والبطونُ ، والتأويلُ وغير التأويلِ : القسمُ الثالثُ أن يكون الشىء بحيثُ لو ذُكِرَ صريحاً لفهم ولم يكن فيه ضررٌ ، ولـكن يُكنَى عنهُ عَلَى سبيل الاسـتعارة والرمزِ ؛ ليكونَ وقعُهُ فى قلبِ المستمعِ أغلبُ . . . ومنه قوله صلى اللهُ عليه وسلم :

(١) سورة طه آية ٣٩
(٢) سورة هود آية ٣٧

« إنَّ المسجدَ ليَـنْزَوِى[1] من النُّخَامةِ كما تنزوِى الجِلْدَةُ على النـار » . ومعناهُ أن روحَ المسجدِ وكونَهُ معظّماً ، ورمىَ النخامة فيـه تحقيرٌ لهُ فيضاد معنى المسجدية مضادّة النارِ لاتصال أجزاء الجلدةِ . وأنت ترى أن ساحةَ المسجدِ لا تنقبضُ من نخامةٍ ، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « أمَا يخشَىٰ الذى يرفَعُ رَأْسَهُ قبـلَ الإمَامِ أنْ يُحَوِّلَ اللهُ رَأسَه رَأْسَ حِمارٍ »[2] وذلك من حيث الصورة لم يكن قط ولا يكونُ ، ولـكن من حيث المعـنى هو كائنٌ ؛ إذ رأسُ الحمارِ لم يكن بحقيقته وكونه وشكله بل بخاصيته ، وهى البلادةُ والحمقُ ، وَمَنْ رَفعَ رَأسَه قبـلَ الإمام فقد صار رَأْسُهُ رَأْسَ الحِمارِ فى معنى البلادةِ والحمقِ ، وهو المقصودُ دونَ الشكلِ . وإنما يعرف أن هذا السر على خلاف الظاهر إما بدليلٍ عقلىٍّ أو شرعىٍّ . أما العقلىُّ

---

(١) قوله صلى الله عليه وسلم : « إن المسجد لينزوى » أى لينقبض . قال الزبيدى فى شرح الإحياء : قال العراق : هذا لم أر له أصلا فى المرفوع وإنما هو من قول أبى هريرة ورواه ابن أبى شيبة فى مصنفه . قلت : ورواه كذلك عبد الرزاق موقوفاً على أبى هريرة ، وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى نخامة فى المسجد فى القبلة فقال : « ما بال أحدكم مستقبل ربه فينخع أمامه ! أيحب أحدكم أن يستقبل فينخع فى وجهه ؟ » .

(٢) رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة .

فأن يكون حمله على الظاهر غير ممكن ، كقوله صلى الله عليه وسلم : « قلبُ المؤمنِ بين إصبعين من أصابع الرحمنِ[1] » إذ لو فتشنا عن قلوب المؤمنين لم نجد فيها أصابع ، فعلم أنها كناية عن القدرة التى هى سرُّ الأصابعِ ورُوحُها الخفىُّ ، وكَنَى بالأصابع عن القدرة لأن ذلك أعظم وقعاً فى تفهم تمام الاقتدار » .

وقد تعرض لمثل هذا الكلام فى موضع آخرَ من هذا البحث ، وفيما ذكرناه كفاية .

إلى هنا وضح أمامَك طريقَا السَّلَفِ والخلَفِ ؛ وقد كان هذان الطريقان مثارَ خلافٍ شديدٍ بين علماءِ الكلام من أئمة المسلمينَ ، وأخذ كلٌّ يدعمُ مذهبَه بالحجج والأدلةِ ، ولو بحثتَ الأمرَ لعلمتَ أن مسافة الخلفِ بين الطريقين لا تحتملُ شيئا من هذا لو تركَ أهلُ كلٍ منهما التطرفَ والغلوَّ ، وأن البحثَ فى مثل هذا الشأن ، مهما طال فيه القولُ ، لا يؤدى فى النهاية إلا إلى نتيجةٍ واحدةٍ ، هى التفويضُ لله تبارك وتعالى ، وذلك ما سنفصله لك إن شاء الله تعالى .

---

(١) رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو .

بين السلف والخلف

بين السلف والخلف

قد علمتَ أن مذهبَ السَّلَفِ فى الآياتِ والأحاديثِ التى تتعلقُ بصفاتِ الله تبارك وتعالى أن يُمِرُّوها على ما جاءت عليه ، ويسكتوا عن تفسيرِها أو تأويلها ، وأن مذهب الخلف أن يؤوِّلوها بما يتفقُ مع تنزيهِ اللهِ تبارك وتعالى عن مشابهة خلقِهِ ، وعلمتَ أن الخلافَ شديدٌ بين أهل الرأيين حتى أدى بينهما إلى التنابزِ بالألقاب العصبيةِ ؛ وبيانُ ذلك من عدة أوجهٍ :

أولا : اتفقَ الفريقانِ على تنزيهِ الله تبارك وتعالى عن المشابهةِ لخلقهِ .

ثانيا : كلٌّ منهما يقطعُ بأن المرادَ بألفاظِ هذه النصوصِ فى حقِّ الله تبارك وتعالى غيرُ ظواهرِها التى وُضِعتْ لها هذه الألفاظُ فى حق المخلوقاتِ ، وذلك مترتبٌ على اتفاقهما على نفى التشبيه .

ثالثا : كلٌّ من الفريقين يعلمُ أن الألفاظَ تُوضَع للتعبير عما يجولُ فى النفوسِ ، أو يقعُ تحتَ الحواسِ مما يتعلق بأصحاب اللغة وواضعيها ، وأن اللغاتِ ، مهما اتسعت ، لا تحيطُ بما ليس لأهلها بحقائقِهِ علمٌ ، وحقائقُ ما يتعلقُ

بذاتِ الله تبارك وتعالى من هذا القبيلِ ، فاللغةُ أقصرُ من أن تواتينا بالألفاظِ التى تدلُّ على هذه الحقائق ، فالتحكمُ فى تحديدِ المعانى بهذه الألفاظِ تغريرٌ .

وإذا تقرر هذا فقد اتفقَ السّلَفُ والخلَفُ على أصل التأويلِ ، وانحصرَ الخلافُ بينهما فى أنَّ الخلَفَ زادوا تحديد المعنى المراد حيثما ألجأتهم ضرورةُ التنزيهِ إلى ذلك حفظًا لعقائدِ العوام من شبهةِ التشبيهِ ، وهو خلافٌ لا يستحقُّ ضجةً ولا إعناتاً .

ترجيح مذهب السلف

ونحن نعتقدُ أن رأى السلَفِ من السكوتِ وتفويضِ علمِ هذه المعانى إلى اللهِ تبارك وتعالى أسلمُ وأولى بالاتباع ، حسما لمادةِ التأويلِ والتعطيلِ ؛ فإن كنتَ ممن أسعدَه اللهُ بطمأنينةِ الإيمانِ ، وأثلجَ صدرَه ببردِ اليقينِ فلا تعدل به بديلا ؛ ونعتقدُ إلى جانب هذا أن تأويلاتِ الخلَفِ لا توجبُ الحكمَ عليهم بكفرٍ ولافسوقٍ ، ولا تستدعى هذا النزاعَ الطويلَ بينهم وبين غيرِهم قديماً وحديثاً ، وصدرُ الإسلام أوسعُ من هذا كلّه . وقد لجأ أشدُّ الناسِ تمسكاً برأى السلَف ، رضوانُ اللهِ عليهم ، إلى التأويل فى عدّةِ مواطنَ ، وهو الإمام أحمدُ بنُ حنبل رضى الله عنه ؛

من ذلك تأويلهُ لحديثِ : « الحجرُ الأسودُ يمينُ اللهِ فى أرضِه [١] » وقوله صلى الله عليه وسلم : « قلبُ المؤمنِ بين إصبعينِ من أصابعِ الرّحمٰنِ [٢] » وقوله صلى الله عليه وسلم : « إنى لأجد نفَس الرّحمنِ من جانب اليمن [٣] » .

وقد رأيتُ للإمام النووىّ رضى الله عنه ما يفيد قرب مسافة الخلافِ بين الرأيينِ مما لا يدعُ مجالا للنزاع والجدالِ ولا سيما وقد قيد الخلفُ أنفسهم فى التأويلِ بجوازه عقلا وشرعاً ، بحيث لا يصطدمُ بأصلٍ من أصولِ الدينِ .

قال الرازىُّ فى كتابه « أساسُ التقديسِ » : « ثم إن جوّزنا التأويلَ اشتغلنا على سبيل التبرع بذكر تلك التأويلاتِ على التفصيلِ ، وإن لم نجز التأويلَ فوّضنا العلم بها إلى اللهِ تعالى ، فهذا هو القانون الكلىُّ المرجوعُ إليه فى جميع المتشابهاتِ ، وبالله التوفيقُ » . .

وخلاصةُ هذا البحثِ أن السّلَفَ والخلَفَ قد اتفقا على أن المرادَ غيرُ الظاهرِ المتعارفِ بين الخلقِ ، وهو تأويلٌ

(١) قال العراقى : رواه الحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمر .
(٢) رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو .
(٣) قال العراقى : رواه أحمد من حديث أبى هريرة فى حديث قال فيه : « وأجد نفس ربكم من قبل اليمن » ورجاله ثقات .

فى الجملةِ ، واتفقا كذلك على أن كلَّ تأويلٍ يصطدمُ بالأصولِ الشرعيةِ غيرُ جائزٍ ، فانحصرَ الخلافُ فى تأويلِ الألفاظِ بما يجوزُ فى الشرعِ ، وهو هينٌ كما ترى ، وأمرٌ لجأَ إليه بعضُ السلفِ أنفسُهم ، وأهمُّ ما يجبُ أن تتوجَّه إليه همُ المسلمينَ الآن توحيدُ الصفوفِ ، وجمعُ الكلمةِ ما استطعنا إلى ذلك سبيلا ، واللهُ حسبنا ونعمَ الوكيلُ .

* * *

إلى هنا انتهت تلك الفصولُ التى حررها فضيلةُ الأستاذ المؤلف رضى الله عنه وكنا نود أن يتابعَ فضيلتُه الكتابةَ بهذا الأسلوبِ الممتع النفيس حتى يواتينا بما رسمه فى صدر هذه الفصولِ ، فيحدثنا عن النبوّاتِ ، وعن الروحانيات ، وعن السمعياتِ ، كما حدثنا عن الإلٰهياتِ ، ولكن هذا قدَرُ الله ولا رادَّ لقضائه .

فهرس العقائد

لفضيلة الإمام الشهيد الشيخ حسن البنا

المناجاة

« وقال ربكم أدعوني أستجب لكم »

بقلم

فضيلة الأستاذ المرحوم

« حسن البنا »

~~~~~~~~
~~~~~~~~

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد امام المتقين وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته الى يوم الدين .

« وبعد » فلما كان من أوراد الاخوان المسلمين ان يجتمعوا ليلة في الاسبوع على تعارف وأخاء وذكر ودعاء . احببت ان اتقدم اليهم بهذه المذكرة الموجزة في فضل القيام والدعاء والاستغفار وما ينحو هذا المنحى وفي بعض ادعية مأثورة مختارة لعل فيها تذكرة بالآداب المسنونة وارشادا الى الكيفيات المطلوبه . ولم اقصد بذلك الاستيعاب والحصر ، ولكني انما قصدت الى التذكير والتمثيل . وما بين العبد ومولاه ادق من ان يحصر في كتاب والله اسأل لي ولهم كمال الاخلاص وحسن الهداية والتوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الفقير الى الله

حسن البنا

فضل قيام الليل ووقت السحر

ياأخي : لعل اطيب اوقات المناجاة ان تخلو بربك والناس نيام والخليون هجع ، وقد سكن الكون كله وأرخى الليل سدوله وغابت نجومه فتستحضر قلبك وتتذكر ربك وتتمثل ضعفك وعظمة مولاك فتأنس بحضرته ويطمئن قلبك بذكره وتفرح بفضله ورحمته وتبكي من خشيته وتشعر بمراقبته وتلح في الدعاء وتجتهد في الاستغفار وتفضي بحوائجك لمن لايعجزه شيء ولا يشغله شيء عن شيء انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون . وتسأله لدنياك وآخرتك وجهادك ودعوتك وآمالك وامانيك ووطنك وعشيرتك ونفسك واخوتك وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم

ولهذا ياأخي وردت الآيات الكثيرة والاحاديث المتواترة في فضل هذه الساعات وتزكية تلك الاوقات وندب الصالحين من العباد الى ان يغتنموا منها ثواب الطاعات ولهذا ياأخي حرص السلف الصالحون على الا يفوتهم هذا الفضل العظيم فهم في هذه الاوقات تائبون عابدون حامدون ذاكرون راكعون ساجدون يبتغون فضلا من الله ورضوانا ويزدادون يقيناً وايمانا ويسألون الله من فضله وهو اكرم مسئول وافضل مأمول .

فمن الآيات القرآنية قوله تعالى

« من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله اناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك من الصالحين وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين » آل عمران .

«للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار » آل عمران

«أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاماً محمودا » الاسراء

«وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما » الفرقان

« انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لايستكبرون تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين جزاء بما

كانوا يعملون » السجدة

«أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولو الالباب » الزمر

« فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود » ق

« ان المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون» الذاريات

« واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم» الطور

«يأيها المزمل قم الليل الاقليلا نصفه أو أنقص منه قليلا أوزد عليه ورتل القرآن ترتيلا انا سنلقى عليك قولا ثقيلا ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا » المزمل

« ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرأوا ماتيسر من القرآن » المزمل

« انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم

آثما أو كفورا واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا » الدهر

ومن الاحاديث الشريفة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يقضي ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له) رواه البخاري ومالك ومسلم والترمذى وغيرهم وفي رواية مسلم ان الله تعالى يمهل حتى اذا ذهب ثلث الأول من الليل ينزل الى سماء الدنيا فيقول أنا الملك من الذي يدعوني .

وعن عمرو بن عيشه رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (اقرب مايكون العبد من الرب في جوف الليل فان استطعت ان تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن) رواه ابو داود والترمذى واللفظ له وقال حديث حسن صحيح والحاكم على شرط مسلم .

عن أبي امامة قال قيل يارسول الله اي الدعاء اسمع ؟ قال جوف الليل الاخير ودبر الصلوات المكتوبات . رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

وعن بلال رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم . وقربة الى ربكم . ومنهاة عن الاثم . وتكفير للسيئات . ومطردة للداء عن الجسد) اخرجه الترمذي .

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه . فقيل له : قد غفر لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبداً شكورا . اخرجه الخمسة الا ابا داود .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايدع قيام الليل وكان اذا مرض او كسل صلى قاعداً) ابو داود .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (ذكر رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال مازال نائماً حتى اصبح ماقام الى الصلاة . فقال صلى الله عليه وسلم : ذلك رجل بال الشيطان في اذنه) اخرجه الشيخان والنسائي

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه (نعم الرجل هو لو كان يصلي بالليل) فكان يداوم بعد ذلك على قيام الليل قال نافع مولاه : كان يصلي بالليل ثم يقول يانافع اسحرنا ؟ فأقول لا فيقوم لصلاته ثم يقول يانافع اسحرنا ؟ فأقول نعم فيقعد ويستغفر الله تعالى حتى يطلع الفجر - (اسحرنا اي دخلنا في وقت السحر والظاهر ان ذلك بعد ان كبر رضي الله عنه وكف بصره) .

وعن ابي هريرة رضي الله عنه .(افضل الصلاة بعد المكتوبة قيام

الليل) رواه مسلم .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين) ابو داود وله في رواية اخرى عن عبدالله بن حبيش قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم « أي الأعمال أفضل ؟ قال طول القيام »

وعن عائشة رضي الله عنها . كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل ، عشر ركعات ويوتر بسجدة ويركع ركعتي الفجر فتلك ثلاث عشرة ركعة . أخرجه الستة وهذا لفظ مسلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عيه وسلم « اذا قام أحدكم من الليل فليفتتح صلاته بركعتين خفيفتين » أخرجه مسلم وأبو داود وزاد أبو داود ثم ليطول بعد ذلك ماشاء .

ومن المأثور عن السلف رضوان الله عليهم في ذلك

ماورد عن ضرار الصدائي في وصف علي كرم الله وجهه اذ يقول « يستوحش من الدنيا وزخرفها ، ويأنس بالليل ووحشته ، وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه ـ وقد أرخى الليل سدوله وغابت نجومه ـ واقفا في محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم . ويبكي بكاء الحزين . ويقول

يادنيا غرى غيري ، الى تعرضت ، أم الى تشوقت هيهات هيهات ، قد باينتك ثلاثا لارجعة فيها فعمرك قصير ، وحسابك عسير ، وخطرك حقير آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق » وما روى أن عمر رضي الله عنه كان يمر بالآية من ورده بالليل فيتأثر بها ، ويحسب في المرضى .

وان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه اذا هدأت العيون . قام فيسمع له بالقرآن دوي كدوي النحل وكان ذلك دأب الصحابة جميعاً رضوان الله عليهم . وسئل الحسن : ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوهاً ؟ قال لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نوراً من نوره . وقال الربيع بت في منزل الشافعي رضي الله عنه ليالي كثيرة فلم يكن ينام من الليل الا يسيراً ، وكان ذلك دأب الأئمة رضوان الله عليهم كذلك وتلا مالك بن دينار في ورده قول الله تعالى « ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون » ، فأخذ يرددها حتى اصبح . وقال المغيرة بن حبيب رافقت مالك بن دينار ليلة فقام الى الصلاة فقبض على لحيته فخنقته العبرة فجعل يقول . اللهم حرم شيبة مالك على النار الهي قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار فأي الرجلين مالك واي الدارين دار مالك ؟ فلم يزل ذلك قوله حتى طلع الفجر

ورؤي الجنيد بعد موته فقيل له مافعل الله بك ياباالقاسم ؟ فقال بليت الرسوم ، وغابت العلوم ، وامحت العبارات ، وطاحت الاشارات

وما نفعنا الا ركيعات ، كنا نركعها في جوف الليل ، ومن وصايا لقمان لابنه يابني . لايكونن الديك أكيس منك . ينادي بالأسحار وأنت نائم

ولقد كانوا رضوان الله عليهم يجدون في كثرة القيام وحلاوة المناجاة أنسا وراحة ، تنسيهم عناء الأجسام ، وتعب الأقدام ، قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه « أهل الليل في ليلهم أروح من أهل اللهو في لهوهم ولولا قيام الليل ماأحببت البقاء في الدنيا ، ولو عوض الله اهل الليل من ثواب اعمالهم مايجدون من اللذة لكان ذلك أكثر من هذه الأعمال »

وقال بعضهم ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم الآخرة الا مايجده اهل القيام في قلوبهم من حلاوة المناجاة وقال محمد بن المنكدر رضي الله عنه مابقي من لذات الدنيا الا ثلاث قيام الليل ولقاء الاخوان والصلاة في الجماعة وقال بعض الصالحين منذ اربعين سنة ماالجزني شيء الا طلوع الفجر وقال بعضهم :

« ان الله تعالى ينظر بالأسحار الى قلوب المتيقظين فيملؤها نوراً فترد الفوائد على قلوبهم ثم تنتشر منها الى قلوب الغافلين »

ومن وصف علي كرم الله وجهه للمتقين . « اما الليل فصافون اقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلا ، يحزنون به انفسهم ويستثيرون دواء دائهم اذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا اليها طمعاً وتطلعت

نفوسهم اليها شوقاً وظنوا انها نصب اعينهم واذا مروا بآية فيها تخويف اصغوا اليها مسامع قلوبهم وظنوا ان زفير جهنم وشهيقها في اصول آذانهم فهم حانون على اوساطهم مفترشون لجباههم واكفهم واطراف اقدامهم لا يرضون من اعمالهم القليل ولا يستكثرون الكثير فهم لانفسهم متهمون ومن اعمالهم مشفقون » — قال ابن الحاج في المدخل وفي قيام الليل من الفوائد جملة فنها انه يحط الذنوب كما يحط الريح العاصف الورق اليابس من الشجرة، ومنها انه ينور القلب ، ومنها انه يحسن الوجه . ومنها انه يذهب الكسل وينشط البدن . ومنها ان موضعه تراه الملائكة من السماء، يتراءى مثل الكوكب الدري لاهل الارض ونفحة من نفحات القيام من الليل تعود على صاحبها بالبركات والانوار والتحف التي يعجز عنها الوصف « قال عليه الصلاة والسلام ان لله نفحات فتعرضوا لنفحات الله»

كذلك كانوا ايها الاخ فاسلك سبيلهم وانهج نهجهم اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده، ولا تجعل قيامك قاصراً على ليلة الاجتماع باخوانك بل عممه في جميع لياليك مااستطعت فان احب الاعمال الى الله ادومها وان قل .

واعلم انه مما يعينك على قيام الليل ، اخلاص النية واستحضار العزيمة وتجديد التوبة والبعد بالنهار عن المعصية والتبكير بالنوم والقيلولة أن استطعت فاستعن الله يعنك وتقرب اليه واسأله من فضله يعطك .

فضل الدعاء والاستغفار وآدابهما

قد وردت الآيات والاحاديث بفضل الاستغفار والدعاء وآدابهما ونحن نذكرك بطرف من ذلك فأما الآيات الكريمة فمنها قول الله تعالى

« واذا سألك عبادى عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون » البقرة

« والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب الا الله ، ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين » آل عمران

« واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما » النساء

« ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما » النساء

« ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لايحب المعتدين ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعاً ان رحمة الله قريب من المحسنين » الاعراف

« وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » الأنفال

« ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين » هود

« فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون رفيع الدرجات ذو العرش » المؤمن

« وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين » المؤمن

« فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم » القتال

« فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا » نوح .

« فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا » النصر

ومن الأحاديث الشريفة في فضل الدعاء والاستغفار

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من فتح له باب الدعاء فتحت له ابواب الرحمة وما سئل الله تعالى شيئاً احب اليه من ان يسأل العافية ، وان الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ولا يرد القضاء الا الدعاء فعليكم بالدعاء » رواه الترمذي

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم ماعلى الارض مسلم يدعو الله بدعوة الا آتاه الله اياها او صرف عنه من السوء مثلها مالم يدع بأثم او قطيعة رحم » الترمذي

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدعاء هو العبادة ثم قرأ (وقال ربكم ادعوني استجب لكم الآية) اخرجه ابو داود .

وعن انس رضي الله عنه قال « قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ليسأل احدكم ربه حاجته كلها حتى يسأل شسع نعله اذا انقطع » اخرجه الترمذي وفي رواية عن ثابت البناني مرسلا حتى يسأله الملح وحتى يسأله شسع نعله اذا انقطع .

وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال (قال من لم يسأل الله يغضب عليه) الترمذي

وعن ابن مسعود رضي الله عنهما قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوا الله تعالى من فضله فان الله يحب ان يسأل وافضل العبادة انتظار الفرج) الترمذي

وعن ابي الدرداء رضي الله عنه قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن عبد مسلم يدعو لاخيه بظهر الغيب الا قال الملك ولك بمثل) اخرجه مسلم وابو داود وزاد الا قالت الملائكة آمين ولك بمثل

عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة) اخرجه ابو داود والترمذي

وعن آخر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في اليوم مائة مرة) اخرجه مسلم وابو داود .

وفي رواية لمسلم توبوا الى ربكم فوالله اني لأتوب الى ربي تبارك وتعالى في اليوم مائة مرة وللبخاري والترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول)والله اني لأستغفر الله و أتوب اليه في اليوم سبعين مرة)

وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان العبد اذا اخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة فان هو جزع واستغفر صقلت فان عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه فذلك الران الذي ذكر الله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) اخرجه الترمذي وقال حسن صحيح والنسائي وغيرهما

ومن آداب الدعاء ماجاءت به الآيات الكريمة من التضرع والخشية والسكون وحسن الادب مع الحق تبارك وتعالى ، وقد اشارت الى ذلك الاحاديث الصحيحة فمن هذه الآداب

رفع بطن اليدين حين الدعاء فعن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتستروا الجدر ومن نظر في كتاب اخيه بغير اذنه فانما ينظر في النار سلوا الله ببطون اكفكم ولا تسألوه بظهورها فاذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم) اخرجه ابو داود

وحضور القلب وتيقن الاجابة — فعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه) الترمذي

واستفتاح الدعاء بحمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسول الله وان تتخلله الصلاة والسلام على رسول الله ويختم بها كذلك فعن فضالة بن ابي عبيد رضي الله عنه قال . سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: عجل هذا ثم دعاه فقال : اذا صلى احدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شاء اخرجه » اصحاب السنن

وعن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدعاء موقوف بين السماء والارض لا يصعد حتى يصلى علي فلا تجعلوني كقدح الراكب صلوا علي اول الدعاء ووسطه وآخره)

اخرجه الترمذي موقوفاً على عمر ورفعة رزين

ومنها انه يختم دعائه بآمين فمن ابي مصبح القرائي عن ابي زهير النميري رضي الله عنه قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فأتينا على رجل قد الح في المسألة فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع منه فقال اوجب ان ختم فقيل باي شيء يختم يارسول الله . قال بآمين وانصرف فقيل للرجل يافلان . قل آمين ، وابشر» ابو داود

ومنها الهدوء وعدم رفع الصوت بالدعاء ، فمن ابي موسى رضي الله عنه قال كنا في سفر فجعل الناس يجأرون بالتكبير . فقال النبي صلى الله عليه وسلم . ايها الناس ارفقوا على انفسكم فانكم لاتدعون اصم ولا غائبا انكم تدعون سميعاً بصيراً وهو معكم ، والذي تدعونه اقرب الى احدكم من عنق راحلته» الخمسة الا النسائي

ومنها ان يختار جوامع الكلم ؛ اي الدعوات الجامعات للخير فمن عائشة رضي الله عنها قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب الجوامع من الدعاء ، ويدع ماسوى ذلك »

ومنها التكرير ثلاثاً في الدعاء والاستغفار فمن ابن مسعود رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه ان يدعو ثلاثاً ويستغفر ثلاثاً . وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم ، امرهم في

بعض الاحوال ان يستغفروا سبعين مرة

ومنها الا يتعجل الاجابة فعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . يستجاب لاحدكم مالم يعجل . يقول قد دعوت ربي فلم يستجب لي » اخرجه الستة الا النسائي

ومنها ان لايدعو على نفسه ولا على ولده ولا على ماله بسوء فعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتدعوا على انفسكم ولا تدعوا على اولادكم ولا تدعوا على خدمكم ولا تدعوا على اموالكم لاتوافق من الله ساعة نيل فيها عطاء فيستجيب لكم » ابو داود

ومنها ان يبدأ بنفسه اذا دعا لغيره ، فعن ابي ابن كعب رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دعا لاحد بدأ بنفسه » الترمذي

ومن الاوقات التي ترجى فيها اجابة الدعاء

بين الاذان والاقامة . فعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايرد الدعاء بين الاذان والاقامة . قيل ماذا نقول يارسول الله ؛ قال سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة ، اخرجه ابو داود والترمذي

وفي السجود . ففي الحديث عن ابي هريرة رضي الله عنه

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء » أخرجه مسلم وابو داود والنسائي

وفي السفر والمظلمة . فعنه أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث دعوات مستجابات لاشك في اجابتهن . دعوة المظلوم . ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد على ولده » أبو داود والترمذي وعن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . مامن دعوة اسرع اجابة من دعوة غائب لغائب » الترمذي وأبو داود أيضاً .

عند النداء والصف ، وتحت المطر ، فمن سعد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثنتان لاتردان الدعاء عند النداء ، وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضاً » أخرجه مالك وأبو داود وزاد في رواية تحت المطر .

فاجتهد ياأخي أن تلح في الدعاء ، وأن تكثر في الاستغفار في كل وقت وبخاصة في هذه الأوقات ، وفي جوف الليل ووقت السحر فلعلك تصادف ساعة من رضوان الله وفيض نفحاته ، فتكون من المفلحين في الدنيا والآخرة .

نماذج من الدعوات

من القرآن الكريم

« ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » البقرة

« ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصراً كما حملته على الذين من قبلنا . ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » البقرة

« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب » آل عمران

« ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا ، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » آل عمران

« ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا ، وكفر عنا سيآتنا وتوفنا مع الأبرار ، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة . انك لا تخلف الميعاد » آل عمران

« ربنا ظلمنا أنفسنا ، وان لم تغفر لنا وترحمنا ، لنكونن من الخاسرين » الأعراف

رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ، ربنا وتقبل دعاء . ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب» ابراهيم

« وقل رب أدخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي

من لدنك سلطانا نصيرا »   الاسراء

« ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا »   الكهف

« لااله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين »   الأنبياء

« رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين »   المؤمنون

« ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين ، واجعلنا للمتقين اماما »   الفرقان

« رب هب لي حكما والحقني بالصالحين ، واجعل لي لسان صدق في الآخرين ، واجعلني من ورثة جنة النعيم »   الشعراء

« ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا انك رءوف رحيم »   الحشر

« رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارا »   نوح

في التحميد والثناء على الله تبارك وتعالى

عن بريدة رضي الله عنه قال : سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يقول : اللهم اني اسألك بأني اشهد انك انت الله لااله الا انت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد » فقال والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي اذا دعي به اجاب ، واذا سئل به

اعطي » اخرجه ابو داود والترمذي

وعن انس رضي الله عنه قال : دعا رجل فقال اللهم اني اسألك بأن لك الحمد لااله الا انت المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والاكرام ياحي ياقيوم : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اتدرون بما دعا الرجل ؟ قالوا الله ورسوله اعلم قال : والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى » اخرجه اصحاب السنن

في الصلاة والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم

عن ابي مسعود البدري رضي الله عنه قال. اتانا رسول الله ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد . امرنا الله ان نصلي عليك يارسول الله فكيف نصلي عليك ؟ قال . قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد ، والسلام كما علمتم . ، اخرجه الستة الا البخاري

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال. اذا صليتم على رسول الله فاحسنوا الصلاة فانكم لاتدرون لعل ذلك يعرض عليه . قال: فقالوا له فعلمنا . قال قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين ، وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك ، امام الخير ، وقائد الخير

ورسول الرحمة . اللهم ابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأولون والآخرون اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد) ابن ماجه موقوفا بأسناد حسن

اللهم داحي المدحوات وداعم المسموكات ، وجابل القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها . اجعل شرائف صلواتك ، ونوامي بركاتك على محمد عبدك ورسولك الخاتم لماسبق والفاتح لما انغلق ، والمعلن الحق بالحق » اه

من نهج البلاغة

دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في التهجد

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يتهجد قال « اللهم ربنا لك الحمد انت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد انت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد انت مالك السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد انت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق ، وقولك حق ! والجنة حق ، والنار حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت ، واليك انبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ماقدمت وماأخرت ، ومااسررت وماأعلنت

وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت المؤخر ، لااله الا انت اخرجه الستة وهذا لفظ الشيخين

من مناجاة أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه

اخبر ابو عبد الله منصور بن سكبان التستري قال . اخبرنا محمد بن الحسن بن غراب قال حدثنا القاضي موسى بن اسحاق قال حدثنا ابو عبد الله محمد بن ابي شيبة قال حدثنا محمد بن فضيل عبد الله الاسدي كان علي ابن ابي طالب رضي الله عنه يقول في مناجاته

الهي لولا ماجهلت من امري ، ماشكوت عثراتي ولولا ماذكرت من الافراط ماسحت عبراتي؛ الهي فامح مثبتات العثرات بمرسلات العبرات، وهب كثير السيئات لقليل الحسنات . الهي : ان كنت لاترحم الا المجد في طاعتك . فالى من يلتجيء المخطئون ، وان كنت لاتكرم الا أهل الاحسان ، فالى من يصنع المسيئون وان كان لايفوز يوم الحشر الا المتقون فكيف يستغيث المذنبون ، الهي افحمتني ذنوبي وانقطعت مقالتي فلا حجة لي ولا عذر فأنا المقر بجرمي ، والمعترف باساءتي والأسير بذنبي المرتهن بعملي ، الهي : فصل على محمد وعلى آل محمد وارحمني برحمتك وتجاوز عني اللهم ان صغر في جنب طاعتك عملي فقد كبر في جنب رجائك املي ، الهي . كيف انقلب بالخيبة عندك محروما ، وظني بجودك ان

تقبلني مرحوما . فاني لم اسلط على حسن ظني بك قنوط الآيسين فلا تبطل
صدق رجائي لك بين الآملين . الهي عظم جرمي اذ كنت المطالب به
الهي ان اوحشتني الخطايا من محاسن لطفك ، فقد آنسني اليقين بمكارم عطفك
الهي ان امانتني الغفلة عن الاستعداد للقائك ، فقد أنبهتني المعرفة بكريم
آلائك . الهي . لو لم تهدني الى الاسلام ، مااهتديت ، ولو لم تطلق لساني
بدعائك مادعوت . ولو لم تعرفني حلاوة نعمتك ماعرفت ولو لم يتبين لي
شديد عقابك مااستجرت ، الهي ان أقعدني التخلف عن السير مع
الأبرار ، فقد اقامتني الثقة بك على مدارج الأخيار . الهي : نفسي اعززتها
بتأييد ايمانك كيف تذلها بين اطباق نيرانك . الهي كل مكروب فاليك
يلتجي وكل محزون فاليك يرتجى . الهي سمع العابدون بجزيل ثوابك فخشعوا
وسمع المذنبون بسعة غفرانك فطمعوا حتى ازدحمت عصائب العصاة
ببابك ، وعج منهم اليك العجيج والضجيج بالدعاء في بلادك . الهي : انت
دللتني على سؤالك الجنة قبل معرفتها ، فاقبلت النفس بعد العرفان على
مسألتها أفتدل على خير بالسؤال ثم تمنعه ، وأنت الكريم المحمود في كل
ماتصنعه ياذا الجلال والاكرام الهي : ان كنت غير مستأهل لما ارجو من
رحمتك فأنت أهل ان تجود على المذنبين بفضل سعتك . الهي نفسي قائمة
بين يديك وقد اظلها حسن التوكل عليك . فاصنع بي ما انت أهله .
وتغمدني برحمة منك . الهي شهدجناني بتوحيدك وانطلق لساني بتمجيدك

ودلني القرآن على فضل جودك ، فكيف لايتحقق رجائي بحسن موعدك .
الهي كأني بنفسي وقد اضطجعت في حفرتها وانصرف عنها المسيمون من عشيرتها . ورحمها المعادي لها في الحياة عند صرعها ، ولم يخف على الناظرين اليها ذل فاقتها وقالت الملائكة غريب نأى عنه الاقربون ، وبعيد جفاه الأهلون ، وخذله المؤملون نزل بنا قريباً فاصبح في اللحد غريباً ، وقد كنت في دار الدنيا داعياً ورحمتك اياي في هذا اليوم راجياً فأحسن ضيافتي وكن أشفق علي من اهلي وقرابتي . الهي سترت علي في الدنيا ذنوباً فلم تظهرها فلا تفضحني يوم القيامة على رؤوس العالمين بها . واسترها علي ياارحم الراحمين هنالك الهي مسكنتي لايجبرها الا عطاؤك وامنيتي لايغنيها الا نعماؤك . الهي استوفقك لما يدنيني منك ، واعوذ بك مما يصرفني عنك .
الهي : أحب الأمور الى نفسي وأعودها على منفعة مااسترشدتها بهدايتك اليه ، ودللتها برحمتك عليه فاستعملها بذلك عني اذ انت ارحم بها مني ، ياأنيس كل غريب آنس في القبر وحشتي وأرحم وحدتي . وياعالم السر والأخفى . وياكاشف الضر والبلوى . كيف نظرك لي من بين ساكني الثرى وكيف صنيعك لي في دار الوحشة والبلى قد كنت بي لطيفاً في حياتي ، فلا تقطع برك عني بعد وفاتي . ياأفضل المنعمين في آلائه وأكرم المتفضلين في نعمائه كثرت عندي اياديك فعجزت عن احصائها وضقت ذرعاً في شكري للمسائل بجزائها ، فلك

الحمد على ما اوليت ، ولك الشكر على ما ابليت ياخير من دعاه داع وافضل من رجاه راج ياحنان يامنان ياذا الجلال والاكرام ياحي ياقيوم يامن له الخلق والامر تباركت يااحسن الخالقين يارحيم ياقدير يا كريم : صلى على محمد وآله الطيبين آمين . اهـ ملخصاً من كتاب لطائف اخبار الآل .

من مناجاة ابن عطاء الله السكندري

الهي كيف تكلني الى نفسي ، وقد توكلت لي ، وكيف اضام وانت الناصر لي ، ام كيف اخيب وانت الحفي بي ، هأنا اتوسل اليك بفقري اليك . الهي كلما اخرسني لؤمي انطقني كرمك وكلما ايستني اوصافي اطمعتني مننك الهي من كانت محاسنه مساوى ، فكيف لاتكون مساويه مساوى ومن كانت حقائقه دعاوى فكيف لاتكون دعاويه دعاوى .

متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ، ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل اليك . عميت عين لاتراك عليها رقيباً وخسرت صفقة عبد لم يجعل له من حبك نصيباً . الهي هذا ذلي ظاهر بين يديك ، وهذا حالي لايخفى عليك ، منك اطلب الوصول اليك ، وبك استدل عليك اهدني بنورك اليك ، واقمني بصدق العبودية بين يديك ، الهي علمني من علمك المخزون وصني بسر اسمك المصون . بك انتصر فانصرني وعليك اتوكل فلا تكلني واياك اسأل فلا تخيبني ، وفي فضلك ارغب فلا تحرمني ولجنابك انتسب فلا تبعدني ، وبيابك اقف فلا تطردني . الهي تقدس

رضاك ان تكون له علة منك ، فكيف تكون له علة مني . انت الغني بذاتك عن ان يصل اليك النفع ، فكيف لاتكون غنياً عني . انت الذي اشرقت الانوار في قلوب اوليائك حتى عرفوك ووجدوك . وانت الذي ازلت الاغيار عن قلوب احبابك حتى لم يحبوا سواك ، ولم يلجأوا الى غيرك . انت المؤنس لهم حيث اوحشتهم العوالم وانت الذي هديتهم حتى استبانت لهم المعالم . فاذا وجد من فقدك وما الذي فقد من وجدك لقد خاب من رضي دونك بدلا ولقد خسر من بغي عنك متحولا الهي كيف يرجى سواك . وانت ماقطعت الاحسان وكيف يطلب من غيرك وانت مابدلت عادة الامتنان ، يامن اذاق احباءه حلاوة مؤانسته فقاموا بين يديه متملقين ، ويامن البس اولياؤه ملابس هيبته قاموا بعزته مستعزين انت الذاكر من قبل الذاكرين وانت البادئ بالاحسان ، من قبل توجه العابدين وانت الجواد بالعطاء من قبل طلب الطالبين . وأنت الوهاب ثم انت لما وهبتنا من المستقرضين . الهي اطلبني برحمتك حتى اصل اليك واجذبني بمنك حتى اقبل عليك . الهي ان رجائي لاينقطع عنك وان عصيتك كما ان خوفي لايزاملني وان اطعتك . الهي قد دفعتني العوالم اليك : وقد اوقفني علمي بكرمك عليك الهي كيف اخيب وانت املي ، ام كيف اهان وعليك متكلي يامن احتجب في سرادقات عزه عن ان تدركه الابصار يامن تجلى بكمال بهائه فتحققت

عظمت الاسرار كيف وانت الظاهر ام كيف تغيب وانت الرقيب الحاضر انتهى بتصرف .

من دعوات السيد احمد الرفاعي

اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم اللهم فارج الهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين ، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها انت ترحمنا رحمة تغنينا بها عن رحمة من سواك لا اله الا انت يارب كل شيء سبحانك لا اله الا انت ياوارث كل شيء ياحي ياقيوم ياذا الجلال والاكرام ياارحم الراحمين ياعلي ياعظيم ياصمد يافرد ياواحد ياأحد يامن بيده الخير وهو على كل شيء قدير نسألك توكلا خالصاً عليك ورجوعاً في كل الاحوال اليك واعتماداً على فضلك واستناداً لبابك ياعالم السر والنجوى ، ياكاشف الضر والبلوى ، يامن تضرع اليه قلوب المضطرين وتعول عليه همم المحتاجين ، نسألك اللهم بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك العلي الاعلى وبكلماتك التامات التي لايجاوزهن بر ولا فاجر وباشراق وجهك ان تصلي على سيدنا محمد وآله وصحبه وذريته وان تحفنا بألطافك الخفية حتى نرفل بحلل الأمان من خوارق الحدثان وعلائق الاكوان واشراك الحرمان وغوائل الخذلان ، ودسائس الشيطان وسوء النية وظلمة الخطية ، اللهم امنحني قلباً لاينصرف

في آماله الا اليك ولبا لا يقول في احواله الا عليك وقلبني على بساط المعرفة بقوة التوحيد واليقين، وايدني بك لك بما ايدت به عبادك الصالحين. اللهم اسلك بي طريق نبيك المصطفى سيد المقربين الاحباب، واوزعني ان اشكر نعمتك باتباعه عليه الصلاة والسلام بطريقة الحق والصواب. اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع، وعمل لا يرفع، وقلب لا يخشع، ودعاء لا يسمع، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا. اللهم حققني بحقيقته الصديقية، واذقني حلاوة اليقين بصدق النية، وخالص الطوبة ولا تكلني لنفسي، ولا لأحد من خلقك طرفة عين يا أرحم الراحمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. اهـ من حزب الوسيلة بتصرف.

من دعوات السيد احمد ابن ادريس

« اللهم انت الله الملك الحق المبين القديم المتعزز بالعظمة والكبرياء المنفرد بالبقاء الحي القيوم المقتدر الجبار القهار الذي لا اله الا انت ربي وانا عبدك عملت سوءا وظلمت نفسي، واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي كلها فأنه لا يغفر الذنوب الا انت. اشهد انك ربي ورب كل شيء فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة العلي الكبير المتعال. اللهم اني اسألك الثبات في الامر والعزيمة على الرشد والشكر على نعمك واسألك

حسن عبادتك واسألك من خير كل ماتعلم واعوذ بك من شر ماتعلم انك انت علام الغيوم » اهـ

من دعوات أبي الحسن الشاذلي

ياالله يالطيف يارزاق ياقوي ياعزيز لك مقاليد السموات والأرض ، تبسط الرزق لمن تشاء وتقدر فابسط لنا من الرزق ماتوصلنا به الى رحمتك ومن رحمتك ماتحول به بيننا وبين نقمتك ، ومن حلمك مايسعنا به عفوك ، واختم لنا بالسعادة التي ختمت بها لأوليائك ، واجعل خير ايامنا واسعدها يوم لقائك . وزحزحنا في الدنيا عن نار الشهوة وادخلنا بفضلك في ميادين الرحمة واكسنا من نورك جلابيب العصمة واجعل لنا ظهيراً من عقولنا ومهيمنا من ارواحنا ومسخراً من انفسنا كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً انك كنت بنا بصيرا .

اللهم اني اسألك لسانا رطباً بذكرك وقلبا مفعما بشكرك ، وبدناً هيناً ليناً بطاعتك . وأعطنا مع ذلك مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، كما اخبر به رسولك صلى الله عليه وسلم حسب ما علمته بعلمك ، واغننا بلا سبب واجعلنا سبب الغنى لأوليائك ، وبرزخاً بينهم وبين اعدائك انك على كل شيء قدير . اللهم انا نسألك ايماناً كاملا ونسألك قلباً خاشعا ونسألك علماً نافعا . ونسألك يقيناً صادقاً ، ونسألك

دينا قيما . ونسألك العافية من كل بلية ، ونسألك تمام الغنى عن الناس ، اللهم رضنا بقضائك وصبرنا على طاعتك ، وعن معصيتك وعن الشهوات الموجبات للنقص ، او البعد عنك ، وهب لنا حقيقة الايمان بك حتى لانخاف ولانرجو غيرك ، ولا نعبد شيئاً سواك ، وأوزعنا شكر نعمائك وغطنا برداء عافيتك وأنصرنا باليقين والتوكل عليك ، واسفر وجوهنا بنور صفاتك واضحكنا وبشرنا يوم القيامة بين اوليائك ، واجعل يدك مبسوطة علينا وعلى اهلينا واولادنا ومن معنا برحمتك ، ولا تكلنا الى انفسنا طرفة عين ولا اقل من ذلك يانعم المجيب . وصلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم وعلى آله وصحبه اجمعين . انتهى من حزب البر بتصرف

من دعوات الامام الشافعي رضي الله عنه

« أعوذ بك من مقام الكافرين واعراض الغافلين اللهم لك خضعت نفوس العارفين ودنت لك رقاب المشتاقين . الهي هب لي جودك وجللني بسترواعف عن تقصيري بكرم وجهك » اه من الاحياء

نماذج من منثور الدعاء

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقول دعائه « اللهم اصلح لي ديني الذي هو عصمة امري واصلح لي دنياي التي فيها معاشي واصلح لي آخرتي التي فيها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر » اخرجه مسلم

عن انس رضي الله عنه قال كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار »
الشيخان وابو داود

عن علي كرم الله وجهه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم علم بعض اصحابه ان يقول « اللهم أكفني بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك عمن سواك » الترمذي والنسائي

عن إبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال « تعوذوا بالله عن جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء» الشيخان والنسائي

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم اعوذ بك من قلب لايخشع ، ومن دعاء لايسمع . ومن نفس لاتشبع . ومن علم لاينفع . اعوذ بك من هؤلاء الأربع» الترمذي والنسائي

من حديث شداد بن اوس كان صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم

اني اسألك الثبات في الامر والعزيمة في الرشد واسألك قلباً خاشعا سليما وخلقاً مستقيما ولساناً صادقا وعملاً مقبلا وأسألك من خير ماتعلم واعوذ بك من شر ماتعلم واستغفرك لما تعلم فانك تعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب » الترمذي

من حديث معاذ كان صلى الله عليه وسلم يقول اني اسألك الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين اسألك حبك وحب من احبك وحب كل عمل يقرب الى حبك وان تتوب علي وتغفرلي وترحمني واذا اردت بقوم فتنة فاقبضني اليك غير مفتون

الترمذي والطبراني

من حديث ابن مسعود « اللهم اني اسألك ايماناً لايرتد ونعيما لاينفذ وقرة عين الابد ومرافقة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم في جنة الخلد

خاتمة

أيها الاخ — استعن ربك واحضر قلبك وارفع الى الله حاجتك واختم بالصلاة والسلام على النبي وآله واجعل آخر كلامك . لتكتال بالمكيال الاوفى . سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

المأثورات

للإمام الشهيد حسن البنا

٣٨ ه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه الغُرّ الميامين .

وبعد : فهذه تعليقات مختصرة حررتها على رسالة : « المأثورات » للأستاذ التقي الصفي الجليل شقيق الروح المرحوم الشيخ حسن البنا طيب الله ثراه ، توضح الغامض من ألفاظها وتعين قراءها على فهم معانيها ومقاصدها . وقد عنيت بمقابلة أحاديثها على أصولها من : « الجامع الصحيح » للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، و « الجامع الصحيح » للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، و « السنن » للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، و « السنن » للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، و « السنن » للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شُعَيب النسائي ، و « السنن » للإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، و « عمل اليوم والليلة » للإمام أبي بكر أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري الشهير بابن السني ، وغيرها ، فأصلحت ما ألفيت فيها من غلط أو تحريف وتصحيف حيث لم أظفر بنسخة فضيلة الأستاذ المؤلف رضي الله عنه التي حررها بخطه .

وأرجو أن أكون بذلك كله قد قمت ببعض الواجب عليّ نحو الحديث النبوي ونحـــو الأستاذ المؤلف وقراء مأثوراته .

رضوان محمد رضوان

« فَفِرُّوا إِلَى اللهِ (١) إِنِّي لكم مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ » .

وإذ عرفت هذا أيها الأخ الكريم فلا تستغرب بعدُ أن يكون المسلم ذاكراً لله على كل حال ، وأن تؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم – وهو أعرف الخلق بربه – تلك الصِّيَغُ الرائعة البليغة من الذكر والدعاء والشكر والتسبيح والتحميد في كل الأحوال صغيرها وكبيرها وعظيمها وحقيرها ، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحواله[٢] ولا تعجب إذا طالبنا الاخوان المسلمين أن يَستَنّوا بسُنَّةِ نبيهم ويقتدُوا به صلى الله عليه وسلم فيحفظوا هذه الأذكار ويتقرّبوا بها إلى العزيز الغفار :

« لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ (٣) لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرا » .

---

(١) « ففروا إلى الله » : أي فروا إلى ثوابه من عقابه وذلك بأن تطيعوه ولا تعصوه . سورة الذاريات اية ٥٠ .

(٢) هذا حديث رواه مسلم وأبو داود والترمذي ولفظه : عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيـــانه .

(٣) (أسوة حسنة) : أي اقتداء برسول الله صلى الله عليـــه وسلم و (يرجو الله) : أي يخاف الله تعالى . سورة الأحزاب آية ٢١ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد أفضل الذاكرين ، وسيدِ الشاكرين ، وإمام المرسَلين وخاتم النبيين وقائدِ الغُرِّ المحجَّلين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وَمَن سلك طريقهم الى يومِ الدين .

١ – الذكر في كل حال :

وبعد : فاعلم يا أخي – رزقني الله وإياك حسن التوفيق – أن لكل إنسان غاية أساسية من حياته تدور عليها أفكارُه وتتجه نحوها أعمالُه ، وتتركز حولها آماله؛ وهي التي يسمونها « المثل الأعلى » ، ومتى سمَت هذه الغاية وعلت صدرت عنها أعمالٌ سامية مجيدة ، وانطبعت نفسُ صاحبها بصورة من الجمال الروحي ، وحدَت به إلى الكمال دائماً حتى يأخذ فيه بالنصيب الذي قدرَ له .

والاسلام ، وقد جاء لإصلاح نفوس البشر وتزكيتها والعلو بها إلى منتهى الكمال الممكن لها ، أوضح للإنسانية جميعاً الغاية القصوى ، وحدا بها نحو المثل الأعلى ، وكان هذا المثل هو « قدس حضرة الله جل وعلا » والآية الكريمة تقول :

٢ – فضل الذكر والذاكرين

وقد ورد الأمر بالذكر والإكثار منه وبيان فضله وفضل الذاكرين في كثير من آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم ، وحسبك أن كان خاتمة المراتب في قوله تعالى :

« إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ، وَالقَانِتِينَ[1] وَالْقَانِتَاتِ ، وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ ، وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ[2] وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ ، وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ ، وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ».

وقد أمر الله به المؤمنين في قوله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً[3] ».

---

(١) (والقانتين) أي العابدين المطيعين .

(٢) (والخاشعين) : أي الخائفين من الله . سورة الأحزاب اية ٣٥ .

(٣) « وسبحوه بكرة وأصيلا » ، أي أول النهار وآخره . سورة الأحزاب آية ٤٢ .

وقد وردت الأحاديث الكثيرة في فضل الذكر قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل : قال الله تبارك وتعالى :

« أنا عِنْدَ ظَن عَبْدِي بِي ، وَأَنَا معَهُ إذ ذَكَرَنِي فَإنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ[1] ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ » مُتَّفَقٌ عليه[2] من حديث أبي هريرة .

وعن عبد الله بن بُسْرٍ رضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً قالَ : يا رَسُولَ اللهِ إنَّ شرائعَ الإِسْلَام[3] قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأَخْبِرْنِي بشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ به . قـــال « لا يَزَالُ لسَانُك رَطْباً مِنْ ذِكْرِ اللهِ » رواه الترمـذي وقال :

---

(١) (وإن ذكرني في ملأ) ، الملأ الجماعة .

(٢) أي رواه البخاري ومسلم .

(٣) شرائع الإسلام ما شرع الله لعباده من الفرائض والسنن ، وقوله : (أتشبث به) أي أتعلق به وأستمسك . قـــال الطيبي طيب الله ثراه : ولم يرد أنه يترك شرائع الإسلام رأساً بل طلب ما يتشبث به بعد الفرائض عن سائر ما لم يفترض عليه .

حديثٌ حسَنٌ .

٣ - آداب الذكر :

واعلم يا أخي أن الذكر ليس المقصود بـــه الذكر القولي فحسب بل إن التوبة ذكر ، والتفكر من أعلى أنواع الذكر ، وطلب العلم ذكر ،وطلب الرزق إذا حسنت فيه النية ذكر ، وكل أمر راقبت فيه ربك وتذكرت نظره إليك ورقابته فيه عليك ذكر ؛ ولهذا كان العارف ذاكراً على كل حالاتـــه . ولا بد ليكون للذكر أثره في القلب من مراعاة آدابــه وإلا كان مجرد ألفاظ لا تأثير فيها . وقد ذكروا له آداباً كثيرة أهمها وأولاها بالرعــاية :

(١) الخشوع والتأدب، واستحضار معاني الصّيغ ، ومحاولة التأثر بها ، وملاحظة مقاصدها وأغراضها .

(٢) خفض الصوت ما أمكن ذلك مع اليقظة التامة والهمة الكاملة حتى لا يشوش على غيره . وقد أشارت الآية الكريمة إلى هذه الآداب فقال تعالى :

« وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ والآصَالِ وَلا تَكُن مِنَ

الْغَافِلِينَ[(١)] » .

(٣) موافقة الجماعة إن كان الذكر مع جماعة فلا يتقدم عليهم ولا يتأخر عنهم ولا يبنى على قراءتهم ، بل ان حضر وقد بدءوا ابتدأ معهم من أول صيغة ثم قضى ما فاته بعد انتهائه ، وإن تأخر عنهم في أثناء القراءة قرأ ما فاته وأدركهم ، ولا يبنى على قراءتهم أصلاً ، لئلا يكون بذلك قد حرّف القراءة وغيّر الصيغ ، وذلك حرام اتفاقاً .

(٤) النظافة في الثوب والمكان ، ومراعاة الأماكن المحترمة والأوقات المناسبة ، حتى يكون ذلك أدعى إلى اجتماع همته ، وصفاء قلبه ، وخلوص نيته .

(٥) الانصراف في خشوع وأدب، مع اجتناب اللغط واللهو الذي يذهب بفائدة الذكر وأثره .

فإذا لاحظ هذه الآداب فانه سينتفع بما قرأ ويجد أثر ذكره حلاوة في قلبه ، ونوراً لروحه ، وانشراحاً في صدره ، وفيضاً من الله ، إن شاء الله تعالى .

٤ – الذكر في جماعة :

ورد في الأحاديث ما يشعر باستحباب الاجتماع على الذكر ففي الحديث الذي يرويه مُسلم :

---

(١) « بالغدو والآصال » أي أول النهـار وآخره . سورة الأعراف اية ٢٠٥ .

« لاَ يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرونَ اللهَ عَزَّ وَجلَّ إلاَّ حَفَّتْهُمُ الملائِكَـةُ (١) وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحمَـةُ ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ » .

وكثيراً ما ترى في الأحاديث أنه صلى الله عليه وسلم خرج على جماعة وهم يذكرون الله في المسجد فبشرهم ولم ينكر عليهم (٢) .

والجماعة في الطاعات مستحبة في ذاتها ولا سيما إذا ترتب عليها كثير من الفوائد مثل : تألف القلوب ، وتقوية الروابط ، وقضاء الأوقات فيما يفيد ، وتعليم الأمي الذي لم يحسن التعلم وإظهار شعيرة من شرائع الله تعالى .

نعم إن الجماعة في الذكر تكره إذا ترتب عليها محظور شرعي

---

(١) « إلا حفتهم الملائكة » ، أي طافت بهم ودارت حولهم (وغشيتهم الرحمة) أي عمتهم .

(٢) منها حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال خرج معاوية على حلقة في المسجد فقال ما أجلسكم ؟ قالوا جلسنا نذكر الله . قال الله ما أجلسكم إلا ذاك ؟ قالوا والله ما أجلسنا إلا ذاك . قال أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ، وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم أقل عنه حديثاً مني ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال : (ما أجلسكم ؟ قالوا جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للاسلام ومن به علينا . قال : (أما إني لم أستحلفكم تهمـة لكم ، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة) رواه مسلم والترمذي والنسائي .

كالتشويش على مصلّ ، أو لغو وضحك ، أو تحريف للصِّيَغ ، أو بناء على قراءة غيره ، أو نحو ذلك من المحظورات الشرعية ، فحينئذ تمنع الجماعة في الذكر لهذه المفاسد لا للجماعة في ذاتها ، وخصوصاً إذا كان الذكرَ في جماعة بالصيغ المأثورة الصحيحة كما في هذه الوظيفة فحبذا لو اجتمع الإخوان على قراءتها صباحاً ومساء في ناديهم أو في مسجد من المساجد مع اجتناب هذه المكروهات ومن فاتته الجماعة فيها فليقرأها منفرداً ولا يفرط في ذلك .

الخاتمـــة :

وبعد : فإلى الإخوان المسلمين نتوجه بهذه الوظيفة ، وما هي بخاصة بهم ولكنها للمسلمين عامة ، لعل فيها إعانة لهم على طاعة الله تبارك وتعالى. وهي تقرأ صباحاً من الفجر إلى الظهر، ومساء من العصر إلى ما بعد العشـاء فرادى وجماعة . ومن فاتته كلها فلا يفوتنه بعضها حتى لا يعتاد إهمالها وتضييعها .

والوِرْد القرآني في الوقت المناسب ليلاً أو نهاراً ، وما بعدهما من الأدعية والأذكار يقرأ عند مناسباته .

ونسأل لله لنا ولهم حسن التوفيق وكال الهداية ، ونسألهم ألا يحرمونا صالح دعواتهم في الخلوة والجلوة ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

غرة رمضان سنه ١٣٥٥ هـ حسن البنا

المرشد العام للاخوان المسلمين

القسم الأول

الوظيفـــة

أعوذُ بِاللهِ السَّميعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ[١]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْـــدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * مَالِـــكِ يَوْمِ الدِّينِ[٢] إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ[٣].

---

(١) قال الله تعالى : « فـــإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » . وأخرج ابن السنى عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « من قال حين يصبح أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، أجير من الشيطان حتى يمسي » .

(٢) « مالك يوم الدين » : أي يوم الجزاء وهو يوم القيامة.

(٣) في حديث أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « والذي نفسي بيده ما أنزلت في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها (الفاتحة) وأنها سبع من المثاني والقرآن العظيم الذي اعطيته » رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح وروى أبو داود =

بسم الله الرحمن الرحيم آلم ذَلِكَ الْكِتَابُ[١] لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ[٢] .

اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ[٣] لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ

= وغيره بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع » . أي قليل البركة .

(١) « ذلك الكتاب » أي القرآن « لا ريب فيه » : اي لا شك فيه أنه من عند الله تعالى . سورة البقرة آية ٥ .

(٢) روى الدارمي ، والبيهقي في الشعب ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « من قرأ عشر آيات من سورة البقرة أول النهار لم يقربه شيطان حتى يمسي ، وإن قرأها حين يمسي لم يقربه شيطان حتى يصبح ولا يرى شيئاً يكرهه في أهله وماله » .

وروى الطبراني في الكبير ، والحاكم وصححه ، عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ عشر آيات . أربعاً من أول البقرة ، وآية الكرسي ، وآيتين بعدها ، وخواتيمها لم يدخل ذلك البيت شيطان حتى يصبح » .

(٣) « القيوم » . القائم بتدبير شؤون خلقه . والسنة : النعاس .

وَلاَ نَوْمٌ لَهُ مَا في السَّمٰوَاتِ وَمَا في الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلاَّ بِإذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا[١] وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ * لاَ إكْرَاهَ في الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ[٢] وَيُؤْمِنُ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى[٣] لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إلَى الظُّلُمَاتِ أُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ[٤].

---

(١) « ولا يؤوده حفظهما » أي لا يثقله حفظ السموات والأرض .

(٢) الطاغوت : الشيطان .

(٣) العروة الوثقى : العقد المحكم .

(٤) سورة البقرة آية ٢٥٧ ..

لِلهِ ما فِي السَّمٰوَاتِ وَما فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلى كلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ* آمَنَ الرَسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ، كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وإِلَيْـكَ الْمَصِيرُ* لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ، رَبَّنَـا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخطَأْنَا ، رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً[1] كَمَا حَمَلْتَهُ عَلى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنا ، رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَـــا أَنتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ .

---

(١) « ولا تحمل علينا إصراً » الاصر : الأمر الذي يثقل حمله . سورة البقرة آية ٢٨٦ .

بِسمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ * الٓمٓ اللهُ لا إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ [(١)].

وَعَنَتِ الْوُجُوهُ [(٢)] لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً * وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ يَخَافُ ظُلْماً وَلاَ هَضْماً [(٣)].

حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ [(٤)] (سَبْعاً).

---

(١) سورة آل عمران آية ٢.

(٢) « وعنت الوجوه للحي القيوم » أي خضعت لله تعالى.

(٣) « ولا هضماً » . أي بنقص من حسناته . سورة طه آية ١١٢ .

(٤) عن القاسم بن عبد الرحمن رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن اسم الله الأعظم في ثلاث سور من القرآن . في سورة البقرة وآل عمران، وطه . قال القاسم ، فالتمستها فوجدتها في سورة البقرة آية الكرسي « الله لا إله إلا هو الحي القيوم » وفي سورة آل عمران . « الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم » وفي سورة طـه . « وعنت الوجوه للحي القيوم » رواه الحاكم ولم يتعقبه الذهبي .

(١) عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قال في كل يوم حين يصبح وحين يمسي : حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاه الله عز وجل ما أهمه من أمر الدنيا ، الآخرة » أخرجه ابن السني وابن عساكر مرفوعاً ، وأخرجه أبو داود موقوفاً على أبي الدرداء .

---

(١) سورة التوبة آية ١٢٩ .

قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ، وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيلاً * وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً[١].

أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ * وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ * وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ[٢].

---

(١) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قرأ في مصبح أو ممسى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) إلى آخر السورة لم يمت قلبه في ذلك اليوم ولا تلك الليلة) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس .

(٢) عن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبيه قال : وجهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فأمرنا أن نقرأ إذا أمسينا وإذا أصبحنا (أفحسبتم انما =

فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ [١] * يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذٰلِكَ تُخْرَجُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ [٢] * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ * وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَار

=خلقناكم عبثاً) الآيات فقرأناها فغنمنا وسلمنا) أخرجه ابن السني وأبو نعيم وابن منده . قال الحافظ : سند ابن منده لا بأس به .

(١) (وحين تظهرون) . أي تدخلون في الظهيرة .

(٢) (ثم إذا أنتم بشر تنتشرون). أي تنتشرون في الأرض .

---

(١) سورة الإسراء اية ١١١ .

(٢) سورة المؤمنين اية ١١٨ .

وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ [١] إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ * وَلَهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ [٢].

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * حم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ

---

(٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من قال حين يصبح . فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون . إلى (وكذلك تخرجون) أدرك ما فاته في يومه ذلك ، ومن قالهن حين يمسي أدرك ما فاته في ليلته) رواه أبو داود .

---

(١) (وابتغاؤكم من فضله) . أي تصرفكم في طلب المعيشة بإرادته سبحانه وتعالى .

(٢) (كل له قانتون) . أي مطيعون . سورة الروم آية ٢٦ .

مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ[١] شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ[٢] لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ[٣].

هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ[٤] السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ[٥] الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ

(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ حم المؤمن إلى: (إلى المصير) وآية الكرسي حين يصبح حفظ بها حتى يمسي، ومن قرأهما حين يمسي حفظ بها حتى يصبح » أخرجه الترمذي والدارمي وابن السني والمروزي.

(١) « وقابل التوب) : أي التوبة.

(٢) (ذي الطول) أي الإنعام الواسع.

(٣) (إليه المصير) : أي المرجع. سورة غافر اية ٣.

(٤) (القدوس) ، أي المنزه عن كل نقص ، الطاهر عما لا يليق به و (المهيمن) : الشهيد على عباده باعمالهم.

(٥) عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « من قرأ خواتيم الحشر في ليل أو نهار فمات في ذلك اليوم أو الليلة فقد ضمن الله له الجنة) أخرجه البيهقي. =

الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ : إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا[١] * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا[٢] * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَالَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً[٣] لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ[٤].

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا

= (البارىء) ، أي المنشيء من العدم . سورة الحشر اية ٢٤ .

(١) (إذا زلزلت الأرض زلزالها) . أي حركت لقيام الساعة .

(٢) (وأخرجت الأرض أثقالها) . كنوزها وموتاها فألقتها على ظهرها.

(٣) (يصدر الناس أشتاتاً) . أي متفرقين فآخذ ذات اليمين إلى الجنة واخذ ذات الشمال إلى النار .

(٤) في حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً : (إذا زلزلت تعدل نصف القران) رواه الترمذي والحاكم من حديث يمان بن المغيرة .

أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ[(١)] .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ[(٢)] * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً[(٣)] فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً[(٤)] .

بِسمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ[(٥)] لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً[(٦)] أَحَدٌ * ثلاثاً .

---

(١) في حديث ابن عباس رضي الله عنهما : « قل يأيها الكافرون تعدل ربع القرآن » رواه الترمذي والحاكم وقال : صحيح الاسناد .

(٢) « إذا جاء نصر الله والفتح » . أي فتح مكة .

(٣) « يدخلون في دين الله أفواجاً » . أي جماعات فوجاً بعد فوج بعد ما كان يدخل فيه واحد واحد وذلك بعد فتح مكة، جاءه العرب من أقطار الأرض طائعين .

(٤) في حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه : « أليس معك إذا جاء نصر الله والفتح ؟ » قال : بلى . قال : « ربع القرآن » رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

(٥) « الله الصمد » . أي المقصود في الحوائج على الدوام .

(٦) « ولم يكن له كفواً أحد » . أي لم يكن له أحد مكافئاً ومماثلاً .

بِسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ * قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ (٢) إِذَا وَقَبَ مِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ (٣) فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٤) (ثلاثاً) .

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ * قُل أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلٰهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ (٥) الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (ثلاثاً) .

---

(١) « الفلق » : الصبح .

(٢) « ومن شر غاسق إذا وقب » . أي الليل إذا أظلم .

(٣) « ومن شر النفاثات » . أي الساحرات اللاتي ينفثن « في العقد » . أي في عقد الخيط حين يرقين عليها شبه النفخ كما يفعل من يرقي.

(٤) عن عبد الله بن خبيب رضي الله عنه أنه قال : « خرجنا في ليلة مطر وظلمة شديدة نطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي لنا فأدركناه فقال : (قل) فلم أقل شيئاً. ثم قال : (قل) فلم أقل شيئاً . ثم قال: (قل). فقلت : يا رسول الله ما أقول ؟ قال : قل هو الله أحد ، والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء » أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(٥) « من شر الوسواس » . أي من شر الشيطان . « الخناس » ، الذي يخنس ويتأخر عن القلب كلما ذكر الله تعالى .

أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلّٰهِ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ[١] (ثلاثاً) .

أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلاَمِ ، وَكَلِمَةِ الْإِخْلاَصِ وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صلى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ ، وَعَلَى مِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً[٢] وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ[٣] (ثلاثاً) .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ مِنْكَ فِي نِعْمَةٍ وَعَافِيَةٍ وَسِتْرٍ ،

---

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا أصبح : « أصبحنا وأصبح الملك لله ، والحمد لله لا شريك له لا إله إلا الله وإليه النشور » ، وإذا أمسى قال : أمسينا وأمسى الملك لله ، والحمد لله لا شريك له، لا إله إلا الله وإليه المصير أخرجه ابن السني والبزار . وقال البيهقي : إسناده جيد .

(٢) « حنيفاً » قال ابن سيده في المحكم : الحنيف المسلم الذي يتحنف عن الأديان أي يميل إلى الحق . .

(٣) عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا إذا أصبحنا ان نقول : « أصبحنا على فطرة الاسلام ، وكلمة الاخلاص ، وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفاً ، وما كان من المشركين » وإذا امسينا مثل ذلك ، أخرجه عبد الله ابن الامام أحمد في زوائده .

---

(١) « وإليه النشور » : أي المرجع .

فَأَتِمَّ عَلَيَّ نِعْمَتَكَ وَعافِيَتَكَ وَسِتْرَكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ[1] (ثلاثاً).

اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي من نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحدٍ مِنْ خَلْقِكَ فمِنْكَ وَحْدَكَ لاشَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ، وَلَكَ الشُّكْرُ[2] (ثلاثاً).

يَا رَبِّي لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ[3] (ثلاثاً).

---

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال : اللهم إني أصبحت منك في نعمة وعافية وستر فأتم علي نعمتك وعافيتك وسترك في الدنيا والآخرة ثلاث مرات إذا أصبح وإذا أمسى كان حقاً على الله عز وجل أن يتم عليه نعمته » رواه ابن السني .

(٢) عن عبد الله بن غنام البياضي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قال حين يصبح : اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر يومه ، ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته » رواه أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه .

(٣) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم أن عبداً من عباد الله قال : يا ربي لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك فعضلت بالملكين (أعيتهما) فلم يدريا كيف يكتبانها ، فصعدا إلى السماء . فقالا : يا ربنا إن عبدك قد قال مقالة لا ندري كيف نكتبها ؟ قال الله عز وجل وهو أعلم بما قال عبده : ماذا قال عبدي . قالا : يا رب إنه قد قال : يا ربي لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك .=

رَضِيت بِاللهِ رَبّاً ، وَبِالإِسْلاَمِ دِيناً ، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَرَسُولاً[1] (ثلاثاً) .

سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ[2] (ثلاثاً) .

بِسْمِ اللهِ الَّذِي لاَ يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ[3]

= فقال الله عز وجل لهما : اكتباها كما قال عبدي حتى يلقاني فاجزيه بها . رواه الامام أحمد وابن ماجه ورجاله ثقات .

(١) عن أبي سلام رضي الله عنه خادم النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعاً أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من قال اذا أصبح واذا أمسي : رضينا بالله رباً ، وبالاسلام ديناً ، وبمحمد رسولا ، كان حقاً على الله أن يرضيه) رواه أبو داود والترمذي والنسائي والحاكم .

(٢) عن جويرية أم المؤمنين رضي الله عنها ، أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرة ، حين صلى الصبح ، وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال: (ما زلت اليوم على الحال التي فارقتك عليها؟) قالت : نعم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته » رواه مسلم.

(٣) عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من عبد يقول في كل صباح كل يوم ومساء كل ليلة : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات فلن يضره شيء) ، رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح.

(ثلاثاً) .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئاً نَعْلَمُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لا نَعْلَمُهُ[1] (ثلاثاً) .

أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ[2] (ثلاثاً) .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ

---

(١) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال : « يأيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل » فقال له من شاء الله أن يقول : وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله ؟ قال : « قولوا اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلمه » رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد ، ورواه أبو يعلى بنحوه من حديث حذيفة إلا أنه قال فيه : « يقول كل يوم ثلاث مرات » .

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قال حين يمسي ثلاث مرات : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضره حمة (*) تلك الليلة » رواه ابن حبان في صحيحه .

(*) « لم تضره حمة » . الحمة بضم الحاء المهملة وتخفيف الميم : السم أو لدغة كل ذي سم .

وَٱلْبُخْلِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجالِ [1] (ثلاثاً) .

اللَّهُمَّ عافِنِي في بَدَنِي ، اللَّهُمَّ عافِنِي في سَمْعِي ، اللَّهُمَّ عافِنِي في بَصَرِي (ثلاثاً) ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بِكَ مِنَ الكُفْرِ وَٱلْفَقْرِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بِكَ مِنْ عذَابِ الْقَبْرِ ، لَا إِلٰهَ إِلاَّ أَنْتَ [2] ثلاثاً [3] .

---

(١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة فقال : « يا أبا أمامة ما لي أراك جالساً في المسجد في غير وقت صلاة ؟ » قال هموم لزمتني وديون يا رسول الله ، قال : « أفلا أعلمك كلاماً إذا قلته أذهب الله همك ، وقضى عنك دينك ؟ » قال : قلت: بلى يا رسول الله.قال : « قل إذا أصبحت وإذا أمسيت . اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال » قال : ففعلت ذلك فأذهب الله همي ، وقضى عني ديني . أخرجه أبو داود .

(٢) عن عبد الرحمن بن أبي بكرة رضي الله عنه أنه قال لأبيه : يا أبت إني أسمعك تدعو كل غداة : اللهم عافني في بدني ، اللهم عافني في سمعي للهم عافني في بصري ، اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر ، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، لا إله إلا انت ، تعيدها حين تصبح ثلاثاً ، وثلاثاً حين تمسي : فقال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بهن فأنا احب ان استن بسنته رواه ابو داود وغيره .

(٣) هذا الدعاء بترتيبه وحروفه هو الذي رواه ابو بكرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا عنه به ابنه عبد الرحمن كما ترى في=

اللَّهُمَّ أَنتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شر مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ[١] بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنبِي فَاغْفِرْ لِيَ فإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبِ إِلاَّ أَنتَ[٢] (ثلاثاً) .

اسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ[٣] (ثلاثاً) .

= الحديث. وكان في الأصل الذي قدم الي فيه تقديم وتأخير فأصلحته فليطمئن قراء المأثورات فإنما هي السنة النبوية المطهرة التي نحبها ويحبها فضيلة الأستاذ المؤلف رضي الله عنه ووقف حياته لنصرتها ، عوض الله الاسلام والمسلمين به خيراً . (رضوان)

(١) (ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي) اي اقر واعترف .

(٢) عن شداد بن أوس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سيد الاستغفار اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي ، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . من قالها موقناً بها حين يمسي فمات من ليلته دخل الجنة، ومن قالها موقناً بها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة » رواه البخاري وغيره .

(٣) عن زيد مولى النبي صلى الله عليه وسلم قال : سمعت أبي يحدثنيه عن جدي أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفر له وإن كان فر من =

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى سَيِّدِنَا مُحَمَّـــدٍ وَعَلى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلى سيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلى سيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِ سيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كَمَا بارَكْتَ عَلى سَيِّـدِنَا إبراهِيمَ وَعَلى آلِ سَيِّدِنَا إبراهِيمَ في الْعَالَمِينَ ، إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (١) (عَشْراً) .

سُبْحَانَ اللهِ ، وَالحمْدُ لِلهِ ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَاللهُ أَكْبَرُ (٢) (مائـة) .

= الزحف » رواه أبو داود والترمذي والحاكم ، وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم .

(١) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلى علي حين يصبح عشراً ، وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي يوم القيامة » رواه الطبراني .

(٢) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سبح الله مائة بالغداة ومائة بالعشي كان كمن حج مائة حجة ، ومن حمد الله مائة بالغداة ومائة بالعشي كان كمن حمل على مائة فرس في سبيل الله ، أو قال : غزا مائة غزوة ، ومن هلل الله مائة بالغداة ومائة بالعشي كان كمن أعتق مائة رقبة من ولد إسماعيل ومن كبر الله مائة بالغداة ومائة بالعشي لم يات في ذلك اليوم أحد أكثر مما أتي به إلا من قال مثل ما قال أو زاد على ما قال» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ، =

لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيــكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحمــدُ ، وَهُوَ عَلى كلِّ شيْءٍ قَدِيرٌ[(١)] (عشراً) .

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتوبُ إِلَيْكَ[(٢)] (ثلاثاً) .

= وأخرج نحوه النسائي .

وعن أم هانيء رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : « يا أم هانيء اذا أصبحت فسبحي الله مائة ، وهلليه مائــة واحمديه مائة ، وكبريه مائة فإن مائة تسبيحة كمائة بدنة تهدينها ، ومائة تهليلة لا تبقي ذنباً قبلها ولا بعدها أخرجه الطبراني .

(١) عن أبي أيوب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليــه وسلم قال : « من قال حين يصبح : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير عشر مرات كتب الله عز وجل له بكل واحدة قالها عشر حسنات ، وحط عنه عشر سيئات ، ورفعه بها عشر درجات ، وكن كعتق عشر رقاب ، وكن له مسلحة من أول النهار إلى آخره ، ولم يعمل يومئذ عملا يقهرهن . وإن قالها حين يمسي فمثــل ذلك » أخرجه أحمد والطبراني وسعيد بن منصور وغيرهم .

(٢) عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك في مجلس ذكر كان كالطابع يطبع عليه ومن قالها في مجلس لغو كان كفارة له » رواه النسائي والطبراني والحاكم وغيرهم .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ وَرَسُولِكَ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيماً عَدَدَ مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُكَ، وَخَطَّ بِهِ قَلَمُكَ، وَأَحْصَاهُ كِتَابُكَ ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ سَادَاتِنَا أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ التَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ إِلى يَوْمِ الدِّينِ .

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ، وَسَلامٌ عَلى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ[١] .

الوظيفة الصغرى

إذا وجد الأخ ضيقاً في وقته ، أو فتوراً في نفسه ، أو في إخوانه إذا كان يقرأ الوظيفة بهم ، فليختصرها على هذا النحو يقرأ الاستعاذة والفاتحة وآية الكرسي وخواتيم البقرة وسورة

---

(١) قال الإمام النووي في الأذكار : وروينا في حلية الأولياء عن علي كرم الله وجهه : «من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى فليقل في آخر مجلسه أو حين يقوم : سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين» .

الإخلاص والمعوذتين كل منها (ثلاثاً) ، ثم يتبع ذلك بالأذكار الواردة إلى الاستغفار الأخير :

« أَسْتَغْفِـــرُ اللهَ الَّذِي لاَ إِلٰه إِلاَّ هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ .. » إلخ ، ثم يتبـع الاستغفار مباشرة بصيغة : « سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ » إلى آخر الوظيفة .



القسم الثـــاني

الورد القرآني

فضل القرآن :

القرآن الكريم هو الدستور الجامع لأحكام الاسلام ، وهو المنبع الذي يفيض بالخير والحكمة على القلوب المؤمنة وهو أفضل ما يتقرّب المتعبدونَ بتلاوته إلى الله تبارك وتعالى .

وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« إنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ الله [1] فَاقْبَلُوا مَأْدُبَتَهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، إنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ حَبْلُ الله [2] والنُّورُ الْمُبِينُ وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ ، عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ ، وَنَجَاةٌ لِمَنْ اتَّبَعَهُ ، لا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبُ ، وَلاَ يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمُ ، وَلا تَنْقَضِي عَجَائِبُـــهُ ، وَلا يَخْلَقُ مِنْ

---

(١) « إن هذا القرآن مأدبة الله » أي مدعاته ، شبه النبي صلى الله عليه وسلم القرآن بصنيع صنعة الله لهم فيه خير ومنافع .

(٢) « إن هذا القرآن حبل الله » أي نور هداه .

كَثْرَةِ الرَّدِّ[١] . اتْلُوهُ فَإِنَّ اللهَ يَأْجُرُكُمْ عَلَى تِلاوَتِهِ كُلَّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ أَمَا إِنِّي لاَ أَقُولُ لَكُمْ الٓمٓ حَرْفٌ ، وَلَكِنْ أَلِفٌ وَلاَمٌ وَمِيمٌ » رواه الحاكم .

وفي وصيَّةِ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لأبي ذرٍّ رضي اللهُ عنهُ : « عَلَيْكَ بِتلاوَةِ القُرْآن فإنَّهُ نُورٌ لَكَ فِي الأَرْضِ وَذُخرٌ لَكَ فِي السَّماءِ » رواه ابن حبان في حديث طويل .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : المَاهِرُ[٢] بِالقُرْآنِ

---

(١) « ولا يخلق » قال النووي : بضم اللام ويجوز فتحها والياء فيهما مفتوحة ، ويجوز ضمها مع كسر اللام ، يقال : خلق الشيء ، وخلق ، وأخلق إذا بلي ، والمراد هنا لا تذهب جلالته وحلاوته من كثرة التلاوة والقراءة .

(٢) « الماهر » : الحاذق الكامل الحفظ الذي لا يتوقف ولا تشق عليه القراءة لجودة حفظه . و « السفرة » : الملائكة . « البررة » : المطيعون « ويتتعتع فيه » قال القرطبي : التتعتع التردد في الكلام عيا وصعوبة ، وإنما كان له أجران من حيث التلاوة ومن حيث المشقة ، ودرجات الماهر فوق ذلك كله ، لأنه قد كان القرآن متعتعا عليه ثم ترقى عن ذلك إلى أن شبه بالملائكة .

مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌ لَهُ أَجْرَانِ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

ولقد كانَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم يحملُ الناس على الْقُرْآنِ حملاً ، وَيُفَاضِلُ بَيْنَهُمَ بِمَنْزِلَتِهِمْ مِنَ الْقُرْآن ، وَيُوَصِّي مَنْ عجز عنِ القراءةِ بِأَنْ يَسْتَمِعَ وَيَتَفَهَّمَ حتَّى لاَ يُحْرَمَ بَرَكَة الصِّلَةِ الرُّوحية بكتاب الله تبارك وتعالى .

عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنهُ أن رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم قالَ : « مَنِ اسْتَمَعَ إِلَى آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ مُضَاعَفَةٌ ، وَمَنْ تلاَهَا كانَتْ لَهُ نوراً يَوْمَ الْقِيَامَةِ » رواهُ أحمد .

وفي حديث أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسلم بَعْثاً وَهُمْ ذَوو عَدَد

فَاسْتَقْرَأَهُمْ[١] ، فَاسْتَقْرَأَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ ، يَعْنِي مَا مَعَهُ مِنَ الْقُرْآنِ ، فَأَتَى عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنًّا فَقَالَ : «ما مَعَكَ يَا فُلانُ ؟» قَالَ : مَعِي كَذَا وَكَذَا وَسُورَةُ الْبَقَرَةِ . قَالَ : أَمَعَكَ سُورَةُ الْبَقَرَةِ ؟» قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : اذْهَبْ فَأَنْتَ أَمِيرُهُمْ[٢] » . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ .

عرف سلفنا الصالح رضوان الله عليهم فضل القرآن وتلاوته، فجعلوه مصدر تشريعهم ، ودستور أحكامهم ، وربيع قلوبهم ، وورد عبادتهم ، وفتحوا له قلوبهم وتدبروه بأفئدتهم ، وتشربت معانيه السامية أرواحهم ، فأتاهم الله في الدنيا سيادة العالم ، ولهم في الآخرة عظيم الدرجات ؛ وأهملنا القرآن فوصلنا إلى ما وصلنا إليه من ضعف في الدنيا ورقة في الدين .

---

(١) « فاستقرأهم » . أي طلب منهم أن يقرءوا .

(٢) تمام الحديث : فقال رجل من أشرافهم : والله يا رسول الله ما منعني أن أتعلم البقرة إلا خشية أن لا أقوم بها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تعلموا القرآن واقرءوه ، فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جراب محشو مسكا يفوح ريحه في كل مكان ، ومثل من تعلمه فيرقد وهو في جوفه كمثل جراب وكيء على مسك » .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « وكيء على مسك ، أي ربط بالوكاء وهو الخيط الذي يشد به فم القربة . .

عَنْ أَنسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عُرِضَتْ عَلَيَّ أُجُورُ أُمَّتِي حَتَّى الْقَذَاةُ يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ مِنَ الْمَسْجِدِ ، وَعُرِضَتْ عَلَيَّ ذُنُوبُ أُمَّتِي فَلَمْ أَرَ ذَنْباً أَعْظَمَ مِنْ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ ، أَوْ آيَةٍ أُوتِيهَا رَجُلٌ ثُمَّ نَسِيَهَا » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَه .

ولهذا عني الإخوان المسلمون بأن يجعلوا كتاب الله تبارك وتعالى أول أورادهم ، وكان من تعهدهم أن يرتب الأخ على نفسه كل يوم حزباً من القرآن الكريم .

مقدار الورد :

تختلف ظروف الإخوان وأحوالهم ، ولهذا لم يحدد مقدار الورد ، وترك ذلك لظروف كل شخص ومقدرته [١] والمهم

---

(١) قال النووي في التبيان ، والاختيـار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر ما يحصل له كمال فهم ما يقرؤه ، وكذا من كان مشغولا بنشر العلم أو غيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة فليقتصر على قـدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصـد له ، وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل والهذرمة .

ألا يمر به يوم بغير أن يقرأ شيئاً من كتاب الله تعالى .

وسنورد هنا أوجه تقسيم الورد القرآني عند سلفنا الصالح رضوان الله عليهم ، على سبيل المثال والتوضيح فنقول :

(١) أقل مدة للختمة ثلاثة أيام ، وقد كرهوا أن يختم الإنسان في أقل من ثلاث وفي أكثر من شهر وقالوا : إن في الختم في أقل من ثلاث إسراعاً لا يعين على التفهم والتدبر وفي الختم في أكثر من شهر إسرافاً في هجر التلاوة .

عن عبدِ اللهِ بْنِ عَمْرو بْنِ العَاص رضي الله عنهما قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم « لَمْ يَفْقَهْ[١] مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلاثٍ » رَوَاهُ أبو داوُدَ وَالتِّرمِذِيُّ وابنُ ماجه وقال الترمذيُّ : حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ .

(٢) الحد الوسط أن يختم كل أسبوع مرة إذا تمكن من ذلك وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو أن يختم في كل أسبوع مرة[٢] ، وكذلك كان جماعة من الصحابة

---

(١) « لم يفقه من قرا القرآن في أقل من ثلاث» أي لم يفهم ظاهر معانيه، وأما فهم دقائقه فلا تفي به الأعمار، والمراد نفي الفهم لا نفي الثواب .

(٢) هاك حديثه : عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال كنت أصوم الدهر وأقرأ القرآن كل ليلة فإما ذكرت للنبي صلى الله عليه وسلم وإما أرسل=

رضوان الله عليهم يفعلون : كعثمان ، وزيد بن ثابت ، وابن مسعود ، وأبي بن كعب رضي الله عنهم وكان عثمان رضي الله عنه يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة ، وليلة السبت بالأنعام إلى هود ، وليلة الأحد بيوسف إلى مريم ، وليلة الاثنين بطه إلى طسم موسى وفرعون ، يعني القصص ، وليلة الثلاثاء بالعنكبوت إلا ص ، وليلة الأربعاء بتنزيل إلى الرحمن ، وليلة الخميس يختم الختمة . وكان لابن مسعود رضي الله عنه تقسيم آخر يختلف في

= إلي ، فأتيته فقال لي : « ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة ؟ » فقلت : بلى يا نبي الله ولم أرد بذلك إلا الخير . قال : « فإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام » ، قلت : يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك . قال : « فإن لزوجك عليك حقاً ، ولزورك عليك حقاً ، ولجسدك عليك حقاً ، فصم صوم داود نبي الله فإنه كان أعبد الناس » قلت : يا نبي الله وما صوم داود ؟ قال : « كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، واقرأ القرآن في كل شهر » قلت : يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك . قال : (فاقرأه في كل عشرين) قلت : يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك . قال : فاقرأه في كل عشر) قلت : يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك . قال : (فاقرأه في كل سبع ولا تزد على ذلك ، فإن لزوجك عليك حقاً، ولزورك عليك حقاً، ولجسدك عليك حقاً) فشددت فشدد علـي ، وقال لي النبي صلى الله عليه وسلم : (إنك لا تدري لعلك يطول بك عمر) فصرت إلى الذي قال لي النبي صلى الله عليه وسلم . فلما كبرت وددت أني كنت قبلت رخصة نبي الله صلى الله عليه . رواه البخاري ومسلم .

وقوله صلى الله عليه وسلم: (ولزورك عليك حقاً) أي لزائرك . وقوله: (في كل سبع ولا تزد) قال النووي : هـذا من الإرشاد إلى الاقتصاد في العبادة ، والإرشاد إلى تدبر القرآن .

عدد السور ، ولكنه يتفق في الختم كل أسبوع ، وقد ورد في التقسيم في الأسبوع أخبار كثيرة .

(١) ليس هذا التقسيم بمتعين بـــل هو على سبيل الاتباع والأفضلية ، وللأخ أن يقرأ حسب مقدرته بحيث لا يمضي يوم بغير تلاوة ، فإن لم يكن من أهل القراءة فليجتهد في الاستماع أو في حفظ بعض السور يتلوها كلما سنحت له الفرصة .

سور يستحب الاكثار من تلاوتها

من أوراد الإخوان القرآنية المواظبة على تلاوة هذه السور كل يوم ، وهي : يس ، والدخان ، والواقعة ، وتبارك الملك ، ويتأكد ذلك يوم الجمعة وليلة الجمعة ، ويضاف إليها سورة الكهف ، وسورة آل عمران ، وقد وردت بذلك الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) عَنْ مَعْقَلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللهُ عَنْـــهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : قَلْبُ الْقُرْآنِ يَـس لاَ يَقْرَؤُهَا رَجُلٌ يُرِيدُ اللهَ وَالدَّارَ الآخِرَةَ إلاَّ غَفَرَ اللهُ لَهُ ، اقْرَءُوهَا عَلَى مَوْتَاكُمْ ، رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَ وَغَيْرُهُمْ .

(٢) وعن د الله بن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

« مَنْ قَرَأَ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ كُلَّ لَيْلَةٍ مَنَعَهُ اللهُ بِهَا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَكُنَّا فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُسَمِّيهَا الْمَانِعَةَ ، وَإِنَّهَا فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ سُورَةٌ مَنْ قَرَأَ بِهَا فِي لَيْلَةٍ فَقَدْ أَكْثَرَ وَأَطَابَ » رَوَاهُ النَّسَائِيُّ ؛ وَرَوَى مِثْلَهُ الحاكم وَصَحَّحَهُ .

(٣) وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « مَنْ قَرَأَ حم الدُّخَانَ فِي لَيْلَةٍ أَصْبَحَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْأَصْبهانِي .

(٤) وفي حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ قالَ : مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ » رَوَاهُ النَّسَائِيُّ والبيهقي مَرْفُوعاً .

(٥) وفي حديث ابن عباس رضي اللهُ عنهما قال : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلم : « مَن قَرَأَ السُّورَةَ الَّتِي يُذْكَرُ فِيها آلُ عِمْرَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ صلى عَلَيْهِ

اللهُ وَمَلائِكَتُهُ حتّى تَغِيبَ الشّمْسُ » رَواهُ الطّبراني في الأوسط والكبير » .

(٦) وقد وردت الآثار كذلك مرفوعة وموقوفة من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بفضل سورة الواقعة، ولا سيما وفيها البعث والجزاء والاستدلال على ذلك بما لا يدع شبهة لقائل فيستحب للاخ المسلم ألا يحرم نفسه فضل تلاوة هذه السورة مرة كل يوم وفي الليل أفضل وفي يوم الجمعة لا بأس من تلاوتها في الليل مرة وفي النهار مرة ، ويجعل وقت العصر إلى المغرب لسورة آل عمران لعلها ساعة الإجابة فيكون فيها مشغولاً بأفضل الذكر وهو تلاوة القرآن .

آداب التلاوة

ذكرنا في المقدمة طرفاً من آداب الذكر ، ونزيد هنا أن من آداب التلاوة الاجتهاد كل الإجتهاد في التدبر والتفكر فذلك هو المقصود الأول منها . والله تبارك وتعالى يقول :

« كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الألْبَابِ »[١] .

ولا سيما إذا لاحظ أنّ في ذلك خطاب ربّ العالمين العزيز

(١) سورة ص من آية ٢٩ .

الحكيم ، كما أنّ من آداب التلاوة كذلك مراعاة أحكام التجويد، فيُخرج الحروف من مخارجها ، ويؤدّيها على قواعدها ، ويمد الممدود، ويغن ما يستحق الغنّة ، ويفخم المفخم ويرقق المرقّق وهكذا .

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رسول اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم : « إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ نَزَلَ بِحُزْنٍ فَإِذَا قَرَأْتُمُوهُ فَابْكُوا ، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا وَتَغَنَّوْا بِهِ ، فَمَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ فَلَيْسَ مِنَّا » . رواهُ ابنُ مَاجَهْ .

والمراد بالتَّغَنِّي هنا التحزّن وإظهار الخشوع مع تجويد القراءة فقد جاء في حديث جابر رضي الله عنهما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم :

« إِنَّ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتاً بِالْقُرْآنِ الَّذِي إِذَا سَمِعْتُمُوهُ يَقْرَأُ حَسِبْتُمُوهُ يَخْشَى اللهَ »[1] رواهُ ابنُ مَاجَهْ.

---

(١) قال ابن كثير : والغرض أن المطلوب شرعا إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه والخشوع والخضوع والانقياد للطاعة ، فأما الأصوات بالنغمات المحدثة المركبة على الأوزان والأوضاع الملهية والقانون الموسيقائي ، فالقرآن ينزه عن هذا ويجل ويعظم أن يسلك في أدائه هذا المذهب ، وقد جاءت السنة بالزجر عن ذلك .

مجلس الاستماع :

ومن أوراد الإخوان المسلمين القرآنية الاجتماع لسماع كتاب الله تبارك وتعالى ممن يحسن تلاوته ، وعلى القارىء في مجلس الاستماع أن يقرأ قراءة مرسلة يلاحظ فيها الآداب السابقة . وعلى الإخوان إذا استمعوا أن ينصتوا ويفكروا في المعاني ، وأن يكونوا على غاية الخشوع والتوقير والتعظيم لكتاب الله تبارك وتعالى ويستحضروا الآية الكريمة :

« وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ[1] » .

ولقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمعون القرآن وكأن على رؤوسهم الطير ، وكان مشيخة مكة من الصالحين إذا أرادوا التذكر أقبلوا على الشافعي رضي الله عنه ، وكان حسن القراءة ، فقرأ عليهم واستمعوا فلا يرى الراءون أكثر بكاء منهم في حالهم تلك حين الاستماع :

« وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ[2] » .

ويستحب إتماماً للفائدة إذا حضر مجلسهم هذا أهل العلم

---

(١) سورة الأعراف آية ١٠٤ .

(٢) سورة المائدة آية ٨٣ .

أن يلخصوا لهم مقاصد ما تلي من آيات .

ورد الحفظ :

ويستحب كذلك للأخ المسلم ، وهو من أورادنا القرآنية ، أن يجتهد ما استطاع في حفظ ما يمكن من القرآن الكريم ، فيرتب على نفسه كل يوم آية أو آيات بقدر طاقته يحفظها حفظاً جيداً ، وبهذه الطريقة التدريجية يمكنه أن يحفظ الشيء الكثير من كتاب الله تبارك وتعالى .

وفي الحديث أنَّ رسولَ اللهُ صلى اللهُ عليهِ وسلم قال لأبي ذَرٍّ رضيَ اللهُ عنهُ : « يَا أَبَا ذَرٍّ لَأَنْ تَغْدُوَ[1] فَتَعلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مائَةَ رَكْعَةٍ » رواهُ ابنُ مَاجه بإسناد حسن ، ويعضده حديث مسلم وأبي داود في هذا المعنى[2] .

---

(١) (يا أبا ذر لأن تغدو) الغدوة : أول النهار .

(٢) وإليك لفظه : عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في الصفة فقال : أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطع رحم؟ فقلنا : يا رسول الله نحب ذلك . قال: «أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين ، وثلاث خير له من =

فاجتهد يا أخي أن تفوز بهذه الفضيلة ، والله نسأل أن يجعلنا وإياك من أهــل القرآن ، فنكون بذلك من أهل الله وخاصته ، والله حسبنا ونعم الوكيل .

= ثلاث . وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل ، رواه مسلم وأبو داود .

و (بطحان) بضم الباء وسكون الطـاء والمد : موضع بالمدينة . و (الكوماء) بفتح الكاف وسكون الواو. الناقة العظيمة السنام . (ومن أعدادهن من الابل) : أي وأكثر من أربع آيات يعلمها أو يقرؤها خير له من أعداد النوق ، فخمس آيات خير من خمس إبل ، ودواليك ..

القسم الثالث

أدعية اليوم والليلة

أولاً : دعاء الاستيقاظ من النوم

(١) عن حُذيفةَ بْنِ الْـيَمانِ وَأبي ذرٍّ رَضيَ اللهُ عَنهُمَا قالا : كانَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْـه وَسلم إذَا اسْتيْقَظَ قالَ : «الحَمْدُ للهِ الَّذِي أحْيانَا بَعْدَ مَا أمَاتنَا وَإليْه النُّشُورُ[1]» روَاه البخاريُّ .

(٢) وَعن أبي هُرَيْرَةَ رضي اللهُ عنـهُ عَن النَّبيِّ صلى اللهُ عليه وَسلم قالَ : « إذَا اسْتَيْقَظَ أحدُكُمْ فَلْيَقُلْ الحمدُ للهِ الَّذِي رَدَّ عَليَّ رُوحي ، وَعافانِي في جَسَدِي ، وَأذِنَ لِي بِذكْرِه» رَوَاهُ ابْنُ السُّنِّي .

(٣) وَعَنْ عَائِشَةَ رضي اللهُ عَنهَا عَنِ النَّبيِّ صلَّى

---

(١) (وإليه النشور) أي المرجع .

اللهُ عليه وَسلم قَالَ : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ حِينَ يَرُدُّ اللهُ تعالَى رُوحَه: لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شَرِيكَ له ، لَهُ المُلْكُ وَلهُ الحمدُ وَهُوَ عَلى كلِّ شيْءٍ قَدِيرٌ ، إِلاَّ غَفَرَ اللهُ تَعَالَى لَهُ ذنُوبَهُ وَلَوْ كَانتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ (١) رَوَاهُ ابنُ السُّني .

(٤) وَعنْ أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عَنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليْه وَسلم: « مَا مِنْ رَجُلٍ يَنْتَبِهُ مِنْ نَوْمِه فَيَقُولُ : الحمدُ للهِ الّذِي خلَقَ النَّوْمَ وَالْيَقظَةَ الحَمْدُ للهِ الّذِي بعَثَني سالمـاً سَوِيـًّا ، أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ يُحْيِي المَوتَى وَهُوَ عَلى كلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، إلاّ قَالَ اللهُ تَعَالَى: صَدَقَ عَبْدِي » رواهُ ابنُ السُّنّي .

(٥) وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهَا أَنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كَانَ إِذَا اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ

---

(١) (ولو كانت مثل زبد البحر) الزبد بفتحتين : الرغوة : أي ولو كانت ذنوبه في الكثرة مثل زبد البحر .

قَالَ : « لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ ، اللَّهُمَّ أَسْتَغْفِرُكَ لِذَنْبِي، وَأَسْأَلُكَ رَحْمَتَكَ ، اللَّهُمَّ زِدْنِي عِلْماً ، وَلاَ تُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي ، وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ » رواه أبو دَاوُدَ .

ثانياً : دعاء لبس الثوب وخلعه

٦ ـــ (١) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا لَبِسَ ثَوْباً سَمَّاه بِاسْمِهِ قَمِيصاً أَوْ رِدَاءً أَوْ عِمَامَةً يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا هُوَ لَهُ ، وَأَعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا هُوَ لَهُ » رواهُ ابْنُ السُّنِّي .

(٢) وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلم قالَ : « مَنْ لَبِسَ ثَوْباً جَدِيداً فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا الثَّوْبَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلاَ قُوَّةٍ ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » رواهُ ابْنُ السُّنِّي .

(٣) وَعَنْ أَنسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : سَتْرُ ما بَيْنَ أَعْيُنِ الجِنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ أَنْ يَقُولَ الرَّجلُ الْمُسْلِمُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَطْرَحَ ثِيَابَهُ : بِسْمِ اللهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ » رواهُ ابْنُ السُّنِّي .

ثالثا : دعاء الخروج من المنزل ودخوله :

(١) عَنْ أَنسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال : قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسلَّمَ : مَنْ قَال ، يَعْنِي إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ : بِسْمِ اللهِ تَوَكَّلْتُ عَلى اللهِ ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ ، يُقَالُ لَهُ : كُفِيتَ وَوُقِيتَ وَهُدِيتَ وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ » رواهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ : حديثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

(٢) وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلم: « إِذَا

وَلج(١) الرَّجلُ بَيْتَهُ فَلْيَقُلْ : اللهُمَّ إنِّي أسأَلُكَ خيْرَ الْمَوْلِجِ وَخيْرَ الْمَخْرَجِ ، بِاسْمِ اللهِ وَلَجْنَا ، وَبِاسْمِ اللهِ خَرَجْنَا وَعلى اللهِ رَبِّنَا توَكَّلْنَا . ثُمَّ لِيُسَلِّمْ على أَهْلِهِ » . رواهُ أَبُو دَاوُدَ .

رابعاً : دعاء المشي الى المسجد ودخوله والخروج منه :

(١) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَهُوَ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نوراً ، وَفِي بَصَرِي نُوراً ، وفِي سَمْعِي نوراً ، وَعَنْ يَمِينِي نُوراً ، وَعَنْ يَسَارِي نُوراً ، وَفَوْقِي نُوراً ، وَتَحْتِي نُوراً ، وَأَمَامِي نُوراً وَخَلْفِي نُوراً ، وَاجْعَلْ لِي نُوراً » رواهُ البخاريُّ .

(٢) وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ

---

(١) (إذا ولج الرجل بيته) أي دخل بيته .

اللهُ عَنهُمَا عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلم أَنَّهُ كانَ إذَا دَخلَ الْمَسْجِدَ قَالَ : « أعوذُ باللهِ العَظيمِ وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيم ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيم ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم . قالَ : فإذا قالَ ذلِكَ قَالَ الشَّيْطَانُ : حُفِظَ مِنّي سائِرَ الْيَوْمِ » رواهُ أَبُو دَاوُد .

(٣) وَعَنْ أنسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: كانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذَا دَخلَ الْمَسْجِدَ قالَ : « بِسْمِ اللهِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ ، وَإذا خَرَجَ قالَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد » رواهُ ابْنُ السُّنِّي .

(٤) وَعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ أَوْ عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إذَ دَخلَ أَحدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ عَلى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ لِيَقُلْ : اللَّهُمَّ افْتَحْ لي أَبْوابَ رَحْمَتِكَ ، فاذا خَرَجَ فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ إنِّي أَسأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ » رواهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ .

خامساً : دعاء التخلي والمباشرة

(١) عَنْ أَنسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يَقُولُ عِنْدَ دُخولِ الخَلاَءِ[1] : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بِكَ مِنَ الخُبْثِ وَالخَبَائِثِ » رواهُ الشَّيْخَان .

وَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ : كانَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذَا خَرَجَ مِن الخَلاءِ قالَ : الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذَاقَني لَذَّتَهُ ، وَأَبْقَى فِيَّ قُوَّتَهُ ، وَدَفَعَ عَنِّي أَذَاهُ » رواهَ ابْنُ السُّنِّي وَالطَّبَرَانِيُّ .

(٢) وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَن النَّبِيَّ صلى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْغَائِطِ قَالَ :

---

(١) (الخلاء) بفتح الخاء والمد : موضع قضاء الحاجة . (والخبث) بضم الباء : جمع خبيث ، (والخبائث) : جمع خبيثة . استعاذ صلى الله عليه وسلم بالله من مردة الجن ذكورهم وإناثهم .

« غُفْرَانَكَ[١] » رواهُ أَبُو دَاوُد .

(٤) وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلم قال : « لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ : بِسْمِ اللهِ ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا ، فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَداً » رواهُ الْبُخَارِيُّ .

سادساً : دعاء الوضوء والغسل والأذان

(١) عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : أَتيْتُ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ وَهُو يَتَوَضَّأُ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي ، وَوَسِّعْ

---

(١) (غفران) أي أسالك مغفرتك . قال الخطابي : وقيل في تأويل ذلك وفي تعقيبه الخروج من الخلاء بهذا الدعاء قولان : أحدهما أنه قد استغفر من تركه ذكر الله تعالى مدة لبثه على الخلاء وكان صلى الله عليه وسلم لا يهجر ذكر الله إلا عند الحاجة ، فكأنه رأى هجران الذكر في تلك الحالة تقصيراً وعده على نفسه ذنباً فتداركه بالاستغفار وقيل معناه : التوبة من تقصيره في شكر النعم التي أنعم الله تعالى بها عليه فأطعمه ثم هضمه ثم سهل خروج الأذى منه فرأى شكره قاصراً عن بلوغ حق هذه النعم ففزع إلى الاستغفار منه ، والله أعلم .

لِي فِي دَارِي ، وَبَارِكْ لِي فِي رِزْقِي » قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللهِ .
لَقَدْ سَمِعْتُكَ تَدْعو بِكَذَا وَكَذا ؟ قـال : وَهَلْ
تَرَاهُنَّ تَرَكْنَ مِنْ شَيْءٍ » رواهُ النَّسَائِيُّ وَابْنُ السُّنِّي .

(٢) وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ :
قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليـه وسلم : « مَنْ تَوَضَّأَ
فَأَحسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ قـالَ : أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ
وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْـدُهُ
وَرَسُولُهُ ، اللَّهُـمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِـينَ ،
وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ [١] فُتِحَتْ لَهُ ثَمَانِيَـةُ
أَبْوَابِ الْجَنَّـةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهـا شَاءَ » رواهُ
مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ .

(٣) وعن جـابر بن عبد الله رضي اللهُ عنهما أَنَّ

(١) (اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين) قـال المبار كفوري في شرح الترمذي : جمعه بينهما إلماماً بقوله تعـالى : (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) ولما كانت التوبة طهارة الباطن من أدران الذنوب والوضوء طهارة الظاهر عن الأحداث المانعة عن التقرب إليه تعالى ، ناسب الجمع بينهما .

رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قال: « مَنْ قالَ حِينَ يَسْمَعُ ٱلنِّدَاءَ[1]: اللَّهُمَّ رَبَّ هٰذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاَةِ القَائِمَةِ آتِ مُحَمَّداً الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً الَّذِي وَعَدْتَهُ، حلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَة» رواهُ البُخارِيُّ.

سابعاً: دعاء الطعام

(١) عن عبد اللهِ بْنِ عَمْرو رضي اللهُ عَنهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلم أنهُ كانَ يَقُولُ فِي الطَّعَامِ إذَ قُرِّبَ إِلَيْهِ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيا رَزَقْتَنَا، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، بِسْمِ ٱللهِ. رواهُ ابنُ السُّنِّي.

(٢) وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهَا، قَالَتْ: قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: « إِذَا أَكَلَ أَحدُكُمْ فَلْيَذْكُرِ اسمَ اللهِ تَعَالَى، فإِنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ ٱسْمَ

---

(١) النداء: الأذان، والوسيلة: منزلة في الجنة، والفضيلة: المرتبة الزائدة على سائر الخلائق. والمقام المحمود: هو شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم العظمى يوم القيامة.

اللهِ تَعَالَى فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ : بِسْمِ اللهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ» رواهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ .

(٣) وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ قالَ : « الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِـــذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَه .

(٤) وعن مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم : « مَنْ أَكَلَ طَعَاماً فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هٰذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلاَ قُوَّةٍ ، غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ .

(٥) وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ إِلى سَعْدِ بْنِ عُبَـادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَجَـاءَ بِخُبْزٍ وَزَيْتٍ فَأَكَلَ ، ثُمَّ قالَ

النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّم : أَفطَرَ عندَكُمُ الصَّائِمُونَ ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ الْأَبْرَارُ وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ الْمَلَائِكَة رواهُ أَبو دَاوُد .

ثامناً : دعاء التهجد والأرق والرؤيا

(١) عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ : كانَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم إذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ[1] قَالَ : اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمٰواتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ ، وَمُحَمَّدٌ صلى اللهُ عليهِ وسلم حَقٌّ وَالسَّاعَةُ حَقٌّ ،

---

(١) التهجد : اسم لدفع النوم بالتكلف ، والهجود : هو النوم . يقال : هجد إذا نام ، وتهجد إذا أزال النوم .

اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، وَمَا أَنتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّر ، لاَ إِلَهَ إِلا أَنْتَ ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ » رواهُ الْبُخَارِيُّ .

(٢) وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّهُ سَمِعَ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم يَقُول: « إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ الرُّؤْيَا يُحِبُّهَا فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ اللهِ فَلْيَحْمَدِ اللهَ عَلَيْهَا وَلْيُحَدِّثْ بِهَا ، وَإِذَا رَأَى غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُ فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ شَرِّهَا وَلَا يَذْكُرْهَا لِأَحَدٍ فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ » ، رواهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

(٣) وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ، أَنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم

قالَ « إذَا فَزِعَ أَحـــدُكُمْ فِي النَّومِ فَلْيَقُلْ : أَعُوذُ بِكلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ وعِقَابِهِ وشَرِّ عِبَادِهِ ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ[1] وَأَنْ يَحْضُرُونِ فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ » رواهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وقَالَ التِّرْمِذِيُّ : حَدِيثٌ حَسَنٌ .

(٤) وَعَنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ أَصَابَهُ الْأَرَقُ فَقَالَ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلم : « أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ إِذَا قُلْتَهُنَّ نِمْتَ ؟ قُلْ : اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظَلَّتْ وَرَبَّ الْأَرَضِينَ وَمَا أَقَلَّتْ وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضَلَّتْ كُنْ لِي جَاراً مِنْ شَرِّ خَلْقِكَ أَجْمَعِينَ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ[2] أَوْ أَنْ يَطْغَى ، عَزَّ جَارُكَ ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ » ،

---

(١) « ومن همزات الشياطين » . الهمز : النخس والغمز وكل شيء دفعته فقد همزته .

(٢) (أن يفرط علي أحد منهم) أي يعجل بالعقوبة (أو أن يطغى)،

فقالهنّ فنامَ . رواهُ الطبرانيُّ في الأوسطِ وابنُ شيبةَ في مُصنّفِهِ .

(٥) وعَنْ زَيْدِ بنِ ثابتٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : شكوتُ إلى رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلم أرقاً أصابَني فقالَ : قلْ : اللّهمّ غارتِ النجومُ ، وهدأتِ العيونُ ، وأنتَ حيٌّ قيّومٌ ، لا تأخذُكَ سِنةٌ ولا نومٌ ، يا حيُّ يا قيّومُ ، اهدِ ليلي ، وأنِمْ عيني » ، فقلتُها فأذهبَ اللهُ عزَّ وجلَّ ما كنتُ أجدُهُ . رواهُ ابنُ السُّنّي .

تاسعاً : دعاء النوم

(١) عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ عنِ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ : « إذا جاءَ أحدُكُمْ فراشَهُ فلينفضْهُ بصنفةِ ثوبِهِ[١] ثلاثَ مرّاتٍ وليقلْ : باسمِكَ

---

(١) (بصنفة ثوبه) الصنفة بفتح الصاد المهملة وكسر النون وفتح الفاء : طرف الثوب .

رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَاغْفِرْ لَهَا ، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِـــهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ » رواهُ الجماعة[1]

(٢) وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « إِنَّ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليـهِ وسلم كَانَ إِذَا أَوَى إلى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ وَنَفَخَ فِيهِمَا فقرأ فيهمَا : « قُلْ هُوَ اللهُ أَحدٌ » و « قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ » و « قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ » ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَـــا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذٰلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ » رواهُ الْبُخَارِيُّ .

(٣) وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِي اللهُ عَنْهُ ، عَنْ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليْهِ وسلمَ قَالَ : « مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إلى فِرَاشِهِ : أَسْتَغْفِرُ اللهَ الذِي لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ

---

(١) (رواه الجماعة) أي البخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمـذي والنسائي وابن ماجه .

الْحيَّ الْقَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْـهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، غَفَرَ اللهُ لَهُ ذُنُوبَهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ(١) وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ وَرَقِ الشَّجَرِ ، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ رَمْلِ عَالِجٍ(٢) وَإِنْ كانتْ عَدد أَيَّام الدُّنيَا » . رواهُ التِّرمِذِيُّ وَقَالَ : حديثٌ حسنٌ .

(٤) وعن أبي هريرةَ رضِيَ اللهُ عنـهُ أَنَّ النَّبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلم قالَ : « مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إلى فِرَاشِهِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْـــدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْـدُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شيْءٍ قَدِيرٌ ، لا حوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، سُبْحَانَ اللهِ ، والْحَمْدُ لِلهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْـبَرُ ، غُفِرَتْ

---

(١) « وإن كانت مثل زبـد البحر » الزبد بفتحتين الرغوة ، أي ولو كانت ذنوبه مثل زبد البحر .

(٢) « وإن كانت عدد رمل عالج » بفتح اللام وكسرها، موضع بالبادية فيه رمل كثير . قال المباركفوري في شرح الترمذي (وفي الحديث فضيـــلة عظيمة ومنقبة جليلة في مغفرة ذنوب القائل بهذا الذكر ثلاث مرات وإن كانت بالغة إلى هذا الحد الذي لا يحيط به عدد ، وفضل الله واسع وعطاؤه جم) .

لَهُ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ ٱلْبَحْرِ » رواهُ ابْنُ حِبَّانَ .

(٥) وعن ٱلبَرَاء بْنِ عَازِبٍ رَضِي اللهُ عَنْــهُ قَالَ : قَالَ رسولُ صلى اللهُ عليهِ وسلم : « إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلى شِقِّكَ الأَيْمنِ ، ثُمَّ قُلْ : اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ ، وَأَلْجَأْتُ ظَهرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ ، لا مَلْجَأَ وَلا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ ، وَبِنَبِيِّــكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنتَ عَلى الْفِطْرَةِ ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ » أخرجهُ الجماعةُ .

عاشراً : ختام الصلاة وختام المجلس

(١) عن أَبِي هريرةَ رَضِي اللهُ عنـهُ عن رسول اللهِ صلى اللهُ عليـه وسلم قالَ : « مَنْ سَبَّحَ اللهَ فِي دُبُرِ كلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثاً وَثَلَاثينَ ، وَحَمِدَ الله ثَلَاثاً وَثَلَاثينَ ،

وَكَبَّرَ اللهَ ثَلاثاً وَثَلاثينَ ، فتِلْكَ تِسْعَةٌ وتِسْعُونَ ، وَقَالَ تمَامَ الْمَائَةِ : لَا إِلَهَ إِلّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ » رواهُ مُسْلِمٌ .

(٢) وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّ رسولَ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلّم أَخذَ بيَدِهِ وَقَالَ : « يَا مُعَاذُ وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ ، أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ : اللّهُمَّ أَعِنِّي عَلى ذِكْرِكَ ، وَشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبَادَتِكَ » رواهُ أَبو دَاوُدَ .

(٣) وعن أَبِي بَرْزَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ يَقُولُ بِأَخرَةٍ[1] إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنَ الْمَجْلِسِ : « سُبْحَانَكَ اللّهُمَّ

(١) (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بأخرة) بفتح الهمزة والخاء المعجمة : أي في آخر الأمر .

وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَـــدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ » فَقَالَ رَجُـلٌ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلاً مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيمَا مَضَى ؟ قَالَ : « ذٰلِكَ كَفَّارَةٌ لِمَـا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ » رواهُ أَبُو دَاوُدَ وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَك .

(٤) وعن عليٍّ رضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكْتَالَ بِالْمِكْيَالِ الْأَوْفَى فَلْيَقُلْ فِي آخِرِ مَجْلِسِهِ أَوْ حِينَ يَقُومُ : سُبْحَانَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » . رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ .

القسم الرابـع

الادعية المأثورة في حالات مختلفة

غير أحوال اليوم والليلة

أولا : دعاء الاستخارة الشرعية

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ : كانَ رسولُ الله صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُعلِّمُنَا الاسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كلِّها كَما يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ يَقولُ: « إِذَا هَمَّ أَحدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ، ثُمَّ لِيَقُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ ، وَأَسْأَلُكَ مِن فَضْلِكَ الْعَظِيمِ ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ ، وَتَعْلَمُ وَلا أَعْلَمُ ، وَأَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ . اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هٰذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعاقِبَةِ أَمْرِي . أَوْ قَالَ

عَاجِل أمرِي وَآجِـلِهِ فاقْدُرْهُ لي وَيَسِّرْهُ لي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ ، وَإنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنَّ هَـذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أمْرِي ، أوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أمْرِي وَآجِلِهِ ، فَاصْرِفْهُ عَنِّي ، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ ارْضِنِي بِهِ » قَالَ : وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ . رواهُ الْبُخَارِيُّ .

ثانيا : صلاة الحاجة :

عن عبد اللهِ بْنِ أبِي أوْفَى رضِيَ اللهُ عنهما قالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ فَقَالَ : « مَنْ كانَتْ لَهُ حَاجَةٌ إلى اللهِ تَعَالَى أوْ إلَى أحَدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ ، فَلْيَتَوَضَّـأْ وَلْيُحْسِنْ وُضُوءَهُ ، ثُمَّ لِيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ يُثْنِي عَلى اللهِ تَعَالَى ، وَلْيُصَلِّ عَلى النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم وَلْيَقُلْ : لَا إلٰهَ إلاَّ اللهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ ، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، أسْألُكَ مُوجِبَاتِ

رَحْمَتِكَ(١) وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ ، وَالْعِصْمَةَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ ، وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ ، وَالسَّلاَمَـةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ لاَ تَدَعْ لِي ذَنْباً إِلاَّ غَفَرْتَهُ ، وَلاَ هَمّاً إِلاَّ فَرَّجْته ولاَ حاجَةً هِيَ لَكَ رِضاً إِلاَّ قَضَيْتَهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، ثُمَّ يَسْأَل مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مَا شَاءَ فَإِنَّهُ يُقَدَّرُ » أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجه .

ثالثاً : من ادعية السفر

يَقُولُ الْمُقِيمُ لِلْمُسَافِرِ : « أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكَ ، وَأَمَانَتَكَ(٢) ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ ، وَأَقْــرَأُ عَلَيْكَ السَّلاَمَ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ من حديث عبد الله بْنِ عُمَر .

---

(١) « أسألك موجبات رحمتك » بكسر الجيم : أي أسبابها « وعزائم مغفرتك » قال الطيبي : أي أعمالا تتعزم وتتأكد بها مغفرتك .

(٢) « وأمانتك » قال الخطابي : الأمانة هنا أهله ، ومن يخلفه ، وماله الذي عند أمينه . وذكر الدين هنا لأن السفر مظنة المشقــة فربما كان سبباً لإهمال بعض أمور الدين .

ثُمَّ يُوصِّيه فيقول : عَلَيْــكَ بِتَقْوَى اللهِ ، وَالتَّكْبِيرِ عَلى كُلِّ شَرَفٍ [١] ، اللَّهُمَّ اطْوِ لَهُ الْبُعْدَ ، وَهَوِّنْ عَلَيْهِ السَّفَرَ » رواه التِّرْمِذِيُّ وَالنسائِيُّ مِنْ حديث أبي هريرةَ .

ثُمَّ يَدْعُو لَهُ بِقَوْلِهِ : « زَوَّدَكَ اللهُ التَّقْوَى ، وَغَفَرَ ذَنْبكَ ، وَيَسَّرَ لَكَ الخَــيْرَ حَيثُما كُنْتَ » أخرجَه الترْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حديثِ أنس .

وَيَقُولُ الْمُسَافِرُ لِلْمُقيم : « أَستَوْدِعكَ اللهَ الَّذِي لاَ تَضِيعُ وَدَائِعُــهُ » رواه الطَّبَرَانيُّ مِنْ حَديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ .

ثُمَّ يَدْعُو اللهَ بِقَوْلِهِ : « اللَّهُمَّ بِكَ أَصُولُ ، وَبِكَ أَجُولُ ، وَبِكَ أَسيرُ . اللَّهُمَّ إني أسأَلُكَ فِي سفَرِي هٰذا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى ، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنا سفرنَا هٰذَا وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ . اللَّهُمَّ

---

(١) « والتكبير على كل شرف » بالتحريك . أي على كل مكان عال .

أَنتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ والخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ . اللَّهُمَّ إِنِي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ [١] ، وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ ، وَسوءِ الْمُنقَلَبِ فِي المَالِ وَالأَهْلِ وَالْوَلَدِ ، وَإِذا رَجَعَ قَالَهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ : آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ » رواه أحمد وَالْبَزَّارُ ومسلمٌ وغيرُهم من حديثِ عَلِيٍّ وَابْنِ عُمَرَ وَعبدِ اللهِ بنِ سَرْجِس وَغَيْرِهِمْ .

فَإِذَا بَدَأَ الرُّكوبَ قَال : « بِسْمِ اللهِ » ، فَإِذَا استَوَى عَلى مَرْكَبِهِ قالَ : الحَمْدُ للهِ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ [٢] وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ» رواه أبو داودَ وَالترْمِذِيُّ من حديثِ عليٍّ رضي الله عنه .

---

(١) « وعثاء السفر » بفتح الواو وسكون العين المهملة وبالمد : أي مشقته وشدته .

(٢) « وما كنا له مقرنين » أي مطيقين .

رابعاً : من أدعية الظواهر الكونية

(١) إذَا رَأى المطَرَ قال : « اللّهُمَّ صَيِّباً[1] نافِعاً » مرَّتَيْنِ أوْ ثَلاثاً رواه ابْنُ أبِي شَيْبَةَ مِنْ حدِيث عائِشَةَ فإذَا كَثُرَ المطَرُ أوْ خافَ ضَرَرَهُ قال « اللّهُمَّ حوالَيْنَا ولاَ علَيْنا ، اللّهُمَّ عَلى الآكام، والآجام[2] والظِّرَابِ والأَوْدِيَةِ ، ومَنَابِتِ الشَّجَـــرِ » . رواه البخاريُّ مِنْ حديث أنس .

(٢) إذَا سَمِعَ الرَّعدَ والصَّواعِق« قال : « اللّهُمَّ لاَ تَقْتُلْنَا بِغَضَبِكَ ولاَ تُهْلِكْنَا بِعَذَابِكَ ، وعَافِنَا قَبْلَ ذلكَ » رواهُ التِّرْمِذِيُّ والحَاكِمُ في المسْتَـــدْرَكِ من حديث عبد اللهِ بْنِ عُمَر .

(٣) إذَا رأى الهِلاَلَ قال : « اللهُ أكْبَرُ ، اللّهُمَّ

---

(١) « اللهم صيباً » هو بتشديد الياء المثناة : أي منهمراً متدفقاً .

(٢) « اللهم على الآكام » الآكام جمع أكة وهي الرابيـة . والآجام : الشجر الكثير الملتف . والظراب : الجبال الصغار .

أهلَّهُ علَيْنَا بِالْيُمْنِ[١] وَالإِيمَانِ ، وَالسَّلامَةِ وَالإِسْلامِ ، وَالتَّوْفيقِ لِمَا تحِبُّ وَتَرْضَى ، رَبِّي وَرَبُّكَ الله » . « هِلالُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ » . ثُمَّ يَقُولُ ثلاثاً : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هٰذَا الشَّهْرِ وَخَيْرِ الْقَدَرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ » رواه الدَّارِمِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالطبراني وغيرهم من حديثِ عبد الله بن عُمَرَ وَغيرِهِ .

خامساً : من أدعية الزواج والأولاد

(١) يَقُولُ لِمَنْ تَزَوَّجَ : « بارَكَ اللهُ لَكَ ، وَبارَكَ عَلَيْكَ ، وَجَمَعَ بَيْنَكُما فِي خَيْرٍ » . رواهُ البخاريُّ ومسلِمٌ وَالأَربعةُ من حديث أنس وأبي هريرة .

(٢) إِذَا أُتِيَ بِمَوْلُودٍ أَذَّنَ فِي أُذنِهِ حِينَ وِلادَتِهِ رواه أبو داودَ والنَّسَائِيُّ .

(١) اللهم « أهله علينا باليمن » اليمن : البركة ، وضده الشؤم . قال ابن الأثير : يقال : يمن فهو ميمون ، ويمنهم فهو يا من .

(٣) تَعْوِيذ الأَطْفَالِ : « أُعِيذُكَ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ[١] وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ » رواه البخاريُّ من حديث بن عباس .

(٤) إذَا أَفْصَحَ الصَّبِيُّ فَلْيُعَلِّمْهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَإِذَا أَثْغَرَ[٢] فَلْيَأْمُرهُ بِالصَّلاةِ . أَخرجهُ ابنُ السُّنِّي من حديث عبدِ اللهِ بْن عُمَر .

سادسا : من أدعية المرئيات

(١) إذَ رَأَى مَا يُحِبُّ قال : « الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي بِنِعْمَتِه تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ » . وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ قال : « الْحَمْدُ لِلهِ عَلَى كُلِّ حَال » رواهُ الْحَاكِمُ وابنُ مَاجه من حديث عائشةَ .

(٢) إذا رأَى وَجْهَهُ فِي المِرْآةِ قال : « اللَّهُمَّ أَنتَ حَسَّنْتَ خَلْقِي فحَسِّنْ خُلُقِي وَحَرِّمْ وَجْهِي عَلى

---

(١) « من كل شيطان وهامة » الهامة بتشديد الميم : هي كل ذي سم يقتل. واللامة بتشديد الميم : أي ذات لم وهي التي تصيب بسوء ما نظرت إليه

(٢) « وإذا أثغر » . أي سقطت رواضعه .

النَّار ، الحَمْدُ لِلهِ الَّذِي سَوَّى خَلْقِي فَعَدَلَهُ ، وَكَرَّمَ صُورَةَ وَجْهِي فَأَحْسَنَها وَجَعَلَنِي مِنَ الْمسلمين » رواه ابنُ حبَّانٍ وَابْنُ مَرْدويه وَالطَّبَرَانِيُّ مِنْ حديثِ عَبْدِ اللهِ ابن مَسْعُودٍ وَعائشةَ وأَنسٍ .

(٣) إذَا رَأَى بَاكُورَةَ ثَمَرَةٍ أَوْ فَاكِهَةٍ قَالَ : « اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا ، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا ، وَبَارِكْ لَنا فِي صَاعِنَا ، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا ، اللَّهُمَّ كَمَا أَرَيْتَنَا أَوَّلَهُ فَأَرِنَا آخِرَهُ » ، ثُمَّ يُعْطِيهِ أَصْغَرَ مَنْ يكُونُ عِنْدَهُ مِنَ الصبيَانِ ، رواهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ .

(٤) إذَا رَأَى أَخَاهُ الْمُسْلمَ يَضْحَكُ . قَالَ : « أَضْحَكَ اللهُ سِنَّكَ » رواهُ البخاريُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حديث سعيد بن أبي وقَّاص .

سابعاً : من أدعية السلام والتحية

(١) إذَا بُلِّغَ عَنْ أَحدٍ سَلَاماً رَدَّهُ عَلى الْمُبَلِّغِ

وَالْمُسَلِّم مَعاً . أخرجهُ النَّسائِيُّ وَابْنُ الْقَطّـانِ مِن حَدِيثِ أنسٍ فِي سَلاَمِ خَدِيجَةَ .

(٢) إذَا قَالَ لَهُ إنسانٌ إنِّي أحِبُّكَ قـالَ : « أحبَّكَ الَّذِي أحْبَبْتَنِي لَهُ » رواهُ أبو دَاوُدَ وَالنَّسائيُّ وَابْنُ حِبَّانَ مِنْ حَدِيثِ أنسٍ .

(٣) إذَا قِيلَ لَهُ : « كَيْفَ أصْبَحْتَ ؟ » يَقُولُ : « أحْمَدُ اللهَ اليْكَ ، أوْ يَقُولُ : بِخَيْرٍ أحْمَـدُ اللهَ » رواهُ أحمـدُ وَالطَّبَرَانِيُّ مِنْ حديثِ عبدِ اللهِ بن عُمَرَ وَأنس .

(٤) إذَا صَنَعَ إلَيْهِ أحَدٌ مَعْرُوفاً قالَ : « جَزَاكَ اللهُ خَيْراً » رواهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أُسَامَة .

ثامناً : من أدعية عوارض الحياة

(١) إذَا أصابه الكرب أو الهم أو الغم أو الحزن يقول : « لاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ الْكَرِيمُ العظيمُ سُبْحَانَه تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيم ، الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ

الْعالَمِينَ » تَوَكَّلْتُ عَلى الْحَيِّ الَّذي لاَ يَمُوتُ » ، « الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً ، وَلَم يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ، وَلَم يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً » ، « اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فلا تَكِلْنِي إِلى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ ، وَأَصْلِحْ لِي شَأنِي كلَّهُ ، لا إِلٰهَ إِلاَّ أَنتَ » « يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَستَغِيثُ » ، « لاَ إِله إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَك إِنِّي كُنتُ من الظالِمِينَ » ، اللَّهُمَّ إِني عَبْدكَ ابْنُ عبْدِكَ ابْنُ أمتِكَ نَاصِيتي بِيَدِكَ ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ ، أَسأَلُكَ بِكلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ في كِتَابِك أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحداً منْ خَلقِكَ ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بهِ في عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي ، وَنُورَ بَصَرِي ، وَجَلاءَ حُزْنِي ، وَذَهَابَ هَمِّي » « لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ » رواهُ النَّسَائِي وابْنُ حِبَّان من حديث عليٍّ ، والحَاكِمُ من حديث أبي هريرة وعبدِ

اللهِ بن مسعودٍ وَالتِّرْمِذِيُّ من حديثِ سعد بن أبِي وقاصٍ ، وأحمدُ وَالبَزَّارُ من حديث ابن مسعودٍ .

(٢) إذَا وَقَعَ لَهُ مَا لاَ يَخْتَارُهُ فَلْيَقُلْ : « قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ ، وَلاَ يقُولُ لَوْ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ بَابَ الشَّيْطَانِ » رواه النسائِيُّ من حديث أبي هريرة .

(٣) إنْ غَلَبَهُ أَمْرٌ فَلْيَقُلْ : حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » رواه أبو دَاوُدَ من حديثِ عَوْف بن مَالك .

(٤) إن أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ قَالَ : « إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون ، اللَّهُمَّ عِنْدَكَ أَحْتَسِبُ مُصِيبَتِي فَأْجُرْنِي فِيها وَأَبْدِلْنِي مِنْهَا خَيْراً » رواهُ التِّرْمِذِيُّ وَالحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَلَمَةَ .

(٥) إذَا اسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ شَيْءٌ قَال : « اللَّهُمَّ لَا سَهْلَ إِلَّا مَا جَعَلْتَهُ سَهْلاً ، وَأَنتَ تَجْعَلُ الحَزْنَ[1] إِذَا شِئْتَ سَهْلاً » رواهُ ابْنُ حِبَّان مِنْ حديثِ أنسٍ .

---

(١) (الحزن) بفتح الحاء : الصعب .

(٦) إِذَا غَضِبَ قَالَ: «أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» رواهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حديثِ سُلَيْمَانَ ابْنِ صُرَدٍ .

(٧) إِذَا ابْتُلِيَ بِالدَّيْنِ قَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَاغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ» رواهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِم مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ .

تاسعاً : من أدعية المرض والوفاة

(١) إِذَا اشْتَكَى وَضَعَ يَدَهُ عَلى مَوْضِعِ الأَلَمِ مِنْ جَسَدِهِ ثُمَّ قَالَ: «بِسْمِ اللهِ ثَلَاث مَرَّاتٍ ، أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ سَبْعَ مَرَّاتٍ» رواهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عُثْمَانَ بنِ أَبِي الْعَاصِ .

(٢) إِذَا عَادَ مَرِيضاً قالَ: «اللَّهُمَّ أَذْهِبَ الْبَأْسَ رَبَّ النَّاسِ ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي ، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ ، شِفَاءً لا يُغَادِرُ سِقَماً» وَيَمْسَحُ بِيَدِهِ عَلَيْهِ وَيُطَيِّبُ

خَاطِرَهُ. رواهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ.

(٣) وَفِي الْعَزَاءِ يُسَلِّمُ وَيَقُول: « إِنَّ للهِ مَا أَخذَ وَلَه مَا أَعْطَى وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجلٍ مُسَمَّى فَلْتَصْبِرْ وَلتَحْتَسِب[1] ». رواهُ البُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أُسَامَة.

وَكَتَبَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلى مُعَاذٍ يُعَزِّيهِ فِي ابْنِهِ: « بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ: سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللهَ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ. أَمَّا بَعْدُ فَأَعْظَمَ اللهُ لَكَ الأَجرَ وَأَلْهَمَكَ الصَّبْرَ، وَرَزَقَنَا وَإِيَّاكَ الشُّكْرَ، فَإِنَّ أَنفُسَنَا وَأَمْوَالَنَا وَأَهْلِينَا وَأَوْلادَنَا مِنْ مَوَاهِبِ اللهِ عَزَّ وَجلَّ الْهَنِيَّةِ، وَعَوَارِيهِ الْمُسْتَوْدَعَةِ، نُمَتَّعُ بِهَا إِلَى أَجلٍ مَعْدُودٍ، وَيَقْبِضُهَا لِوَقْتٍ مَعْلُومٍ، ثُمَّ افْتَرَضَ عَلَيْنَا الشُّكْرَ

(١) « ولتحتسب »: أي تحتسب ثواب ما نزل بك عند الله تعالى.

إذَا أُعْطَىٰ ، وَالصَّبْرَ إذَا ابْتَلَىٰ ، وَكَانَ ابْنُكَ مِنْ مَوَاهِبِ اللهِ الْهَنِيَّةِ ، وَعَوَارِيهِ الْمُسْتَوْدَعَة ، مَتَّعَكَ بِهِ فِي غِبْطَةٍ وَسُرُورٍ ، وَقَبَضَهُ مِنْكَ بِأَجْرٍ كَثِيرٍ : الصَّلَاةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْهُدَى إِن احْتَسَبْتَ ، فَاصْبِرْ وَلَا يُحْبِطْ جَزَعُكَ أَجْرَكَ فَتَنْدَمَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْجَزَعَ لَا يَرُدُّ شَيْئاً ، وَلَا يَدْفَعُ حُزْناً ، وَمَا هُوَ نَازِلٌ فَكَأَنْ قَدْ ، وَالسَّلَامُ . رواهُ الحاكِمُ وابْنُ مَرْدُويه .

(٤) وَفِي صَلَاةِ الْجَنَازَةِ يَدْعُو لِلْمَيِّتِ بِقَوْلِهِ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ ، وَأَكْرِمْ نُزُولَهُ ، وَوَسِّعْ مَدْخَلَهُ ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ ، وَأَبْدِلْهُ دَاراً خَيْراً مِنْ دَارِهِ ، وَأَهْلاً خَيْراً مِنْ أَهْلِهِ ، وَزَوْجاً خَيْراً مِنْ زَوْجِهِ ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ ، وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ أَوْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ » رواهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ .

(٥) في زِيَارَةِ الْقُبُورِ يَقُولُ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُسْلِمِينَ ، وَيَرْحَمُ ٱللهُ ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَٱلْمُسْتَأْخِرِينَ ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ ، أَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ ، أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ[1] وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُمْ ، وَلَا تُضِلَّنَا بَعْدَهُمْ » رواهُ مُسْلِمٌ وَٱلنَّسَائِيُّ وابن ماجه وابنُ السُّنِّي .

عاشراً : صلاة التسبيح

أَرْبعُ رَكَعَاتٍ بِتَسْلِيمَةٍ وَاحِدَةٍ أَوْ بِتَسْلِيمَتَيْنِ ، يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ بِالْفَاتِحَةِ وَسُورَةٍ ثُمَّ يُسَبِّحُ قَائِماً خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً يَقُولُ : « سُبْحَانَ اللهِ ، وَالْحَمْدُ لِلهِ ، وَلَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ ، وَاللهُ أَكْبَرُ » . وَيُسَبِّحُ فِي الرُّكُوعِ

---

(١) « أنتم لنا فرط » بفتحتين : أي متقدمون . قال ابن الأثير : يقال : فرط يفرط فهو فارط وفرط إذا تقدم وسبق القوم ليرتاد لهم الماء ويهيء لهم الدلاء والأرشية .

عَشْراً ، وَفِي الرَّفْعِ مِنْهُ عَشْراً ، وَفِي السُّجُودِ عَشْراً ، وَبَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ عَشْراً ، وَفِي السَّجْدَةِ الثَّانِيَةِ عَشْراً ، وَفِي الرَّفْعِ مِنْهَا قَبْلَ ٱلْقِيَـــامِ أَوِ ٱلتَّشَهُّدِ عَشْراً ، فَهِيَ خَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ تَسْبِيحَةً ، يَفْعَلُ ذٰلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ ، الحديث . أَخْرَجَـهُ أَبُو دَاوُدَ وَالحاكِمُ مِنْ حديثِ عَبْدِاللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا .



من أوراد الاخوان

بعد الورد القرآني وورد المأثورات

١ — ورد الدعاء

« أَسْتَغفِرُ اللهَ » مـائة مرة « اللَّهُمَّ صلِّ عَلى سيدنا محمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وصحبه وسلِّم » مائة مرة . « لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ » مائة مرة الدعاء للدعوة والقائمين بها وللإخوان وللنفس والأهل بعـد ذلك بما تيسر من الدعوات .

ويقرأ الورد صباحاً بعد صلاة الصبح ، ومساء بعد صلاة المغرب أو العشاء أو قبل النوم مع الخشوع التـام وألا يقطع ورده بكلام دنيوي إلا للضرورة استكمالاً للخشوع وتأدباً في الذكر .

٢ — ورد الرابطة

يتلو الأخ الآية الكريمة في تدبر كامل : « قـل

اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ، تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تشَاءُ، وَتَنْزِعُ الملْكَ مِمَّنْ تشَاءُ، وتعزُّ مَنْ تشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تشاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ، إنَّك على كلِّ شَيْءٍ قَديرٌ تُولِجُ اللَّيْلَ في النَّهَارِ، وَتُولِجُ النَّهَارَ في اللَّيْـــلِ، وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الميِّتِ، وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ، وَتَرْزُقُ مَنْ تَشاءُ بغَيْرِ حِسَابٍ».

ثم يتلو الدعاء المأثور بعد ذلك :

«اللَّهُمَّ إنَّ هذَا إِقْبَالُ لَيلكَ، وَإِدْبَارُ نَهَارِكَ، وَأَصْوَاتُ دعائِك، فاغْفِرْ لي» ثم يستحضر صورة مَن يعرف من إخوانه في ذهنه ويستشعر الصلة الروحية بينه وبين من لم يعرفه منهم، ثم يدعو لهم بمثل هذا الدعاء. اللهم إنك تعلم أن هذه القلوب قد اجْتَمَعَتْ عَلى مَحَبَّتِكَ، وَالْتَقَتْ عَلى طاعتكَ، وَتَوَحَّدَت عَلى دَعْوَتِـــكَ، وَتَعَاهَدَتَ عَلى نصْرَةِ شريعَتِكَ، فَوَثِّقْ اللَّهُمَّ رَابِطَتَها وأدِم وُدَّها، واهدها سُبُلَهَا، وامْلأْها بِنُورِكَ الَّذِي

لا يَخْبُو ، وَاشْرَحْ صُدُورَهَا بِفَيْضِ الْإِيمَانِ بك ، وَجميل التَّوَكُّل عليك وَأَحيِها بِمعْرِفَتِكَ ، وَأَمِتْها عَلى الشَّهَادة في سبيلكَ إنك نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْـمَ النَّصِيرُ ، اللهُمَّ آمِين . وَصلِّ اللَّهُمَّ عَلى سَيِّـدِنا محمدٍ وعَلى آلهِ وَصَحْبِهِ وسلم . ووقت هذا الْوِرْدِ ساعـة الغروب تماماً من كلِّ لَيلةٍ .

ورد المحاسبة

وهو استعراض أعمال اليوم ساعة النوم ، فإن وجد الأخُ خيراً فليحمَدِ الله ، وإن وجَدَ غيرَ ذلكَ فليستغفر وليسأل ربه ثم يجدد التوبة وينامُ على أفضل العــزائم .

وصلى اللهُ عَلى سيِّدنا محمد وعَلى آلهِ وصحبهِ وسلم تسليما كثيراً .

فهرس

